THE BOOK WAS DRENCHED

دار الكتب المصرية



نهاية الأرب

في

فنون الأدب

تأليف

شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب النويري

السفر الثالث

مطبعة دار الكتب المصرية بالقاهرة

١٣٤٢ هـ - ١٩٢٤ م



فهرس

السّفر الثالث

من كتاب نهاية الأرب في فنون الأدب

للنويرى

القسم الثانى من الفن الثانى

فى الأمثال المشهورة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، وعن جماعة من الصحابة رضى الله عنهم، والمشهور من أمثال العرب، وأوابد العرب وأخبار الكهنة، والزجر، والفأل، والطيرة، والفراسة والذكاء، والكنايات، والتعريض، والأحاجى، والألغاز وفيه خمسة أبواب

الباب الأوّل :

صحيفة

صحيفة

صحيفة

صحيفة

صحيفة

الباب الثانى :

صحيفة

صحيفة

الباب الثالث :

الباب الرابع :

الباب الخامس :

القسم الثالث من الفن الثانى

في المدح، والهجو، والمجون، والفكاهات، والملح، والخمر، والمعاقرة والندمان، والقيان، ووصف آلات الطرب

وفيه خمسة أبواب

الباب الأول :

صحيفة

صحيفة

الباب الثانى :

بسم الله الرحمن الرحيم

القسم الثانى من الفن الثانى

فى الأمثال المشهورة

عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، وعن جماعة من الصحابة رضى الله عنهم، والمشهور من أمثال العرب، وأوابد العرب، وأخبار الكهنة، والزجر، والفأل، والطيرة، والفراسة، والذكاء، والكنايات، والتعريض، والأحاجى، والألغاز؛ وفيه خمسة أبواب.

الباب الأول

من هذا القسم

(فى الأمثال)

ضرب الله عز وجل الامثال فى كتابه العزيز فى آى كثيرة، فقال تعالى: ﴿يأَيُّهَا النَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَاسْتَمِعُوا لَهُ﴾ وتكرر ذكر الأمثال.

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "ضرب الله مثلاً صراطا مستقيما، وعلى جَنْبَى الصراط أبواب مفتّحة، وعلى الأبواب ستور مرخاة، وعلى رأس الصراط داعٍ يقول ادخلوا الصراط ولا تعزجوا" فالصراط: الإسلام، والستور: حدود الله تعالى، والأبواب: محارم الله، والداعى: القرآن

قال المبرّد : المثل مأخوذ من المثال وهو قول سائر، شبّه به حال الثانى بالأوّل والأصــل فيه التشبيه . قال : وقولهم مَثَــل بين يديه ، إذا آنتصب ؛ معناه أشبه الصورة المنتصبة . وفلان أمثل من فلانٍ، أى أشبه .

والمثال : القصاص، لتشبيه حال المقتصّ منه بحال الأوّل .

وقال آبن السِّكِّيت : المثل لفظ يخالف لفظ المضروب له ويوافق معناه . ٥

وقال إبراهيم النظّام : يجتمع فى المثل أربع لا تجتمع فى غيره من الكلام : إيجاز اللفظ، وإصابة المعنى ، وحسن التشبيه، وجودة الكناية فهو نهاية البلاغة .

وقال آبن المقفّع : إذا جُعل الكلام مثلا كان أوضحَ للنطق، وآنقَ للسمع ، وأوسعَ لشعوب الحديث .

وأوّل ما نبــدأ به من ذلك ما تُمُثِّل به من أقوال ســيدنا رسول الله صــلى الله عليه وسلم . ١٠

فمن ذلك قوله صلى الله عليه وسلم وهو ممــا لم يسبق إليه :

"إيّاكم وخضراءَ الدِّمَن" فقيل له : وما ذاك يارسول الله؟ فقال : "المرأةُ الحَسْنَاءُ فى مَنْبِتِ السُّوء !"

"كلّ الصيدِ فى جَوْف الفَرَا" قاله لأبى سفيان يتألّفه على الإسلام . ١٥

"مات فلان حَتْف أنفه" .

"لا ينتطح فيه عنزان" .

"إن المُنْبَتَّ لا أرضًا قَطَعَ ولا ظَهْرا أبْقَى" المنبتُّ : المنقطع عن أصحابه فى السفر؛ والظهر : الدابّة، قاله فى الغلوّ فى العبادة .

" ٱلْآنَ حَمِيَ ٱلْوَطِيس " : ضربه فى الحرب .

" يَاخَيْلَ اللهِ ٱرْكَبِي " .

" اشْتَدِّى أَزْمَةُ تَنْفَرِجِى " .

وقوله صلى الله عليه وسلم : " الناس كأسنان المُشْطِ وإنما يتفاضلون بالعافية ".

٥ " الناس كمعادن الذهب والفضة ، خيارهم فى الجاهلية خيارهم فى الإسلام إذا فقهوا " .

" النَّاسُ كَإِبِلٍ ، مِائَةٌ لا تَجِدُ فيها راحِلَةً " .

" المؤمن هيّن ليّن ، كالجمل الأَنِفِ إن ٱقتيد ٱنقاد ، وإن أُنيخ على صخرة ٱستناخ "

" المؤمن للمؤمن كالبنيان يَشُدّ بعضه بعضا " .

١٠ " أصحابى كالنجوم ، بأيّهم ٱقتديتم ٱهتديتم " .

" مثل أصحابى كالملح لا يصلح الطعام إلا به " .

" أُمّتى كالمطر ، لا يُدْرَى أوّله خير أم آخره " .

" مثل أبى بكر كالقَطْر أين وقع نفع " .

" عُمّالكم كأعمالكم وكما تكونوا يولّى عليكم " .

١٥ وقال لما كتب كتاب المهادنة بينه وبين سهيل بن عمرو : "والعقد بيننا كشَرْج العَيْبَة" يعنى إذا ٱنحلّ بعضه ٱنحلّ جميعه .

" المرأة كالضِّلَع العوجاء إن قوّمتها كسرتها ، وإن داريتها ٱستمتعت بها " .

" المتشبّع بما لم يُعْطَهُ كلابس ثَوْبَىْ زُور " .

" الدالّ على الخير كفاعله " .

٢٠ " لو توكلتم على الله لرزقكم كما يرزق الطير تغدو خماصا وتروح بطانا " .

(٣) " وعد المؤمن كالأخذ باليد " .

" مَثَل المؤمن كالنحلة، لا تأكل إلا طيِّبا ولا تُطعِم إلا طيِّبا " .

"مَثَل المؤمن كالسُّنْبُلَةِ تميل أحيانا، وتعتدل أحيانا" .

"مَثَل الجليس الصالح كالعطّار، إن لم تصب من عطره أصبت من ريحه، ومثل الجليس السوء كالكِير إن لم يحرق ثوبك آذاك بدُخَانه" . ٥

"علم لا ينفع كنز لا ينفق منه" .

وقال : "المؤمن مِرْآة أخيه" .

"قد جَدَعَ الحَلَالُ أنْفَ الغَيْرَة" .

"الأعمـال بالنيّات ولكل آمرئ ما نوى" .

"نيّة المرء خير من عمله" . ١٠

"إن من الشِّعْر لحكمةً وإن من البيان لَسحْرًا" .

"من كثّر سواد قوم فهو منهم" .

"الأعمـال بخواتمها" .

"ساقى القوم آخرهم شربا" .

"المرء على دِين خليله فلينظر آمرؤ مَنْ يُخَالّ" . ١٥

"المستشير معان والمستشار مؤتمن" .

ومن كلام أبى بكر الصدّيق رضى الله عنه

إن الله قرن وعده بوعيده .

ليست مع العَزَاء مصيبة .

الموت أهون ممـا بعده وأشدّ ممـا قبله . ٢٠

ثلاث من كنّ فيه كنّ عليه : البغى، والنّكْثُ، والمَكْر .
ذلّ قوم أسندوا أمرهم إلى امرأة .
احرص على الموت توهبْ لك الحياة ؛ قاله لخالد بن الوليد حين بعثه إلى أهل الرِّدّة .
كثير القول ينسى بعضه بعضا، و إنما لك ما وعى عنك .
٥ لا تكتم المستشار خبرا فتُؤْتَى من قبَل نفسك .
خير الخَصْلتين لك أبغضهما إليك .
صنائِـع المعروف تقِى مَصارِعَ السوء .

ومن كلام عمر بن الخطاب رضى الله عنه

مَنْ كتم سِرّه كان الخِيار فى يده .
١٠ أشقى الوُلَاة من شَقِيتْ به رَعِيّتُه .
اتقوا مَنْ تَبْغَضُه قلوبُكم .
أعقلُ الناس أعذَرُهم للناس .
اجعلوا الرأسَ رأسين .
أخيفوا الهوامّ قبل أن تخيفكم .
١٥ لو أن الشكرَ والصبرَ بَعيران لما باليت أيهما رَكِبتُ .
مَنْ لم يعرِف الشرّ كان أجدَرَ أن يقع فيه .
ما الخمر صِرْفا بأذهب للعقول من الطمع .
إلى الله أشكو ضعف الأمين وخيانة القوىّ .
اقتصاد فى سُنّة خير من اجْتهاد فى بِدْعة .
٢٠ لا يكن حبك كَلَفًا، ولا بُغْضُك تَلَفًا .

ومن كلام عثمان بن عفان رضى الله عنه

مايَزَعُ اللهُ بالسلطان أكثرُ مما يَزَعُ بالقرآن .

الهدية من العامل اذا عُزِل، مثلها منه اذا عمل .

أنتم الى إمام فعّال، أحوجُ منكم الى إمام قوّال؛ قاله يوم صعد المنبر فأُرْتِجَ عليه .

وقال يوم قُتل : لأن أُقتَل قبل الدماء، أحبُّ الىّ من أن أُقتَل بعد الدماء . ٥

ومن كلام علىّ بن أبى طالب كرم الله وجهه

من رضى عن نفسه كثر الساخط عليه؛ ومن ضيّعه الأقربُ أُتيح له الأبعد؛ ومن بالغ فى الخصومة أَثِمَ، ومن قصر فيها ظَلَم .

رأى الشيخ خير من مشهد الغلام .

الناس من خوف الذلّ فى الذلّ . ١٠

إن من السكوت ما هو ابلغ من الجواب .

ومن كلام عبد الله بن عباس رضى الله عنهما

لكل داخل دهشة فابدءوه بالتحية؛ ولكل طاعم حشمة فابدءوه باليمين .

ومن أمثال العرب ما نقلته من كتاب " الأمثال " للميدانىّ . [والميدانىّ[1] : هو أبو الفضل أحمد بن محمد بن إبراهيم الميدانىّ النيسابورىّ — والميدانىّ : بفتح الميم ١٥ وسكون الياء المثناة من تحتها وفتح الدال المهملة نسبة إلى ميدان زياد، وهى محلة بنيسابور؛ توفى سنة تسع وثلاثين وخمسمائة] ووضعته على حروف المعجم .

فمن ذلك ماجاء منها على حرف الهمزة :

---

(١) هذه زيادة فى إحدى النسخ .

حرف الهمزة

تقول العرب : "إنَّ المُوَصَّيْنَ بَنُو سَهْوَان" قال الميدانىّ : يُضرَب لمن يسهو عن طلب شىء أمر به ، وبنو سهوان : بنو آدم عليه السلام حين عهد اليه فسها ونسى .

٥ وقولهم : " إنَّ الرَّثِيئَةَ تَفْثَأُ الغضب " قال : الرثيئة : اللبن الحامض يخلط بالحلو، والفَثْءُ : التسكين ؛ وزعموا أن رجلا نزل بقوم وكان ساخطا عليهم ، وكان جائعا فسقوه الرثيئة فسكن غضبه ، فقال هذا المثل : يضرب فى الهدية تورث الوفاق .

وقولهم : "إن الحديد بالحديد يُفْلَح" أى يستعان فى الأمر الشديد بما ١٠ يشاكله ويقاويه .

وقولهم : "إن السلامة منها تَرْكُ مافيها" فى اللُّقطَة وذمّ الدنيا[(١)] .

والنفس تَكْلَفُ بالدنيا وقد علمتْ ❊ أنّ السلامةَ منها تركُ مافيها

وقولهم : "إن العَصَا من العُصَيَّة" يقال : إن أوّل من قال ذلك الأفعَى الجرهمىّ ، ذلك أن نزارا لما حضرته الوفاة جمع بنيه : مضر، وإيادا، وربيعة، وأنمارا، ١٥ فقال : يابنىّ ! هذه القبة الحمراء — وكانت من أدم — لمضر، وهذه الفرس الأدهم والخباء الأسود لربيعة، وهذه الخادم — وكانت شمطاء — لإياد، وهذه البدرة والمجلس لأنمار، فإن أشكل عليكم كيف تقسمون، فأتوا الأفعَى الجرهمىّ ومنزله بنجران ؛ فتشاجروا

(١) فى الميدانى : وهذا فى بيت أوّله . والنفس الخ .

فى ميراثه، فتوجهوا إليه، فبينماهم فى سيرهم إذ رأى مضر أثركلإ قد رعى، فقال :
إن البعير الذى رعى هـذا أعور، وقال ربيعة : إنه لأزور، وقال إياد : إنه لأبتر،
وقال أنمـار : إنه لشرود، فساروا قليلا، فإذاهم برجل يوضع حمله[1] فسألهم عن البعير،
فقال مضر : أهو أعور؟ قال : نعم، وقال ربيعة : أهو أزور؟ قال : نعم، وقال
إياد : أهو أبتر؟ قال : نعم، وقال أنمـار : أهو شرود؟ قال : نعم، هذه والله صفة ٥
بعيرى، فدلونى عليـه، فقالوا : والله ما رأيناه ، فقال : هـذا والله الكذب كيف
أصدّقكم وأنتم تصفونه بصفته؟ فساروا حتى قدموا نجران، فلمـا نزلوا، نادى
صاحب البعير، هؤلاء أصحاب جملى وصفوا لى صفته ثم قالوا : لم نره؛ فاختصموا
إلى الأفعى، فقال لهم : كيف وصفتموه وأنتم لم تروه؟ فقال مضر : رأيته قد رعى
جانبا وترك جانبا، فعلمت أنه أعور، وقال ربيعة : رأيت إحدى يديه ثابتة والثانية ١٠
فاسـدة، فعلمت أنه أزور لأنه أفسدها بشدّة وطئه ؛ وقال إياد : عَرَفت أنه أبتر
باجتماع بعره ولو كان ذيّالا لمصع به ؛ وقال أنمـار : عرفت أنه شرود، لأنه يرعى
فى المكان الملتفّ نبته ثم يجوزه إلى مكان أرقّ منـه؛ فقال الأفعى : ليسوا بأصحاب
جملك فاطلبه، ثم سألهم : من أنتم؟ فأخبروه بخبرهم، وبما جاءوا له، فأكرمهم، وقال :
أتحتاجون إلىّ وأنتم كما أرى؟ ثم أنزلهم وذبح لهم شاة، وأتاهم بخمر، وجلس لهم الأفعى ١٥
بحيث لا يرى؛ فقال ربيعة : لم أر كاليوم أطيب لحما لولا أن شاته غذيت بلبن كلبة؛
وقال مضر: لم أر كاليوم أطيب خمرا لولا أن حُبْلته نبتت على قبر؛ فقال إياد : لم أر
كاليوم رجلا أسرّى لولا أنه ليس لأبيه الذى يدعى له؛ فقال أنمـار : لم أر كاليوم
كلاما أنفع فى حاجتنا من كلامنا، وكلامهم بأذنه، فدعا قهرمانة، فقال : ماهذه الخمر،

(١) فى الميدانى : ينشد جمله .

وما أمرها؟ قال: هي من حُبْلة غرستها على قبر أبيك، وقال للراعي: ماهذه الشاة؟ فقال: هي عناق أرضعتها بلبن كلبة وكانت أمّها ماتت، ثم أتى أمّه، فقال: آصدقيني، مَنْ أبي؟ فأخبرته أنها كانت تحت ملك كثير المال وكان لايولد له، فخفتُ أن يموت وليس له ولد، فأمكنت من نفسي آبن عم له كان نازلا عليه فولدتك، فرجع إليهم
٥ وقال: ما أشبه القبة الحمراء من مال نزار فهو لمضر، فذهب بالإبل الحمر والدنانير، فسمّيت: مضر الحمراء. وأما صاحب الفرس الأدهم والخباء الأسود فله كل شيء أسود، فصار لربيعة الخيل الدُّهْم وما شاكلها، فقيل: ربيعة الفرس. وأما الخادم الشمطاء فلصاحبها الخيل البُلْق والماشية، فسميت: إياد الشمطاء، وقضى لأنمار بالدراهم والأرض فصدروا من عنده على ذلك، فقال الأفعى: إن العصا من العصيّة،
١٠ وإنّ خُشَيناً من أخشن، فأرسلهما مثلا.

وقولهم: "إن العَوانَ لا تُعَلَّم الخِمْرة": يضرب للرجل المجرّب.

وقولهم: "إني لآكل الرأس وأنا أعلم بما فيه": يضرب للأمر تأتيه وأنت تعلم ما فيه مما تكره.

وقولهم: "أنفٌ في السماء، وآستٌ في الماء": يضرب للتكبر الصغير الشأن.

١٥ وقولهم: "إن الذليل الذي ليست له عَضُد" أي أنصار وأعوان: يضرب لمن يخذُلُه ناصره.

وقولهم: "إنْ يَدْمَ أَظَلُّكَ فقد نَقِبَ خُفِّي" الأظل: ما تحت مَنْسِم البعير: والخفّ: قائمته: يضربه المشكو إليه للشاكي أي أنا منه في مثل ما تشكوه.

وقولهم: "إن تسلم الجِلَّةُ فالنِّيبُ هَدَر" الجِلّةُ: جمع جليل يعنى العظام من الإبل، والنيب: جمع ناب وهى الناقة المسنّة؛ معناه إذا سلم ما ينتفع به هان ما لا ينتفع به .

وقولهم: "إنْ يَبْغِ عليك قومُك لا يبغ عليـك القمر" يقال: إن بنى ثعلبـة ابن سعد فى الجاهلية تراهنوا على الشمس والقمر ليلة أربع عشرة، فقالت طائفة: تطلع الشمس والقمر يُرى، وقالت طائفة: بل يغيب قبل طلوعها، فتراضوا برجل ٥ جعلوه بينهم، فقال رجل منهم: إن قومى يبغون علىّ، فقال العدل: إن يبغ عليك قومك لا يبغ عليك القمر؛ فذهبت مثلا: يضرب للأمر المشهور .

وقولهم: "إنْ كنتَ رِيحًا فقد لَاقَيْتَ إِعْصَارا" الإعصار: ريح شديدة تهبّ فيما بين السماء والأرض: يضرب للمدل بنفسه إذا صُلِىَ بمن هو أدهى منه وأشد.

١٠ وقولهم: "إنَّكَ خيرٌ من تَفَارِيقِ العَصَا" قالوا: قالته غُنَيّة الأعرابية لابنها، وكان عارما مع ضعفه، فواثب يوما فتى فقطع أذنه فأخذت ديتهـا، فزادت حُسنَ حالٍ ثم واثب آخر فقطع شفته فأخذت الدية فذكرته فى أرجوزتها فقالت

أَحْلِفُ بالْمَرْوَةِ حقًّا والصَّفَا * إنك أجدى[(١)] من تَفَارِيقِ العَصَـا

فقيل لأعرابى: ما تفاريق العصا؟ فقـال: العصا تقطع ساجورا والسواجير ١٥ للكلاب والأسرى من الناس ثم تقطع عصا الساجور فتصـير أوتادا ويقطع الوتد فيصير كل قطعة شِظَاظا وإن جعل لرأس الشظاظ كالفَلْكة صار للبُخْتِىّ مِهَارا وهو

(١) فى الميدانى: خير .

العود الذى يدخل فى أنفه، واذا فرق المهار جاءت منه تَوَادٍ وهى الخشبة التى تشدّ على خِلْف الناقة .

وقولهم : " إنَّهُ لَيَعلَمَ من أينَ تُؤْكَلُ الكَتِف " : يضرب للرجل الداهى؛ قال بعضهم : لِمَ تُؤكلُ الكتف من أسفلها ؟ قال : لأنها تنقشر عن عظمها وتبقى المرقة مكانها ثابتة .

وقولهم : " إنَّكَ لا تَجْنِي من الشَّوْكِ العِنَب " أى لا تجد عند ذى المَنبِت السوء جميلا، والمثل من قول أكثم قال : إذا ظلمت فاحذر الانتصار، فان الظلم لا يكسبك إلا مثل فعلك .

وقولهم : " أَخُو الظَّلْمَاء أعْشَى بالليل " : يضرب لمن يخطئ حجته ولا يبصر المخرج مما وقع فيه .

وقولهم : " إنَّكَ لَتُكْثِرُ الحَزَّ وتُخْطِئ المَفْصِل " : يضرب لمن يجتهد فى السعى ثم لا يظفر بالمراد .

وقولهم : " أوّل الشجرة النّواة " : يضرب للأمر الصغير يتولد منه الكبير .

وقولهم : " إذا صاحت الدّجاجة صِياح الدّيك فلْتُذْبَح " قاله الفرزدق فى امرأة قالت الشعر .

وقولهم : " إذا رآنى رأى السّكين فى الماء " : يضرب لمن يخافك جدًا .

وقولهم : " إنك ريّان فلا تعجلْ بشربك " : يضرب لمن أشرف على إدراك بغيته فيؤمر بالرفق .

وقولهم : " أَبْطَشُ مِنْ دَوْسَرَ " هى إحدى كتائب النعمان أشدّها بطشا ونكاية ؛ قال بعض الشعراء

ضَرَبَتْ دَوْسَرُ فيهم[1] ضَرْبة * أثبتتْ أوتاد ملْكٍ فاستقَرْ ٥

وقولهم : " أَبَرَمًا قَرُونًا " البَرَمُ : الذى لا يدخل مع القوم فى الميسر لبخله ، والقَرُون : الذى يقرن بين الشيئين ؛ وأصله أن رجلا كان لا يدخل فى الميسر ولا يرى اللحم فجاء إلى امرأته وبين يديها لحم تأكله فأقبل يأكل معها بضعتين يقرن بينهما فقالت له : أبَرَمًا قَرُونًا : يضرب لمن يجمع بين خَصْلَتين مكروهتين .

وقولهم : " الثَّيِّبُ عُجَالة الراكب " : يضرب فى الحث على الرضا بيسير الحاجة ١٠ عند إعواز جليلها .

وقولهم :

" الْبَسْ لِكُلِّ حَالةٍ لَبُوسَهَا * إمَّا نَعِيمَهَا و إمَّا بُوسَهَا "

أوّل من قال ذلك بَيْهس : وهو رجل من بنى غراب بن فَزارة ، وكان سابع سبعة إخوة ، فأغار عليهم أناس من بنى أشجع ، وهم فى إبلهم فقتلوا منهم ستة وتركوا ١٥ بيهسا لحمقه فقال : دعونى أتوصل معكم إلى أهلى فأقبل معهم ، فلما كان من الغد نحروا جزورا فى يوم شديد الحر ، فقال بعضهم : أظِلّوا لحمكم لاتفسده الضِّحُّ ، فقال

(١) فى اللسان : وصوابه « فيه » لأنه عائد على يوم الحِنْو .

بيهس : لكن بالأَثَلاث[1] لحم لا يظلَّل، فأرسلها مثلا؛ ثم فارقهم وأتى أمه فأخبرها الخبر فقالت : ما جاء بك من بين إخوتك وأنت أخبثهم ، فقال : ما خَيَّرَكِ القومُ فتختارى، فأرسلها مثلا ؛ ثم أعطته ثياب إخوته ومتاعهم، فقال : ياحبذا التراث لولا الذِّلة، فأرسلها مثلا، وأخذ يوما يَبْرُمُ سكينا، فقيل له : ما تصنع بها ؟ فقال : أقتل بها قتلة إخوتى، فقيل له : إنك لأحمق، فقال : مايؤمنك من أحمق فى يده سكين، فأرسلها مثلا؛ ثم إنه مرّ بنسوة من قومه يصلحن آمرأة يردن أن يهدينها لبعض قتلة إخوته فكشف ثوبه عن آسته وغطى به رأسه، فقيل له : ما تصنع ؟ فقال :

الْبَسْ لكل حالة لبوسَها، * إما نعيمَها وإما بُوسَها

وقولهم : "الصيفَ ضيَّعتِ اللبنَ" قال الأصمعِىّ : معناه تركت الشىء فى وقته؛ وقال غيره : تركت الشىء وهو ممكن، وقال أبو عبيدة: أوّل من قاله عمرو بن عُدَس، وكان قد تزوّج دَخْتَنُوس بعد ما كبر، فكان ذات يوم نائما فى حجرها فخَخَف وسال لعابه فتأففته فأنتبه وهى تتأفف منه، فقال : أتحبين أن أطلّقك؟ قالت: نعم، فطلقها، وتزوّجها فتى ضرير حسن الوجه، ففجأتهم ذات يوم غارةٌ والفتى نائم فجاءت دَخْتَنوس فأنبهته وقالت له : الخيل ، فجعل يقول : الخيل الخيل، من الخوف حتى مات فَرَقا وسُبِيتْ دختنوس فبلغ عمرو الخبر فركب ولحقهم وقاتل حتى آستنقذ

(١) قال ياقوت فى معجمه : أثلاث «بالثاء» هو الموضع المذكور فى المثل فى بعض الروايات؛ لكن بالأثلاث الخ . ثم قال : وأكثر الرواة يقولون : الأثلات «بالتاء» جمع أثلة وهو صنف من الطرفاء كبير يظلل بفيئه مائة نفس .

جميـع ما أخذوا وآستنقذها فوضـعها قدّامه على السرج وردّها إلى أهلهـا ، ثم اصابتهم سـنة فبعثت إليه تقول : نحتاج اللبن فبعث إليها بلقحة وقال : الصيف ضيّعت اللبن .

وقولهم : "اَضْطَرَّهُ السَّيْلُ إلى مَعْطَشِه" وهو أن رجلا عطش وكان قد أتى واديا له غور وماء شديد الجرية، فبقى فى أصل شجرة لا يقدر أن ينزل فيأخذ به الماء، ولم يجد ماء فمات عطشا : يضرب لمن ألقاه الخير الذى كان فيه إلى شرّ . ٥

وقولهم :

"إنّ الحَمَاةَ أُولِعَتْ بالكَنَّهْ * وأُولِعَتْ كَنَّتُهَا بالظِّنَّهْ"

الحماة : أمّ الزوج، والكَنّة : آمرأة الآبن والأخ، والظِّنّة : التهمة، وبين الحماة والكنة عداوةٌ مُستحكِمَةٌ : يُضرب بها المثل فى الشريقع بين قوم هم أهل لذلك . ١٠

وقولهم : " إن لله جنودا منها العَسَل " قاله معاوية : لما بلغه أن الأشتر سُقى عسلا فيه سمّ فمات : يضرب عند الشماتة بمصاب العدو .

وقولهم : " إن الهوى يَميل بآسْتِ الراكِب " أى من هوى شيئا مال نحوه قبيحا أو جميلا، كما قيل

وما زُرْتكم عَمْدًا ولكنّ ذا الهوى * إلى حيث يَهْوى القلب تهوِى به الرِّجْل ١٥

وقولهم : " إن الجَوَادَ قَدْ يَعْثُر " : يضرب لمن يكون الغالب عليه فعل الجميل ثم تكون منه الزلّة .

وقولهم : " إن الشفيق بسوء ظنّ مُولَع " : يضرب للعنيّ بشأن صاحبه لأنه لا يكاد يظن به غير وقوع الحوادث كظنون الوالدات بالأولاد .

وقولهم : " إن خَصْلتين خيرُهما الكذب لَخَصْلَتَا سُوء " : يضرب للرجل يعتذر من شيء فعله بالكذب .

٥ وقولهم : " أحاديثُ طَسْمٍ وأحلاَمُها " : يضرب لمن يخبرك بما لا أصل له .

وقولهم : " أَحَشَفًا وسُوءَ كِيلَة " : يضرب لمن يجمع بين خَصْلتين مكروهتين .

وقولهم : " الحق أَبْلَج، والباطلُ لَجْلَج " : معناه أن الحق واضح بيّن والباطل يتلجلج فيه أى يتردّد فلا يجد صاحبه مخرجا .

وقولهم : " الحزمُ سُوءُ الظَّنّ بالناس " : هذا المثل قاله أكثم بن صيفيّ .

١٠ وقولهم : " اختلط الخاثِرُ بالزُّبّادِ " . الخاثر: ما خثر من اللبن، والزُّبّاد : الزّبد : يضرب للقوم يقعون فى التخليط من أمرهم .

وقولهم : " أخطأَتِ آسْتُه الحُفْرة " : يضرب لمن رام شيئا فلم ينله .

وقولهم : " ادع الى طِعَانِكَ، مَن تدعوه الى جِفَانِك " أى آستعمل فى حوائجك من تخصّه بمعروفك .

١٥ وقولهم : " أَرَوَغانًا يا ثُعال، وقد عَلِقتَ بالحبال " ثعالة : الثعلب : يضرب لمن يراوغ وقد وجب عليه الحق .

وقولهم : " إِرْمِ فَقَدْ أَفَقْتَهُ مَرِيشًا " يقال : أفقت السهم إذا وضعت فُوقَه في الوتر : يضرب لمن تمكّن من طَلِبَته .

وقولهم : " أَضَرِطًا وأنت الأعلى ؟ " قاله سُلَيك بن سُلَكة السعدىّ، وذلك انه بينا هو نائم إذ جثم عليه رجل من الليل وقال : استأسِر فقال له سليك : الليل طويل وأنت مقمر، فأرسلها مثلا : ثم ضمه سليك بيديه ضمّة أضرطته، فقال له : أَضَرِطًا وأنت الأعلى فأرسلها مثلا : يضرب لمن يشكو فى غير موضع الشكوى . ٥

وقولهم : " أَضَلَلْتَ من عَشْرٍ ثَمَانِياً " : يضرب لمن يفسد أكثر ما يليه من الأمر .

وقولهم : " أَعْطِ أخاك تمرة، فإن أَبَى فجمرة " : يضرب لمن يختار الهوان على الكرامة .

وقولهم : " أَكْذِبِ النَّفْسَ إذا حَدَّثْتَها " معناه لاتحدّث نفسك بأنك لاتظفر، فإن ذلك يثبّطك . قال لبيد ١٠

أَكْذِبِ النفس إذا حــدّثتها * إنّ صدق النفس يُزرى بالأَمَلْ

وقولهم : " أَكِبرًا وإِمْعَارًا؟ " أى أتجمع بين الكبر والفقر .

وقولهم : " أَمَكرًا وأنت فى الحَدِيد؟ " هذا المثل قاله عبد الملك بن مروان لعمرو ابن سعيد لمـا قبض عليه وكبّله ، فقال : ياأمير المؤمنين، إن رأيت أن لاتفضحنى بأن تخرجنى للناس فتقتلنى بحضرتهـم فافعل، وإنمـا أراد عمرو بهـذه المقالة أن يخالفه عبد الملك فيخرجه فيمنعه منه أصحابه، فقال : أبا أمية ! أمكرا وأنت فى الحديد : يضرب لمن أراد أن يمكر وهو مقهور . ١٥

وقولهم : "أَهْوَنُ هَالِكٍ عَجُوزٌ فى هام سَنَةٍ" : يضرب للشىء يُستخفّ به وبهلاكه .

قال الشاعر

وأهون مفقود إذا الموتُ نابه * على المرء من أصحابه مَن تَقَنَّعا

٥ وقولهم : "أوسعتُهم سَبًّا وأودَوْا بالإبل" أصله أن رجلا من العرب أُغير على إبله فأخذت، فلما تواروا صعد أَكَمَةً وجعل يسُبّهم ثم رجع إلى قومه فسألوه عن إبله، فقال هذا المثل .

ويقال : إن أوّل من قاله كعب بن زهير بن أبى سُلْمَى، وذلك أن الحارث بن ورقاء الصيداوىّ أغار على بنى عبد الله بن غطفان وآستاق إبل زهير وراعيَه، فقال

١٠ زهير فى ذلك قصيدته التى أوّلها

بان الخليطُ ولم يأووا لمن تركوا * وزوّدوك آشتياقا أيّةً سلكوا

وبعث بها إلى الحارث فلم يردّ الإبل، فهجاه، فقال كعب آبنه : أوسعتهم سبّا وأودوا بالإبل، فذهبت مثلا : يضرب لمن لم يكن عنده إلا الكلام .

وقولهم : "أَوْرَدَها سَعْدٌ وسَعْدٌ مشْتَمِل" : هو سعد بن زيد مناة أخو مالك

١٥ الذى يقال فيه : إنّك آبَلُ من مالك، وذلك أن مالكا تزوّج بآمرأة وبنى بها فأورد الإبل أخوه سعد ولم يحسن القيام عليها والرفق بها، فقال مالك

أَوْرَدَها سَعْدٌ وسَعْدٌ مشتمِل * ماهكذا تورَد ياسَعْدُ الإبل

فضرب مثلا لمن قصّر فى طلب الأمر .

وقولهم : " إن الشَّقِيّ وَافِدُ البَراجم " قاله عمرو بن هنـد الملك . وذلك أن سُوَيْد بن ربيعة التميمىّ قتل أخاه سعد بن هند وهرب فنذر عمرو ليقتلن بأخيه مائة من بنى تميم ، فسار إليهم بجمعه فلقيهم الخبر فتفرّقوا فى نواحى بلادهم فلم يجد إلا عجوزا كبيرة وهى حمراء بنت ضَمْرة ، فلما نظر اليها قال : إنى لأحسبك أعجمية ، قالت : لا والذى أسأله أن يخفِض جَناحك ، ويهدّ عِمادك ، ويضع وسادك ، ويسلبك بلادك ، ما أنا بأعجمية ، قال : فمن أنتِ ؟ قالت : أنا بنت ضمرة بن جابر ، ساد مَعدّا كابرا عن كابر ، وأنا أخت ضمرة بن ضمرة ، قال : فمن زوجك ؟ قالت : هَوْذَة ٱبن جَرْوَل ، قال : وأين هو الآن ؟ أما تعرفين مكانه ؟ قالت : لو كنت أعلم مكانه حال بينى وبينك ، فقال عمرو : أما والله لولا أنى أخاف أن تلدى مثل أبيك وأخيك وزوجك لأستبقيتك ، فقالت : والله ما أدركتَ ثارا ، ولا محوتَ عارا ، مع كلام كثير كلّمته به فأمر بإحراقها ، فلما نظرت إلى النار ، قالت : ألا فَتًى مَكَانَ عَجوز ! فذهبت مثلا ، ثم مكثت ساعة فلم يفدِها أحد ، فقالت : هيهـات صارتِ الفتيان حُمَمًا ، فذهبت مثلا ثم أُلقِيت فى النار ولبث عمرو عامّة يومه لا يقدر على أحد ، حتّى إذا كان آخر النهار أقبل راكب يسمى عَمّارا تُوضع به راحلته حتى أناخ اليه ، فقال له عمرو : من أنت ؟ قال : أنا رجل من البراجم ، قال : فما جاء بك إلينا ؟ قال : سطع الدُّخان وكنت طَوِيت منذ أيام وظننته طعاما ، فقال عمرو : إن الشقىّ وافدُ البراجم ، فذهبت مثلا وأمر به فَأُلقِى فى النار ، قيل : إنه أحرق مائة من بنى تميم : تسعة وتسعين من بنى دارم ، وواحدا من البراجم .

وقال بعضهم : مابلغنا أنه أصاب من بنى تميم غير وافد البراجم وإنما أحرق النساء والصبيان، قال جرير

وأخزاكُمُ عمرو كما قد خُزِيتُمُ * وأدرك عمّارا شقِىّ البَرَاجِمِ

ولذلك عُيِّرت بنو تميم بحب الطعام، قال الشاعر

٥ إذا ما مات مَيْت من تميم * وسرّك أن يعيش، فجئ بزادِ

بخُـبْزٍ أو بلحم أو بتمـر * أو الشّيءِ الملّفف فى البِجادِ

تراه يُنَقِّب الآفاق حـولا * ليأ كل رأس لقمانَ بن عادِ

وهذا المثل يضرب لمن يوقع نفسه فى هَلَكَة طمعا .

حرف البـاء

١٠ تقول العرب : " بلغ السيلُ الزُّبَى " هى جمع زُبيـة وهى حفرة تُحفر للأسد إذا أرادوا صيده لا يعلوها المـاء فإذا بلغها السيل كان مجحفا : يضرب لمن جاوز الحـدّ .

وقولهم : " بينَ العَصَا ولِحَائِها " اللحاء : القشر : يضرب للمتخالّين المتفقين ؛ ويروى : لا مدخل بين العصا ولحائها .

١٥ وقولهم : " بينهم داء الضرائر " هى جمع ضَرّة يضرب للعـداوة إذا رسخت بين قوم .

وقولهم : " بينهم عِطر مَنْشِم " قال الأصمعِىّ : مَنْشِم كانت عطـارة بمكة وكانت خُزاعة وجُرْهُم إذا أرادوا القتال تطيّبوا من طِيبها فاذا فعلوا ذلك كثرت

بينهم القتلى فكان يقال : أشأم من عطر منشم : يضرب فى الشرّ العظيم ، وفيه يقول زهــير

تَدَارَكْتُمَا عَبْسًا وذُبْيَانَ بعد ما * تَفَانَوْا ودَقُّوا بينهم عِطْرَ مَنْشِمِ

وقولهم : " به داءُ ظَبْيٍ " : أى أنه لا داء به كما أن الظبى لا داء به ، وقيل : ربما يكون بالظبى داء لا يعرف مكانه معناه أنّ به داءً لا يُعرف .

وقولهم : " بلغتِ الدِّمَاءُ الثُّنَنَ " الثُّنَةُ ، الشعَرَات التى فى مؤخّر رُسغ الدابّة : يضرب عند بلوغ الشرّ النهاية .

وقولهم : " بَرِحَ الخَفَاءُ " أى زال من قولهم ما برح ، والمعنى زال الشرّ فوضح الأمر ، ويقال : الخفاء المتطأطئ من الأرض ، والبراح المرتفع أى صار الخفاء بَراحا .

وقولهم : " بَنَان كفٍّ لَيْسَ فيها ساعِد " : يضرب لمن له همة ولا مقدرة له على ما فى نفسه .

وقولهم : " بات فلانٌ يَشْوِى القَرَاح " : يعنى المـاء الخالص لا يخالطه شىء : يضرب لمن ساءت حاله ، وفقد ماله بحيث يشوى المـاء شهوةً للطبيخ .

وقولهم : " بَخٍ بَخٍ ساقٌ بخَلْخَالٍ " هى كلمة يقولها المتعجب من حسن الشىء وكماله . وأوّل من قال ذلك الوِرْثَةُ بنت ثعلبة ، وذلك أنّ ذُهل بن شيبان كان زوج الوِرثة وكانت لا تترك له امرأة إلا ضربتها فتزوج رَقَاش بنت عمرو بن عثمان من بنى ثعلبة ، فخرجت رقاش يوما وعليها خَلْخَالان ، فقالت الوِرْثَةُ ذلك ، فذهبت مثلا .

حرف التـاء

قولهم : "تَرْكَ الظَّبْيُ ظِلَّه" أى كناسه الذى يستظلّ به : يضرب لمن نفر من شىء فتركه تركا لايعود له .

وقولهم : "تركتُه على مثلِ ليلة الصَّدَرِ" وهى ليـلة ينفر الناس من منًى فلا يبقى منهم احد .

وقولهم : " تركتُه أنقى من الرَّاحَة " أى على حال لا خير فيه كما لا شعر على الراحة : يضرب فى اصطلام الدهر .

وقولهم : "تَجُوعُ الحُرَّةُ ولا تأكُلُ بثَدْيَيْهَا" : أى لاتكون ظِـئْراً و إن آذاها الجـوع .

اول من قاله الحارث بن سليل الأسدى وكان حليفا لعلقمة بن حصفة الطائى فزاره فنظر إلى ابنته الزَّبّاء وكانت من أجمل أهل دهرها، فقال : أتيتك خاطبا وقد يُنْكَح الخاطب، ويُدْرَك الطالب، ويُمْنَع الراغب، فقال له علقمة : أنت كفء كريم يُقْبَل منك الصفو، و يؤخَذ منك العفو، فأقم ننظر فى أمرك، ثم انكفأ إلى أمها، فقال: إن الحارث سيّد قومه حسبا ومنصِبا و بيتا، وقد خطب الينا الزبّاء فلا ينصرفَنّ إلا بحاجته، فقالت المرأة لابنتها : أى الرجال أحب إليك الكَهْل الجَحْجَاح، الواصل المنـاح، أم الفتى الوضاح ؟ قالت : بل الفتى الوضّاح، فقالت : إن الفتى يُغيرك، و إن الشيخ يُميرك، وليس الكهل الفاضل، الكثير النائل، كالحديث السنّ، الكثير المَنّ، قالت يا أماه : إن الفتاة تحب الفتى، كحُبّ الرِّعَاء أنيق الكلا، قالت : أي

بنية! إن الفتى شديد الحجاب، كثير العتاب، قالت: إن الشيخ يُبْلِى شبَابى، ويدنّس ثيابى، ويُشْمِت بى أترابى. فلم تزل أمها بها حتى غلبتها على رأيها، فتزوجها الحارث على مائة وخمسين من الإبل وخادم وألف درهم، فأبتنى بها، ثم رحل بها إلى قومه فبينا هو ذات يوم جالس بفناء قومه وهى إلى جانبه، إذ أقبل شباب من بنى أسد يعتلجون فتنفست الصُّعَدَاءَ، ثم أرخت عينيها بالبكاء، فقال: مايبكيك؟ قالت: مالى وللشيوخ، النـاهضين كالفروخ، فقال لهـا: ثَكِلَتْك أمك! تجوع الحرّة ولا تأكل بثدييها، ثم قال لها: وأبيك، لرب غارة شهدتُها، وسبِيَّة أردفتُها، وخمرة شربتُها، فالحقى بأهلك فلا حاجة لى فيك، وهذا المثل يضرب فى صيانة الرجل نفسه عن خسيس المكاسب.

وقولهم: "تَجَشَّأَ لُقْمانُ من غير شِبَعٍ": يضرب لمن يدّعى ما ليس يملك.

وقولهم: "تُخْبِرُ عن مجهوله مَرْآتُه": أى منظره يخبر عن مَخبره.

وقولهم: "تشكو إلى غير مُصَمِّتٍ": أى إلى من لم يهتم بشأنك. قال الشاعر

إنك لا تشـكو إلى مُصَمِّتِ * فاصْبِرْ على الحِمْل الثقيل أَو مُتِ

وقولهم: "تجاوز الرَّوضَ إلى القاع القَرِق": يضرب لمن يعدل بحاجته من الكريم إلى اللئيم، والقَرِق: المستوى.

وقولهم: "تسمع بالمُعَيْدِىّ خيرٌ من أن تَراه" ويروى: لا أن تراه: يضرب لمن خبره خيرٌ من مرآه، أول من قاله: المنذر بن ماء السماء،

وقولهم : " تُقَطِّعُ أعناقَ الرجال المطامعُ " : يضرب فى ذمّ الطمع .

وقولهم : " تَقَلّدها طَوْقَ الحمامة " كناية عن الخَصْـلة القبيحة التى لا تزايله ولا تفـارقه .

حرف الثـاء

٥ قولهم : " ثارَ حابِلُهُم على نابلهم " الحابل : صاحب الحبالة ، والنابل : صاحب النبل أى آختلط أمرهم : يُضرَب فى فساد ذات البَيْن وتأريث الشرّ فى القوم .

وقولهم : " ثَوْر كِلَابٍ فى الرِّهان أَقْعَدُ " : هو كِلاب بن ربيعة بن عامر آبن صَعْصَعَة القيسىّ كان يحمق ، وذلك أنه آرتبط عجل ثور ليسابق عليه ، والأقعد من القَعِيد وهو المتخاف المتباطئ : يُضرَب لمن يروم مالا يكون .

١٠ حرف الجـيم

قولهم : " جَرْى المُذَكِّيَاتِ غِلَاب " المُذَكِّيَة من الخيل التى أتى عليها بعد قُروحها سَـنَةٌ أو سنتان والغلَاب المغالبة : يضرب لمن يُوصف بالتبريز على أقرانه فى حلبة الفضل ، وأوّل من قاله نذكره إن شاء الله تعالى فى حرب داحس والغبراء .

وقولهم : " جَزَاء سِنِمّار " وهو الذى بنى الخَوَرْنق وتقدّم خبره فى مبانى العرب .

١٥ وقولهم : " جَرَحَه حيث لا يَضَعُ الراقى أَنْفَه " قالته جندلة بنت الحارث ، وكانت تحت حنظلة بن مالك وهى عذراء ، وكان حنظلة شيخا كبيرا فخرجت فى ليلة

مطيرة فبصر بها رجل فوثب عليها وآفتضها، فصاحت وقالت : لُسِعت . قيل أين؟ قالت: حيث لا يضع الراقى أنفه: يضرب لمن يقع فى أمر لاحيلة له فى الخروج منه.

وقولهم : "جَعْجَعَةً ولا أَرَى طِحْناً" : يضرب لمن يعد ولا يفى .

وقولهم : "جَرَى منه مَجْرَى اللَّدُود" وهو ما يُصبّ فى أحد شِقّ الفم من الدواء، يضرب لمن يُبْغَض ويُكْرَه . ٥

وقولهم : "جَمَاعةٌ على أَقْذَاء" . معناه آجتماعٌ بالأبدان، وآفتراق بالقلوب، وهو بمعنى قوله صلى الله عليه وسلم "هُدْنَةٌ على دَخَن" : يضرب لمن يُضْمِر أذى ويُظْهِر صفاء .

وقولهم : "جَارٌ كجَارِ أبى دُؤَاد" يعنون كعب بن مامة فإنه كان إذا جاوره رجل فإن مات وداه، و إن هلك له بعير أو شاة أخلف عليه، فضربت به العرب المثل فى حسن الجوار، قال طرفة ١٠

إنّى كفانى من أمرٍ هممتُ به * جارٌ كجارِ الحُذَاقِىّ الذى آتّصَفَا

والحذاقىّ هو أبو دؤاد .

وقولهم : "جَدَعَ الحَلَالُ أَنْفَ الْغَيْرَة" قاله رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة زُفت فاطمة إلى علىّ رضى الله عنهما . ١٥

وقولهم : "جوِّع كلبَك يتبعْك" . أوّل من قال ذلك ملِك من ملوك حِمْير كان جائرا على أهل مملكته يسلبهم مافى أيديهم و إن آمرأته سمعت صوت السؤّال

فقالت : إنى لأرحم هؤلاء و إنى لأخاف أن يكونوا عليك سباعا ، بعدما كانوا لك أتباعا ،
فقال : جوّع كلبك يتبعك ، ثم إنه غزا بهم ولم يقسم عليهم شيئا فقالوا لأخ له : قد ترى
ما نحن فيه من الجهد ونحن نكره خروج الملك عنكم إلى غيركم فساعدنا على قتل أخيك
وآجلس مكانه ، فوافقهم على ذلك ، ثم وثبوا على الملك فقتلوه ، فمرّ به عامر بن جَذِيمة
٥ وهو مقتول ، فقال : ربما أكل الكلب مؤدّبه اذا لم ينل شبعه ، فأرسلها مثلا ،
والمثل يضرب فى اللئام وما ينبغى أن يعاملوا به .

وقولهم : " جاءتْهم عَوانًا غيرَ بِكْر " أى مستحكمة غير ضعيفة يريدون حَرْبا
أو داهية عظيمة .

وقولهم : " جاء بصحيفة المتلمّس " إذا جاء بالداهية ؛ وكان من خبر
١٠ صحيفة المتلمس أن المتلمس وطرفة قدما على عمرو بن المنذر بن آمرئ القيس فجعلهما
فى صحابة قابوس بن المنذر أخيه وأمرهما بلزومه ، وكان قابوس شابا يعجبه اللهو ،
فطال بقاؤهما عنده ، فهجا طرفة عمرا بأبيات فبلغته فاستدعاهما فحباهما بحباء وكتب
معهما إلى أبى كَرِب عامله على هَجَر أن يقتلهما ، وقال : قد كتبت لكما بحباء
ومعروف ، فلما صدرا من عنده ، قال المتلمس لطرفة : هل لك فى كتابينا ، فإن كان
١٥ فيهما خير مضيناله ، وإن كان شرّا آتقيناه ، فأبى طرفة وقرأ المتلمس كتابه فإذا فيه
السوءة فألقاه فى الماء وقال لطرفة : ألق كتابك فأبى ومضى بكتابه ، قال : ومضى
المتلمس حتى لحق بملوك بنى جَفْنة بالشام وسار طرفة بكتابه ، فلما آنتهى إلى
العامل قتله .

وقولهم : " جَنْدلَتَانِ اَصْطَكَّتَا " : يضرب لِقرْنَيْن يتصاولان ،

وقولهم : " جَزَيْتُه حَذْوَ النَّعْلِ بالنَّعْل " : للمكافأة .

وقولهم : " جاءوا على بَكْرَةِ أبيهم " أى جاءوا جميعا لم يتخلّف منهم أحد . وقيل : بل البَكرة تأنيث البَكر، يصفهم بالقلة أى بحيث تحملهم بَكرة أبيهم . وقيل بل البكرة التى يُستق عليها ، معناه جاءوا بعضهم يتلو بعضا كدوران البَكرة على نسق واحد ؛ وقيل : المراد بالبكرة الطريقة كأنهم جاءوا على طريقة أبيهم ، وقال ابن الأعرابىّ : البكرة : جماعة من الناس أى بأجمعهم . ٥

وقولهم : " جَاوَزَ الحِزَامُ الطُّبْيَيْنِ " : يضرب فى تجاوز الحدّ .

حرف الحاء

قولهم : " حرِّكْ لَهَا حُوَارَهَا تَحِنّ " الحوار : ولد الناقة ، والجمع القليل أحْورة والكثير حُورَان وحِيران ، معناه ذكِّره بعضَ أشجانه يهجْ له ، قاله عمــرو بن العاص ١٠ لمعاوية حين أراد أن يستنصر أهل الشام ، أى أَرِهِم دم عثمان على قميصه .

وقولهم : " حلبتُها بالساعِد الأشدّ " أى أخذتهــا بالقوة إذ لم يتأتّ بالرفق .

وقولهم : " حَذْوَ الْقُذَّةِ بِالْقُذَّة " أى مِثْــلا بمِثْل : يضرب فى التسوية بين الشيئين ، ومثله : حَذْوَ النَّعْلِ بِالنَّعْل ، وقد تقدّم .

وقولهم : " حَلَبَ الدهرَ أَشْطُرَه " معناه أنه اختبر الدّهرَ شَــطْرَى خيرِه ١٥ وشرِّه فعرف ما فيه .

وقولهم : " حَسْبُك من غِنًى شِبَعٌ ورِىّ " ، قال آمرؤ القيس

إذا ما لم تكن إبلٌ فَمِعْزى * كأنّ قُرونَ جِلّتِها العِصىُّ

فتملأ بيتنا أَقِطًا وسَمْنًا * وحَسْبُك من غِنًى شِبَعٌ ورِىُّ

قال أبو عبيدة : يحتمل معنيين أحدهما أعط كل ما كان لك وراء شِبَعك

٥ وريِّك، والآخر القناعة باليسير .

وقولهم : " حَسْبُك من القِلَادةِ ما أحاط بالعُنُق " أى آكتف بالقليل عن الكثير .

وقولهم : " حسبك من شَرٍّ سَمَاعُه " أى آكتف بسماعه ولا تعاينه ، قال : ويجوز أن يريد يكفيك سماع الشرّ وإن لم تقدم عليه ولم تُنسب إليه، والمثل قالته

١٠ فاطمة بنت الخُرْشُب من بنى أنمار بن بغيض أمّ الربيع بن زياد، وذلك أن آبنها الربيع كان أخذ من قيس بن زهير بن جذيمة دِرْعا، فتعرّض قيس لأمّ الربيع وهى على راحلتها فأراد أن يذهب بها ليرتهنَها بالدرع ، فقالت له : أين عزُب عنك عقلك ياقيس؟ أترى بنى زياد مصالحيك! وقد ذهبتَ بأمّهم يمينا وشمالا وقال الناس ما قالوا وشاءوا، وإن حسبك من شرٍّ سماعه، فذهبت كلمتها مثلا تقول : كفى بالمقالة عارا

١٥ وإن كان باطلا .

وقولهم : "حَلَّقَتْ به عَنْقَاءُ مُغْرِب" : يضرب لما يُئس منه، قال الشاعر

إذا ما آبنُ عبد الله خلّى مكانه * فقد حَلَّقَتْ بالجود عنقاءُ مُغرِبُ

قال الميدانىّ : والعنقاء طائر عظيم معروف الأسم مجهول الجسم يقال : كان بأرض الرّسّ جبل يقال له : دَمْخٌ مصعّد فى السماء ، وكان يأتيه طائر عظيم لها عنق

طويلة، وهى من أحسن الطير، فيها من كل لون، وكانت تقع منتصبة وتنقضّ على الطير فتأكلها، فجاءت يوما وأعوزها الطير فانقضّت على صبيّ فذهبت به فسميت عنقاء مغرب: لأنها تغرب بكل ما تأخذه، ثم ٱنقضّت على جارية حين ترعرعت فأخذتها فضمتها إلى جناحين لها صغيرين سوى جناحيها الكبيرين ثم طارت، فشكوا ذلك إلى نبيّهـم: خالد بن صفوان، فقـال: اللهم خذها وٱقطع نسلها وسلّط عليها آفة! فأصابتها صاعقة فاحترقت فضربتها العرب مثلا .

قال عنترة بن الأخرس الطائىّ فى مرثية خالد بن زيد

لقد حَلّقت بالجود عنقاء كاسرٌ * كَفَتْخَاءِ دمخ حلّقت بالحَزَوَّرِ

فـما إن لها بيضٌ فيُعرفُ بيضُها * ولا شِـبهُ طير منجدٍ أو مُغَوَّرِ

وقولهم: "حتَّام تَكْرَع ولا تَنْقَع" كرع إذا تناول المـاء بفيه من موضعه: يضرب للحريص فى جمع الشىء .

وقولهم: "حَسْبُكَ من إِنْضَاجِه أن تقتلَه": يضرب لطالب الثأر فيقول: لأقتلنّ فلانا وقومه أجمعين فيقـال: لا تعدّ، حسبك أن تدرك ثأرك وطلبتك: ويضرب لمتجاوز الحدّ .

حرف الخـاء

قولهم: "خَيْرَ حالِبَيْكِ تَنْطَحِين": يضرب لمن يكافئ المحسن بالإساءة، ومثله: خيرَ إناءيك تكفئين .

وقولهم: "خامِرِى أمّ عامِر" معناه آستترى، وأمّ عامر: الضبع، يشبه بها الأحمق، ومثله: خامِرِى حَضاجِر، أتاك ما تحاذِر: وهو آسم للذكر والأنثى من الضباع.

وقولهم: "خلا لكِ الجوُّ فبيضِى وآصْفِرِى" قاله طرفة بن العبد، وكان فى سفر مع عمّه فنصب فخًّا للقنابر ونثر حَبًّا فلم يصد شيئا، فلما تحملوا رأى القنابر ٥ يلقطن الحبّ الذى نثره لهنّ، فقال فى ذلك

يا لك من قنبرةٍ بِمعمرِ! * خلا لك الجوّ فبيضى وآصفِرِى
ونقّرِى ما شئتِ أن تنقّرِى * قد رحل الصيّاد عنك فابشِرِى
ورفَع الفخّ فما ذا تحذرى؟ * لابدّ من صيدك يوما فاصبرِى!

يضرب فى الحاجة يتمكّن منها صاحبها.

١٠ وقولهم: "خَلْعُ الدِّرْعِ بِيدِ الزَّوْجِ" المثل لرَقَاش بنت عمرو بن تغلب بن وائل، وكان زوجها كعب بن مالك بن تيم الله بن ثعلبة، فقال لها: آخلعى؛ فقالت: خَلْعُ الدِّرع بيد الزَّوج، فقال: آخلعيه لأنظر إليك، فقالت: التجرُّدُ لغير النكاح مُثلةٌ، فذهبت كلمتاها مثلين يُضربان فى وضع الشىء فى غير موضعه.

وقولهم

١٥ "خَلِّ سبيلَ مَنْ وَهَى سِقاؤُهُ * ومَنْ هُرِيق بالفَلاة ماؤُهُ"

يُضرَب لمن كره صحبتك وزهِد فيك.

وقولهم: "خَمْرُ أبِى الرَّوْقاء لَيْسَتْ تُسكِر": يُضرَب للغنىّ الذى لا فضل له على أحد.

حرف الدال

قولهم : " دَمِّثْ لجَنبك قبل النَّوم مُضْطَجَعا " أى آستعدّ للنوائب قبل حلولها، والتدميث : التليين .

وقولهم : " دَعِ آمرءًا وما آخْتَار " : يُضرَب لمن لا يقبل النصح ؛ قال الشاعر

٥

إذا المـــرءُ لم يدرِ ما أَمكنَهْ * ولم يأتِ من أمره أَزينـــهْ!
وأَعجبَـــهُ العُجبُ فاقتـــادَهُ * وتاهَ به التيـــهُ فآستحسنهْ،
فدعْهُ فقـــد ســاءَ تدبيرهُ * سيضحَكُ يومًا ويبكى سنَهْ!

حرف الذال

قولهم : " ذَكَّرَنِى فُوكِ حِمَارَىْ أَهلِى " أصله أن رجلا خرج يطلب حمارين ضلّا له، فرأى آمرأةً فأعجبته فنسى الحمارين، فلما أسفرت عن وجهها رآها فَوْهاء فقال : ذكّرنى فُوكِ حمارَىْ أهلى ، وقال

١٠

ليت النِّقابَ على النساء مُحَرَّمٌ * كى لا تَغُـــرَّ قبيحةٌ إنســانا

وقولهم : " ذهبوا أيدِى سَبَاَ " ويقال : تفرقوا، أى تفرّقوا تفريقا لا آجتماع معـــه .

١٥

وقصة سبإ لمّـا تفرقوا بسبب سَيْل العرَم مشهورة، وسنذكرها إن شاء الله تعالى فى التاريخ .

وقولهم: "ذهبوا شَغَرَ بَغَرَ، وشَذَرَ مَذَرَ، وخِذَعَ مِذَعَ" أى فى كل وجه .

وقولهم: "ذَلَّ بعد شِمَاسه الْيَعْفُورُ": يضرب لمن آنقاد بعد جماحه؛ واليعفور: فرس .

وقولهم: "ذَهَبتَ طُولا، وعَدِمتَ معقولا": يضرب للطويل بلا طائل .

٥ ## حرف الراء

قولهم : "رمتْنى بدَائها وآنْسَلَّت" أصل هذا المثل : أن سعد بن زيد مناة تزوج رُهْمَ آبنة الخزرج، وكانت من أجمل النساء، وكان ضرائرها إذا سابَبْنَها يقلْن لها : ياعفلاء، فقالت لها أمها : إذا سابَبْنَكِ فابدئيهنّ بذلك، ففعلت رُهْم ذلك مع ضرّتها ، فقالت : رمتنى بدائها وآنسلّت ، فذهبت مثلا : يضرب لمن يُعيِّر الآخر

١٠ بما هو يُعيَّر به .

وقولهم : "رماه بثالثة الأَثَافِى" وهى قطعة من الجبل يوضع إلى جنبها حَجَران ويُنصب عليها القدر : يضرب لمن رُمِى بداهية عظيمة .

وقولهم : "رُبَّ صَلَفٍ تحت الراعِدة" الصَّلَف : قلّة الخير، والراعدة : السحابة ذات الرعد : يضرب للبخيل مع السّعة .

١٥ وقولهم : "رَجَع بِخُفَّىْ حُنَيْن" أصله أن حُنَيْنا كان إسكافا بالحِيرة وساومه أعرابىّ بخفّين فآختلفا حتى أغضبه، فلما آرتحل الأعرابىّ أخذ حنين الخفين فألقى أحدهما على طريق الأعرابىّ، ثم ألقى الآخر بموضع آخر على طريقه ، فلما مرّ الأعرابىّ بالخف الأول قال : ما أشبه هذا بخف حنين ولو كانا خفين لأخذتُهما،

ثم مرّ بالآخر فندم على ترك الأوّل فأناخ راحلتـه وآنصرف إلى الأوّل وقد كَمَنَ له حنين ، فأخذ الراحلة وذهب بهـا وأقبل الأعرابىّ إلى أهـله ليس معه غير خفّى حنين، فذهبت مثلا : يضرب عند اليأس من الحاجة والرجوع بالخيبة .

وقولهم : "رُبَّ ساعٍ لقاعد ، وآكِلٍ غير حامِد" أوّل من قاله النابغة الذُّبيانى، وكان سبب ذلك أن وفدًا وفدَ إلى النعمان وفيهم رجل من بنى عَبْس يقال ٥ له : شَقِيق، فمات عنده، فلما حبا النعمان الوفود بعث بحبائه إلى أهله ، فقال النابغة فى ذلك

أتى أهلَه منـه حِباءٌ ونعمةٌ * ورُبَّ آمرِئٍ يسعى لآخرَ قاعِدِ

وقولهم : "رُبَّ مَلوم لَا ذَنْبَ لَه" قاله أكثم بن صيفىّ ، معناه قـد ظهر للناس منه أمر أنكروه عليه وهم لا يعرفون عذره؛ وقيل : إن رجلا قال للأحنف ١٠ آبن قيس : أنا أبغض التمر والزبد ، فقال : ربَّ ملوم لا ذنب له .

وقولهم : "رُبَّ كَلِمةٍ تقول لصاحبِها دَعْنِى ": يضرب فى النهى عن الإكثار مخافة الإهجار ، ذكروا أن ملكا من ملوك حِمْير خرج الى الصيد ومعه نديم له فوقفا على صخرة ملساء، فقال النديم : لو أن إنسانا ذُبح على هذه الصخرة إلى أين كان يبلغ دمه، فأمر بذبحه ، وقال : ربَّ كلمة تقول لصاحبها دعنى . ١٥

ومثله قولهم : "رُبَّ رَأْسٍ حَصِيد لِسَان ": يضرب للأمر بالسكوت .

وقولهم : "رُدَّ الحَجَرَ من حيث جاءك": أى لا تقبل الضَّيْمَ وآرم مَن رماك .

حرف الزاى

قولهم : " زُيِّنَ فى عَيْنِ والِدٍ وَلَدُه " : يضرب فى عجب الرجل برهطه .

وقولهم : " زَاحِمْ بعَوْد أَوْ دع " اى لا تستعن إلا بأهل السنّ والتجربة .

وقولهم : "زَوْجٌ مِنْ عُود، خير من قُعُود"، قالته بعض نساء العرب، قالوا :
٥ كان ذو الإصبع العَدْوانِىّ غيورا، وله بنات أربع، وكان لايزوّجهنّ غَيرة عليهنّ، فاستمع عليهنّ يوما وقد خلَوْن يتحدّثن، فقالت إحداهنّ : لتقل كلُّ واحدة منا ما فى نفسها، ولنصدقنّ جميعا، فاشتهت كلّ واحدة من الثلاثة زوجا وصفتْ من جماله وكماله وسعة حاله، ثم أبت الصغرى أن تتكلّم، فقالوا : لابدّ أن تقولى، وألحّوا عليها، فقالت : زَوجٌ من عُود، خيرٌ من قُعُود، فزوّجهنّ .

١٠ وقولهم : "زُرْ غِبًّا تَزْدَدْ حُبًّا" قاله مَعاذ بن صَرم الخزاعىّ، وكانت أمّه من عَكّ، وكان يكثر من زيارة أخواله، فأقام فيهم زمانا، ثم خرج يتصيّد مع بنى أخواله، فحمل على عير، فلحقه ابن خال له يقال له : الغضبان فتخاصما، فقال له الغضبان : والله ! لو كان فيك خير لما تركت قومك، فقال : زُرْ غِبًّا، تزدد حبًّا، فأرسلها مثلا، وفى ذلك يقول الشاعر

١٥ إذا شئتَ أن تُقلَى فَزُرْ متوالِيًا * وإن شئتَ أن تَزدادَ حُبًّا فزرغِبًّا

وقال آخر

عليك بإغباب الزيارة إنها * إذا كَثُرتْ كانت إلى الهجر مَسْلَكا

ألم ترَ أنّ القَطْرَ يُسْأم دائما * ويُسأل بالأيدى إذا هو أمسكا

حرف السين

قولهم : "سبَقَ السيفُ العذَل" قاله ضبةُ بن أدّ لمّـا لامه الناس على قتل قاتل ٱبنه فى الحرم، ويقال : إنه لخُزَيْم بن نوفل الهمدانىّ .

وقولهم: "سَقَطَ العَشَاء به على سِرْحان" أصله أن رجلا خرج يلتمس العَشاء، فوقع على ذئب فأكله، وقال ٱبن الأعرابىّ : أصله أن رجلا من بنى غَنِىّ يقال له : سِرْحانُ ٱبن هزلة كان بطلا فاتكا فقال رجل! والله لأرعينّ إبلى هذا الوادى، فورد بإبله، فوجد سرحانَ فقتله، وأخذ إبله وقال

أَبْلِغْ نصيحةَ: أنَّ رَاعِىَ أهْلِها * سقط العَشَاء به على سِرْحانِ
سَقَط العَشَاءُ به على مُتقَمِّرٍ * طَلْقِ اليدين مُعَاوِدٍ لِطِعانِ

يضرب فى طلب الحاجة يؤدّى صاحبها إلى التلف .

ومثله قولهم : " سقط العَشَاءُ به على مُتَقَمِّرٍ " وهو الأسد .

وقولهم : " سَكَتَ أَلْفًا ، ونَطَق خَلْفًا " الخَلْفُ : الردىء من القول وغيره .

وقولهم : " سَاءَ سَمْعًا فأساء جَابة " أوّل من قاله سُهَيل بن عمرو أخو بنى عامر، وكان قد خرج بٱبنه أَنَس، فوقف بحَزْورة مكة، فأقبل الأخنس بن شَرِيق الثّقفىّ فقال له : من هـذا؟ فقال : ٱبنى ! فقال : حياك الله يافتى [أين أُمُّك ؟] فقـال : لا والله ما أُمّى فى البيت ، ولكنها ٱنطلقت إلى أمّ حنظلة تطحن دقيقا، فقال أبوه : ساء سمعا فأساء جابةً، فأرسلها مثلا .

وقولهم : " سحابُ نَوْءٍ ماؤُه حَمِيم " : يضرب لمن له لسان لطيف وليس وراءه خير .

وقولهم : " سوء الاستمساك خير من حُسْن الصِّرْعة " : معناه حصول البعض مع الاحتياط خيرٌ من الكلّ مع التهوّر .

٥ حرف الشين

قولهم : " شُخْبٌ فى الإناء وشُخْبٌ فى الأرض " : يضرب لمن يتكلّم فيصيب مرة ويخطئ أخرى .

وقولهم : " شَرِقَ بالرِّيق " أى ضرّه أقرب الأشياء إلى نفعه .

وقولهم : " شِنْشِنَةٌ أعرفها من أخزَم " قاله أبو أخزم الطائىّ : وكان له

١٠ ابن يقال له : أخزم، فمات وترك بنين، فوثبوا على جدّهم يوما فأدموه، وكان أبوهم عاقًّا له فقال

إنّ بَنِىّ ضرَّجُونى بالدَّمِ * شِنْشِنةٌ أعرفها من أخزم

والشنشنة : الطبيعة والعادة : يضرب فى قرب الشبه .

وقولهم : " شَمِّرْ ذَيْلا، وادَّرِعْ ليْلا " : يضرب على الحثّ فى الجدّ والطلب .

١٥ وقولهم : " شَنُوءة بين يتامى رُضَّع " الشنوءة : ما يستقذر من القول والفعل : يضرب لقوم اجتمعوا على فجور وفاحشة ليس فيهم مرشد ولا ناهٍ .

وقولهم : " شَيخٌ بحَوْران له ألقاب " وبعده * الذئب والعقعق والغراب * حَوْران بأرض الشام : يضرب لمن يُظهر للناس العفاف، ومن حقّه أن يُحترَز منه .

وقولهم : " شَغَلَ الحَلْىُ أهلَه أن يُعارا " : يضرب للسـؤول شيئا هو إليـه أحوج من السائل .

وقولهم : " شَبَّ عَمْرٌو عن الطَّوْق " قاله جَذيمة الأبرش، وعمرو هـذا هو آبن أخته وهو عمرو بن عدىّ بن نَصْر .

حرف الصـاد

قولهم : " صَبرًا على مَجَامِر الكِرام " قال ذلك يَسَارُ الكواعب، وكان عبـدا أسودَ يَرْعَى لأهله إبلا ضخمة ، وكان معه عبد يراعيه، فمرّ أهله يوما سائرين بحذاء الإبل التى يرعاها ، فعمَد إلى لَقُوح فحلبها فى علبة ، حتّى ملأها ثم مشى بها ، وكان أفحَجَ الرِّجلين ،حتى أتى بها آبنة مولاه يسقيها ،وهى راكبة على جملها ، فنظرت إلى رِجْليه فتبسمت ،ثم شربت اللبن وجزته خيرا ، فانطلق فرِحا حتَّى أتى صاحبه ، فقصّ عليه القصة ، فقال : آسخر بنفسك ولا تسخر ببنات الأحرار ؛ فقال : والله لقد دَحِكت إلىّ دِحْكَةً لا أُخَيِّبُها ، يريد : ضحِكت ،وكان أعجمىّ اللسان ، ثم باتا فقام فحلب فى علبة فملأها ، ثم أتى آبنة مولاه ، فنبهها من نومها فاستيقظت وشربت ، ثم آضطجعت وجلس يسار حِيالَها ، فقالت : ما حاجتك ؟ فقال : ما أعلَمَكِ بحاجتى ! فقالت : لا والله ! فمـا هى؟ قال : ذاك الرجل الذى دحكتِ إلىّ . فقالت : حيّاك الله ، وقامت إلى سَفَطٍ لهـا فأخرجت منه بَخورا ودُهنا طيبا ، وعمدت إلى موسى كانت تحفُّ به الشـعر ، وأخذت مِجْمَرةً فيها نار ، فوضعت عليها البخور ووضعتها تحته ، وطأطأت كأنها تصلح البخور ، فعمدت إلى مذاكيره فمسحتها بالموسى ، فلما أحس بحرارة الحديد . قال : صبْرًا على مجامِر الكِرام ، ثم أومأت إلى أنهـا تدهنه وقالت :

إن هذا دهن طيب، إلا أن فيه حرارةً فتصبّر عليه، فإن ريحك ريح الإبل وأنا أعافُك، ثم أشمّته الدهن على الموسى، ورفعته فوضعته بين عينيه فاسْتَلَتَتْ بها أنفَه. وقالت: قم إلى إبلك يابن الخبيثة، فأتى صاحبه، فلما رآه. قال: أمقبل أنت أم مدبر؟ قال: أخزاك الله، أوَ قد عمى بصرُك؟

٥ إذ لا ترى أنفا ولا أذنيْنِ * أما ترى وبّاصة العينيْنِ

هذا أحد الأقوال فى هذا المثل: يضرب لمن يؤمر بالصبر على ما يكره. ويقال: إن أعرابيا قدم الحضر بإبل، فباعها بمال كثير وأقام لحوائج له، ففطن قوم من جيرته لما معه من المال، فعرضوا عليه تزويج جارية وصفوها بالجمال والحسب طمعا فى ماله، فرغب فيها فزوّجوه إياها، ثم آتخذوا طعاما وجمعوا الحىّ، وجلس ١٠ الأعرابىّ فى صدر المجلس، فأكلوا الطعام وأداروا الكؤوس وشرب الأعرابىّ، ثم أتوه بكسوة فاخرة، فلبسها وقدّموا له مِجْمرة فيها بخور لاعهد له به، وكان لايلبس السراويل، فلما جلس على المجمرة، سقطت مذاكيره فى النار، فظن أن ذلك سُنّةٌ لابدّ منها، وآستحيا أن يكشف ثوبه. فقال: صبرا على مجامر الكرام، فذهبت مثلا وآحترقت مذاكيره، وتفرّق القوم، وآرتحل إلى البادية وترك المرأة والمال، فلما وصل ١٥ إلى قومه وقصّ عليهم القصة. قالوا: آستُ لم تُعَوَّد المِجْمَر، فذهبت مثلا: يضرب لمن لا قديم له.

وقولهم: "صار الزُّجُّ قُدَّامَ السِّنَانِ": يضرب فى سبق المتأخِّرِ المتقدِّمَ من غير استحقاق لذلك.

وقولهم: "صَرَّحَ المَحْضُ عن الزُّبْدِ": يضرب للأمر إذا آنكشف وتبيّن.

وقولهم : "صَفْقَةٌ لم يَشْهَدْها حاطِبٌ" هو حاطب بن أبى بلتعة كان حازما، فباع بعض أهله بيعةً غُبِن فيها حين لم يشهدها حاطب، فسارت مثلا لكلّ أمر ينبرم دون صاحبه .

حرف الضـاد

قولهم : " ضَرَبَهُ ضَرْبَ غرائب الإبل " وذلك أن الغريبة تزدحم على الحياض عند الورود، وصاحب الحوض يطردها ويضربها بسبب إبله : يضرب فى دفع الظالم عن ظلمه بأشدّ ما يمكن . ٥

وقولهم : " ضَلَّ الدُّرَيْصُ نَفَقَه " الدُّرَيص : ولد الفأرة واليربوع والهرّة وأشباه ذلك، ونفقه : جحره : يضرب لمن يُعْنى بأمره ويُعدّ حُجّةً لخصمه، فَيَنْسَى عند الحاجة . ١٠

وقولهم : " ضَلَّ حِلْمُ امرأةٍ فأين عيناها ؟ " أى هَبْ أنّ عقلها ذهب فأين ذهب بصرها ؟ : يضرب فى استبعاد عقل الحليم .

وقولهم : " ضَائِفُ اللَّيْث قتيلُ الْمَحْل" : يضرب لمن اضطرّ لشىء فغرّر بنفسه فى طلبه .

حرف الطـاء ١٥

قولهم : " طويتُه على بِلَالِه وعلى بُلُلَتِه " قال الشاعر

وصاحبٍ مُرَامِقٍ داجيتُهُ * على بِلَال نفسه طويتُه

ويقال : طويت السقاء على بُلُلَته إذا طويته وهو نَدٍ لأنه إن طُوِى يابسا تكسّر، وإن طوى نديّا عَفن : يضرب للرجل يحمل على ما فيه من العيب، قال الشاعر

ولقد طويتُكمُ على بُلُلَاتِكم * وعلِمتُ ما فيكم من الأذرابِ
فإذا القرابة لا تُقَرِّبُ قاطعا * وإذا المودّة أقربُ الأنسابِ

والأذراب : جمع ذَرَبٍ وهو الفساد .

وقولهم : " طويته على غَرِّهِ " : غَرُّ الثوب : أثر كسره الأوّل : يضرب لمن يُوكَل إلى رأيه وما آنطوى عليه .

حرف الظاء

قولهم : " ظالِعٌ يَعودُ كَسِيرا " : يضرب للضعيف ينصُر من هو أضعف منه .

وقولهم : " ظِئْرٌ رءوم، خيرٌ من أُمٍّ سؤوم " : الظئر ، الحاضنة ، والرءوم : العطوف ، والسؤوم : الملول : يضرب فى عدم الشفقة وقلة الآهتمام .

وقولهم : " ظاهِرُ العِتاب خيرٌ من باطن الحِقْد " معناه ظاهر .

وقولهم : " ظِلَالُ صيفٍ ما لها قِطار " : يضرب لمن له ثروة ولا يُجدى على أحد .

حرف العين

قولهم : " عند الصباح يَحْمَدُ القومُ السُّرَى " أوّل من قاله خالد بن الوليد لما بعث إليه أبو بكر رضى الله عنه ، وكان باليمامة أن يسير إلى العراق ، ونالته مشقة بسبب العطش ، فأسرى حتى أدرك الماء فقال : عند الصباح يحمد القوم السرى : يضرب لمن يحمل المشقة رجاء الراحة .

وقولهم : " عند جُهَيْنَةَ الخَبَرُ اليقين " : يضرب فى معرفة الشيء حقيقة .

وقولهم : " عَيْرٌ عَارَهُ وَتِدُه " أى أهلكه ، وأصــله أنّ رجلا أشفق على حماره فربطه إلى وتد، فهجم عليه السبع فلم يمكنه الفرار فأهلكه .

وقولهم : " عند النِّطاح يُغْلَبُ الكَبْشُ الأَجَمّ " وهو الذى لا قرن له : يضرب لمن غلبه صاحبه بمـا أعدّ له .

٥ وقولهم : " على أهلها تَجْنِي بَرَاقِش " قالوا : كانت براقشُ كلبــةً لقوم من العرب، فأغير عليهم فهربوا وهى معهم، فنبحت فاتبع القوم آثارهم بنُباحها، فأدركوهم فقتلوهم، ففيها يقول حمزة بن بَيْض

بل جناها أخٌ علىّ كريمٌ * وعلى أهلها بَرَاقِشُ تَجْنِي

وقيل فى هذا المثل غير ذلك .

١٠ وقولهم : " عسى الغُوَيْر أبْؤُسا " الغُوَيْر : تصغير غارٍ، والابؤس : جمع بؤس وهو الشدّة، قالته الزّبّاء عند رجوع قَصِـير من العراق ، ومعه الرجال، وكان الغوير على طريقه، ومعناه لعل الشرّ يأتيكم من قبل الغار : يضرب للرجل يقال له : لعل الشرّ جاء من قبلك .

وقولهم : " عُشْبٌ ولا بَعِير " : يضرب للرجل له مال كثير ولا ينفقه على نفسه ١٥ ولا على غيره .

وقولهم : " عَادَ غَيثٌ على مَا أَفْسَد " : يضرب للرجل فيه فساد، وصلاحه أكثر .

وقولهم : " عاد السهمُ الى النَّزَعة " أى رجع الحق إلى أهله .

وقولهم : " عصا الجبانِ أطول " لأنه يفعل ذلك من فشله ، يرى أن طولها أشدُّ ترهيبا لعدوّه من قِصَرها .

وقولهم : " على الخبير سَقَطْت " المثل لمالك بن جُبَير العامرىّ، وتمثّل به الفرزدق حين لقى الحسينَ بن علىّ رضى الله عنهما، عند مقدمه من العراق وخروج ٥ الحسين إليه وقد قال له : ما وراءك ؟ فقال : على الخبير سقطْتَ، قلوبُ الناس معك، وسيوفهم مع بنى أميّة، والنصر من السماء .

وقولهم : " عادة السُّوءِ شَرٌّ من المَغْرَم " معناه أن المَغْرَم إذا أدّيتَه فارقك ، وعادة السوء لا تفارق صاحبها .

وقولهم : " عَجْعَجَ لمّا عَضّهُ الظِّعَانُ " أى صاح ، والظعان : نِسْعٌ يُشدّ به ١٠ الهَوْدَجُ : يُضرَب لمن يَضجّ إذا لَزِمَهُ الحقّ .

وقولهم : " عندَ الرِّهانِ تُعرَفُ السّوابق " : يُضرَب لمن يدّعى ما ليس فيه .

وقولهم : "عادَ الأمرُ إلى نِصابه" : يُضرَب فى الأمر يتولّاه أربابه .

وقولهم : "عَيْنُكَ عَبْرَى والفُؤادُ فى دَدٍ" الدَّدُ والدَّدَنُ والدَّدَا : اللعبُ ١٥ واللهوُ : يُضرَب لمن يُظهر حُزنا لحزنك وفى قلبه خلاف ذلك .

وقولهم : "عُرْفُطَةٌ تُسْقَى مِنَ الغَوَادق" ويروى : الغوابق، العُرفُطة : شجرةٌ خَشِنَةُ المسّ، والغَوادقُ : السحابُ الكثيرُ الماء : يُضرَب للشّرّير يُكرَّم ويُبجَّل .

حرف الغين

قولهم: "غُدَّةٌ كغُدَّة البَعير ومَوْتٌ فى بَيْت سَلُولِيَّة" قاله عامر بن الطُّفَيل ؛
وذلك أنه لمـا قَدم على النبيّ صلى الله عليه وسلم ! وقدم معه أَرْبَد بن قَيْس اخو لَبِيد
آبن رَبيعة العامرىّ الشاعر لأمّه، فقال رجل: يا رسول الله، هذا عامر بن الطُّفَيل
قد أقبل، قال: "دعهُ، فإن يُرد اللهُ به خيرًا يهده" فأقبل حتى قام عليه، فقال: يا محمد،
مالى إن أسلمتُ؟ قال: "لك ما للسلمين وعليك ما عليهم" قال: تجعل لى الأمر
بعدك، قال: "ليس ذاك إلىّ، إنمـا ذاك إلى الله تعالى يجعله حيث يشاء" قال:
فتجعلنى على الوَبَر وأنت على المَدَر، قال: "لا" قال: فما ذا تجعل لى؟ قال: "أجعل
لك أعنّة الخيل تغزو عليها"، قال: أو ليس ذلك إلىّ اليوم؟ وكان قد أوصى إلى
أَرْبَد بن قَيْس: "إذا رأيتنى أُكلّمه فدُر من خلفه فاضربه بالسيف" فاخترط أَرْبَد
سيفه شبرًا فحبسه الله تعالى فلم يقدر على سَلّه، فالتفت رسول الله صلى الله عليه وسلم
فرأى أَرْبَد ومايصنع بسيفه، فقال: "اللهمّ اكفِنيهما بمـا شئت" فأرسل الله تعالى
على أَرْبَد صاعقةً فى يوم صائفٍ صاحٍ فأحرقته، وولّى عامر بن الطُّفَيل هاربًا وقال:
يا محمد، دعوتَ ربّك فقُتِل أَرْبَد، والله لأملأنّها عليك خيلا جُرْدا وفتيانا مُرْدا، فقال:
رسول الله صلى الله عليه وسلم "يمنعك الله من ذلك" فسار عامر حتى نَزَل ببيت
امرأة سَلُولِيّة، فخرجت على ركبته غُدّةٌ عظيمة، فقال: غدّة كغُدّة البعير ومَوْتٌ
فى بَيْت سَلُولِيّة، ثم مات على ظهر فرسه؛ وسَلُول أقلّ العرب وأذلّهم، فسار كلامه مثلا:
يُضرَب فى خَصْلتين إحداهما شرٌّ من الأخرى .

وقولهم: "غَرّنى بُرْدَاكَ من خَدَافِلِى" ويروى: من غدافلى ؛ أصل المثل

أن رجلا ٱستعار بُردَيِ ٱمرأة فلبسهما، ورَمى بخُلْقَانٍ كانت عليه، فاسترجعت المرأة بُردَيها فقاله : يُضرَب لمن ضَيّع ماله طمعًا فى مال غيره .

حرف الفـاء

قولهم : " فى وَجْه المـالِ تَعرِفُ أُمْرَتَه" أى نماءه وخيره، ويقال: أَمِرَتْ أموالُ بنى فلان إذا نَمَتْ وكثُرت : يُضرَب لمن يُستدلّ بحسن ظاهره على حسن باطنـــه .

وقولهم : " فى بيْتِــه يُؤْتَى الحَكَم " زعمت العرب أن الأرنب ٱلتقطت تمرة فاختلسها الثعلب فأكلها ، فٱنطلقا يختصمان إلى الضبّ ، فقالت الأرنب : يا أبا الحِسْــل ، قال : سميعًا دعوتِ ، قالت : أتينـاكَ لنختصم إليـك ، قال : عادلا حكَمًا ، قالت : فٱخرج إلينا ، قال : فى بيتـه يُؤتى الحَكَم ، قالت : إنى وجدتُ تمرةً، قال : حُلوةٌ فكُليها، قالت : فاختلسها الثعلب، قال : لنفسه بغَى الخـير ، قالت : لطمتُه ، قال : بحقِّك أخذتِ ، قالت : لطَمَنِى ، قال : حُرٌّ ٱنتصر، قالت : فاقض بيننا، قال : حَدِّث حديثين ٱمرأةً، فإن أبَتْ فأربعــةً ؛ فذهبتْ أقوالُه كلُّها أمثالا .

وقولهم : " فتًى ولا كمالِك " قاله مُتَمِّم بن نُوَيرة فى أخيه مالك لمّـا قُتل .

وقولهم : "فى دُونِ هذا ما تُنكِرُ المرأةُ صاحِبَها" أوّل من قاله جارية من مُزَيْنة، قال الحَكَم بن صَخْر الثَّقَفى : خرجتُ منفردًا فرأيتُ بإمَّرة (وإمّرة موضع)، جاريتين أُختين لم أَرَ كجمالها، فكسوتُهما وأحسنتُ إليهما، قال : ثم حججتُ من قابلٍ ومعى أهلى، وقد ٱعتللتُ ونصَل خضابى، فلمّا صرتُ بإمّرة، إذا إحداهما قد جاءت، فسألت

سؤال مُنْكِرة، قال فقلت : فلانة ؟ قالت : فِدًى لك أبى وأمّى ،أَنَّى تعرِفُنى وأُنكرك ؟ قال فقلتُ : أنا الحَكَم بن صَخْر ، قالت : رأيتُك عامَ أوّل شابًا سُوقَةً،وأراك العام شيخًا ملِكًا،وفى دُون هذا ما تُنكِرُ المرأةُ صاحبَها،فذهبت مثلا ، قال قلت : مافعلتْ أختك ؟ قال : فتنفَّست الصُّعَداءَ،وقالت : تزوّجها آبن عمٍ لها وذهب بها، فذاك حيث تقول

إذا ما قَفَلنـا نحوَ نَجْـد وأهلها * فحسبي من الدنيا قُفولٌ إلى نجد

قال قلت : أَمَا إنى لو أدركتُها لتزوّجتُها ، قالت : وما يمنعك من شريكتها فى حسنها و جمالها وشقيقتها ؟ قال قلت : يمنعنى من ذلك قول كُثَيِّر حيث يقول

إذا وصلتنا خُلة كى تزيلَنـا * أبَينا وقلنـا الحاجبيّة أوّل

فقالت : كثيّر بينى و بينك، أليس الذى يقول

هل وصل عَزّةَ إلا وصل غانية؟ * فى وصل غانيـة من وصلها خَلَفُ

قال : فتركت جوابها عيًّا .

وقولهم : " فاتكةٌ واثقةٌ بِرِىّ " زعموا أن آمرأة كثر لبنها وطفقت تُهرِيقه، فقال لها زوجها : لِمَ تهرِيقينه ؟ فقالت : فاتكة واثقة برىّ : يضرب للفسد الذى وراء ظهره مَيسرة .

حرف القـاف

قولهم : " قطعتْ جَهِيزَةُ قولَ كلّ خَطيب " أصله أن قوما آجتمعوا يخطبون فى صلح بين حيّين ، قَتل أحدُهما من الآخر قتيلا ليرضَوا بالدية ، فبيناهم فى ذلك، إذ جاءت أمة يقال لهـا : جَهيزة، فقالت : إن القاتل قد ظَفر به بعضُ

أولياء المقتول فقتله ، فقالوا : قطعت جهيزة قول كلّ خطيب : يضرب لمن يقطع على الناس ما هم فيه بجهله .

وقولهم : "قَبْلَ البكاء كان وجهك عابسا" : يضرب للبخيل يعتلّ بالإعدام. (١٥)
ومثله : "قَبْلَ النِّفَاسِ كنتِ مُصْفَرَّةً" .

٥ وقولهم : "قَلَبَ الأمرَ ظَهراً لبطن" : يضرب فى حسن التدبير .

وقولهم : "قد شَمَّرتْ عن ساقها فشَمِّرى" : يضرب فى الحثّ على الجدّ فى الأمر .

وقولهم : "قد يَضرِط العَيْر والمِكواةُ فى النار" قاله عُرفُطة بن عَرفَجة سيّد بنى هِزّان، وكان بينه و بين الحُصَين بن نَبِيت العُكْلىّ حروب و وقائع ، فقتلت عُكْل ١٠ رجلا من بنى هِزّان، وأسر عُرفُطة بن عُكْل رجلين، فقال لهما: أيّكم أفضل لأقتله بصاحبنا؟ فجعل كلّ واحد منهما يخبر أنّ صاحبه أكرم منه ،فأمر بقتلهما جميعا، فقُدّم أحدهما للقتل ،فجعل الآخر يَضرِط ، فقال عُرفُطة : قد يضرط العير والمكواة فى النار، فأرسلها مثلا : يضرب للرجل يخوّف بالأمر فيجزع قبل وقوعه . وهذا أحد الأقوال فيه، وقيل غير ذلك .

١٥ وقولهم : "قد بَيّن الصبحُ لذى عَينين" : يضرب فى ظهور الأمر كلّ الظهور .

وقولهم : "قد أَنصَف القارَةَ من راماها" القارةُ : قبيلةٌ قد تقدّم ذكرها فى الأنساب .

وقولهم : "قبل الرِّماء تُملأ الكنائن" أى تؤخذ أهبة الأمر قبل وقوعه .

ومثله . "قبل الرِّمي يُراش السهم" : يضرب فى تهيئة الآلة قبل الحاجة اليها .

وقولهم : "قَلَب له ظَهر المِجَنّ" : يضرب لمن كان لصاحبه على مودّة، ثم حال عن عهده .

وقولهم : "قد ألقَى عصاه" إذا آستقرّ من سفر أو غيره؛ يقال : إنه لمـا بويع لأبى العباس السفّاح، قام خطيبا فسقط القضيب من يده، فقام رجل من القوم وأنشد ٥

فألقتْ عصاها وآستقرّ بها النوى * كما قــرّ عيناً بالإياب المسـافرُ

وقولهم : "قد ونَى طَرَفاه" : يضرب لمن ذلّ وضعُف عن أن يتمّ له أمر ؛ قال النجاشىّ

و إنّ فلانا والإمارة كالذى * وَنَى طَرَفاه بعد ما كان أجدعا

وقولهم : "قُدَّتْ سيورُهم من أَدِيمك" : يضرب للشيئين يستويان فى الشبه ١٠ قال الشاعر

* وقُدّت من أديمهِم سيورى *

وقولهم : "قد بلَغ الشِّظاظ الورِكَين" الشظاظ : عُوَيد يُجعل فى عروة الجوالق : يضرب فيما جاوز الحدّ، وهو كقولهم : جاوز الحزامُ الطُّبْيَين .

حرف الكاف ١٥

قولهم : "كان كُراعا، فصار ذراعا" : يضرب للذليل الضعيف صار عزيزا قويّا .

وقولهم : "كلامٌ كالعسَل، وفعلٌ كالأسَل" : يضرب فى آختلاف القول والفعل .

وقولهم : "كنتَ تبكِى من الأثر العافى فقد لاقيتَ أُخدودا ": يضرب لمن يشكو القليل من الشرّ ثم يقع فى الكثير .

وقولهم : "كلّ ذات بعلٍ ستَئِيم " هـذا من أمثال أكثم بن صيفىّ ؛ قال الشاعر

٥ أفاطم إنى هالك فتبيّنى * ولا تجزعى، كلّ النساء تئيم

أى ستفارق زوجها .

وقولهم : "كلّ أزَبَّ نَفور " قاله زُهَير بن جَذِيمة لأخيه أُسيد، ونذكر الخبر فى وقائع العرب .

وقولهم : "كلّ فتاة بأبيها مُعجَبة ": يضرب فى عجب الرجل بعشيرته ورهطه .

١٠ وقولهم : "كلّ الصيْد فى جوف الفَرا " الفرا : الحمار الوحشىّ ؛ أصل المثل أن ثلاثة نفر خرجوا متصيّدين، فاصطاد أحدهم أرنبا ، والآخر ظبيا ، والثالث حمارا ، فتطاولا عليه بصيدهما ، فقال : كلّ الصيد فى جوف الفرا : يضرب لمن يفضّل على أقرانه ، وقد تمثّل به رسول الله صلى الله عليه وسلم .

وقولهم : "كَدَمْتَ غير مَكْدَم": يضرب لمن يطلب شيئا فى غير مطلبه .

١٥ وقولهم : "كالثور يُضرب لمّا عافت البقر " : يضرب فى عقوبة البرىء بذنب المجرم ، ويأتى ذكر ذلك فى أوابد العرب .

وقولهم : " كالكبش يحمل شَفْرةً وزنادا " : يضرب لمن يتعرّض للهلاك .

وقولهم : " كالمستغيث من الرمضاء بالنار " : يضرب فى الخلّتين يجتمعان على الرجل .

وقولهم : " كالقابس العَجلان " : يضرب لمن عجّل فى طلب حاجته .

وقولهم : " كلاهما وتمرا " أول من قاله عمــرو بن حُمران الجعدىّ ، وذلك أنه مرّ برجل وبين يديه زُبد وسَــنام وتمر، فقال : أنلنى ممّــا بين يديك ، فقال : أيّهــا أحبّ إليك أزُبدٌ أم سَنام؟ فقال : كلاهما وتمرا ، فسارت مثلا .

وقولهم : " كالباحث عن المُدْيَة " يقال : إن رجلا وجد صيدا، ولم يكن معه ما يذبحه به ، فبحث الصيد بأظلافه فى الأرض ، فسقط على شفرة فذبحه بها : يضرب فى طلب الشيء يؤدى صاحبه إلى تلف النفس . ٥

وقولهم : " كذى العُرّ يُكوَى غيرُه وهو راتع " : يُضرب فى أخذ البرىء بذنب الجانى ، ويأتى ذكره فى أوابد العرب .

وقولهم : " كالمحتاض على عَرْض السراب " : يُضرب لمن يطمع فى محال . ١٠

وقولهم : " كلّ لياليه لنا حَنادس " : يُضرب لمن لا يصل إليك منه إلا ما تكره .

حرف اللام

(١٦)

قولهم : " لو ذاتُ سِــوار لطمَتنى " معناه لو ظلمنى من كان كفؤا لى لهان علىّ ، ولكن ظلمنى من هو دونى ، وهو كقول بعضهم

فلو أنى بُليتُ بهــاشمىّ * خؤولته بنو عبــد المَدان ١٥

لهــان علىّ ما ألقى ولكن * تعالَىْ فانظرى بمن ٱبتلانى

وقولهم : " لو غير ذاتِ سِوارٍ لطمَتنى " روى الأصمعىّ : أن حاتما الطائىّ مرّ ببلاد عَنزة فى بعض الأشهر الحُرُم فناداه أسير لهم : يا أبا سَفانة : أكلنى الإسار

والقمل، فقال: ويحك، أسأتَ إذ نوّهت باسمي في غير بلاد قومي، فساوم القومَ به ثم قال : أطلقوه وآجعلوا يديَّ في القِدّ مكانه ، ففعلوا ذلك ؛ ثم جاءته آمرأة ببعير ليفصده فنحره فلطمته فقال : لو غير ذات سوار لطمتني، يعني أني لا أقتصّ من النساء، ثم عُرِف، ففدى نفسه فداءً عظيما .

٥ وقولهم : " لو تُرِكَ القَطا ليلا لَنَـام " قالته آمرأة عمرو بن مامة، وقد نزل عليه قوم من مُرادٍ، فطرقوه ليلا، فأثاروا القطا، فرأته آمرأته فنبّهته فقال : إنمـا هذا القطا ، فقالت : لو تُرِكَ القطا ليلا لنام ؛ فسار مثلا : يُضرب لمن حُمل على مكروه من غير إرادته؛ وقيل : إن التي قالته له حَذامِ بنت الريّان .

وقولهم : " لبِسَ له جِلْدَ النمِر " : يضرب في إظهار العداوة وكشفها .

١٠ وقولهم : " لقد ذَلّ من بالت عليـه الثعالب " أصله أن رجلا من العرب كان يعبد صنما، فجاء ثعلب فبال عليه، فقال في ذلك :

أربٌّ يبول الثُّعلُبانُ برأسه؟ * لقد ذلّ من بالت عليه الثعالبُ

وقولهم : " ليس هذا بعُشِّكِ فآدرُجى " : يُضرب لمن يرفع نفسه فوق قدره .

وقولهم : " لم أجِدْ لشَفْرتى مَحَزّا " : يُضرب عذرا في تعذّر الحاجة .

١٥ وقولهم : " لو سـئلت العاريةُ أين تذهبين لقالت أُكسبُ أهلى ذمّا " هذا من كلام أكثم بن صيفيّ : يُضرب في سوء الجزاء للنعم .

وقولهم : " ليس من العَذْل ، سرعة العـذْل " أى لا ينبغى أن تعجّلَ بالعذل قبل أن تعرفَ العذرَ .

وقولهم : " ليس القُدامَى كالحَوافِى " : يُضرب عند التفضيل .

وقولهم : " لو كُوِيتُ على داءٍ لم أَكْرَهْ " أى لو عوتبتُ على ذنب ما آمتعضتُ .

وقولهم : " ليس على الشَّرْق طَخَاءٌ يَحْجُبُ " أى ليس على الشمس سحاب : يُضرب فى الأمر المشهور الذى لا يخفى على أحد .

٥ وقولهم : " لأكوينّه كيّة المتلوِّم " أى كيّا بليغا ، والمتلوِّم : الذى يتتبّع الداء حتى يعلم مكانه : يُضرب فى التهديد الشديد .

وقولهم : " لأمرٍ مّا جدَع قَصِيرٌ أنفه " قالتــه الزّبّاء لمــا رأت قَصيرا مجدوعا ؛ وخبره يأتى فى باب المكايد .

حرف المـــيم

١٠ قولهم : " ما تَنفع الشَّفْعةُ فى الوادى الرُّغُب " الشَّفْعة : المطرة الهيّنة ، والرُّغُب : الواسع : يضرب للذى يعطيك قليلا لا يقع منك مَوقعا .

وقولهم : " ما وراءكِ ياعِصام ؟ " يقال : أوّل من قال ذلك الحارث بن عمرو ملك كندة ، وذلك أنه بلغه جمال آبنة عَوف بن مُحَلِّم فأرسل إليها آمرأة ذات عقل ولسان ، يقال لها : عِصام ، وقال : آذهبي لتعلميني بحالها ، فلما آنتهت إليها ونظرتها ١٥ خرجت وهى تقول : " تَرَكَ الخِداعَ ، مَن كشَف القِناع " فذهبت مثلا ، ثم عادت اليه ، فقال لها : ماوراءكِ ياعصام ؟ فقالت : " صرَّحَ المَحْضُ عن الزُّبد " فأرسلتها مثلا ؛ وساق الميدانىّ على هــذا المثل كلاما طويلا قالته عِصام فى وصف أعضاء المخطوبة .

وقولهم : " ما يومُ حَليمةَ بسرّ " هى حليمة بنت الحارث بن أبى شَمِر، كان أبوها وجّه جيشا إلى المنذر بن ماء السماء فأخرجتْ لهم طيبا فى مِرْكَنٍ فطيّبتهم، فلما آنتهت إلى لَبيد بن عمرو وذهبت لتُخلّقه، قبّلها، فلطمته وأتت أباها، فقال لهـا : ويلكِ آسكتى عنه، فهو أرجاهم عندى ذكاءَ فؤادٍ، وإنى مرسله، فإن قُتل فقد كفى الله شرّه؛ فسار إلى المنـذر بالجيش، فقتلوا المنذر وكان يوما مشهورا، فقيل فيه : ما يوم حليمةَ بسرّ .

وقولهم : "ما أشبهَ الليلةَ بالبارحة" أى ما أشبهَ بعض القوم ببعض .

وقولهم : " مرْعًى ولا كالسّعدان " قالوا : السّعدان أخثر العُشبِ لبنـا، ومنابته السهول : يُضرب مثلا للشيء يفضّل على أقرانه وأشكاله؛ وأوّل من قال المثل : خنساء بنت عمرو بن الشريد، وقيل : بل قالته آمرأة من طيئ تزوّجها آمرؤ القيس بن حُجْر الكندىّ فقال لهـا : أين أنا من زوجك الأوّل ؟ فقالت : مرعًى ولا كالسّعدان، أى إنك إن كنت رضًا فلست كفُلانٍ .

وقولهم : " ماءٌ ولا كصَدّاء " صَدّاءُ: ركيّة عذبة؛ قال ضِرار السعدىّ

وإنى وتَهيـامى بزينبَ كالذى * تطلّبَ من أحواض صَدّاءَ مَشرَبا

معناه أنه لا يصل إليها إلا بالمزاحمة لفرط حسنها، كالذى يرِدُ المـاءَ فإنه يزاحم عليه لفرط عذوبته .

وقولهم : "محا السيفُ ما قال آبنُ دارةَ أجمعا" هو سالم بن دارة الغطفانىّ، ودارةُ : أمّه، وكان قد هجا بعض بنى فزارة فآغتاله زَميل فقتله، ففيه يقول الكميت

فلا تُكثروا فيـه الضِّجاجَ فإنه * محا السيفُ ما قال آبنُ دارة أجمعا

وقولهم : "مَلَكتَ فأسجِحْ" الإسجاح : حسن العفو، أى ملكت الأمر فأحسنِ العفو، وقد تمثّل به رسول الله صلى الله عليه وسلم فى بعض غزواته، ونذكر الخبر فى ذلك فى المغازى .

وقولهم : "من ينكح الحسناءَ يُعطِ مَهرَها" أى من طلب حاجة بذل ماله فيها .

وقولهم : "من سرّه بنوه ساءته نفسه" قاله ضِرار بن عمرو الضبيّ : وكان ولده ثلاثة عشر رجلا، كلّهم قد غزا ورأس، فرآهم يوما وأولادَهم، فعلم أنهم لم يبلغوا هذه الأسنان إلا مع كبر سنّه، فقال : من سرّه بنوه ساءته نفسه، فأرسلها مثلا .

وقولهم : "من أشبه أباه فما ظلم" معناه ظاهر .

وقولهم : "من يُرِ يوما يُرَ به" قاله كَلْحَب بن شُؤبوب الأَسَدىّ، وكان يُغير على طيِّئ وحده، فدعا حارثةُ بن لَأْم رجلا من قومه يقال له : عترم، فقال له : أما تستطيع أن تكفيَنى مؤونةَ هذا الخبيث؟ فقال : بلى، فأرسل عشرة عيون عليه، فعلموا مكانه فانطلق إليه عترم فوجده نائما فى ظلّ أراكة فنزل ومعه آخر فأخذ كلّ واحد منهما بإحدى يديه فانتبه فنزع يده اليمنى من مُمْسكها وقبض على حَلْق الآخر فقتله وبادر الباقون فأخذوه وشدّوه وثاقا وأتوا به حارثة، فقال له : يا كلحب، إن كنتَ أسيرا فطالما أسرتَ، فقال : من يُرِ يوما يُرَ به، فأرسلها مثلا، وقال حَوذة وهو آبن المقتول لحارثة : أعطنيه أقتله بأبى، فقال : دونكه ! وجعلوا يتكلّمون وهو يعالج كتافَه حتى آنحلّ، ثم وثب على رجليه فآتبعوه بالخيل فأعجزهم .

وقولهم : "مَنْ سلَكَ الجَدَدَ أمن العثار" الجَدَدُ : الأرض المستوية : يُضرب فى طلب العافية .

وقولهم : " مَن يشترى سيفى وهــذا أثره؟ " قاله الحارث بن ظالم، وذلك أنه لمــا قتل خالد بن جعفر بن كلاب بزهير بن جذيمة العبسىّ على ما نذكره إن شاء الله فى وقائع العرب وهرب، فوجّه النعمان فوارس فى طلبه فأدركوه سحرا فعطف عليهم وقتل منهم جماعة وكرّوا عليه فجعل لا يقصد لجماعة إلا فرّقها وهو يقول : من يشترى سيفى وهذا أثره، فارتدعوا عنه وآنصرفوا إلى النعمان .

٥

وقولهم : " مِنْ مالِ جَعْدٍ وجعدٌ غير محمود " قاله جعد بن الحُصين أبوصخر آبن جعد الشاعر، وكان قــد كبِر فتفرّق عنه بنوه وأهله، وبقيت له جارية سوداء تخدمه، فعلقت بفتى من الحىّ يقال له : عَرابة، فجعلت تنقل إليه ما فى بيت جعد، ففطن جعد لذلك، فقال فى ذلك

١٠

أبلغ لديك بنى عمـــرو مُغلغلةً * عمرا وعَوفا وما قولى بمــردودِ
بانَــتْ بنِىَ أمسى فوق داهيةٍ * سوداءَ قد وعدتْنى شرّ موعودِ
تُعطِى عَرابةَ بالكفّين مُجْتَنحاً * من الخَلوق وتُعطِينى على العودِ
أمسى عَرابةُ ذا مالٍ يُسرّ به * من مالِ جعدٍ، وجعدٌ غير محمودِ

يُضرب للرجل يصاب من ماله ويذمّ .

١٥

وقولهم : " من مأمنه يؤتَى الحذِر " قاله أكثم بن صيفىّ .

وقولهم : " من يمِش يرضَ بمــا ركب ": يضرب للذى يضطرّ إلى ما كان يرغب عنه .

وقولهم : " من يلقَ أبطالَ الرجالِ يُكلَمَ " قاله عُقيــل بن علقمة المُرّى ، وقد رماه عَملَّس آبنه بسهم فخلّ فخذيه، فقال أبياتا منها

إنّ بنىّ زمّلونى بالدمِ * شِنشِنةٌ أعرِفُها من أَخزمِ

* من يَلْقَ أبطالَ الرجال يُكلَمِ *

وقولهم : " من لا يذُدْ عن حوضه يُهدَّم " أى من لم يدفع عن نفسه يُظلم، قاله زُهَير بن أبى سُلمى .

(١٨) وقولهم : " مكْرَه أخوك لا بطل " قاله أبو حَنَش خال بَيْهس : يُضرب لمن ٥ يُحمل على ما ليس من شأنه .

وقولهم : " من نام لا يَشعُر بشجو الأرِق " : يُضرب لمن غفل عما يعانيه صاحبه من المشقّة .

حرف النون

قولهم : " نفْس عِصامٍ سوّدتْ عِصاما " هو عصام بن شَهْبَر حاجب النعمان ١٠ ابن المنذر : يُضرب فى نباهة الرجل من غير قديم ؛ وقيل فى هذا

نفْسُ عصامٍ سوّدت عصاما * وعلّمتْـه الكرَّ والإقــداما

* وصيّرتْه ملِكا هُمــاما *

وقولهم: " نظرةٌ مِن ذى عَلَق " أى من ذى هوًى : يُضرب لمن ينظر بودّ.

وقولهم : " نَزَت به البِطنة " : يُضرب لمن لا يحتمل النِّعمة؛ ١٥

قال الشاعر

فلا تكونَنّ كالنــازى ببِطنته * بين القرينَيْن حتى ظلّ مقرونا

وقولهم : " نجوتُ وأرهنتُهم مالكا " قال عبد الله بن همّام السّلولى

فلمّا خَشِيتُ أظافيرَهم * نجوتُ وأرهنتُهم مالكا

يُضرب لمن ينجو من هَلَكة نَشَب فيها شركاؤه وأصحابه .

وقولهم: " نام عِصام ساعةَ الرحيل " : يُضرب لمن طلب الأمر بعد ما ولّى.

٥ حرف الهاء

قولهم : " هُدْنةٌ على دَخَن " .

وقولهم : " هذا أوانُ شدّكم فشُدّوا " .

ومثله قولهم : " هذا أوانُ الشدّ فاشتدّى زِيَم " قال الأصمعىّ : زيم : اسم فرس : يُضرب للرجل يؤمر بالجِدّ .

١٠ وقولهم : " هو على حَبْلِ ذراعك " أى الأمر فيه إليك : يُضرب فى قرب المتناوَل، وحبْل الذراع : عِرقٌ فى اليد .

وقولهم : " هان على الأَملسِ ما لاقَى الدَّبِر " : يُضرب فى سوء اهتمام الرجل بشأن صاحبه .

وقولهم : " هو بين حاذِف وقاذِف " الحاذف بالعصا، والقاذف بالحصى :

١٥ يُضرب لمن هو بين الشرّين .

وقولهم : " هو على طَرَف الثُّمام " الثمامُ: نبت ضعيف سهل المتَناولُ تسدّ به خصاصُ البيوت، وربما حُشيتْ به المَخادُّ؛ قالوا : إنه ينبت على قدر قامة الإنسان: يُضرب فى تسهيل الحاجة وقرب النجاح .

وقولهم : " هى الخمر تُكنَى الطِّلاء " : يضرب للأمر ظاهره حسن وباطنه على خلاف ذلك .

حرف الواو

قولهم: "وافق شَنٌّ طَبَقَة" قال الشرقىّ بن القطامىّ : كان رجل من دهاة العرب وعقلائهم يقال له : شَنٌّ ، فآلى أنه يطوف البلاد حتى يجد آمرأة مثله فيتزوّجها ، فبينا هو فى بعض مسيره إذ وافقه رجل فى الطريق فسارا جميعا ، فقال له شَنٌّ : أتحملنى أم أحملك؟ فقال : أنا راكب وأنت راكب ، فكيف تحملنى أو أحملك؟ ! ثم سارا فانتهيا إلى زرع قد آستحصد ، فقال شَنٌّ : أترى هذا الزرع أُكل أم لا ؟ فقال : لم أر أجهل منك ، نبتا مستحصدا فتقول : أُكل أم لا ! فسكت ، ثم سارا حتى دخلا القرية فلقيا جنازة ، فقال شَنٌّ : أترى صاحب هذا النعش حيّا أم ميّتا؟ فقال له الرجل : ترى جنازة تسأل عنها أميّت صاحبها أم حىّ ! فسكت عنه شَنٌّ وأراد مفارقته فأبى أن يتركه وسار به إلى منزله ، وكان للرجل بنت يقال لها : طبقة ، فلما دخل عليها أبوها سألته عن ضيفه ، فقال : ما رأيت أجهل منه ، وحدّثها بحديثه ، فقالت : يا أبتِ ما هذا بجاهل ! قوله : أتحملنى أو أحملك ؟ أراد أتحدّثنى أم أحدّثك ، وأما قوله : أترى هذا الزرع أُكل أم لا ؟ فأراد هل باعه أهله فأكلوا ثمنه أم لا ؟ وأما الجنازة فأراد هل ترك عقبا يحيا بهم ذكره أم لا؟ فخرج الرجل فقعد مع شَنٍّ فحادثه ، وقال له : أتحب أن أفسر لك ما سألتنى؟ قال نعم ، ففسره ، فقال شَنٌّ : ما هذا من كلامك ، فأخبرْنى مَنْ صاحبُه؟ فقال : آبنة لى ، فخطبها إليـه فزوّجه إياها وحملها إلى أهله ، فلما رأوها قالوا : وافق شَنٌّ طبقة ، فذهبت مثلا : يُضرب للتوافقين ؛

وقال الأصمعىّ : هم قوم كان لهم وعاء من أَدَمٍ فتشنَّن فجعلوا له طَبَقا فوافقه فقيل : وافق شَنٌّ طَبَقه، ورواه أبو عبيدة فى كتابه، وقال ابن الكلبىّ : طبقة : قبيلةٌ من إياد كانت لا تطاق فأوقعت بهـا شنّ بن أفصى بن دُعْمِىّ فانتصفَتْ منها وأصابت فيها فضُربتا مثلا وأنشد

٥ لَقِيَتْ شَنٌّ إيادا بالقنا * طبقًا، وافق شَنٌّ طَبَقَه

وقولهم : " وجدتُ الناس ٱخبُرْ تَقْلُه " أصـله ٱخبُر الناس تَقْلُهم : يُضرب فى ذمّ الناس وسوء معاشرتهم .

وقولهم : " وَلُودُ الوعد عاقرُ الإنجاز ": يُضرب لمن يكثُر وعده ويقِلُّ نقدُه .

وقولهم : " وَدَّعَ مالًا مُودِعُه " لأنه إذا ٱستودعه غيره فقـد ودّعه وغرّر به

١٠ ولعله لا يرجع اليه .

وقولهم : " وموْرِد الجهل وَبِيءُ المَنهل ": يُضرب فى النَّهْىِ عن ٱسـتعمال الجهـل .

ما جاء فى ما أوّله (لا)

قولهم : " لا مَخْبأَ لعِطْرٍ بعد عَروس " ويقال : " لا عِطْرَ بعـد عَروس"

١٥ أوّل من قاله ٱمرأة من عُذْرة، يقال لها : أسماء بنت عبد الله، وكان لهـا زوج من بنى عمّها يقال له : عَروسٌ، فمات عنها، فتزوّجها رجل من قومها يقال له نَوْفَل، وكان أعسرَ أبخَرَ بخيلا ذميما، فلما دخل بهـا قال : ضُمّى إليك عِطرَكِ، فقالت : لا عِطرَ بعد عَروس، فذهبت مثلا، ويقال : إن رجلا تزوّج ٱمرأة، فلمـا أهديت إليه (١٩)

وجدها تَفِلَةً فقال لها : أين الطِّيبُ ؟ فقالت : خَبَّأتُه ، فقال لها : لا مَخْبَأَ لِعِطرٍ بعد عَروس : يُضرب مثلا لمن لا يُدَّخَر عنه نفيسٌ .

وقولهم : " لا يُلدَغ المؤمن من جُحرٍ مرّتين "(١) : يُضرب لمن أُصيب ونُكب مرّة بعد أخرى ، يقال هذا من امثال النبيّ صلى الله عليه وسلم قاله لأبى عَزّة الشاعر وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد أسره يوم بدرٍ فمنّ عليه وأطلقه ثم أتاه يوم أُحُدٍ فأسره ، فقال : مُنَّ علىّ ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم " لا يُلدغ المؤمنُ من جُحر مرّتين " أى لو كنتَ مؤمنا لم تعدْ لقتالنا .

وقولهم : " لا أطلبُ أثَرًا بعدَ عين " أوّل من قاله مالك بن عمرو العامرىّ(٢) ، وكان من حديثه أن بعض ملوك غسّان كان يطلب فى بنى عامرٍ ذَحْلًا فأخذ منهم مالكا وسِمَاكَ ٱبنى عمرو العامرىّ فاحتبسهما زمانا ثم دعا بهما ، فقال لهما : إنى قاتل أحدكما ، فأيكما أقتل ؟ فجعل كلّ واحد منهما يقول : ٱقتلنى مكان أخى ، فقتل سِمَاكا وخلّى سبيلَ مالك ، فقال سِماكُ حين ظنّ أنه مقتول

فأُقسمُ لو قَتلوا مالكا ، * لكنتُ لهم حيّةً راصدهْ

برأس سبيلٍ على مَرقبٍ * ويوما على طُرُقٍ واردهْ

فأُمَّ سِمـاكٍ فلا تجزعى * فللموت ما تلد الوالدهْ

وٱنصرف مالك إلى قومه فأقام فيهـم زمانا ثم إنّ ركبا مرّوا وواحد منهم يتغنّى بقول سِماكٍ * فأُقسم لو قَتلوا مالكا * فسمعتْه أمّ سِماك، فقالت : يامالك، قبح الله الحياة بعد سِماك، ٱخرج فى الطلب فخرج فلقى قاتل أخيه يسير فى ناسٍ من قومه فقال :

(١) كذا فى الأصل وفى مجمع الأمثال وفرائد اللآل : "لا يلسع" .

(٢) هكذا فى الأصل وفى مجمع الامثال : "العاملىّ" باللام وفى فرائد اللآل : "الباهلىّ" .

من أحسّ لى الجملَ الأحمرَ، فقالوا له وقد عرفوه : يا مالك ٱكفف ولك مائة من الإبل، فقال : لا أطلب أثرا بعد عين، فذهبت مثلا .

وقولهم : "لا يُرسِل الساقَ إلا مُمسِكا ساقا" أصله فى الحِرباء : يُضرب لمن لا يدع حاجةً إلا سأل أخرى .

٥ وقولهم : "لا ماءَكِ أبقيتِ، ولا حِرَكِ أنقيْتِ" ويُروى : ولا دَرَنَكِ، أصله أنّ رجلا كان فى سفر ومعه ٱمرأته، وكانت عاركا فطهُرتْ وكان معها ماء يسير فاغتسلت به فنفد ولم يكفها لغسلها فعطشا فقال هذا القول فسار مثلا، وقيل : إنّ الذى قاله الضبّ بن أروَى الكلاعىّ قاله لآمرأته عَمْرة بنت سُبيع ؛ قال الفرزدق

وكنتُ كذات الحيض لم تُبقِ ماءَها * ولا هى من ماء العَذابة طاهرُ

١٠ وقولهم : "لا ناقتى فى هذا ولا جَملى" المثل للحارث بن عَبَّاد حين قَتل جَسّاسُ بن مُرّة كُليبا وهاجت الحرب بين الفريقين وٱعتزلها الحارث ؛ قال الراعى

وما هجرتُكِ حتى قلتِ مُعلِنةً * لا ناقةٌ لىَ فى هذا ولا جَملُ

يُضرب عند التبرّؤ من الظلم والإساءة .

وقولهم : "لا يَنتطِح فيها عَنْزان" قاله رسول الله صلى الله عليه وسلم .

١٥ وقولهم : "لا يُنبتُ البَقْلة، إلا الحَقْلة" الحَقْلَةُ : القَرَاحُ، أى لا يلد الوالد إلا مثلَه : ويُضرب مثلا للكلمة الخسيسة تخرج من الرجل الخسيس .

وقولهم : "لا تَدخُلْ بين العصا ولِحائها" : يضرب فى المتخالَّيْن المتصافيَيْن .

وقولهم : "لا يحزُنْكَ دمٌ هَرَاقه أهلُه" قال هذا المثل جَذيمةُ : يُضرب لمن يُوقِع نفسَه فيما لا مَخلَص له منه .

حرف اليـاء

قولهم : "يَداكَ أوْكَتَا وفُوكَ نَفَخ" أصـله أن رجلا كان فى جزيرة من جزائر البحر فأراد أن يعبُر على زِقّ قد نَفَخ فيـه فلم يُحسن إحكامَه ، فلمّـا توسّط البحر خرجت منه الريح فغرِق فاستغاث برجل، فقال له : يداكَ أوْكتا وفوكَ نفخ، فذهبت مثلا : يُضرب لمن يجنى على نفسه الحَيْن .

وقولهم : "يَشُجُّ و يأسو" : يُضرب لمن يُصيب فى التدبير مرّة ويخطئ أخرى؛ قال الشاعر

إنى لأُكثِر ممّـا سُمتنى عَجَبـا * يدٌ تَشُجُّ وأخرى منك تأسونى

وقولهم : "يُسِرُّ حَسْواً فى ٱرتغاء" أصـله أن الرجل يؤتَى باللبن فيُظهِر أنه يريد الرَّغوة خاصّةً فيشربها، وهو فى ذلك ينـال من اللبن : يُضرب لمن يُريك أنه يُعينك وإنمـا يجرّ النفع إلى نفسه؛ قال الكميت

فإنى قد رأيتُ لكم صدودا * وتَحساءً بعِـلّةِ مُرتغينا

وقولهم : "يمشِى رُوَيْدًا و يكون أوّلا" : يُضرب للرجل يُدرك حاجتَه فى تُؤَدةٍ ودَعَةٍ، ويُنشَد فيه

تسألنى أمُّ الوليد جمـَلا * يمشى رُوَيْدًا ويكون أوّلَا

وقولهم : "يُصبح ظمآنَ وفى البحر فَمُه" : يُضرب لمن يعاشر بخيلا مُثرِيا.

وقولهم : "يَمْلأُ الدَّلو الى عَقْد الكَرَب" مأخوذ من قول عُتْبـة بن أبى لَهَب

من يُساجِلْنى يُساجِلْ ماجدًا * يملا الدَّلو إلى عَقْد الكَرَبْ.

وهو الحبل الذى يُشدّ فى وسط العَراقىَ : يُضرب لمن يبالغ فيما يلى من الأمر .

وقولهم : "يُكوَى البعيرُ من يَسيرِ الداء" : يُضرب فى حَسْم الأمر الضائر قبل أن يعظُم ويتفاقم .

وقولهم : " يعود على المرء ما يأتمر" ويُروَى : يَعْدو،معناه يعود على الرجل ما تأمره به نفسه فيأتمر، أى يمتثله ظنًّا منه أنه رشد، وربما كان هلاكه فيه، ومنه قول آمرئ القيس ٥

أحارِ بنَ عمرو كأنى خَمِرْ * ويعدو على المرء ما يأتمرْ

ومما يتمثل به من أشعار الجاهلية

(٣٠)

آمرؤ القيس بن حُجْر : قد تقدّم من شعره فى الأستشهاد على أمثال العرب ما يُستغنى عن إعادته فى هذا المكان .

١٠ ومن شعره

* والبِرُّ خير حقيبة الرَّجل * * رضيتُ من الغنيمة بالإيابِ *

* إن الشقاءَ على الأشقَيْنَ مصبوبُ *

وقال أيضا

وقاهم جدّهم ببنى أبيهم * وبالأشقَيْنَ ما كان العتابُ

١٥ وقال

فإنك لم يفخَر عليك كفاخرٍ * ضعيفٍ ولم يغلبْك مثل مُغلَّبِ

زُهير بن أبى سُلمَى يقول

ومن يغترب يَحسِبْ عدوّا صديقَه * ومن لا يُكرِّمْ نفسَه لا يُكرَّمِ

ومهما يكن عند آمرئ من خَليقة * ولو خالها تخفَى على الناس تُعلَمِ

ومن لا يصانعْ فى أمور كثيرةٍ * يُضَرَّسْ بأنيـابٍ ويُوطأْ بمَنسِمِ
ومن يجعل المعروفَ من دون عِرضه * يَفِرْهُ ومن لا يتَّقِ الشتمَ يُشتَمِ
ومن يك ذا فضل فيبخلْ بفضله * على قومه يُستغنَ عنـه ويُذمَمِ
ومن لا يذُدْ عن حوضـه بسلاحه * يُهـدَّمْ ومن لا يَظلِم الناس يُظلَمِ
ومن يَعْصِ أطرافَ الزِّجاجِ فإنه * مُطيعُ العوالى رُكِّبَتْ كلَّ لَهـذَمِ ٥

وقال أيضا

وهل يُنبِتُ الخَطِّىَّ إلّا وشيجُه * وتُغرَس إلا فى مَنابتها النخلُ

وقال أيضا

والسترُ دون الفاحشاتِ وما * يلقاكَ دون الخـير من سِترِ

وقال أيضا ١٠

فإنّ الحقَّ مَقطَعُه ثلاثٌ * يمينٌ أو نِفارٌ أو جلاءُ

يقول: إنما الحقوق تصحّ بواحدة من هذه الثلاث: يمينٌ أو محاكمةٌ أو حُجّةٌ واضحةٌ؛ وكان عمر بن الخطّاب رضى الله عنه يتعجّب من معرفته بمَقاطع الحقوق .

النابغة الذُّبيانى : اسمه زياد بن عمرو، ويُكنَى أبا أُمامة ؛ غلب عليه "النابغة" لأنه عبرَ بُرهةً لا يقول الشعرَ ثم نبغ فقاله ؛ وكذلك الجعدىّ ؛ وقيل: إنما لُقِّب بالنابغة ١٥ لقـــوله

* فقد نَبَغَتْ لهم منّا شؤونُ *

وقيل فى نسبه : زياد بن معاوية بن ضِباب بن جابر بن يَربوع بن غَيْظ بن مُرّة ابن عوف بن سعد بن ذُبيان .

فمما يُتمثّل به من شعره قوله

* فإنك كالليل الذى هو مُدرِكى * * فإن مطيّةَ الجهل الشبابُ *

وقال

ولستَ بمُستبقٍ أخًا لا تَلُمُّــه * على شَعَثٍ، أىُّ الرجال المهذَّبُ؟

٥ وقال أيضا

اِستبق ودَّك للصديق ولا تكن * قَتَبًا يعَضُّ بغاربٍ مِلحاحَا

طرفة بن العبد يقول

* حَنانَيْك بعضُ الشرّ أهون من بعضِ * * ما أشبهَ الليلةَ بالبارحَه *

وقال أيضا

١٠ ستُبدى لك الأيامُ ما كنتَ جاهلا * ويأتيك بالأخبارِ من لم تُزوِّدِ

وقال أيضا

وأَعلمُ عِلما ليس بالشكّ أنه * إذا ذلّ مولَى المرء فهو ذليلُ

أَوس بن حَجَرٍ يقول

فإنكما يا ٱبنَىْ حُبابٍ وُجِدتُما * كمن دبَّ يستخفِى وفى الكفِّ جُلْجُلُ

١٥ وقال أيضا

وما ينهض البازِى بغير جَناحه * ولا يَحمِل الماشِينَ إلا الحواملُ

اذا أنت لم تعرِضْ عن الجهل والخنا * أَصبتَ حليما أو أصابك جاهلُ

وقال أيضا

ولستُ بخابِئٍ أبدا طعاما * حذارَ غدٍ، لكلِّ غدٍ طعامُ

بشر بن أبى خازم يقول

وأيدى الندى فى الصالحين قروضٌ * * كَفى بالموت نأياً وٱغترابا *

المتلمس وهو جرير بن عبد المسيح يقول

قليلُ المال تُصلحه فيبقَى * ولا يبقَى الكثيرُ مع الفسادِ

وقال أيضا ٥

لذى الحلم قبل اليوم ما تُقْرَعُ العصا * وما عُلِّمَ الإنسانُ إلا ليَعلَما

ولو غير أخوالى أرادوا نقيصتى * جَعلتُ لهم فوق العَرانِينِ مِيْسَما

وما كنتُ إلا مثلَ قاطع كفّه * بكفٍّ له أخرى فأصبح أجذما

وقال أيضا

ولا يُقيم على ذلّ يراقبه * إلا الأذلّان عَيرُ السوء والوتِدُ ١٠

هذا على الخسف مربوط برُمّته * وذا يُشَجُّ فلا يَرثِى له أَحَدُ

الأفوه الأودىّ يقول

إنما نعمةُ دنيا مُتعةٌ * وحياة المرء ثوبٌ مستعارُ

وصروف الدهر فى أطباقه * حَلْقة فيها ٱرتفاعٌ وٱنحدارُ

بينما الناس على عَليائها * إذ هوَوا فى هوّة منها فغاروا ١٥

وقال أيضا

والبيت لا يُبتنَى إلا له عَمَدٌ * ولا عِمادَ إذا لم تُرسَ أوتادُ

فإن تجمّع أوتادٌ وأعمدةٌ * وساكنٌ، بلغوا الأمر الذى كادوا

تُهدَى الأمورُ بأهل الرأى ماصلَحتْ * وإن تولّت فبالأشرار تنقادُ

لا يَصلح الناسُ فَوضَى لا سَراةَ لهم * ولا سَراةَ إذا جُهّالهم سادوا ٢٠

تميم بن أبى مقبل يقول

خليلىّ لا تستعجلا وآنظرا غدًا * عسى أن يكون الرفقُ فى الأمر أرشَدا

وقال أيضا

ما أنعم العيشَ! لو أن الفتى حَجَرٌ * تنبو الحوادثُ عنه وهو ملمومُ

حُمَيد بن ثَوْر يقول

أرى بَصَرى قد رابنى بعد صحّة * وحسبك داءً أن تَصِحّ وتسلما

ولن يلبثَ العصران يوما وليلةً * — إذا طَلَبا — أن يُدرِكا ما تيمّما

عدى بن زيد يقول

كفى واعظا للمرء أيامُ دهره * تروح له بالواعظات وتغتدى

عن المرء لا تسأل وسل عن قرينه * فكلّ قرينٍ بالمقارِنِ يقتدى

وظلم ذوى القُربَى أشدُّ مَضاضةً * على المرء من وقع الحسام المهنّد

إذا ما رأيت الشرّ يبعث أهلَه * وقام جُناة الشرّ للشرّ فاقعد

وقال أيضا

يا راقد الليل مسرورا بأوّله * إن الحوادثَ قد يطرُقن أسحارا

وقال

قد يُدرك المبطئُ من حظّه * والخير قد يسبق جَهد الحريص

وقال

لو بغير الماء حَلْقى شرِقٌ * كنت كالغَصّان بالماء آعتصارى

وقال

فهل من خالدٍ إما هلكنا * وهل بالموت يا لَلناس عارُ ؟

الأسود بن يعفُر يقول

ماذا أؤمل بَعــدَ آل محــرّق * تركوا منـازلهم وبَعــدَ إيادِ
أرض تخــيّرهـا لطيب مَقيلها * كعبُ بنُ مامــةَ وآبنُ أمّ دؤاد
أهلُ الخوَرنَق والسَّــديرِ وبارقٍ * والقصرِ ذى الشُّرُفاتِ من سِندادِ
جرت الرياح على محــلّ ديارهم * فكأنهــم كانوا على ميعــاد ٥
ولقــد غَنَوا فيهـا بأنعَمِ عيشــةٍ * فى ظــلّ مُلكٍ ثابتِ الأوتاد
فإذا النعــيم وكلّ ما يُلهــى به * يوما يصــير إلى بِلًى ونَفَــاد

علقمة بن عَبَدَة يقول

فإن تسألونى بالنســاء فإننى * علــيم بأدواء النســاء طبيبُ
إذا شاب رأسُ المرء أو قلّ مالُه * فليس له فى ودّهن نصيبُ ١٠
يُرِدْنَ ثَراءَ المـال حيث علِمنــه * وشرخُ الشباب عندهنّ عجيبُ

وقال أيضا

وكلّ حِصنٍ و إن طالت إقامتُه * على دعائمــه لا بدّ مهـــدومُ
ومن تَعرّض للغِربان يزجُرها * على ســلامته لا بدّ مشــئوم

عمرو بن كُلثوم يقول ١٥

وما شرُّ الثــلاثة أمَّ عمــرو * بصاحبك الذى لا تَصحبينا
و إنّ غدًا و إنّ اليــومَ رهنٌ * وبَعــدَ غد بمـا لا تَعلَمينا

الحارث بن حِلِّزة يقول

لا تكسع الشَّولَ بأغبارها * إنك لا تدرى مَنِ النــاتجُ؟
وآصبُبْ لأضيافك ألبانَها * فإن شرّ اللبن الوالجُ ٢٠

حاتم الطائىّ يقول

أماوىَّ ما يُغنى الثراءُ عن الفتى * إذا حشرجتْ يوما وضاق بها الصدر
وقد عَلِم الأقوامُ لو أن حاتما * أراد ثراء المال، كان له وَفْرُ

وقال أيضا

٥ وأنت إذا أعطيتَ بطنك سؤلَه * وفرجَك، نالا منتهى الذمّ أجمعا

المرقّش الأصغر يقول

ومَن يَلْقَ خيرا يَحْمَدِ الناسُ أمرَه * ومن يَغْوَ لا يعدم على الغىّ لائما

النمِر بن تَولَب يقول

يودّ الفتى طولَ السلامة جاهدا * فكيف تُرى طولُ السلامة يفعلُ؟

١٠ وقال أيضا

ومتى تُصبْك خَصاصةٌ فارج الغنَى * وإلى الذى يَهَب الرغائبَ فارغبِ
لا تغضبنّ على آمرئ فى ماله * وعلى كرائم صُلب مالكَ فاغضب

وقال

فلا وأبى، الناسُ لا يعلمو * ن، للخير خيرٌ وللشرّ شرّ
١٥ فيوما علينا ويوما لنا * ويوما نُساء ويوما نُسرّ

مهلهل بن ربيعة ، وآسمه عدىّ يقول

أَعزِزْ على تغلِب بما لقِيتْ * أختُ بنى الأكرمين من جُشَمِ
أنكحها فقدُها الأراقمَ فى * جَنْبٍ وكان الحِباء من أدَمِ
لو بأبانَين جاء يخطبها * ضُرِّج ما أنفُ خاطبٍ بدمِ
٢٠ ليسوا بأكفائنا الكرامِ ولا * يُغْنُونَ من ذلّة ولا عَدَمِ

طُفَيل الغنوىّ يقول

إنّ النساء كأشجارٍ نَبَـتن معـا * منهن مُرٌّ، وبعض المرِّ مأكولُ
إنّ النساء متى يُنهَـيْنَ عن خُلُقٍ * فإنه واجب لا بدّ مفعـــولُ

عُروة بن الورد يقول

وما شاب رأسى من سنينَ تتابعتْ * علىّ ولكن شيّبتنى الوقائعُ ٥

وقال أيضا

ومن يك مثلى ذا عِيالٍ ومُقـترا * من المال يَطرَحْ نفسَه كلَّ مَطرَحِ
لِيَبلغَ عُـذرا أو ينـالَ رغيبـــةً * ومُبْلِـغُ نفسٍ عُذرَها مثلُ مُنجِحِ

الأعشى : وهو ميمون بن قيس من بنى قيس بن ثعلبة يقول

كناطحٍ صخـرةً يوما ليفلقَهـا * فلم يَضِرْها وأوهَى قرنَه الوعلُ ١٠

وقال أيضا

تعالَوا فإنّ الحكم عند ذوى النهى * من الناس كالبَلقاء بادٍ حُجولُهـا

وقال أيضا

ومن يغترِبْ عن قومه لم يزل يرى * مَصارعَ مظلومٍ مَجَــرًّا ومَسْحَبَا
وتُدفَن منه الصالحاتُ وإن يُسئْ * يكن ما أثار النار فى رأس كَبكَبَا ١٥

وقال أيضا

عوِّدتَ كَندةَ عادةً فاصبر لها * اِغفرْ لجاهلها وروِّ سجالَهـا

لَقيط بن مَعْبَد يقول

قوموا قياما على أمشاط أرجلكم * ثم افزعوا، قد ينال الأمرَ مَنْ فَزِعا
هيهات، ما زالت الأموال مد أبدٍ * لأهلها — إن أُصيبوا مرّة — تَبَعا ٢٠

تأبط شرًّا : وهو ثابت بن جابر يقول

لَتقرَعنَّ علىَّ السنَّ من ندمٍ * اذا تذكَّرتَ يوما بعضَ أخلاقى

المثقِّب العبدىّ يقول

فإما أن تكون أخى بحقّ * فأعرف منك غثّى من سمينى

٥ وإلا فاطّرحنى واتّخذنى * عدوّا أتّقيك وتتّقينى

فإنى لو تعاندنى شِمالى * عنادَك ما وصلتُ بها يمينى

المُمَزَّق العَبْدىّ يقول

فإن كنتُ ما كولًا فكن أنت آكلى * وإلّا فادركنى ولمّا أُمزَّقِ

أُفنون التَّغلِبىّ يقول

١٠ لعمرك ما يدرى الفتى كيف يتّقى * إذا هو لم يجعلْ له اللهُ واقيا

الأَضْبط بن قُرَيع السَّعدىّ يقول

قد يجمع المالَ غيرُ آكله * ويأكل المالَ غيرُ من جَمَعَهْ

لا تحقرنَّ الفقير عَلّك أن * تركع يوما والدهرُ قد رَفعهْ

واْقبَلْ من الدهر ما أتاك به * من قرّ عينا بعَيْشه نَفعهْ

١٥ سُوَيد بن أبى كاهل يقول

رُبَّ مَن أَنضَجتُ غَيظا قلبَه * قد تمنّى لىَ موتا لم يُطَعْ

ويرانى كالشَّجَى فى حَلقه * عَسِرًا مَخرجُه ما يُنتزَعْ

ويُحَيّينى إذا لاقيتُه * وإذا يَخلو له لَحمِى رَتَعْ

انتهى ما يتمثل به من أشعار الجاهلية .

ومما يتمثل به من أشعار المُخَضْرَمين

المخضرمون : هم الذين أدركوا الجاهليّة والإسلام .

منهم لَبِيد بن ربيعة، وفاته سنة إحدى وأربعين ، وعمره مائة سنة وسبع وخمسون سنة يقول

وإذا رُمتَ رحيلا فارتحلْ * واعص ما يأمر تَوصيمُ الكسَلْ ٥
وأكذبِ النفسَ إذا حدّثتَها * إنّ صدق النفس يُزرى بالأملْ

وقال أيضا

وما المالُ والأهلون إلّا وَدِيعةٌ * ولا بدّ يوما أن تردَّ الودائعُ
وما المرءُ إلا كالشهاب وضوئه * يحور رَمادًا بعدَ إذ هو ساطعُ

وقال أيضا ١٠

كانت قَناتى لا تلين لغامز * فألانها الإصباحُ والإمساء
ودعوتُ ربّى فى السلامة جاهدا * ليُصحّنى فإذا السلامةُ داء

وقال أيضا

ذهب الذين يُعاش فى أكنافهم * وبَقيتُ فى خَلْف كجلد الأجربِ

وقال أيضا ١٥

إلى الحوْل ثم اسمُ السلامِ عليكما * ومن يبكِ حولا كاملا فقد اعتذرْ

كَعْب بن زُهَير يقول

ومن دعا الناسَ إلى ذمّه * ذمّوه بالحقّ وبالباطلِ
مقالةُ السوء إلى أهلها * أسرع من منحدر سائلِ

النابغة الجعدىّ : وهو قيس بن عبد الله، وقيل حسّان بن قيس بن عبد الله ويكنى النابغة: أبا ليلى، وهو أسنّ من الذبيانىّ، وطال عمره حتى أدرك أيّام بنى أميّة، وهو الذى قال له النبىّ صلى الله عليه وسلم "لا يفضُض الله فاك" فما سقطت له سنّ، وفى رواية: فكان أحسن الناس ثغرا إذا سقطت له سنّ تنبت له أخرى، وعاش

٥ عشرين ومائة سنة، وقيل أكثر .

ومما يُتمثل به من شعره قوله

ولا خيرَ فى حلم إذا لم يكن له * بوادرُ تحمى صفوَه أن يُكدَّرا

ولا خيرَ فى جهلٍ إذا لم يكن له * حليمٌ إذا ما أوْردَ الأمرَ أصدرا

وقال أيضا

١٠ كُليبُ لعمرى كان أكثر ناصرا * وأيسر جرما منك ضُرِّج بالدم

أميّة بن أبى الصَّلت الثقفىّ يقول

تلك المكارمُ لا قَعبانِ من لبن * شيبَا بماءٍ فعادا بعدُ أبوالَا

حسّان بن ثابت يقول

وإن آمرا يُمسى ويُصبح سالما * من الناس — إلا ما جنى — لَسعيدُ

١٥ وقال أيضا

رُبَّ حِلمٍ أضاعه عَدَم الما * لِ وجهلٍ غطّى عليه النعيمُ

ما أبالى أنبَّ بالحَزْنِ تَيسٌ * أم لحانى بظهرِ غَيبٍ لئيمُ؟

الحُطَيئة : وآسمه جرول بن أوس بن مخزوم . وقيل : جرول بن أوس بن مالك ابن غطفان بن سعد ويُكنَى : أبا مُلَيكة، والحطيئة لقبٌ غَلب عليه؛ قيل لقب به

لقصره وقربه من الأرض؛ وقيــل : حبق فى مجلس قومه فقال : إنمـا هى حَطْأة فسمِّىَ الحطيئة .

فما يتمثل به من شعره قوله

مَنْ يفعل الخيرَ لا يَعدَمْ جوازِيَه * لا يذهبُ العرفُ بين الله والناسِ
دع المكارمَ لا ترحلْ لبُغيتهـا * واقعد فإنك أنت الطاعم الكاسى ٥

وقال أيضا

أقِلُّوا عليهــم لا ابًا لأبيكُمُ * من اللوم أو سُدّوا المكان الذى سَدّوا
أولئك قومٌ إن بَنَوا أحســنوا البِنَا * و إن وعدوا أوفوا و إن عقدوا شدّوا

متمم بن نويرة يقول

وكنّا كندمانَىْ جَذِيمــةَ حِقبةً * من الدهر حتى قيل لن يتصدّعَا ١٠
فلمـا تفرّقنا كأنى ومالــكا * لطول اجتماعٍ لم نبتْ ليلةً معًا

أبو ذؤيب الهذلىّ يقول

وتجلّدى للشامتين أريهُمُ * أنى لريب الدهر لا أتضعضعُ
واذا المنّية أنشبت أظفارَها * ألفيتَ كلَّ تَميمةٍ لا تنفعُ
والنفسُ راغبة إذا رغّبتَهـا * وإذا تُرَدُّ إلى قليلٍ تَقنعُ ١٥

الخنساء : وهى تُمـاضِرُ بنت عمرو بن الشريد تقول

ومَنْ ظنّ ممن يُلاقى الحروبَ * بأن لا يصاب فقــد ظنَّ عَجْزا

وقالت أيضا

نُهينُ النفوسَ وبذلُ النفو * س عند الكريهةِ أبقَى لهـا

عمرو بن معديكرِب يقول

إذا لم تستطع أمرا فدعه * وجاوزه إلى ما تستطيعُ

وقال أيضا

ليس الجَمالُ بمئزَرٍ * فاعلم وإن رُدّيتَ بُردَاَ

٥ إن الجمال مآثرٌ * ومكارمٌ أورثن مجدَا

معن بن أوس يقول

وفى الناس-إن رثّت حبالُك-واصلٌ * وفى الأرض عن دار القِلَى متحوَّل

إذا آنصرفتْ نفسى عن الشىء لم تكدْ * إليه بوجهٍ آخرَ الدهرِ تُقبلُ

وقال أيضا

١٠ أُعلِّمه الرمايةَ كلّ يوم * فلما آستدّ ساعدُه رمانى

زياد بن زيد يقول

ولا أتمنى الشرَّ-والشرُّ تاركى- * ولكن متى أُحمَلْ على الشرّ أركبِ

وقال أيضا

هل الدهر والأيام إلا كما ترى؟ * رزيّةُ مالٍ أو فراقُ حبيبِ

١٥ أيمَن بن خُرَيم بن فاتك الأسدىّ يقول

إن للفتنة مَيْطًا بيننا * فرويدَ المَيْط منها تَعتدلْ

فإذا كان عَطاءٌ فأْتِهم * وإذا كان قتالٌ فاعتزلْ

آنتهى ما يُتمثّل به من أشعار المخضرمين .

ومـا يتمثل به من أشعار المتقدّمين فى صدر الإسلام

القُطامىّ : وآسمه عُمير بن شُيَيم يقول

وَمعصيةُ الشفيقِ عليك ممّـا * يَزيدك مرّةً منـــه آستمـاعَا
وخيرُ الأمرِ ماآستقبلتَ منه * وليس بأن تتبّعه آتّبـاعَا
أراهم يغمزون من آسْـتَرَكُّوا * ويجتنبون مَن صَدق المِصاعَا
كذاك وما رأيت النـاس إلا * إلى ما جرّ جانيهــم سِراعَا

وقال أيضا

قد يُدرِكُ المتأنّى بعضَ حاجته * وقد يكون مع المستعجل الزلَلُ
وربما فات بعضَ القوم أمرُهمُ * مع التأنّى وكان الرأىُ لو عجِلوا
والناس من يلقَ خيرا قائلون له * ما يشتهى ولأمّ المخطئ الهَبَلُ

الطِّرِمّاح بن حكيم بن الحكم يقول

لقــد زادنى حبّـا لنفسىَ أننى * بغيضٌ إلى كلّ آمرئ غيرِ طائلِ
وأنى شقىّ باللئام ولن ترى * شـــقيًّا بهم إلا كريمَ الشمائل

الكميت بن زيد الأسدىّ يقول

إذا لم يكن إلا الأسنةَ مركبٌ * فلا رأى للمضـطرّ إلا ركوبُها

وقال أيضا

فيا موقدا نارا لغيرك ضوءُها * ويا حاطبا فى حبلِ غيرِك تحطِبُ

المساور بن هند يقول

شَقيتْ بنو أسدٍ بشعر مُساورٍ * إن الشــقىّ بكل حبــلٍ يُخنَقُ

عدىّ بن الرِّقاع يقول

وإذا نظرتُ إلى أميرى زادنى * ضنًّا به نظرى إلى الأمراءِ

بل ما رأيتُ جبالَ أرضٍ تستوى * فيما غشيتُ ولا نجومَ سماءِ

كالبرق منه وابلٌ متتابع * جَوْدٌ وآخرُ ما يبضّ بماءِ

٥ والمرء يورِثُ مجدَه أبناءَه * ويموت آخَرُ وهو فى الأحياءِ

الفرزدق، وآسمه همام بن غالب يقول

فواعجبا حتى كُليبٌ تسبّنى * كأنّ أباها نهشلٌ أو مُجاشعُ

وقال أيضا

تُرَجّى ربيعٌ ان يجىءَ صِغارُها * بخيرٍ وقد أعيا عليك كِبارُها

١٠ وقال أيضا

فإن تَنجُ منها، تَنجُ من ذى عظيمةٍ * وإلا فإنى لا إخالك ناجيا

وقال أيضا

يَمضى أخوك فلا تَلقَى له خَلَفًا * والمالُ بعد ذهاب المال مُكتَسَبُ

وقال ايضا

١٥ ليس الشفيع الذى يأتيك مؤتزرا * مثلَ الشفيع الذى يأتيك عُريانا

وقال أيضا

قُلْ لنصْرٍ، والمرء فى دولة السلـ * ـطان أعمى مادام يُدعَى أميرا

فإذا زالت الولاية عنه * وآستوى بالرجال، عاد بصيرا

وقال أيضا

٢٠ ولا نلين لسلطان يُكايدُنا * حتى يلين لِضرس الماضغ الحجرُ

وقال أيضا

هل ٱبنك إلا ٱبنٌ من الناس فاصبرن * فلن يَرجِعَ الموتى حنينُ المـآتمِ

جرير: هو ٱبن الخَطَفَى تُوفّى سنة عشر ومائة يقول

إن الكريمةَ يَنصرُ الكرمَ ٱبنُها * وٱبنُ اللئيمة للئـام نصـورُ

وقال أيضـا ٥

زعم الفرزدقُ أن سيقتل مَربعا * أبشرْ بطول سلامةٍ يا مَربعُ

وقال أيضا

وٱبن اللَّبون إذا ما لُزَّ فى قَرَنٍ * لم يستطع صَولةَ البُزْل القَناعيس

وقال أيضا

رأيتك مثلَ البرق يُحسَبُ ضوءُه * قريبا وأدنى ضوئه منك نازحُ ١٠

وقال أيضا

أمّا الرجالُ فَخِلّانٌ ونِسوتُهم * مثلُ القَنافذِ لا حُسنٌ ولا طِيب

الأخطل: وٱسمه مالك بن غياث بن غوث، وقال أبو الفرج الأصبهانى: ٱسمه غياث ٱبن غوث بن الصلْت بن طارقة بن سـيحان بن عمرو، ورُفِعَ نسبُه إلى جُشَم بن بكر ويُكنَى: أبا مالك، قال: وقال المدائنى هو غياث بن غوث بن سلمة بن طارقة. ١٥

فما يتمثّل به من شعره قوله

والنـاس همُّهُمُ الحياةُ ولا أرى * طولَ الحيـاة يزيد غيرَ خَبـالِ

وإذا ٱفتقرتَ إلى الذخائر لم تَجِدْ * ذُخراً يكون كصالح الأعمـالِ

وقال أيضا

إنّ الصنيعةَ تلقاها و إن قدُمت * كالعَـرِّ يكُن حينـا ثم ينتشرُ
وأَقسمَ المجـدُ حَقًّا لا يُحالفهم * حتى يحالِف بطنَ الراحة الشَّعَرُ

وقال أيضا

٥ و إذا دعَـونكَ يا أُخيَّ فإنه * أحنى إليك مَودّةً ووصـالَا
و إذا دعَونكَ عَمَّهُنَّ فإنه * نسبٌ يزيدك عندهنّ خَبالَا

وقال أيضا

ضَفادعُ فى ظَلماءِ ليلٍ تجاوبتْ * فدلَّ عليها صوتُها حيَّـةَ البحرِ

وقال أيضا

١٠ يا مرسلَ الريح جَنوباً وصَـبَا * إنْ غضِبتْ قَيسٌ فزدها غضَبَا

الصَّلَتانُ العَبْدِىّ يقول

و إنْ يكُ بحرُ الحنظَلِّيينَ واحدا * فمـا يسـتوى حيتانُه والضفادعُ
ومايستوى صـدرُ القناة و زُجُّها * ومايستوى فى الراحتيْن الأصابعُ

كُثيّر عزة : وهو كثيّر بن عبد الرحمن بن الأسود الخزاعىّ ، توفّى سنة خمس ومائة

١٥ يقـول

و إنى وَتهيامِى بعـزّةَ بعـد ما * تخلّيتُ ممّـا بيننـا وتخلتِ
لكالمرتجِى ظلَّ الغمامةِ كلّمـا * تبوّأَ منها للمقيـلِ اضمحلّتِ
فقلتُ لها ياعزّ كلُّ مصيبـةٍ * إذاوُطِّنتْ يومًالها النفسُ ذلَّتِ
هنيئا مريئا غيرَ داءٍ مخامرٍ * لعزّةَ من أعراضنا مااستحلّتِ

(٢٤)

وقال أيضا

قضَى كلُّ ذى دَيْنٍ فوفَّى غريمَه * وعزَّةُ ممطولٌ مُعنًّى غريمُها

وقال أيضا

ومن لايُغمِّضْ عينَه عن صديقه * وعن بعض ما فيه يمتْ وهو عاتبُ

ومن يتتبَّعْ جاهـدا كلَّ عثرةٍ * يجدْها ولا يسلَمْ له الدهرَ صاحبُ ٥

جميل يقول

فإن يك حربٌ بين قومى وبينها * فإنى لها فى كلّ نائبةٍ سَلْمُ

وقال أيضا

ولربَّ عارضةٍ علينا وصلَها * بالجدِّ تخلطه بقول الهازل

فأجبتُها فى القول بعدَ تستُّرٍ : حُبِّى بثينةَ عن وصالكِ شاغلى ١٠

لو كان فى قلبى كقَدْر قُلامةٍ * وصلًا وصلتُك أوأتتك رسائلى

عمر بن عبد الله بن أبى ربيعة يقول

ليت هندًا أنجزتنا ما تعدْ * وشفت أكبادَنا ممّا نجدْ

واستبدّتْ مرّةً واحدةً * إنما العاجزُ من لا يستبِدْ

وقال أيضا ١٥

لا تلُمني وأنتَ زيَّنتها لى * أنتَ مثلُ الشيطان للإنسان

ومما يتمثّل به من أشعار المُحدَثين

منهم إبراهيم بن هَرْمة يقول

عجِبت أُثَيْلةُ أنْ رأتنى مُخلِقا * ثكلتكِ أمُّكِ، أىُّ ذاك يروعُ؟

قد يُدرِك الشرفَ الفتى ورداؤه * خَلَقٌ وجَيبُ قميصه مرقوعُ ١٥

وقال ايضا

كتاركةٍ بيضها بالعراءِ * وملبسةٍ بيض أخرى جناحا

بشّار بن بُرد يقول

اذا كنت فى كلّ الأمور معاتبا * صديقَك لم تلقَ الذى لاتعاتبُهْ

٥ فعش واحدا أو صِلْ أخاك فإنه * مُقارف ذنبٍ مرة ومجانبُهْ

إذا أنت لم تشربْ مِرارا على القذى * ظمئتَ وأىّ الناس تصفو مشاربُهْ

وقال أيضا

ولا تجعل الشورى عليك غَضاضةً * فإن الخوافِى عُدّةٌ للقوادِمِ

وما خيرُ كفٍّ أمسكَ الغُلُّ أُختَها * وما خيرُ سيفٍ لم يؤيَّدْ بقائمِ

١٠ وقال أيضا

كبكرٍ تَشَهّى لذيذَ النّكاح * وتَفرَقُ من صَولة الناكحِ

وقال أيضا

أنتَ من قَلبِها محلُّ شرابٍ * يُشتَهى شربهُ ويُخشَى صُداعُهْ

وقال أيضا

١٥ الحرُّ يُلحَى والعصا للعبدِ * وليس للمُلحِف مثلُ الردِّ

وصاحبٍ كالدُّمَّل المِمدِّ * حملتُه فى رُقعةٍ من جِلْدى

وقال أيضا

و إذا جفوتَ قطعتُ عنك منَافعى * والدَّرُّ يقطعه جفاءُ الحالب

وقال أيضا

٢٠ ولولا الذى خبَّروا لم أكنْ * لِأمدحَ رَيحانةً قبلَ شَمّْ

وقال أيضا

تأتِى المقيمَ – وما سعى – حاجاتُهُ * عددَ الحصَى، ويَخيبُ سعىُ الناصبِ

وقال أيضا

أنا والله أشتهى سحر عينيـ * ـك وأخشَى مَصارعَ العشّاقِ

وقال أيضا

٥

نرجو غـدا، وغدًا كحاملةٍ * فى الحىّ لا يدرون ماتلدُ

وقال أيضا

تسقط الطيرُ حيث ينتثر الحَبُّ * وتُغشَى منـازلُ الكرماءِ

ليس يُعطيك للرجاءِ ولا الخو * فِ ولكنْ يَلَذُّ طعمَ العطاءِ

وقال أيضا

١٠

* والصعبُ يُمكِنُ بعـد ماجمحا * * ولن تَبلغَ العليا بغـيرِ الدراهم *

وقال أيضا

ولابدّ من شكوى إلى ذى مروءة * يواسيك أو يُسْـليك أو يتوجّعُ

أبو العتاهية يقول

* أذلّ الحرصُ أعناقَ الرجالِ * * وكلُّ غَنًى فى العيونِ جَليلُ *

١٥

* روائحُ الجَنَّـةِ فى الشـبابِ * * وأىُّ الناسِ ليس له عُيوبُ *

وقال أيضا

إنّ الشبابَ والفَراغَ والجِدَهْ * مَفْسَدَةٌ للدِّين، أىّ مَفْسدَهْ!

وقال أيضا

أنتَ ما ٱستغنيتَ عن صا * حبِـكَ الدهرَ أخـوهُ

فإذا ٱحتجتَ إليــه * سـاعةً مجّـكَ فــوهُ

وقال أيضا

٥ مايَحرُزُ المرءُ من أطرافه طَرَفا * إلا تخوّنه النقصانُ من طَرَفِ

وقال أيضا

يُصادُ فؤادى حين أَرمِي ورَمْيتى * تعودُ إلى نَحرِى ويسلمُ مَن أَرمِي

وقال أيضا

ولربَّ شـهوةِ ساعةٍ * قد أورثتْ حزنا طويلا

١٠ سَلْمُ بن عمرو الخاسر: وهو مولى أبى بكر الصدّيق رضى الله عنه، وهو بصرى، لُقِّب الخاسر لأنه ورث من أبيه مصحفا فباعه وآشترى بثمنه طُنبورا، وقيل: بل خلَّف أبوه مالا فأنفقه فى الأدب والشعر، فقـال له بعض أهله: إنك لخـاسر الصفقة، فلُقِّب بذلك.

فمما يتمثل به من شعره قوله

١٥ مَن راقبَ الناسَ مات غمًّا * وفاز باللـــذة الجســـورُ

لولا مُنى العاشـــقين ماتوا * غمًّا، وبعض المنى غرورُ

وقال أيضا

ولو ملكتَ عِنانَ الريح تصرفُه * فى كلّ ناحية ما فاتك الطلبُ

وقال ايضا

٢٠ لا تسأل المــرءَ عن خلائقِه * فى وجهه شاهدٌ من الخبرِ

صالح بن عبد القُدّوس يقول

مايَبلغ الأعداءُ من جاهـلٍ * مايبلُغُ الجاهـلُ من نفسهِ
والجاهـل الآملُ ما فى غدٍ * كحفظه فى اليوم أو أمسه
والشـيخ لا يَترُكُ أخلاقَه * حتى يُوارَى فى ثرى رمسه
والحُمـقُ داءٌ ماله حيـلةٌ * تُرجَى كبُعد النجم من لمسهِ ٥

(٢٥) وقال أيضا

وإنَّ عنـاءً أن تُفهِّمَ جاهـلا * فيَحْسَبَ جهلًا انه منك أفهمُ
متى يبلغ البنيانُ يوما تمـامَهُ * اذا كنتَ تبنيه وغيرُك يهدمُ

وقال أيضا

إذا وَترتَ امرءًا فاحذرْ عداوتَه * من يزرع الشوكَ لايحصدْ به عِنبَا ١٠

وقال أيضا

شرّ المواهب ماتجود به * من غير محْمَدَة ولا أَجرِ

وقال أيضا

لا تجدْ بالعطـاء فى غير حقٍّ * ليس فى منع غير ذى الحقّ بخلُ
إنمـا الجود أن تجودَ على من * هو للجودِ منك والبذلِ أهـلُ ١٥

وقال أيضا

يَشقَى رجالٌ ويَشقَى آخرون بهم * ويُسـعدُ اللهُ اقـواما بأقوامِ
وليس رزق الفتى من لُطفِ حيلته * لكنْ جدودٌ بارزاقٍ وأقسامِ
كالصَّيد يُحرَمُه الرامى المُجيدُ وقد * يُرمَى فيُرزَقُه من ليس بالرامى

وقال أيضا

إنْ يكنْ مابه أصبتَ جليلا * فذهابُ العـزاءِ منـه أجلُّ

كلّ آتٍ لاشك آت وذو الجهـ * ـل مُعَنًّى والغمُّ والحزنُ فضلُ

ابن مَيَّـادة : هو الرمّاح بن أبى أبرد كنيته شُرَحْبِيل يقول

٥ واعجبا من خالدٍ كيف لا * يُخطئ فينا مرّةً بالصواب

وقال أيضا

وأرانا كالزرع يحصده الدهـ * ـرُ فمن بين قائم وحصيد

وكأنّا للموت رَكْبٌ مُجِدُّو * ن سراعٌ لمنهلٍ موردِ

أبو نُواس الحسن بن هانئ يقول

١٠ * دع عنك لَومى فإن اللومَ إغراءُ * * ألا ربَّ إحسان عليك ثقيلُ *

وقال

* وللرجاء حرمةٌ لاتُجهـلُ * * وأىُّ جِـدٍّ بلغ المـازحُ *

وقال أيضا

إذا آمتحن الدنيا لبيبٌ تكشّفتْ * له عن عدوٍّ فى ثيـاب صديقِ

١٥ وقال أيضا

لا أذودُ الطيرَ عن شجرٍ * قد بلَوتُ المرّ من ثمـرِهْ

وقال أيضا

وليس لله بمسـتنكَرٍ * أن يجمعَ العالَمَ فى واحدِ!

وقال أيضا

٢٠ صار جدًّا مامزحتُ به * ربَّ جدٍّ ساقـه اللعِبُ

وقال أيضا

كفى حَزَنًا أنَّ الجوادَ مُقَتَّرٌ * عليه ولا معروفَ عند بخيلِ

وقال أيضا

وأوبةُ مشتاقٍ بغـير دراهمٍ * إلى أهله من أعظم الحَدَثان

أبو عُيَيْنَةَ المهلّبيّ يقول ٥

* وكيف بُجحود القلبِ والعينُ تشهدُ * * ولا خيرَ فيمن لا يدوم له عهدُ *

* وشتّانَ ما بين الولاية والعزْلِ *

وقال أيضا

وإذا تطـاولت الرءو * سُ فغطِّ رأسَك ثمّ طاطِهْ

عبد الله بن أبي عتبة المُهلّبي يقول ١٠

كلُّ المصائب قد تمرّ على الفتى * فتهونُ غيرَ شمـاتة الأعداءِ

وقال أيضا

ما كنتَ إلا كلحم ميْتٍ * دعا إلى أكله اضطرارُ

العبّاس بن الأحنف يقول

لو كنتِ عاتبـةً لسكَّن رَوْعتى * أمَلى رضاكِ وزرتُ غيرَ مراقَبِ ١٥

لكن مللْتِ فمـا لصدّكِ حيلةٌ * صدُّ الملولِ خلافُ صدِّ العاتبِ

وقال أيضا

صرتُ كأنّى ذبالةٌ نُصِبتْ * تُضيءُ للناس وهى تحترقُ

وقال أيضا

أرى الطريقَ قريباً حين أسلكُهُ * إلى الحبيبِ، بعيدًا حين أنصرِفُ ٢٠

وقال أيضا

كفى حَزَنًا أنّ التباعدَ بيننا * وقد جمعتْنا والأحبّةَ دارُ

وقال ايضا

اقمنا مكرَهين بهـا فلمّا * ألِفناها خرجنا مُكرَهينا

٥ وقال أيضا

* ولا خيرَ فى ودٍّ يكون بشافعٍ * * من عالجَ الشوقَ لم يستبعد الدارا *

مُسلم بن الوليد : هو مولى الأنصار، ثم مولى آل أبى أُمامة : أسعد بن زُرارَة الخَزْرَجى ولُقِّب صريع الغوانى، وممّا يُتَمَثَّل به من شعره قوله

دلّتْ على عيبها الدنيـا وصـدَّقها * ما آسترجعَ الدهرُ ممّا كان أعطانى

١٠ وكان يقول أخذتُ معنى هذا البيت من التوراة .

وقال أيضا

يَعُدّ الفتى مر الليالى سليمةً * وهنَّ به عمـا قليـل عواثر

وقال أيضا

أما الهجاء فدَقّ عِرضُـك دونَه * والمدحُ عنـك كما علمتَ جليـلُ

١٥ فاذهب فأنتَ طليقُ عِرضِك إنه * عرضٌ عزَزتَ به وأنتَ ذليـل

منصور النَّمَرىُّ : هو منصور بن الزِبْرِقان بن سَلَمَة. وقيل منصوربن سَلَمَة بن الزِبْرِقان بن شريك، مُطْعِمُ الكبشِ الرَّخَم؛ سُمّى بذلك لأنه أطعم ناسا نزلوا به ونَحَرَ لهم. ثم رفع رأسه فإذا هو برَخَم يَحُمن حول أضيافه، فأمر أن يُذْبَح لهنّ كبشٌ ويُرمى لهنّ ففُعِل ذلك ونزلن عليه فمزّقنه؛ وهو آبن مالك بن سعد بن عامر الضَّحْيان، سُمّى

بذلك لأنه كان سيد قومه وحاكِمهم وكان يجلس لهم إذا أضحى النهارُ، وهو ابن سعد ابن الخزرج بن تَيْم الله بن النَّمِر بن قاســط بن هِنْب بن أفصى بن دُعْمِيّ بن جَدِيلة ابن أسد بن ربيعة بن نِزَار .

فمما يُتَمَثّل به من شعره قوله

لعــلّ لهــا عذرًا وأنت تلوم * وربّ امرئٍ قد لام وهو مَليم ٥

وقال أيضا

ما كنتُ أوفى شبابي كنهَ عِزّته * حتى انقضى فإذا الدنيا له تَبَع

وقال أيضا

أقلل عتابَ من استربتَ بوُدّه * ليست تُنَال مــودّةٌ بعتاب

العَتَّابيّ : هو كُلثوم بن عمرو بن أيوب بن عبيد بن حبيش بن أوس بن مسعود ١٠ ابن عمرو بن كُلثوم الشاعر ابن مالك بن عَتّاب بن سعد بن زُهير بن جُشَم بن بكر بن حبيب بن عمرو بن غَنْم بن تَغْلب . (٣٦)

فمما يُتَمَثّل به من شعره قوله

وإن عظيمات الأمور مَشُوبةٌ * بمستودعات فى بطون الأساود

وقال أيضا ١٥

ولله فى عَرْض السموات جَنّة * ولكنهــا محفوفة بالمَــكاره

وقال أيضا

قلت للفرقدين، والليل مُلقٍ * سُــودَ أكنافه على الآفاق

إبقيا ما بقيتما ســوف يُرمَى * بين شخصيكما بسهــم الفراق

أشجع السُّلَمىُّ : هو أشجع بن عمرو أبو الوليد، وقيل: أبو عمرو من أهل الرَّقّة.

فما يتمثل به من شعره قوله

نسيبُك من أمسى يناجيك طرفه * وليس لمن تحت التراب نسيبُ

وقال ايضا

٥ سبق القضاءُ بكلِّ ما هو كائن * فليَجهــد المتقلّب المحتــالُ

وقال أيضا

داءٌ قديم فى بنى آدمٍ * فتنــةُ إنسان بإنسان

وقال أيضا

وعلى عــدوك يا ابن عمِّ محمدٍ * رَصَدان، ضوءُ الصبح والإظلامُ

١٠ فاذا تنبــه رعتَه وإذا غفـا * سلّتْ عليه سـيوفَك الأحلامُ

الجُرْهُمىُّ

وأعددتُه ذخرا لكل مُلمةٍ * وسهمُ الرزايا بالذخائر مولعُ

وقال أيضا

إذا مامات بعضُك فابك بعضًا * فإن البعضَ من بعضٍ قريبُ

١٥ وقال أيضا

أرى الحلمَ فى بعضِ المواطِنِ ذِلةً * وفى بعضها عزًّا يُسَــوِّدُ فاعله

وقال أيضا

ودون الندى فى كل قلبٍ ثَنيّةٌ * لها مَصعَدٌ حَزْن ومُنحَدرٌ سهلُ

وقال أيضا

٢٠ العيشِ لا عيشَ إلا ما قَنِعت به * قد يكثر المــالُ والإنسان مُفتَقِر

وقال أيضا

وهــل حازم إلا كآخر عاجز * اذا حل بالإنسـان ما يُتوقّعُ

محمود الوَرّاق : هو محمود بن الحسن البغدادى مولى بنى زُهرة ، ويُكنى أبا الحســن .

فما يُتمثّل به من شعره قوله

وإذا غلا شيءٌ علىّ تركتُه * فيكون أرخصَ ما يكون إذا غلا

وقال أيضا

ما كدتُ أفحص عن أخى ثقةٍ * إلّا ذَممتُ عواقبَ الفحصِ

وقال أيضا

الدهر لا يَبْــقى عــلى حالة * لابدّ أنْ يُقبِــلَ أو يُدبرا

فإن تَلقّــاك بمــكروهــه * فاصبر فإن الدهرَ لن يَصـبرا

وقال أيضا

إذا كان وجهُ العُذرِ ليس بواضح * فإنّ اطراحَ العذرِ خيرٌ من العذر

محمود بن حازم الباهلىّ

ألا إنمــا الدّنيا على المرءِ فتنةٌ * على كل حال أقبلتْ أم تولّتِ

وقال أيضا

وقائــلٍ كيف تفــرّقتما * فقلتُ قولا فيــه إنصـافُ

لم يك لى شـكلا ففارقتُــه * والناسُ أشــكالٌ وألّافُ

السَّمَوءَل بن عَادياء

إذا المرءُ لم يَدْنَس من اللؤمِ عِرضُه * فكلُّ رداء يرتديه جميــلُ

وقال أيضا

إذا كنت مَلْحيًّا مُسِيئا ومُحسِنا * فغِشْيان ماتهوى من الأمر أكيسُ

٥ محمد بن أبي زُرْعَة الدِّمَشْقى

لا يُؤنِسَنَّك أن تراني ضاحكا * كم ضَحْكَة فيها عُبوس كامِن

وقال أيضا

قد يَمهنُ الهِنْدىُّ وهو حُسام * ويُحثُّ الجوادُ وهو جوادُ

أبو الشيص : وآسمه محمد بن رزين بن تَميم بن نَهْشَل، وأبو الشِّيص لَقَبٌ غَلَب
١٠ عليه، وكُنيَتُه أبو جعفر وهو عمّ دِعْبِل بن علىّ .

فمما يُتمثل به من شعره قوله

اذا لم تَكُنْ طُرقُ الهــوى لى ذليلةً * تنكبتُها وآنحزتُ من جانبِ السّهل

علىّ بن جَبَلَةَ بن عبد الرحمن الأنبارىّ، وهو المُلقب العَكَوَّك قال

وأرى الليالى ماطوتْ من شِرّتى * ردّته فى عِظَتى وفى إفهــامى

١٥ وعلمتُ انّ المرء من سَنَن الردى * حيثُ الرميّة من سِهام الرامى

وقال أيضا

وخافت على التطواف قومى وإنمــا * تُصاب غرار الوحش وهى رُتوعُ

الجَلاحُ الحارثىّ

وما كنتُ زوّارا ولكنّ ذا الهوى * الى حيث يَهوَى القلبُ تَهوِى به الرِجْلُ

وقال أيضا

اذا ما أهانَ آمرؤٌ نفْسَــه * فلا أكرم اللهُ من يُكرمه

عبد الصمد بن المعذَّل

ليس لى عُذْرٌ وعندى بُلْغةٌ * إنمـا العذر لمن لايستطيع

وقال أيضا

٥

وأعلم أن بنات الرجاء * تُحِلّ العزيزَ محَـلَّ الذليل

وأن ليس مُستغنيا بالكثـير * من ليس مُستغنيا بالقليل

وقال ايضا

أرى النـاسَ أُحدوثةً * فكونوا حديثاً حَسَنْ

كأن لم يكن ما أتى * وما قد مضى لم يكن

١٠

إذا وطنٌ رابنى، * فكل بلادٍ وطن

إذا عزّ يوماً أخـــو * ك فى بعض أمرٍ فهُنْ

الحَمْدونىّ

إن المُقَدَّمَ فى حِذْقٍ بصنعته * أنى توجه فيها فهو محـروم

العتبي

١٥

قالت عهِدتُك مجنونًا، فقلتُ لها : * إن الشـبابَ جنون برؤه الكِبَرَ

وقال أيضا

وحسبُك من حادثٍ بامرئٍ * يرى حاسـديه له راحمينا

أبو سعيد المخزومى: وآسمه عيسى بن خالد بن الوليد، والصحيح أنه أبو سعد لا سعيد .

فمما يُتمثل به من شعره قوله

وكم رأينا للدهر من أسَدٍ * بالت على راسه ثعالبُهْ

٥ وقال أيضا

إذا ضنّ الجَوادُ بما لديه * فما فضلُ الجواد على البخيل؟

وقال أيضا

ليس لبسُ الطيالسْ * من لباسِ الفوارسْ
لا ولا حَوْمة الوغى * كصدور المجالس
١٠ وظُهورُ الجيادِ غيرُ * ظهور الطنافس
ليس من مارس الخطو * ب كمن لم يمارس

(٢٧) دِعْبِل بن علىّ الخزاعىّ : هو أبو جعفر وآسمه محمد ودعبل لقبٌ غَلَب عليه، والدِعْبِلُ : البعيرُ المسنُّ، وقيل : الناقةُ التى معها أولادها .

فمما يُتمثل به من شعره قوله

١٥ لا تعجبى ياسَلْمُ من رجل * ضَحِكَ المشيبُ برأسه فبكى

وقال ايضا

هى النفس ما حسّنته فمُحسَّن * إليها وما قبّحتَه فمُقَبَّح

وقال أيضا

جئنا به يشفع فى حاجةٍ * فاحتاج فى الإذن إلى شافع

وقال أيضا

تلك المساعى اذا ماأخرت رجلا * أحب للناس عيبًا كالذى عابهْ
كذاك من كان هَدْمُ المجد عادَتَه * فإنه لبِنـاء المجـدِ عَيَّابهْ

إسحاق بن إبراهيم المَوصلىّ

وكلُّ مسافرٍ يزداد شـوقًا * إذا دنتِ الديارُ من الديارِ

المؤمل بن أميل

إذا مَرِضنا أتيناكم نَعودكمُ * وتذنبون فنأتيكم ونعتــذرُ
لاتحسَبونى غنيًا عن مودّتكم * انى إليكم و إن أيسرت مفتقرُ

إبراهيمُ بن العباس بن محمد بن صُول مولى يزيد بن المُهَلّب يُكنى أبا إسحاق ، وأصله من خُراسان .

فما يُتمثل به من شعره قوله

ورب أخٍ ناديتُــه لمُلمة * فألفيتُه منها أجلّ واعظا

وقال أيضا

وكنت أذُمّ إليك الزمانَ * فأصبحتُ فيك أذمّ الزمانا
وكنت أُعدّك للنائبـات * فها أنا أطلبُ منك الأمانا

وقال أيضا

دنت بأناس عن تناءٍ زيارةٌ * وشَطّ بليلى عن دُنوٍّ مَزارُها
وإنّ مقيماتٍ بمُنقَطِعِ اللوى * لأقرب من ليلى وهاتيك دارُها

أبو عليّ البصير : وهو الفضل بن جعفر الكوفيّ يقول

فلا تعتذرْ بالشُّغل عنّا فإنّما * تناطُ بكَ الآمال ما اتصل الشُّغلُ

وقال أيضا

لعمر أبيكَ ما نُسب المعلّى * الى كرم وفى الدنيا كريمُ
٥ ولكنّ البلادَ إذا اقشعرّت * وصوّح نبتُها رُعى الهشيمُ

سعيد بن حميد يقول

* إنّ جَهد المقلّ غير قليل * * وعلى المريب شواهدٌ لا تدفعُ *

وقال أيضا

و إنك كالدنيا تُذَمّ صروفها * ونوسعها سبّا ونحن عبيدها

١٠ عليّ بن الجهم يقول

ولكلّ حال مَعْقَبٌ ولربما * أجلَى لك المكروهُ عمّا تَحمَدُ .

وقال أيضا

وعاقبةُ الصبر الجميل جميلة * وأفضل أخلاق الرجالِ التفضُّلُ
ولا عار إن زالت عن المرء نعمةٌ * ولكنّ عارا أن يزولَ التجمُّلُ

١٥ وقال أيضا ..

ارضَ للسائل الخُضوعَ وللقا * رفِ ذنبًا مَذلّةَ الأعذارِ

ابن أبي فنن : هو أحمد بن صالح بن أبي معشر مولى المنصور يقول

أرى الدهرَ يُخلِقُني كلّما * لبستُ من الدهرِ ثوبًا جديدا

وقال أيضا

سُرَّ من عاش مالُه فإذا حا * سَــبهُ اللهُ سَرَّهُ الإعدامُ

وقال أيضا

ربَّ أمرٍ سرَّ آخرُهُ * بعد ما ساءَتْ أوائلُهُ

يزيد بن محمد المهلبيّ يقول

٥

* لا عار إن ضامك دهرٌ أو مَلِكْ *

وقال

وإن النّاسَ جمعهُمُ كثيرٌ * ولكنْ من تُسَرُّ به قليــلُ

وقال أيضا

ومن ذا الذى تُرضى سجاياه كلُّها * كفى المرء نُبْلًا ان تعدَّ معايبُــهْ

١٠

عمارة بن عقيل بن بلال بن جرير يقول

فإنــ تلحظى حالى وحالَك مرّةً * بنظرةِ عين عن هوى النفس تُحجَبُ

تَرَىْ كلَّ يوم مرَّ من بؤس عيشتى * عليــك بيومٍ من نعيمك يُحسبُ

أحمد بن أبى طاهر يقول

ودين الفتى بين التماسك والنهى * ودنيا الفتى بين الهوى والتعزّرِ

١٥

وقال أيضا

حسن الفتى أن يكون ذا حسبٍ * من نفسه، ليس حسنَه حسبُهْ

أبو تمام حبيب بن أوس الطائى يقول

* ما الحبّ الإ للحبيب الأوّل * * لسان المرء من جذم الفؤاد *

* وذى النقص فى الدنيا بذى الفضل مولع *

٢٠

وقال

ما أبَّ مَنْ أبَّ لم يظفر بحاجته * ولم يُعَبْ طالبٌ للنُّجح لم يُجَبِ

وقال أيضا

ومن لم يُسلِّم للنوائب أصبحتْ * خلائقه طرًّا عليـــه نوائبَــا

٥ وقال أيضا

لأمرٍ عليهم أن يتمَّ صدورُهُ * وليس عليهم أن تتم عواقِبُهْ

وقال أيضا

لاتنكرى عَطَلَ الكريم من الغِنى * فالسيلُ حَرْبٌ للمكانِ العــالى

وقال أيضا

١٠ واذا تأملتَ البــلادَ رأيتهــا * تُثرِى كما تُثرِى الرجالُ وتُعدِمُ

وقال أيضا

واذا امرؤ أهدى اليك صنيعةً * من جاهه فكأنهــا من ماله

وقال أيضا

خلقنا رجالا للتجــلد والأسى * وتلك الغوانى للبــكا والمآتم

١٥ وقال أيضا

ينال الفتى من عيشه وهو جاهلٌ * ويُكدِى الفتى فى دهره وهو عالمُ

ولو كانت الأرزاق تجرى على الحجى * هلكن إذًا من جهلهنّ البهائمُ

وقال أيضا

أآلفــة النحيب كم آفتراق * أظلَّ فكان داعيةَ آجتماعِ

٢٠ وليست فرحةُ الأوبات إلا * لموقوفٍ على تَرَحِ الوداعِ

وقال أيضا

وإذا أراد الله نشرَ فضيلة * يوما، أتاح لها لسان حَسودِ
لولا آشتعال النار فيما جاورت * ما كان يُعرف طيبُ عَرْفِ العودِ

وقال أيضا

خشعوا لصولتك التي هي عندهم * كالموت يأتى ليس فيه عار ٥

وقال أيضا

ذاك الذى قَرِحتْ بطونُ جفونه * مَرَهًا وتربة أرضه من إثمد

(٢٨) وقال أيضا

وتَركى سرعة الصَّدَر آعتباطًا * يدلّ على موافقة الورود

وقال أيضا ١٠

ولم أر كالمعروف تُدعى حقوقُه * مغارمَ فى الأقوام وهى مَغانمُ

وقال أيضا

وإن آمرءًا ضنّت يداه على آمرئ * بنيلِ يدٍ من غيره لبخيلُ

أبو عُبَادة البُحترىّ، وهو الوليد بن عُبَيد بن يحيى بن عُبَيد بن شَمْلان بن جابر آبن مُسلمة بن مُسهِر بن الحارث بن خَيْثَم بن أبى حارثة بن جدى بن تَدُول بن بُحْتُر ١٥ الطائىّ .

فمما يتمثل به من شعره قوله

* وأبرحُ مما حلّ ما يُتوقَّعُ *

وقال أيضا

* وليس تقترن النعماءُ والحسدُ *

وقال أيضا

* إن المعنَّى طالبٌ لا يظفرُ *

وقال أيضا

* أرى الكفرَ للنعماء ضربا من الكفرِ *

٥ وقال أيضا

* يزين اللآلى فى النظام آزدواجها *

وقال

وكان رجائى أن أؤوب مملَّكا * فصار رجائى أن أؤوب مسلَّما

وقال أيضا

١٠ متى أَحرجتَ ذا كرم تخطَّى * اليك ببعض أخلاق اللئيمِ!

وقال أيضا

والشىء تُمنَعُـه يكون بفَـوْتِه * أجدى من الشىء الذى تُعطاهُ

وقال أيضا

تناسَ ذنوبَ قومك إنّ حفظَ الـ * ـذنوبِ اذا قدمنَ من الذنوبِ

١٥ وقال أيضا

واذا ما خَفيتُ كنتُ حَرِيًّا * أن أُرى غير مُصبح حيث أُمسِى

وقال أيضا

متى أرت الدنيا نباهةَ خاملٍ * فلا تنتظرْ إلا خُمولَ نبيـهِ

وقال أيضا

٢٠ وأرى النجابةَ لا يكون تمـامُها * لنجيب قوم ليس بابن نجيب

وقال أيضا

وإذا ما الشريفُ لم يتواضعْ * للأخلاّءِ فهو عينُ الوضيعِ

وقال أيضا

ولم أر أمثـالَ الرجال تفاوتتْ * الى المجد حتى عُدَّ ألفٌ بواحد

وقال أيضا

٥

ليس الذى يُعطيـك تالدَ ماله * مثلَ الذى يُعطيك مالَ الناسِ

وتَفاضُل الأخلاقِ إن حصَّلتَها * فى الناس حيثُ تفاضلُ الأجناسِ

وقال أيضا

لاييأس المرء أن ينجّبَه * ما يحسَبُ الناسُ أنه عطبُهْ

يسرّك الشيءُ قد يسوءُ وكم * نوّه يوما بخامل لقبُهْ

١٠

وقال أيضا

اذا محاسِنِيَ اللاتى أدلُّ بها * كانت ذنوبى فقل لى كيف أعتذرُ؟

وقال أيضا

وعطاءُ غيرك إن بذلْـتَ عنايةً فيه عطاؤكْ

ديك الجن، وآسمه عبد السلام بن رَغْبان بن عبدالسلام بن حبيب بن عبد الله ابن رغبان بن زيد بن تميم بن مجد من أهل حمص يقول

١٥

وشافِى النصح يُعدَل بالأشافِى * وليس القِـدر إلا بالأثافى

وقال

اذا شجر المـودة لم تجـدهُ * بغيث البِرِّ أسرع فى الجفافِ

وقال أيضا

يرقدُ الناسُ آمنين وريب الـ * ـدهر يرعاهمُ بمقلة لصّ

ابن الرومىّ يقول

وكم داخلٍ بين الحميمين مصلح * كما انفلّ بين العين والجفن مِروَدُ

٥ وقال أيضا

هو بازٍ صائد أرسلتُهُ * فارجعوه سالما إن لم يَصِدْ

وقال أيضا

وما الحمد إلا توأم الشكر فى الفتى * وبعض السجايا ينتسبن الى بعضِ

اذا الأرض ردّت ريْعَ ما أنت زارعٌ * من البذر فهى الأرض ناهيك من أرضِ

١٠ وقال أيضا

واذا أتاك من الأمور مقدَّرٌ * ففررتَ منه فنحوهُ تتوجّهُ

وقال أيضا

كيف تَرضَى الفقر عِرسا لامرئٍ * وهو لا يَرضَى لك الدنيا أَمَهْ!

وقال أيضا

١٥ عدوُّك من صديقك مستفادٌ * فلا تستكثرنّ من الصحابِ

فإن الداءَ أكثر ما تراه * يكون من الطعام أو الشرابِ

عبد الله بن المعتزّ يقول

* فإن العيون وجوهُ القلوبِ *

وقال أيضا

٢٠ * أمّ الكرام قليلةُ الأولاد *

وقال أيضا

* أبطأُ فيض الدلاء أملؤها *

وقال أيضا

اِصبر على كيد الحسو * د فإن صبرك قاتلُهْ

فالنار تأكل بعضها * إذ لم تجد ما تأكله ٥

وقال أيضا

ولا همَّ إلا سوف يُفْتَحُ قُفلُه * ولا حالَ إلا للفتى بعدها حالُ

وقال أيضا

لا تأمنوا من بعد خيرٍ شرًّا * كم غُصُنٍ أخضرَ عاد جمرَا

وقال أيضا ١٠

وإنى على إشفاق عينى من البكا * لتجمح منى نظرة ثم أُطرِقُ

كما حُلِّئت عن ماء برد طريدةٌ * تمدّ اليه جيدَها وهى تَفرقُ

وقال أيضا وإشارته الى الديك

صفَّق إما ٱرتياحةً لسَنا الـ * ـفجر وإما على الدجى أسفا

عبيدٱلله بن عبد الله بن طاهر ١٥

ألم ترأن المرءَ تدوَى يمينُه * فيقطعها عمدا ليسلمَ سائرُهْ؟

فكيف تراه بعد يمناه صانعا * لمن ليس منه حين تدوَى سرائرُهْ؟

وقال أيضا

ألا قبّح الله الضرورةَ إنها * تكلّف أعلى الخُلْقِ أدنى الخلائقِ!

وقال أيضا

وكم قائل قد قال مالك راجلا؟ * فقلت له من أجل أنك فارس!

وقال أيضا

ومن سرّه أن لا يرى ما يسوءُه * فلا يتّخِذْ شيئا يَخاف له فقدَا

٥ ابن طباطبا العلوىّ: هو أبو الحسن محمد بن أحمد العلوى الأصبهانى يقول

إنّ فى نيل المُنَى وشكَ الردى * وقياس القصد عند السرفِ

كسراج دهنه قوتٌ له * فاذا غرّقته فيه طُفى

وقال أيضا

لقد قال أبو بكر * صوابا بعد ما أنصتْ

١٠ خرجنا لم نصد شيئا * وما كان لنا أفلتْ

وقال أيضا

يا عيشنا المفقودَ خذ من عمرنا * عامًا وردَّ من الصِّبا أياما!

منصور الفقيه المقرئ يقول

يا من يخاف أن يكو * ن ما أخافَ سرمدَا

١٥ أما سمعتَ قولَهم * إنَّ مع اليوم غدًا!

وقال أيضا

الملح يُصلح كلّ ما * يُخشى عليه من الفسادِ

فاذا الفساد جرى عليه * فحكمه حُكْمُ الرَّماد

وقال أيضا

٢٠ كلُّ مذكورٍ من الناس اذا ما * فقدوه صار فى حكم الرَّماد

وقال أيضا

كلّ مذكورٍ من النـ * ـاس اذا ما فقدوه

صار فى حكم حديث * حفظوه ونســـوه

وقال أيضا

كلّ من أصبح فى دهـ * ـرك ممن قد تراهْ

هو من خلفك مِقرا * ض وفى الوجه مِراهْ

ابن بسّام : هو على بن محمد بن نصر بن منصور بن بسّام كنيته أبا الحسن يقول

* وكم أُمنيّة جلبتْ منيّة *

وقال

ولولا الضرورةُ ما جئتكم * وعندالضرورةيؤتَى الكنيف !

وقال أيضا

قل لأبى القاسم المرجّى * قابلك الدهر بالعجائبْ

مات لك آبنٌ وكان زينا * وعاش ذو الشين والمعائبْ

حياة هذا كموت هــذا * فلست تخلو من المصائبْ

وقال أيضا

ربّ يوم بكيت منه فلما * جزت فى غيره بكيت عليه

وقال أيضا

قــد يحمل الشيخُ الكبيـ * ـرُ جنازةَ الطفلِ الصغيرِ

جَحْظَــة : هو أبو الحسن أحمــد بن جعفر بن موسى بن يحيى بن خالد بن برمك

النديم يقول

* وللمساكين ايضا بالندى وَلَعٌ *

وقال أيضا

* وآفة التبر ضُعفُ منتقِده *

وقال أيضا

* متى يلتقى الميْتُ والغاسلُ؟ *

وقال أيضا

لا تعدّنّ للزمان صديقا * وأعدّ الزمان للأصدقاءِ

وقال أيضا

وما كذب الذى قد قال قبلى: * اذا ما مرّ يوم مرّ بعضى

وقال أيضا

اذا الشهر حلّ ولا رزقَ لى * فعَدِّى لأيامه باطلُ

وقال أيضا

واذا جفانى جاهلٌ * لم أستخر ما عشتُ قطعَهْ
وجعلته مثل القبو * ر أزوره فى كلّ جمعَهْ

الصنوبرىّ يقول

مِحَن الفتى يُخبرنَ عن فضل الفتى * كالنار مخبرةٌ بفضل العنبرِ

وقال أيضا

ربَّ حال كأنها مُذْهَبُ الديـ * ـباج صارت من رقة كاللاذ(١)
وزمانٍ مثل ابنة الكَرْم حُسنا * عاد عند العيون مثلَ الداذى(٢)
أو ما من فساد رأى الليالى * أنّ شعرى هذا وحالىَ هذى!

---

(١) اللاذة : ثوب حرير أحمر صينىّ والجمع : لاذ .

(٢) الداذىّ : شراب للفسّاق .

أبو الفتح كُشاجم : هو محمود بن الحسين بن السندىّ بن شاهك، وشاهك أمّه يقول

يُعاد حديثه فيزيد حُسنا * وقد يُستقبَحُ الشىءُ المُعادُ

وقال أيضا

شخَصَ الأنامُ الى جمالكَ فاستعِذْ * من شرّ أعينهم بعيبٍ واحد! ٥

*
* *

وممـا يتمثّل به من أشعار المولَّدين : منهم

أبو فراس الحمدانىّ

غِنَى النفس لمن يعقـ * ـل خير من غِنَى المالِ

وفضل الناس فى الأنفـ * ـس ليس الفضل فى الحال ١٠

وقال أيضا

ونحن أناسٌ لا توسّط عندنا * لنا الصدر دون العالمين أو القبرُ

تهون علينا فى المعالى نفوسُنا * ومَن خطَبَ الحسناءَ لم يغلِهِ المَهرُ

وقال أيضا

وندعو كريمـا مَن يجود بماله * ومَن يبذل النفس النفيسة أكرمُ ١٥

وقال أيضا

وجميل العدوّ غير جميلٍ * وقبيحُ الصديق غير قبيح!

أبو الطيب المتنبّى يقول

* مصائبُ قومٍ عند قومٍ فوائد *

وقال أيضا

* إن المعارفَ فى أهل النُّهى ذِمَمُ *

وقال أيضا

* وخيرِ جليسٍ فى الزمان كتابُ *

٥ وقال أيضا

* وتأبَى الطباعُ على الناقلِ *

وقال أيضا

* ومنفعة الغوث قبل العطب *

وقال أيضا

١٠ * ومن فرح النفس ما يقتلُ *

وقال أيضا

* اذا عظم المطلوب قَلّ المساعدُ *

وقال أيضا

* أنا الغريق فما خوفى من البللِ *

١٥ وقال أيضا

* فإن الرفق بالجانى عتابُ *

وقال أيضا

* بغيضٌ الىّ الجاهلُ المتعاقلُ *

وقال أيضا

٢٠ وكلّ آمرئٍ يولى الجميلَ محبّبٌ * وكلّ مكان يُنبت العزَّ طيّبُ

وقال أيضا

اذا أنتَ أكرمتَ الكريم ملكتَه * وإن أنتَ أكرمتَ اللئيمَ تمـــرّدا

ووضع الندى فى موضع السيف بالعُلى * مضرٌّ كوضع السيف فى موضع الندى

وقال أيضا

والأمر لله، ربَّ مجتهدٍ * ما خاب إلا لأنه جاهـدُ ٥

وقال أيضا

وليس يصحّ فى الأفهام شىء * اذا آحتاج النهار الى دليـــلِ

وقال أيضا

ومن نكدِ الدنيا على الحرِّ أن يرى * عـدوّا له ما من صداقته بُدُّ

وقال ١٠

وإذا كانت النفوسُ كِبارًا * تعبتْ فى مرادها الأجسامُ

وقال أيضا

وإن يكن الفعلُ الذى ساء واحدا * فأفعـاله اللّاتى سَررنَ أُلوفُ

وقال أيضا

وإذا أتتك مذمّتى من ناقص * فهى الشهادة لى بأنى فاضــلُ ١٥

وقال أيضا

وما الحُسنُ فى وجه الفتى شرفا له * اذا لم يكن فى فعـلِه والخلائقِ!

وقال أيضا

وما يوجع الحرمانُ من كفّ حارمٍ * كما يوجع الحرمانُ من كفِّ رازقٍ!

وقال أيضا

إنّا لفى زمنٍ تركُ القبيح به * من أكثر الناس إحسانٌ وإجمالُ

ذكرُ الفتى عمرُه الثانى وحاجته * ما فاته وفضول العيش أشغالُ

وقال أيضا

٥ وقيّدتُ نفسى فى ذراك محبّةً * ومَنْ وجَد الإحسان قيدًا تقيّدا

وقال أيضا

ما كلّ ما يتمنّى المرءُ يُدركه * تجرى الرياحُ بما لا تشتهى السفُنُ!

السرىّ بن أحمد بن السرىّ الموصلىّ يقول

اذا العبءُ الثقيل توزّعتْه * أكفّ القوم هان على الرقاب

١٠ وقال أيضا

فإنك كلّما آستُودعتَ سرًّا * أنمُّ من النسيم على الرياض

وقال أيضا

إلى كم أحبِّر فيك المديحَ * ويلقى سواى لديك الحُبورا؟

أبو بكر محمّد بن هاشم الخالدىّ يقول

١٥ إن خانك الدهرُ فكن عائذًا * بالبيد والظّلْماءِ والعيس

ولا تكن عبدَ المنى فالمُنى * رءوس أموال المفاليس

وقال أيضا

وأخٍ رَخُصتُ عليه حتى ملّنى * والشىء مملول اذا ما يَرخُصُ

ما فى زمانك ما يعزّ وجودُه * إن رمتَه إلا صديق مخلصُ

أبو عثمان سعيد بن هاشم الخالدىّ [أخوه] يقول

يا هـذه إن رحتُ فى * خَلَق فمـا فى ذاك عارُ
هذى المُدام هى الحيا * ة قميصها خِرَقٌ و قَارُ

وقال أيضا

صغيرٌ صرفتُ اليه الهوى * وما خاتمٌ فى سوى خِنْصَر ٥

الخَبَّاز البلدىّ : هو أبو بكر محمد بن أحمد بن حمدان، نسـبة الى "بلد" وهى من بلاد الجزيرة التى منها المَوصل يقول

اذا ٱستثقلتَ أو أبغضتَ خَلْقا * وسَرّك بعـدُه حتى التّنادِ
فشرّده بقرض دُريهمات * فإن القَرض داعيةُ الفسادِ

أبو إسحاق الصابئ يقول ١٠

نِعمُ الله كالوحوش وما تأ * لف إلّا الأخايرَ النُّسا كا
نفّرتهـا آثامُ قوم وصارتْ * لأولى البرِّ والتُّقى أشرا كا

وقال أيضا

ومن الظلم أن يكون الرضى سـ * ـرا ويبدو الإنكار وسْطَ النادى

وقال أيضا ١٥

الضبّ والنون قد يُرجى ٱلتقاؤهمـا * وليس يرجى التقاء اللبِّ والذّهبِ

عبد العزيز عمر بن نُباته يقول

فلا تَحقِرنّ عدوّا رماك * وإن كان فى ساعِديه قِصَرْ
فإن السيوف تَحزّ الرقابَ * وتعجز عمـا تنال الإبر

وقال أيضا

مَثَلٌ خلعتُ على الزمان رداءه * عَوَزُ الدراهم آفةُ الأجواد

وقال أيضا

يهوى الثناءَ مُبرِّز ومُقصِّر * حُبُّ الثناء طبيعة الإنسان

٥ وقال أيضا

ونَبَتْ بنا أرضُ العرا * ق فما مُجَنَّاها بمُجنه

غير الرحيل، كفى البلا * د برِحلةِ العجفاء هُجنه

ابن لنكك البصرىّ : هو أبو الحسين محمد بن محمد يقول

وماذا أُرجّى من حياةٍ تكدّرت ؟ * ولو قد صفت كانت كأضغاث أحلام

١٠ وقال أيضا

عـدِمنا فى زماننـا * عن حديث المكارمِ

من كفى الناس شرَّه * فهو فى جود حاتمِ

وقال أيضا

جار الزمانُ علينـا فى تَصرّفه * وأىّ دهرٍ على الأحرار لم يَجُـرِ

١٥ عندى من الدهر مالو أنّ أيسره * يُلقَى على الفَلَك الدوّار لم يَدُرِ

أبو الحسن عبدالله بن محمد بن محمد السلامىّ يقول

تبسّـطنا على الأيام لما * رأينا العفو من ثمر الذنوب

وقال أيضا

والمرء ما شغلته فرصة لذة * ناسى الحوادث آمن الحِدْثانِ

وقال

وكان رقادى بين كأسٍ وروضـــة * فصار سُهادى بين طِرْفٍ وصارمِ

وقال أيضا

ركوبُ الهولِ أركبك المَذاكى * ولُبْسُ الدرع ألبسك الغلائلْ

أبو الفرج البَبَّغا يقول

ما الذل إلا تحمُّـــل المِنَنِ * فكن عزيزًا إن شئتَ أو فَهُنِ

وقال أيضا

ومن طلب الأعداءَ بالمـال والظُبى * وبالســعد لم يبعُد عليــه مرامُ

وقال أيضا

ولم أر مُذ عرفتُ محلَّ نفسى * بلوغَ مُنى تساوى حمـلَ مَنٍّ

وقال أيضا

أكلُّ وميض بارقة كذوبُ * أما فى الدهر شئٌ لا يريب؟

ابن سُكَّرة الهاشمىّ : هو محمد بن عبد الله يقول

* وعلة الحال تُنسى علّة الجسد *

وقال أيضا

* وقد ينبت الشوك بين الأقاحى *

وقال أيضا

الموت أنصف حين عدّل قِسْمَة * بين الخليفـة والفـقير البائسِ

ابن الحَجّاج : هو عبد الله الحسين بن أحمد بن الحجاج يقول

* وربَّ كلام تُستثار به الحربُ *

وقال أيضا

* خَود تُزَف الى ضريرٍ مُقعد *

وقال أيضا

واللوزة المزة يا سادتى * يفسد فى الطَّعم بها السكَّرُ

٥ وقال أيضا

ما زلتُ أسمع كم من واقفٍ خجِلٍ * حتى ٱبتليتُ فكنتُ الواقفَ الخجِلَا

وقال أيضا

وبى مرضان مختلفان حال الشعليلة منهما يمنى بحالى

اذا عالجتُ هذا جفّ كِبْدى * وإن عالجتُ ذاك رَبَى طِحالى

١٠ أبو الحسن المُوسوىّ النقيب : هو محمد بن الحسين بن موسى يقول

أمسيتُ أرحمُ من قد كنتُ أغبطه * لقد تقارب بين العزّ والهُون

ومنظرٍ كان بالسرّاء يضحكنى * يا قرب ما عاد بالضّراء يُبكينى

وقال أيضا

والحزم من حذر الهوا * ن يزاول الامر الجسيما

١٥ وهو العظيم وغير بدْ * ع منه إن ركب العظيما

وقال أيضا

ما السُّؤددُ المطلوب إلّا دون ما * يُومى اليه السؤدد المولودُ

فاذا هما ٱتّفقا تكسرت القنا * إن غالبَا وتضعضع الجُلمودُ

وقال أيضا

٢٠ اشترِ العزّ بما بيع * فما العزّ بغالى

بالقِصارِ البيضِ إن شئـ * ـتَ أو السُمرِ الطِوالِ

ليس بالمغبون عقلا * مشـتر عزًّا بمـال

إنمـا يُدّخر المـال * لحـاجات الرجالِ

والفتى من جعل الأمـ * ـوال أثمـان المعالى

٥

أبو طالب المأمونيّ يقول

لى فى ضمير الدهر سرٌّ كامنٌ * لابدّ أن تستلّه الأقـدارُ

وقال أيضا

وما شرفُ الإنسان إلا بنفسه * أكان ذووه سادة أم مواليا

وقال

(٣١) اذا الغيث وفّى الروضَ واجبَ حقّه * وزاد فإن الغيث للروض ظالمُ ١٠

ابن العميد : هو أبو الفضـل محمد بن أبى عبد الله الحسين بن محمد ، عُرف بابن العميد، كان أبوه أبو عبـد الله وزير مرداويج توفى ابن العميد بالرّىّ فى محرّم سنة ستين وثلثمائة يقول

لن يصرف الدهر من سجيّته * أرب أريب وحول ذى حيل

أىّ مَعين صـفا على كدر الدهر وأىّ النعـيم لم يزلِ ١٥

وقال أيضا

من يُشفَ من ذا بآخر مثـلهِ * أثرتْ جوانحـه من الأدواءِ

داوى جوى بجوى وليس بحازم * من يَستكفّ النـارَ بالحَلفاءِ

الصاحب بن عَبّاد : هو أبو القاسم إسماعيل بن عبّاد. توفى فى صفر سنة خمس وثمانين وثلثمائة وعمره خمس وستون سنة وسمىّ بالصاحب لصحبة ابن العميد يقول

* بقدر الهموم تكون الهمم * * كم صارمٍ جُرِّبَ فى خنزيرِ *

وقال أيضا

٥ لقد صدقوا والراقصات الى مِنى * بأن مودّات العـدا ليس تنفعُ

ولو أنّى داريت دهرىَ حيّـة * اذا آستمكنت يوما من اللسع تلسعُ

الحسن بن علىّ بن عبد العزيز القاضى يقول

* القلبُ يُدرِك ما لا يُدرِك البصر * * يُملك الأحـرارُ بالإينـاسِ *

وقال أيضا

١٠ وما أعجبتنى قطّ دعوى عريضةٌ * ولو قام فى تصديقها ألفُ شاهدِ !

وقال أيضا

يقولون لى فيـك آنقباض وإنّمـا * رأوا رجلا عن موقف الذل أحجما

اذا قيل هـذا مَورِدُ قلت قد أرى * ولكنّ نفس الحُـرّ تحتمل الظما

وقال أيضا

١٥ وقالوا آضطرب فى الأرض فالرزقُ واسع * فقلتُ ولكن مطلب الرزق ضـيّقُ

اذا لم يكن فى الأرض حرّ يعينى * ولم يك لى كسبٌ فمن أين أُرزقُ؟

أبو بكر محمد بن العباس الخوارزمىّ يقول

* ومن عجب الأيام تَركُ التعجّبِ *

وقال أيضا

٢٠ * لكلّ صناعة يوما مديلُ *

وقال أيضا

واذا مدة الشــوق تناهت * جاءه من شــقائه متقاضى

وقال أيضا

عليك بإظهار التجلّد للعـــدا * ولا تظهرنْ منهـا الدنوّ فتُحقرا

بديع الزمان أبو الفضل الهمَذانىّ ، أحمد بن الحسين بن يحيي بن سعيد تُوفى سنة ثمانٍ وتسعين وثلثمائة مسموما وأوفى على الأربعين سنة يقول ٥

ياحريصا على الغــنى * قاعدًا بالمراصــدِ !

لست فى سعيك الذى * خضت فيه بقاصـدِ

إن دنيـاك هــذه * لست فيهـا بخـالدِ

بعض هــذا فإنمـا * أنتَ سـاعٍ لقاعــدِ ١٠

إسماعيل الناشئ يقول

* وللشباب نراعى حرمة الكتم *

وقال أيضا

وكنت أرى أنّ التجارب عـدّة * فخانت ثقات الناس حتى التجاربُ

وقال أيضا

فركضـا فى ميادين التصابى * أحقُّ الخيـل بالركض المُعارُ ١٥

وقال أيضا

ولَا تجـزعنّ على أيكة * أبت أن تُظلّك أغصانُها

أبو الفتح علىّ بن محمد البستىّ يقول

اذا مرّ بى يوما ولم أتخــذ يدًا * ولم أستفدْ علما فما ذاك من عمرى!

وقال أيضا

أنا كالوَردِ فيـه راحةُ قوم * ثُمّ فيــه لآخرين زكامُ!

٥ وقال أيضا

لا ترجُ شيئًا خالصا نفعُـه * فالغيث لا يخلو من العيثِ

وقال أيضا

ولم أرَ مثـلَ الشكر جَنّـة غارسٍ * ولا مثلَ حسنِ الصبرِ جُنّة لابسِ

وقال أيضا

١٠ ولن يشرب السمّ الزُّعاقَ أخو الحجى * مُـدِلًّا بدرياقٍ لديه مجــرّبِ

وقال أيضا

ما آستقامتْ قناةُ رأيىَ إلا * بعدَ أن عوّج المشيبُ قنـاتى

وقال أيضا

وطول جِمامِ المـاءِ فى مُستقرّه * يغــيّره لونا وريحـا ومَطعما

١٥ وقال أيضا

اذا حيوانٌ كان طعمةَ ضدّه * توقّاه كالفأر الذى يتّقى الهـرّا

ولا شك أن المرءَ طعمةُ دهره * فما باله ياويحه يأمن الدهرا!

وقال أيضا

لا تحقر المـرءَ إن رأيت به * دمامــةً أو رثاثة الحُلَــلِ

٢٠ فالنحل لا شــك فى ضؤولته * يَشتارُ منه الفتى خيرَ العسـل

البـاب الثـانى
من القسم الثانى من الفن الثانى

فى أوابد العرب

ومعنى الأوابد هاهنا : الدواهى؛ وهى مما حمى الله تعالى هذه الملّة الإسـلاميّة منها، وحذر المؤمنين عنها. فقال تعالى (يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنْصَابُ وَالْأَزْلَامُ رِجْسٌ مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ) وقال تعالى (مَا جَعَلَ اللهُ مِنْ بَحِيرَةٍ وَلَا سَائِبَةٍ وَلَا وَصِيلَةٍ وَلَا حَامٍ) وقال تعالى (إِنَّمَا النَّسِيءُ زِيَادَةٌ فِي الْكُفْرِ يُضَلُّ بِهِ الَّذِينَ كَفَرُوا يُحِلُّونَهُ عَامًا وَيُحَرِّمُونَهُ عَامًا) وكانت للعرب أوابدُ جعلوها بينهم أحكاما ونسكا وضلالة وعادة ومداواة ودليلا وتفاؤلا وطِيَرَةً . فمنها :

البَحِيرَةُ :

قالوا : كان أهل الوبر يُعطون لآلهتهم من اللحم، وأهلُ المدر يُعطون لها من الحرث، فكانت الناقة اذا أنتجت خمســة أبطن عمدوا الى الخامس مالم يكن ذكرا فشـقّوا أذنها، فتلك : البحيرة؛ فربما آجتمع منها هَجمةٌ من البحر فلا يُجَزّ لها وبر ولا يذكر عليها إن ركبت آسم الله، ولا إن حمل عليها شىء، فكانت ألبانها للرجال دون النساء.

الوصيلة :

كانت الشاة اذا وضَعت سـبعة أبطن عمدوا الى السابع ، فإن كان ذكرا ذُبح ، وإن كانت أنثى تُركت فى الشاء، فان كان ذكرا وأنثى قيل : وَصلتْ أخاها، فحُرّما جميعا، وكانت منافعها، ولبن الأنثى منها للرجال دون النساء .

السائبة :

كان الرجل يسيّب الشيء من ماله ، إما بهيمةً أو إنسانا ، فتكون حراما أبدا ، (٣٢)
منافعها للرجال دون النساء .

الحامى :

٥ كان الفحل اذا أدركتْ أولادُه فصار ولده جَدًّا قالوا : حمى ظهره، آتركوه فلا يحمل
عليه، ولا يركب، ولا يمنع ماء، ولا مرعى، فاذا ماتت هذه التى جعلوها لآلهتهم،
آشترك فى أكلها الرجال والنساء، وذلك قوله تعالى (وَقَالُوا مَا فِي بُطُونِ هٰذِهِ الْأَنْعَامِ
خَالِصَةٌ لِذُكُورِنَا وَمُحَرَّمٌ عَلَى أَزْوَاجِنَا وَإِنْ يَكُنْ مَيْتَةً فَهُمْ فِيهِ شُرَكَاءُ) قالوا : وكان
أهـل المدر والحرث اذا حرثوا حرثا ، أو غرسوا غرسا ، خطّوا فى وسطه خطًّا ،
١٠ فقسموه بين آثنين فقالوا : مادون هذا الخط : لآلهتهم، وما وراءه : لله؛ فإن سقط
ممّـا جعلوه لآلهتهم شيء فيما جعلوه لله ردّوه ، وإن سقط ممـا جعلوه لله فيما جعلوه
لآلهتهم أقرّوه، واذا أرسلوا المـاء فى الذى لآلهتهم، فانفتح فى الذى سموه لله سدّوه،
وإن آنفتح من ذاك فى هـذا قالوا : آتركوه فإنه فقير اليـه ، فأنزل الله عزّ وجلّ
(وَجَعَلُوا لِلَّهِ مِمَّا ذَرَأَ مِنَ الْحَرْثِ وَالْأَنْعَامِ نَصِيبًا فَقَالُوا هٰذَا لِلَّهِ بِزَعْمِهِمْ وَهٰذَا لِشُرَكَائِنَا
١٥ فَمَا كَانَ لِشُرَكَائِهِمْ فَلَا يَصِلُ إِلَى اللَّهِ وَمَا كَانَ لِلَّهِ فَهُوَ يَصِلُ إِلَى شُرَكَائِهِمْ سَاءَ
مَا يَحْكُمُونَ) .

الأزلام :

قالوا : كانوا اذا كانت مداراة أو نكاح أو أمر يريدونه، ولايدرون ما الامر فيه
ولم يصحّ لهم أخذوا قداحا لهم فيها : أفعل ولا أفعل لا يفعل، نعم لا خير، شرٌّ بطيءٌ
٢٠ سريع، فأما المداراة فإن قداحا لهم فيها بيضا ليس فيها شيء فكانوا يحيلونها فمن خرج

سهمه فالحقّ له، وللحضر والسفرَ سهمان ؛ فيأتون السادن من سدنة الأوثان فيقول السادن : اللّهم أيّهما كان خيرا فأخرجه لفلان ، فيرضى بمـا يخرج له ، فاذا شكّوا فى نسب الرجل أجالوا له القداح وفيها : صريحٌ ، وملصَقٌ ؛ فإن خرج الصريح ألحقوه بهم، و إن خرج الملصق نفوه، و إن كان صريحا فهذه قِداح الاستقسام .

الميسر : ٥

قالوا فى الميسر : إن القوم كانوا يجتمعون فيشترون الجُزورَ بينهم، فيفصّلونها على عشرة أجزاء ؛ ثم يؤتَى بالحُرْضَة وهو رجل ينألهُ عندهم لم يأكل لحما قط بثمن ، ويؤتى بالقِداح وهو أحد عشر قِدْحا ، سبعة منها لها حظّ إن فازت ، وعلى أهلها غرم إن خابت، بقدر مالها من الحظّ إن فازت، وأربعة يُنقل بها القداح، لاحظّ لها إن فازت، ولا غرم عليها إن خابت . ١٠

فأما التى لها الحظّ : فأولها الفَذُّ فى صدره حزٌّ واحد؛ فإن خرج أخذ نصيبا، و إن خاب غرم صاحبه ثمن نصيب، ثم التوأم، له نصيبان إن فاز، وعليه ثمن نصيبين إن خاب، ثم الضَّرِيب، وله ثلاثة أنصباء، ثم الحِلْس وله أربعة ، ثم النافس، وله خمسة، ثم المُسْبِل، وله ستة، ثم المُعَلَّى وله سبعة . قالوا : والمسبِل يسمّى : المُصْفَح، والضريب يقال له : الرقيب . ١٥

وقد جمع الصاحب بن عبّاد هذه الأسماء ونظمها فى أبيات فقال

إنّ القِـداحَ أمرُها عجيبُ * الفـذُّ، والتوأمُ،والرقيبُ،

والحِلْسُ، ثمّ النّافسُ المصيبُ * ،والمُصْفَحُ المشتهرالنجيبُ،

ثم المعـلّى حظّه الترغيبُ * هاك فقد جاء بها الترتيبُ،

وأما الأربعة التى يُنقل بها القِداحُ فهى : السَّفيح، والمَنيح، والمُضْعَف، والوغد .

قال ٱبن قتيبة : والمنيح له موضعان : أحدهما لاحظّ له، والثانى له حظّ، فكأنه الذى يُمنح حظّه، وعلى ذلك دلّ قول عمرو بن قبيصة

٥ بأيديهمُ مقرومةٌ ومَغالقٌ * يعودُ بأرزاق العيال مَنيحها

قالوا : فيؤتى بالقِداح كلها وقد عرف كلّ ما ٱختار من السبعة ولا يكون الأيسار إلا سبعة، لا يكونون أكثر من ذلك،فإن نقصوا رجلا أو رجلين، فأحب الباقون أن يأخذوا ما فضل من القداح، فيأخذ الرجل القِدح والقِدحين فيأخذ فوزهما إن فازا، ويغرم عنهما إن خابا ويدعى ذلك : التَّميمُ قال النابغة

١٠ إنى أتمّم أيسارى وأمنحهم * من الأيادىوأكسوا الجفنة الأدَما

فيعمدوا الى القداح، فتُشدّ مجموعة فى قطعة جِلدٍ ثم يعمد الى الحُرْضة فيلف على يده اليمنى ثوبا لئلا يجد مَسّ قِدحٍ له فى صاحبه هوى، فيحابيه فى إخراجه، ثم يؤتى بثوب أبيض يُدعى . المِجْوَلُ، فيبسط بين يدى الحُرْضة، ثم يقوم على رأسه رجل يدعى : الرقيب، ويدفع رِبابةَ القِداح الى الحُرضَة وهو محوّل الوجه عنها، ١٥ والرِّبابة : ما يجمع فيها القداح، فيأخذها ويدخل شماله من تحت الثوب، فينكر القِداحَ بشماله، فاذا نهد منها قدح تناوله فدفعه الى الرقيب . فإن كان مما لا حظّ له رُدَّ الى الرِّبابة، فإن خرج بعده المُسْبِلُ،أخذ الثلاثة الباقية، وغرم الذين خابوا ثلاثة أنصباء من جزور أخرى، وعلى هذه الحال يفعل بمن فاز ومن خاب، فربما نحروا عدة جزور ولا يغرم الذين فازوا من ثمنها شيئا،وإنما الغرم على الذين خابوا ولا يحلّ

للخائبين أن يأكلوا من ذلك اللحم شيئا، فإن فاز قِدحُ الرجل فأرادوا أن يعيدوا قدحه ثانية على خِطار فعلوا ذلك به .

ومنها : نكاحُ المقت : كان الرجل اذا مات قام أكبر ولده فألقى ثوبه على امرأة أبيــه فورث نكاحها، فإن لم يكن له فيها حاجة تزوّجها بعض إخوته بمهر جديد،فكانوا يرثون نكاح النساء كما يرثون المــال، فأنزل الله تعــالى (يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَحِلُّ لَكُمْ أَنْ تَرِثُوا النِّسَاءَ كَرْهًا وَلَا تَعْضِلُوهُنَّ) .

ومنها : رمى البعرة : كانت المرأة فى الجاهليّــة اذا توفى عنها زوجها ، دخلَتْ حَفْشًا، والحَفْشُ : الخُصّ، ولبست شرّ ثيابها ولم تمسّ طِيبا ولا شيئا، حتى تمرّ لها ســنةٌ ثم تؤتى بدابةٍ :حمــارٍ أو شاةٍ أو طيرٍ فتفتضُّ به أى تمسح به، فقلّما تفتضّ بشىء إلا مات ، ثم تخرج على رأس الحول ، فتعطى بعرة فترمى بهــا ، ثم تراجع ما شاءت من طِيب أو غيرِه ومعنى رميها بالبعرة : أنها ترى أن هذا الفعل هيّن عليها مثل البعرة المرميّة، فنسخ الإسلام ذلك بقوله تعالى:(وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنْكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا يَتَرَبَّصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا) .

ومنها : ذبح العتائر : قالوا : كان الرجل منهم يأخذ الشاة ، وتسمّى العَتِيرُ والمعتورةُ فيذبحها ويصبّ دمها على رأس الصنم ، وذلك يفعلونه فى رجبٍ ، والعَتْرُ قيل : هو مثل الذبح، وقيل : هو الصنم الذى يُعتَر له . قال الطرمّاح

* نخر صريعًا مثلَ عاترة النسكِ

أراد بالعاترة : الشاة المعتورة .

عقد السَّلَع والعُشَر : وقد تقدم ذكره عند ذكر أسماء نيران العرب .

ذبح الظبي : كان الرجل ينذر أنه إذا بلغت إبله أو غنمه مبلغا فأذبح عنها كذا،
فاذا بلغت ضنّ بها، وعمد الى الظّباء فيصطادها ويذبحها وفاء بالنذر؛ قال الشاعر:

عَنَتًا باطلًا وزُورًا كما يُعْـ * ـتَرُ عن حَجْرة الرَّبِيض الظباءُ

ومنها : حبس البلايا : كانوا اذا مات الرجل يشدّون ناقته الى قبره، ويعكسون
٥ رأسها الى ذَنَبها، ويغطّون رأسها بوَليّة وهى البردعة، فإن أفلتت لم تُرَدّ عن ماء
ولا مرعًى، ويزعمون أنهم إنما يفعلون ذلك، ليركبها صاحبها فى المَعاد، ليُحشر
عليها، فلا يحتاج أن يمشى؛ قال أبو زبيد

كالبلايا رءوسها فى الولايا * مانحاتِ السَّمومِ حُرَّ الخدودِ

ومنها : خروج الهامة : زعموا أن الإنسان اذا قُتل، ولم يطالَبْ بثأره، خرج
١٠ من رأسه طائرٌ يسمّى : الهامة، وصاح على قبره : آسقونى! آسقونى! الى أن
يطلب بثأره؛ قال ذو الإصبع

يا عمرو إن لا تدعْ شتمى ومَنقصَتى * أضربْكَ حتى تقول الهامةُ: آسقونى

ومنها : إغلاق الظهر : كان الرجل منهم اذا بلغت إبله مائة، عمد الى البعير الذى
أمات به، فأغلق ظهره لئلا يُركب، ويعلم أن صاحبه حمى ظهره، وإغلاق ظهره
١٥ أن ينزع سناسِنَ فقرته ويعقرَ سنامَه .

ومنها : التعمية والتفقئة : وكان الرجل إذا بلغت إبله ألفا فقأ عين الفحل
يقول : إن ذلك يدفع عنها العين والغارة؛ قال الشاعر

وهبتَها وأنت ذو آمتنانٍ * تفقأ فيها أَعين البُعرانِ

فإن زادت عن ألف فقأ العين الأخرى، فهو التعميةُ .

ومنها : بكاء المقتول : كان النساء لا يبكين المقتول إلا أن يُدركَ بثأره، واذا أُدرك بثأره بكينه؛ قال شاعر

من كان مسرورا بمقتل مالكٍ * فليأتِ نسوتَنا بوجهِ نهارِ
يجد النساء حواسرا يندبنـــه * يلطمن حُرَّ الوجهِ بالأسحارِ

ومنها : رمى السنّ فى الشمس : يقولون : إن الغلام اذا ثغر، فرمى سِنّه فى عين الشمس بسبّابته وإبهامه وقال : أبدليني أحسن منها، أمن على أسنانه العوجَ، والفَلَجَ، والثَّعَلَ؛ قال طرفة

بدّلتْـه الشمسُ من مَنبِتهِ * بَرَدا أبيضَ مصقولَ الأشَرْ

ومنها : خضاب النحر : كانوا اذا أرسلوا الخيل على الصّيد فسبق واحدٌ منها، خضبوا صدرَه بدم الصّيد علامة له؛ قال الشاعر

كأن دماء العاديات بنحـره * عصارة حنّاءٍ بشيبٍ مرجّلِ

ومنها : التصفيق : كانوا اذا ضلّ الرجل منهم فى الفلاة، قلَبَ ثيابه، وحبس ناقته، وصاح فى أذنها كأنه يومئ الى إنسان، وصـفّق بيديه : الوحا الوحا، النجا النجا، هيكل، الساعة الساعة، اليَّ اليّ، عجّل؛ ثم يحرّك الناقة فيهتـدى؛ قال الشاعر

وأذّن بالتصفيق من ساء ظنّه * فلم يدرِ من أيّ اليدين جوابها

يعنى : يسوء ظنّه بنفسه اذا ضل .

ومنها : جز النواصى : كانوا اذا أسروا رجلا، ومنّوا عليه فأطلقوه، جزّوا ناصيته ووضعوها فى الكنانة؛ قال الحطيئة

قدنا سَلولَ فسلُّوا من كنانتهم * مجدا تليدا ونُبْلا غيرَ أنكاسِ

يعنى بالنُّبْلِ : الرجالَ؛ وقالت الخنساء

جززنا نواصىَ فرسانهم * وكانوا يظنون أن لا تُجزّا

ومنها : كىّ السليم عن الجَرِب : زعموا أن الإبل اذا أصابها العُرُّ فأخذوا
٥ الصحيح وكووه زال العُرُّ عن السقيم؛ قال النابغة (٣٤)

وكلّفتنى ذنبَ آمرئٍ وتركته * كذى العُرّ يُكوَى غيرُه وهو راتعُ

ويقال : إنهم كانوا يفعلون ذلك، ويقولون : تؤمن معه العدوى .

ومنها : ضرب الثور : وزعموا أن الجنّ تركب الثيرانَ فتصدّ البقر عن الشرب؛
قال الأعشى

١٠ وإنى وما كلفتُمانى وربكم * لَيَعلَمُ من أمسى أعقَّ وأحوبا

لكالثور والجنىّ يركب ظهره * وماذنبه إن عافت الماء مشربا

وماذنبه إن عافت المـاء باقر * وما إن تعاف الماء إلا لِيُضرَبا

وقال آخر

كذاك الثور يُضرب بالهَراوَى * اذا ما عافت البـقرُ الظِّماءُ

١٥ ومنها : كعب الأرنب : كانوا يعلقونه على أنفسهم ويقولون : إن من فعل
ذلك لم تصبه عين ولا سِحر ، وذلك أن الجنّ تهرب من الأرنب ، لأنها ليست من
مطايا الجنّ لأنها تحيض؛ قال الشاعر

ولا ينفع التعشـير إن حُمّ واقع * ولا زعرعٌ يغنى ولا كعب أرنب

وقيـل لزيد بن كُثْوَةَ : أحقٌّ ما يقولون : إن من علّق على نفسـه كعبَ أرنب لم يقربْه جنّانُ الحي-وعُمّار الدار؟ فقال : إى والله ! ولا شيطان الحَمَاطة، الحماطة: شجرة التين ؛ وجان العُشرة، وغول القَفر ، وكلّ الخوافى ، إى والله يطفئ نيرانَ السّعالِى .

٥ ومنها : حيض السَّمُرة : يزعمون أن الصبي اذا خيف عليه نظرة أو خطفة ، فعلّق عليه سنّ ثعلب، أو سنّ هرة، أو حيض سَمُرة، أمن، فإن الجنيّة اذا أرادته لم تقدر عليه، فاذا قال لها صواحباتها فى ذلك، قالت

كانت عليـــه نُفَرَهْ * ثعـالبٌ وهِـــرَرَهْ

* والحيض حيض السَّمُرَهْ *

١٠ ومنها : الطارف والمطروف : يزعمون أن الرجل اذا طرف عين صاحبـه ، فهاجت فمسح الطارفُ عين المطروف سبع مراتٍ وقال فى كلّ مرة: بإحدى جاءت من المدينة، باثنتى جاءتا من المدينة، بثلاث جئن من المدينة، الى سبع، سكن هيجانها.

ومنها : وطء المقاليت : يزعمون أن المرأة المقلات اذا وطئت قتيـلا شريفا بقى أولادها، وفى ذلك يقول بشر بن أبى خازم

١٥ تظلّ مقاليتُ النســاء يطأنه * يقلن ألا يُلقَى على المرء مئزرُ

ومنها : تعليق الحلى على السليم : كانوا يعلّقون الحلىَ على الملسوع ويقولون إنه اذا علّق عليـه أفاق ، فيلقون عليه الأسورة والرِّعاث، ويتركونها عليه سبعةَ أيام ويمنع من النوم؛ قال النابغة

يُسهَّدُ فى وقت العشاءِ سليمُها * لحلْى النســاءِ فى يديْهِ قَعاقعُ

ومنها : ذهاب الخَدَر : يزعمون أن الرجل اذا خدرت رجلُه فذكر أحبّ الناس اليه ذهب عنه؛ قال كثيّر

اذا خدرتْ رِجلى دعوتك أشتفى * بذكراك من مَذْل بها فيهونُ

وقالت آمرأة من كلاب

٥ اذا خدرتْ رجلى ذكرتُ آبن مُصعب * فإن قلتُ : عبد الله، أجلَى فتورُها

وقيل ذلك لآبن عمر وقد خدرت رجله فقال : يا محمّداه .

ومنها : الحَلَأُ : زعموا أنه اذا ظهرت بشفة الغلام بثور، يأخذ مُنخُلا على رأسه ويمرّ بين بيوت الحىّ، وينادى: الحَلَأُ الحلأ، فيلقى فى منخله من ها هنا تمرة، ومن ها هنا كسرة، ومن ثمّ بضعة لحم، فاذا آمتلأ، نثره بين الكلاب، فيذهب عنه

١٠ البثْر، وذلك البثر يسمّى : الحَلَأُ .

ومنها : التعشير : يزعمون أن الرجل اذا أراد دخول قرية، فخاف وباءها، فوقف على بابها قبل أن يدخلها فعشّر كما ينهق الحمار، ثم دخلها لم يصبه وباؤها؛ قال عروة آبن الورد

لعمرى لئن عشّرت من خشية الردى * نهاق الحمير إننى لجزوعُ!

١٥ ومنها : عقد الرَّتَم : كان الرجل منهم اذا أراد سفرا، عمد الى رَتَم فعقده، والرتم : نبت، فإن رجع ورآه معقودا ؛ زعم أن آمرأته لم تخنه، وإن رآه محلولا زعم أنها قد خانته؛ قال الشاعر

هل ينفعنْك اليوم إن همّت بهم * كثرة ما توصى وتعقادُ الرّتَمْ؟

وقال آخر

٢٠ خانته لما رأت شيبا بمَفرِقه * وغرّه حَلفُها والعَقْدُ للرَّتَمِ

ومنها : دائرة المهقوع : وهو الفرس الذى به الدائرة التى تسمّى : المَقْفَةُ ، يزعمون أنه اذا عرق تحت صاحبه، اغتلمتْ حليلتُه وطلبتْ الرجال ؛ قال الشاعر

اذا عَرِق المهقوعُ بالمرء أنعظتْ * حليلتُــه وآزدادَ حَرًّا عِجانُها

ومنها : شقّ الرداء والبرقع : زعموا أن المرأة اذا أحبّت رجلا أو أحبّها ثم لم تشقّ عليه رداءه ، و يشقّ عليها برقعها، فسد حبّهما ، فاذا فعل ذلك دام حبّهما ؛ قال الشاعر ٥

اذا شُقّ بُرْدٌ شُقّ بالبُرد بُرْقُعٌ * دَوالَيْك حتى كلُّنا غير لابِس

فكم قد شققنا من رداءٍ محبّرٍ * ومن برقع عن طفلة غيرِ عانسِ

ومنها : نوء السماك : كانوا يكرهونه ويقولون فيه داء الإبل ؛ قال الشاعر

ليت السماك ونوءه لم يُخلقا * ومشى الأُفَيرقُ فى البلاد سليما ١٠

ومنها : النسيء : وقد تقدّم خبره فى الفن الأوّل من الكتاب .

ومنها : وأد البنات : وقد نهاهم الله عز وجلّ عنه فى قوله : (وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلَاقٍ نَحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ). وكانوا يقتلوهنّ خشية الإملاق أو من الإملاق؛ وقد قيل: إنهم كانوا يقتلوهنّ خوف العار أو أن يُسبينَ ، فمن قتلهم خشية الإملاق ما روى عن صعصعة بن ناجية المجاشعيّ جد الفرزدق : أنه لما أتى النبيّ صلى الله عليه وسلم فقال : يا رسول الله ، إنى كنت أعمل عملا فى الجاهليّة ، أفينفعنى ذلك اليوم؟ قال : وما عملك؟ قال : أضللت ناقتين عشراوين، فركبت جملا ومضيت فى بغائهما فرُفع لى بيت جريد، فقصدته فاذا رجل جالس بفنائه، فسألته عن الناقتين، فقال : ما نارهما؟ قلت : مِيسَم بنى دارم ، قال : هما عندى، وقد أحيا الله تعالى ١٥ (٣٥)

بهما قوما من أهلك من مضر، واذا عجوز قد خرجت من كسر البيت، فقال لهـا : ما وَضَعَتْ؟ فان كان سَقْبا شاركنا فى أموالنا، وإن كانت حائلا وَأَدْنَاهَا، (معنى قوله سقبا أى ذكرا، وحائلا أى أنثى) فقالت العجوز : وضَعتْ أنثى، فقلت : أتبيعها؟ قال : وهل تبيع العرب أولادها؟ قال قلت : آحتكم، قال بالناقتين والجمل، قلت : لك ذلك، على أن تبلغنى الجمل وإياها ففعـل، فآمنت بك يا رسـول الله، وقد صارت لى سُـنَّةٌ على أن أشترى كلّ موءودة بناقتين عشراوين وجمل، فعندى الى هذه الغاية ثمانون ومائتا موءودة قد أنقذتها، فقال رسول الله صلى الله عليه وسـلم : لا ينفعك ذلك، لأنك لم تبتغ به وجه الله تعالى، وإن تعملْ فى إسـلامك عملا صالحا تُثب عليه؛ ففى ذلك يقول الفرزدق مفتخرا

وجدى الذى منع الوائدين * وأحيي الوئيد فـلم توءَدِ!

وممن قتلهم خشية العار : قيس بن عاصم المنقرى وكان من وجوه قومه ومن ذوى الأموال فيهم وكان يئد بناته وسبب ذلك : أن النعمان بن المنذر لـما منعته بنو تميم الإتاوة التى كانت تؤدّيها له جهّز اليهـم أخاه الريّان بن المنذر، ومعـه بكر بن وائل فغزاهم، فآسـتاق النعم وسبي الذرارى، فوفدت اليه بنو تميم فلما رآها أحب البقاء عليها، فقال النعمان

ما كان ضرّ تميما لو تعمّدها * من فضلنا ماعليـه قيس غيلان

فأناب القوم وسألوه النساء، فقال النعمان : كلّ آمرأة آختارت أباها ردّت اليه وإن آختارت صاحبها تُركتْ عليـه، فكلّهن آخترن أباهن إلا آبنة لقيس بن عاصم آختارت صاحبها عمرو بن المُشمرَج، فنذر قيس لا يولد له آبنـة إلا قتلها، فآعتلّ بهذا من وأد وزعم أنه حميّة .

البـاب الثـالث

من القسم الثـانى من الفن الثـانى

فى أخبار الكهنة

ويتصل به الزجر والفأل والطِّيرةُ والفِراسة والذكاء ، وكانت كهنة العرب
لهم أتباع من الشياطين يسترقون السمع ويأتونهـم بالأخبار ، فيلقونها لمن يتبعهم ، ٥
ويسألهم عن خفيّات الأمور حتى جاء الإسـلام ، فمُنعت الشياطين من آسـتراق
السمع ، كما أخبر الله تعالى عنهم فى كتابه العزيز (وَأَنَّا كُنَّا نَقْعُدُ مِنْهَا مَقَاعِدَ لِلسَّمْعِ فَمَنْ
يَسْتَمِعِ الْآنَ يَجِدْ لَهُ شِهَابًا رَصَدًا) فعند ذلك آنقطعت الكهانة فلم يسمع فى الإسلام
بكاهن ، وهـذا من معجزات سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسـلم لزوال الإشكال
فى الوحى . فمن أخبار الكهنة ، خبر سطيح الكاهن حين ورد عليه آبن أخته عبدالمسيح ١٠
وهو يعالج الموت ، فأخبره خبر ما جاء لأجله ، وذلك أنه لمـا كانت الليلة التى ولد
فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم آرتجس إيوان كسرى ، وسقط منه أربع عشرة شُرفةً ،
وخمدتْ نارُ فارس ، ولم تكن خمدتْ قبل ذلك بألف عام ، وغارت بحيرة ساوة ، ورأى
الموبذان إبلا صعابا تقود خيلا عرابا قد قطعت دجلة وآنتشرت فى بلاد فارس ،
فلما أصبح كسرى تصبّر تشجُّعا ثم رأى أن لا يكتم ذلك عن وزرائه ومَرَازبته ، فلبس ١٥
تاجه ، وقعد على سريره ، وجمعهم وأخبرهم الخبر فبيناهم كذلك إذ ورد عليهم كتاب
بخمود النار فآزداد غمًّا وسأل المُوبذَان وكان أعلمهم فقـال : حادِثٌ يكون من قِبَل
العرب ، فكتب كسرى الى النُّعمان آبن المُنْذِر : أن وجّه الىّ رجلًا عالمـا بما أريد أن

أساله عنه فوجّه اليه عبد المسيح بن حسّان بن نُفيلة الغسّانى فقال له كسرى : أعندك علم بما أريد أن أسألك عنه؟ قال : ليخبرنى المَلِكُ فإن كان عندى منه علم ، وإلّا أخبرتُه بمن يعلمه ، فأخبره بما رآه فقال : عِلْمُ ذلك عند خالٍ لى يسكن مشارق الشام يقال له : سَطِيح ، فارسله كسرى اليه فورد على سطيح وقد أشفى على الموت
٥ فسلّم عليه وحيّاه فلم يُحِرِ سطيحٌ جوابا فانشد يقول

أَصَمُّ أم يسمع غِطريفُ اليمنْ * أم فاز فازْلَمَّ به شأوُ العَنَنْ؟
يا فاصل الخُطّة أعيت مَن ومَنْ * وكاشفَ الكُربة عن وجه الغضَنْ
أتاك شيخ الحيّ من آل سَنَنْ * وأمّه من آل ذئب بن حَجَنْ
أزرقُ مُمْهَى الناب صَرّار الأُذنْ * أبيضُ فَضْفَاض الرِّداء والبدنْ
١٠ رسول قَيْل العُجم يسرى بالوسنْ * لا يرهب الرعد ولا ريب الزمنْ
يجوب فى الأرض على ذاتِ شجنْ * ترفعنى وُجْنًا وتهوى بى وُجُنْ
حتى أتى عارى الجآجِى والقَطَنْ * تَلُفّه فى الريح بَوغاءُ الدِّمنْ
* كأنما حُثحِثَ من حِضْنَىْ ثَكَنْ *

ففتح سطيح عينيه ثم قال : عبد المسيح ، على جَمَلٍ مُشيح ، أتى الى سطيح ، وقد أوفى
١٥ على الضريح ، بعثك مَلِكُ بنى سَاسَان ، لارتجاس الإيوان ، وخمود النيران ، ورؤيا المُوبَذان ، رأى إبلا صِعَابا ، تقود خيلا عِرابا ، قد قطعتْ دِجلة وٱنتشرت فى بلاد فارس ، يا عبد المسيح اذا كثرت التلاوه ، وبُعِث صاحب الهِرَاوه ، وفاض وادى السماوه ، وغاصت بحيرة سَاوه ، وخمُدت نار فارس ، فليس الشام لسطيح شاما ، ولا بابل للفرس مُقاما ، يملك فيهم ملوك ومِلكات ، بعدد الشُّرُفات ، وكلّ ما هو
٢٠ آت آت ، ثم قضى سطيح لوقته ، فثار عبدُ المسيح الى رحله وهو يقول

(٣٦)

شمِّرْ فإنك ماضى العــزم شمِّيرُ * لا يفزعنّك تفريقٌ وتغيــيرُ
إن كان ملك بنى ساسان أفرطهم * فإن ذا الدهر أطوارٌ دهاريرُ
فربّمـا ربّمـا أضحوا بمــنزلة * تهاب صولَهم الأسدُ المهاصيرُ
منهم أخو الصّرح بَهرام وإخوته * والهُرمُزان وسابورٌ وشـابورُ
والناس أولاد عِلّاتٍ فمن علموا * أن قد أقلّ فمحقورٌ ومهجورُ ٥
وهم بنو الأمّ أمّا إن رأوا نشبا * فذاك بالغيب محفوظ ومنصورُ
والخير والشرّ مقرونان فى قَرَنٍ * فالخـير مُتّبع والشرّ محـذورُ

فلما قصّ الخبرَ على كسرى قال: الى أن يملك منّا أربعة عشر تكون أمورٌ، فملك منهم عشرة فى أربع سنين، وملك الباقون الى زمن عثمان رضى الله عنه .

ومن أخبـارهم: أن سُعدى بنت كُرَيز بن ربيعة كانت قد تطرّقت وتكهّنت ١٠ وهى خالة عثمان بن عفّان رضى الله عنهُ، روى عنه أنه قال : لمـا زَوّجَ النبىُّ صلى الله عليه وسلم ٱبنته رُقيّة من عُتبة بن أبى لهب وكانت ذات جمال رائع، دخلتنى الحسرة أو كالحسرة أن لا أكون سـبقت اليها ثم لم ألبث أن ٱنصرفت الى منزلى فألفيت خالتى فلما رأتنى قالت

أَبشرْ وحيِّيتَ ثلاثا تترَى * ثمّ ثلاثا وثـلاثا أُخرَى ١٥
ثمّ بأُخرى كى تتمّ عشـرا * أتاك خير ووُقيت شرّا
نكحت والله حَصانا زَهرا * وأنتَ بِكرٌ ولقيتَ بِكـرا
وافيتها بنت نفيس قدرا * بنت نبىّ قد أشاد ذكرا

قال عثمان : فعجبتُ من قولها، وقلتُ : ماذا تقولين ؟ فقالت

عثمان يا ٱبن أختَ يا عثمانُ * لك الجمـال ولك البيـانُ ٢٠

هــذا نبيّ معه البرهانُ * أرسـله بحقّه الدّيانُ
وجاءه التنزيل والفُـرقانُ * فٱتبعْه لا تحتالك الأوثانُ

فقلت : يا خالة ! إنك لتذكرين ما قد وقع ذكره فى بلدتنا فأثبتيه لى، فقالت : إن محمد بن عبد الله رسولٌ من عند الله ، جاء بتنزيل الله، يدعو الى الله، مِصباحه مصباح،وقولُه صلاح، ودينه فلاح، وأمْرُه نجاح، وقَرْنه نطّاح،ذلّت له البطاح، ما ينفع الصياح، لو وقع الذباح، وسُلّت الصِفاح، ومـدّت الرماح، قال : ثم قامت فٱنصرفتُ ووقع كلامها فى قلبي،وجعلت أفكّر فيه،وذكر بعد ذلك إسلامه وتزويجه رقية؛ فكان يقال : أنهما أحسن زوجين ٱتفاقا وجمالا .

ومنها أن هندا بنت عُتبة بن ربيعة كانت عند الفاكه بن المُغيرة،وكان من فتيان قريش، وكان له بيت الضيافة، خارجا من البيوت،تغشاه الناس من غير إذن؛فخلا البيتُ ذات يومٍ وٱضطجع هو وهند فيه،ثم نهض لبعض حاجته،وأقبل رجل ممن كان يغشى البيت فولَجه ، فلما رآها ولّى هاربا وأبصره الفاكه فأقبل اليها فضربها برجله وقال لها : من هذا الذى خرج من عندك ؟ قالت : ما رأيتُ أحدا ، ولا ٱنتبهتُ حتى أنبهتني ! فقال لها : ٱرجعى الى أبيك، وتكلّم النـاس فيها، فقال لها أبوها : يا بنيّة ! إن النـاس قد أكثروا فيك، فأنبئيني نبأك ، فإن يكن الرجل عليك صادقا دسَستُ عليه من يقتله ، فتنقطع عنك المقالةُ، وإن يك كاذبا حاكمْتُه الى بعض الكُهّان، فقالت : لا والله! ما هو عليّ بصادق؛فقال له : يا فاكه ! إنك قد رميتَ ٱبنتى بأمر عظيم، فحاكمنى الى بعض كُهّان اليمن؛ فخرج الفاكه فى جماعة من بنى مخزوم ، وخرج عُتبة فى جماعة من بنى عبد مناف، ومعهم هند ونِسوةٌ،فلما شارفوا البلاد،وقالوا : غدا نَرد على الرجل،تنكّرتْ حالُ هند، فقال لها عتبةُ : إنى أرى

ما بك من تنكّر الحال، وما ذاك إلّا لمكروه عندك، فهلّا كان هذا قبل أن يشتهر عند
(٣٧) الناس مسيرنا؟ فقالت: لا والله! ولكنّى أعرف أنكم تأتون بَشَرًا يخطئ ويصيب
ولا آمنه أن يسمنى مِيْسما يكون علىّ سُبَّةً فقال: إنى سوف أختبره لك، فصفّر لفرسه
حتى أدلَى ثم أدخل فى إحليله حبّةَ حِنْطة وأوكأ عليها بسير، فلما أصبحوا قدموا على
٥ الرجل فأكرمهم ونحر لهم، فلما تغدّوا قال له عتبة: قد جئناك فى أمر وقد خبأنا لك
خبيئا أختبرك به، فانظر ما هو؟ فقال ثمرةٌ، فى كَمَرَهْ. قال إنّى أريد أبين من هذا،
قال: حَبّة بُرّ، فى إحليل مُهر، قال: انظر فى أمر هؤلاء النسوة، فجعل يدنو من
إحداهنّ فيضرب بيده على كتفها ويقول لها، انهضى، حتى دنا من هند فقال لها:
انهضى غير رسحاء ولا زانية، ولتلدنّ ملكا اسمه معاوية؛ فنهض اليها الفاكه فأخذ
١٠ بيدها فجذبتْ يدَها من يده وقالت: اليك عنّى فوالله لأحرصنّ أن يكون من غيرك؛
فتزوّجها أبو سفيان.

ومنها. أن أمية بن عبد شمس دعا هاشم بن عبد مناف الى المنافرة، فقال هاشم:
إنّى أنافرك على خمسين ناقة سود الحَدَق، ننحرها بمكّة أو الجلاء عن مكّة عشر سنين،
فرضى أميّـة وجعلا بينهما الخُزاعىّ الكاهن وخرجا اليه ومعهما جماعة من قومهما
١٥ فقالوا: نخبأ له خبيئًا فان أصابه تحاكمنا اليه، وإن لم يصبه تحاكمنا الى غيره، فوجدا
أبا هَمْهَمَة وكان معهم أطباق جُمجمة، فأمسكها معه ثم أتوا الكاهن فأناخوا ببابه
وكان منزله بعُسْفان: فقالوا: إنا قد خبأنا لك خبيئا فأنبئنا عنه. قال: أحلفُ
بالضّوء والظلمه، وما بتهامة من تهمه، وما بنجد من أكمه، لقد خبأتم لى أطباق
جمجمه، مع الفَلَنْدَح أبى همهمه؛ فقالوا: صدقت احكم بين هاشم بن عبد مَناف وبين
٢٠ أُميّة بن عبد شمس بن عبد مناف أيّهما أشرف بيتًا ونَفْسًا، قال: والقمر الباهر،

والكوكبِ الزاهر ، والغمامِ الماطر ، وما بالجوّ من طائر ، وما آهتدى بعلَمٍ مُسافر ، من مُنجِد وغائر ، لقد سبق هاشم أميّةَ الى المآثر ، أوّلا منه وآخر ؛ فأخذ هاشم الإبل ونحرها وأطعمها من حضر وخرج أميّة الى الشام فأقام بها عشر سنين ؛ فيقال : إنها أوّل عَداوة وقعتْ بين بنى هاشم و بين بنى أميّة .

٥ ومنها : أن بنى كلاب و بنى رُبَاب من بنى نَضْر خاصموا عبدَ المُطّلِب فى مال قريب من الطائف فقال عبدُ المطّلب : المال مالى فسلونى أعطكم ، قالوا : لا ، قال : فاختاروا حاكمًا قالوا : ربيعة بن حُذار الأسدىّ فتراضوا به وعقَلوا مائة ناقة فى الوادى وقالوا : الإبل والمال لمن حُكِم له ، وخرجوا وخرج مع عبدِ المطّلب حَرْبُ بن أميّة فلما نزلوا بربيعة بعث اليهم بجزائر فنحرها عبدُ المطّلب ، وأمر فصنع جزرا وأطعم

١٠ من أتاه ، ونحر الكلابيّون والنضريّون وشَقوا فقيل لربيعة فقال : إنّ عبد المطلب آمرؤ من ولَدِ خزيمة فتى يُملق يصله بنو عمّه وأرسل اليهم أن آخبأوا لى خبيئًا فقال عبد المطّلب : قد خَبأتُ كلبا آسمه سوّار فى عنقه قِلادة ، فى خرزة مزادة ، وضممتها بعين جَرادة ، فقال الآخرون : قد رضِينا ما خَبأتَ وأرسلوا الى ربيعة فقال : خبأ ثمّ خبيئا حيًّا قالوا : زد ، قال : ذو بُرثن أغبر ، و بَطْن أحمر ، وظَهْر أنمر ؛ قالوا : قربت ، قال : سما

١٥ فَسَطع ، ثمّ هبط فلطع ، فترك الأرض بَلْقَع ، قالوا : قَرُبت فَطَبِّق قال : عين جَرادة ، فى خرزة مَزادة ، فى عنق سوّار ذى القلادة ، قالوا : زه زه أصبتَ فآحكم لأشَدّنا طِعانا ، وأوسعنا مَكانا ، قال عبدُ المطلب : آحكم لأولانا بالخيرات ، وأبعدنا عن السوآت وأكرمنا أمهات ، فقال ربيعةُ : والغَسَق والشَفَق ، والخلق المتّفق ، ما لبنى كلاب و بنى رُبَاب من حقّ ، فانصرفْ يا عبدالمطّلب على الصواب ، ولك فصل الخطاب ؛

٢٠ فوهب عبد المطّلب المال لحرب بن أميّة .

وأخبار الكهنة كثيرةٌ نذكر منها إن شاء الله تعالى فى السيرة النبويّة جملة تقف عليها فى المبشرات برسول الله صلى الله عليه وسلّم وذلك فى السِفْر الرابع عشر من كتاب الأصل.

الزَّجْـــــر

قال أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ فى زجر الطير : إنّ العلماء بهذا الفنّ قالوا : اذا خرجتَ من منزلك تطلب حاجةً ، أو تخطب آمرأةً، فنَعَب غرابٌ عن يمينك وعن يسارك أو سَنَح أو برح فامض فإنّك مُدرِك حاجتك إن شاء الله تعالى ، فإن نعب أمامَك أو فوقك فارجع ففيها تأخير .

وإن خرجتَ تريد خصومةً فنعب فوق رأسك فامض فإنك مُدرِكٌ حاجتك إن شاء الله تعالى .

فإن خرجتَ تطلب دابّةً فنعب عن يمينك أو يسارك على حائط مرتفع، فامض لحاجتك، فإن نَعَب أمامك فارجع .

وإن خرجتَ تطلب مالًا ضلّ عنك أو سُرق، فنَعَب غرابٌ على شجرة يابسة فلا تطلبه فقد آستهلك وقد يأتيك بعضُه ، فإن نعب على جِدار جديد أو شجرة خضراء فإنك تصيب مالك إن شاء الله تعالى .

فإن خرجتَ تريد الضَّالّ فنعَب من ورائك ، فارجع فليس لك فى ذلك خيرة ، وإن نعب عن يسارك فإنى خائف على نفسك إلا أن يشاء الله .

فإن خرجت تريد الصيد فنعب من فوقك فارجع فإن نعب أمامك فامض فإنّك تدرك خيرا .

وإن خرجت تطلب سلطاناً فى طلب مال أو حاجة فنعب عن يمينك ثمّ طار ثمّ نعب أدركتَ منه طلبتك إن شاء الله تعالى .

وإن خرجتَ تريد شراء شيء فنعب عن يمينك فإنه صالح، وإن نعب عن يسارك فلا خير فيه .

٥ وإن خرجتَ من منزلك فرأيت غراباً يمسح مِنقاره على الأرض فإنك تصيب أو تأتيك هديّة من مكان بعيد .

وإن خرجتَ تطلب حاجةً فنعب عن يمينك ثم قطع الطريق الى يسارك فنعب فإنك تدرك حاجتك عجلا إن شاء الله تعالى! فإن نعب فوق رأسك فارجع فإنى أخاف عليك بعض أعدائك .

١٠ وإن خرجت تريد سلطانا فنعب غراب وهو مستقبل الشرق فامكث يومك ذلك فإنى أخاف عليك .

فإن خرجتَ فرأيت غرابا ينفض ريشه، فإنه يأتيك خير عاجل .

وإن خرجتَ تريد أرضًا بعيدة فرأيتَ غرابا ينتفض فامض لحاجتك، فإنك تدرك أملك إن شاء الله تعالى .

١٥ وإن خرجتَ تريد السلطانَ فوقع غرابٌ على شيء فنعب ثلاث مرّات فامض لحاجتك، فهو خيرٌ عاجل وتيسيرٌ للحوائج إن شاء الله تعالى .

وإن خرجتَ فرأيتَ غراباً ناشرًا جناحيه يريد الطيران فامض، فإن نعب فارجع يومَك .

وإن خرجتَ تريد خصومةً فنعَب من فوقِك فامضِ ، وإن نعب فأجابه الآخر

٢٠ فهو جيّد صالح .

وإن خرجتَ تريد خصومةً فنعب من فوقك أو شَخَّ فامض؛ فإنك تلقى فى يومك ذلك ما تريد إن شاء الله تعالى .

وإن خرج جماعةٌ وفيهم رجل شريف فشخّ غرابٌ على رأس الشريف، ثم أتوا ملكًا فإنهم يصيبون خيرا إن شاء الله تعالى .

وإن خرج يطلب حاجةً الى سلطان فواجهه غراب فليمكث يومه ذلك ولا يمض فى تلك الحاجة، وإن نعب عن يمينه فقطع الطريق ثمّ وقع فهو يُدرك حاجتَه .

وإن خرج يريد السلطان أو بعث اليه وهو لايدرى فرأى غراباً يطير قليلا؛ ثم يقع فيلقط من الأرض شيئا فليمض فإنّه يصيب سلطاناً ويلى قوما، وإن رأى غراباً يبحث فى الأرض فإنّ بعض أهله يموت سريعا، وإن رآه ينقر فى الأرض فذلك ملك .

وإن خرج فرأى غرابًا يطير ثمّ وقع ثلاث مرات وهو ساكت لا ينعب، فذلك غمّ يصيبه إلا أن يدفع الله عزّ وجلّ عنه .

وإن خرج فرآه ينتفض ثم ينعب ثمّ يطير فذلك سلطان يناله ويتزوج؛ والعلم عند الله .

وإن خرج فرأى غرابا يطير ثمّ يقع فذاك خير وسرور يأتيه .

وإن خرج فرأى غرابًا يطير نحو عين الشمس فذاك همّ يصيبه شديد .

وإن خرج فلقى بقـرا فليرجع فإن لقى من البغال شيئاً لم يركب فليرجع والمركوبة صالحة لابأس بها .

وإن خرج يعود مريضا فنهق حمار عن يمينه أو عن يساره فالمريض صالح، وإن نهق خلفه فقد آشتدّ بالمريض مرضه وأنا خائف عليه .

و إن خرج يريد حاجةً فاستقبله غلامٌ يبكى وهو متلطّخ بعَذِرَة وهو ذاهب والغلام راجع فليمض فإنّ حاجته تقضى ، و إن آستقبله غلام يعدو و يتلهّف فإن حاجتــه تعسر وتطول .

و إن خرج فى حاجته فرأى وَرَشانًا يطير، يرتفع و يَهبِط فليمض فإن ذلك أنجح لحاجته ،و إن رآه يطير مستعليا فليرجع ،و إن رأى حمامة مسرولة تطير من فوق رأسه وتدور فإنّ حاجته مقضيّة بعد بطء ومَطْل ، و إن رأى حمامة هابِطةً واقعةً تقع وتطير فإنّ ذلك خير صالح وسرور إن شاء الله تعالى .

و إن خرج من منزله فآستقبلته جنازةٌ و جماعةٌ فليرجع يومَه ذلك ولا يعود لحاجته فإنّها غير مقضية ، وإن كانت الجنازة قد جاوزته مُدْبِرة فليذهب لحاجته ؛ فإن ذلك صالح . و إن رأى نسوةً الى المقابر وهنّ مقبلات نحوه فليقعــد حتى يمضين عنــه فإنّه أنجح لحاجته وإن رآهن مُدبرات فليمض فى حاجته فإنها مقضيّة .

و إن خرج من داره فرأى فى أرضها نملًا كثيرا و فى حائطها فليمض لحاجته فذلك خير وسرور يناله . فإن رأى ذُبابا كثيرا مجتمعا على حائط وهو يسمع لهنّ دبيبا فذاك مرض يصيبه فى بدنه أو يصيب بعضَ أهله . ومن رأى ذَرًّا كثيرا وقرداناً فذلك فرح ورزق عاجل يناله إن شاء الله تعالى . ومن رأى دَجاجتين تقتتلان بنقر بعضهما فذاك يدل على أنّه يقع بينه و بين آمرأته كلامٌ وغضب .

و إن خرج من منزله فرأى وَرَشانين يقتتلان فى جوّ السماء رافعين وهابطين فيأتيه ما يُسرّ به . و إن رأى كابــة والكلاب تطوف حولها و يتبع بعضها بعضا فإن كان عليه دين قضاه الله عنه و إن كانت له حاجة مهمة قضيت فى وجهه ذلك و إن أراد شيئًا يسّره الله له وإن أراد سفرا تهيّأ له ورجع سالمــا .

وإن خرج فرأى على رجل قِربة ثمّ آنشــقت فليرجع الى منزله ويتعوّذ بالله من شرّ ذلك اليوم فإنّه مكروه جدّا .

وإن خرج فرأى رجلًا وهو يريد أن يملأ قِربةً فليمض فى حاجته فإنه فرح وسرور وخير يناله عاجلا إن شاء الله تعالى .

وإن خرج فرأى حمارا أو بغلا عليــه راوية مملوءة فشأنه غير صالح وهو مكروه ، ٥
وإن كان صاحب الراوية يريد أن يملأها فليمض لحاجته مقضية إن شاء الله تعالى .

وإن خرج من منزله فرأى جملا عليــه حطب أو بعض منافع النــاس فهو من علامات النجاح فى الخصومة والظفر العاجل إن شاء الله تعالى ، فإن رآه غير محمول عليه وعليــه صاحبه فإنّ ذلك خير يأتيه وينعى اليه بعض أهله من مكان بعيــد .
قال : وأرجو أن يدفع الله ، فإن رآه مناخا يرغو فإن ذلك خير يأتيه ويُخبر عن شيء ١٠
ممّـا يحبّ من تزويج أو غنيمة وهو صالح .

وإن خرج فرأى بعيرا قد شَردَ ورأى من يطلبه فإن ذلك نجاة من عدوّه وفرح قريب إن شاء الله تعالى .

وإن خرج فرأى بعيرا قد شرد فاجتمع عليه الناس فإن ذلك يدلّ على ظَفَره بعدوّه وآنتقامه منه فليحمد الله على ما رأى ويشكره . ١٥

ومن خرج من منزله فرأى قِردًا يتقلّب والناس حوله فليمض لحاجتــه فإنّهـا مقضية .

وإن خرج فرأى القِرد يلعب والناس مجتمعون عليه وقد صار لعبه الى أن يتقلّب ظهرا لبطن فى الأرض فليرجع من وجهه ذلك فليس بموفّق وهو مكروه .

وإن خرج من منزله فرأى غلمانا يلعبون بالأُكرة ويتسابقون فليمض فى وجهه ذلك فإنّه يصيب رفعةً وشرفًا وتمكنا من السلطان ويصيب مالًا عظيما .

وإن خرج فرآهم يلعبون بالصوالجة فهو رفعة ويدلّ على مال ردىء حرام يصيبه من سلطان ويركب أمرًا عظيما من عمله فليتق الله .

٥ وإن رأى جوارىَ يلعبن بالطرق كأنهنّ يزففن عروسا فهو خير وسرور ودخول فى أمرٍ شريف وإنّه يربح ربحا عظيما وهو خير الزجر .

وإن خرج فرأى عصفورين يلقطان الحبّ فهو صالح، وإن رآهما يتسافدان فهو خير يناله فى يومه، وإن رآهما مدبرين فليمض لحاجته فإنها مقضية إن شاء الله تعالى .

وإن خرج فتعلق بثوبه شىء فليرجع؛ فإنى أكره له أن يذهب فى حاجته تلك .

١٠ وإن خرج فرأى حِدأةً تسفِد حِدأةً وهى تصيح فهو نجاح فليمض لحاجته .

وإن خرج فعثر فلا يذهبن فى تلك الحاجة وليؤخّرها .

ومن الزجر ما مخرجه مخرج الكِهانة .

فمن ذلك ما حكى أنّ أُميّـة بن أبى الصَلْت الثَقَفىّ بينا هو يشرب مع إخوان له فى قصر غَيْلان بالطائف إذ سقط غرابٌ على شُرْفة القصر فنَعب نعبة فقال أُميّة : ١٥ بفيك الكَثْكَث أى التراب فقال له أصحابه : ما يقول؟ قال يقول : إنّك اذا شربتَ الكأس التى بيدك متَّ ، ثم نعب نعبـة أخرى ، فقال أميّـة كمقالته الأولى فقال أصحابه : ما يقول؟ قال : يزعم أنّه يقع على هذه المزبلة فى أسفل القصر فيستثير عظما فيبتلعه فيشـجى به فيموت، فوقع الغرابُ على المزبلة فأثار العظم وآبتلعـه فشجى فمات، فأنكر أميّة ووضع الكأس من يده وتغيّر لونُه فقال أصحابه : ما أكثر ما سمعنا

مثل هذا وكان باطلا وألحّوا عليه حتى شرب الكأس فمال فأغمى عليه ثم أفاق فقال: لا برىءٌ فأعتذر، ولا قوىٌّ فأنتصر، ثم خرجت نفسه .

وزعموا أن رجلا من كعب خرج فى جماعة ومعـه سِقَاء من لبن فسار صدر يومه فعطش فأناخ ليشرب فاذا غراب ينعب فأثار راحلتَـه ، ثم سار فلمـا أظهر أناخ ليشرب ،فنعب الغراب وتمرّغ فى التراب فضرب الرجل السِقاء بسيفه فاذا فيه أسودُ ٥ ضخمٌ فقتله ، ثم سار فاذا غراب واقع على سِدْرة فصاح به فوقع على سَلَمة فصاح به فوقع على صخرة فانتهى اليها فأثار كَنْزا، فلما رجع الى أبيه قال له : إيه ما صنعت ؟ قال : سِرتُ صدر يومى، ثم أنختُ لأشرب فنعب الغراب، قال أثرها و إلا فلست بابنى! قال: أثرتُها، ثم أنخت لأشرب فنعب الغرابُ وتمرّغ فى التراب قال : آضرب السِقاء و إلا لست بابنى! قال : فعلتُ ،فاذا أسود ضخم قال : ثم مه! قال : ثم رأيتُ ١٠ غرابا على سِدْرة قال : أطِرْه و إلا فلست بابنى! قال : فعلتُ فوقع على سَلَمَة قال: أطرْه و إلا فلستَ بآبنى! قال : فعلتُ فوقع على صخرةٍ قال : أحدِ يابنىّ ! فأحداه

ومن الزجر : ما يُروى أن كسرى أبْرَوِيز بعث الى النبىّ صلى الله عليه وسلّم حين بُعث زاجرا ومصوّرا وقال للزاجر : آنظر ما ترى فى طريقك وعنده، وقال للمصوّر : إئتنى بصورته ، فلمـا عاد اليه أعطاه المصوّر صورته صـلى الله عليه وسلم فوضعها ١٥ كسرى على وسادته، وقال للزاجر : ما رأيت ؟ فقـال : لم أر ما أزجره حتى الآن وأرى أمرَه يعلو عليك لأنك وضعتَ صورتَه على وسادتك .

وقيل : إن كُثَيِّرا تعشّق آمرأةً من خُزاعة يقال لها : أمّ الحُوَيرث،فشبّب بها فكرهتْ أن يفضحها كما فضح عَزّة فقالت له : إنّك رجلٍ فقير لا مال لك فابتغ مالًا،

ثم تعال فاخطبنى كما يخطبُ الكرامُ قال : فاحلفى لى ووثّقى أنّك لا تتزوجين حتى
أقدم عليك فحلفَتْ ووثّقتْ له فمدح عبدَ الرحمن بن الأزْدىّ وخرج اليه، فلقى
ظباءً سوانح، ولقى غُراباً يفحص التراب بوجهه فتطيّر من ذلك حتى قدم على حىّ
من لَهْب فقال : أيّكم يَزجُر؟ قالوا : كلّنا ! فمن تريد ؟ قال : أعْلَمكم بذلك !
٥ قالوا : ذلك الشيخ المنحنى الصُلْب، فأتاه فقصّ عليه القصّة فكرِه ذلك له وقال :
قد ماتت أو تزوّجت رجلا من بنى عمّها فقال كثيّر

تيممتُ لَهْبا أبتغى العـلمَ عندهم * وقد رُدّ علمُ العائفين الى لَهْبِ!
فيممتُ شيخا منهـمُ ذا نحالة * بصيراً بزجر الطير مُنحنىَ الصُّلْبِ!
فقلتُ له : ماذا ترى فى سوانح * وصوتِ غراب يفحص الأرض بالتربِ؟
١٠ فقال : جرى الطير السنيح ببينها * ونادى غـرابٌ بالفراق وبالسلبِ
فإن لا تكن ماتت فقد حال دونها * سؤال خليل باطنٍ من بنى كعبِ

قال : ثم مدح الرجل الأزدىّ فأصاب منه خيراً، ثم قدِم عليها فوجدها قد تزوّجتْ
رجلًا من بنى عمّها فأخذه الهُلاس فكُشِح جنباه بالنار، فلمّا آندمل من علّته ووضع
يده على ظهره فاذا هو برقمتين فقال : ما هذا ؟ قالوا : أخذك الهُلاس وزعم الأطباء
١٥ أنّه لا علاج لك إلا بالكَشْح بالنار فكُشِحتَ بها فأنشأ يقول

عفى الله عن أمّ الحويْرث ذَنبها * علام تعنّينى وتكى دوائيا؟
ولو آذنونى قبل أن يرقموا بها * لقلتُ لهم : أمّ الحويرث دائيا

وحُكى أن صاحب الروم بعث الى النبىّ صلى الله عليه وسلم رسولا وقال له :
آنظر أين تراه جالسا، ومَن الى جانبه، وآنظر مابين كَتِفيه حتى الخاتمَ والشامةَ، فقدم

ورسول الله صلى الله عليه وسلم على نَشْزٍ واضعا قدميه فى المـاء، وعن يمينه علىٌّ عليه السـلام ؛ فلما رآه صلى الله عليه وسـلم قال : « تحوّل فانظر ما أُمِرتَ به » فنظر ثم رجع الى صاحبه فأخبره الخبر فقال : ليعلونّ أمرُه وليملكنّ ماتحت قدمى وقال : بالنَّشز العُلو و بالمـاء الحياة .

ومن الزجر : ماروى عن أبى ذُؤَيب الهُذَلىّ قال: إنّه بلغنا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم عليل فأوجس أهل الحىّ خِيفةً عليه فبتُّ بليلة ثابتة النجوم طويلة الأناة لا ينجاب ديجورها ولا يَطْلُع نورها حتى اذا قَرُب السَّـحَر غفوتُ فهتف لى هاتف يقول ٥

خَطْبٌ أجلّ أناخ بالإسـلام * بين النخيـل ومَعْقَـد الآطامِ

قُبِض النـبىّ محمد فعيونـنا * تذرى الدموعَ عليـه بالتَّسجامِ ١٠

قال أبو ذؤيب : فوثبتُ من نومى فزعاً فنظرتُ الى السماء فلم أر إلّا سعد الذابح فتفاءلْتُ به ذبحا يقع فى العرب، وعلمت أنّ النبىّ صلى الله عليه وسلم قد مات أوهو ميتٌ من علّتـه، فركبتُ ناقتى وسرتُ حتى أصبحتُ فطلبتُ شيئا أزجره، فعنّ لى شَيْهَمٌ قد أرَمَ على صِلّ وهو يتلوّى عليه والشيهم يقضـمُه حتى أكله فزجرتُ ذلك شيئا مهمّا فقلت: تَلوّى الصِّلّ: انفتال الناس عن الحق على القائم بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم، ثم أوّلت أكل الشيهم إياه : غَلَبَة القائم على الأمر فحثثتُ ناقتى حتى اذا كنت بالعليـة زجرتُ الطير فأخبرنى بوفاته . ونعب غراب سانحا بمثـل ذلك فتعوّذتُ من شرّ ماعنّ لى فى طريق، ثم قدِمتُ المدينةَ ولأهلها ضجيج كضجيج الحجيج أهلّوا جميعا بالإحرام فقلتُ : مه ! قالوا قُبِض رسولُ الله صلى الله عليه وسلم فجئتُ المسجدَ فأصبته خاليًا فأتيتُ رسولَ الله صلى الله عليه وسـلم فأصبتُ بابه مُرْتجا وقد ١٥ ٢٠

خلا به أهلُه فقلت : أين الناس ؟ فقيل : فى سَقِيفة بنى سَاعِدة صاروا الى الأنصار
لجئتُ السقيفةَ فوجدتُ أبا بكر، وعمر رضى الله عنهما ، وأبا عُبَيْدة ، وسَالمًا ،
وجماعةً من قريش ورأيت الأنصارَ فيهم سَعْد بن عُبَادة ومعهم شُعراؤهم وأمامهم
حسّان بن ثابت، وكَعْب فى مَلإٍ منهم فأويتُ الى الأنصار فتكلموا فأكثروا وتكلّم
٥ أبو بكر فلله من رجل لا يُطيل الكلام ويعلم مواضِعَ الفصل، والله لتكلّم بكلام (٤١)
لم يسمعه سامعٌ إلّا آنقاد له ومال اليه، وتكلم بعده عمرُ رضى الله عنه بكلام دون
كلامه ، ومدّ يده فبايعه، ورجع أبو بكر رضى الله عنه ورجعتُ معه، فشَهِدتُ
الصلاة على رسول الله صلى الله عليه وسلّم، وشهدت دفنَه قال : ولقد بايع الناس
من أبى بكر رجلا حلّ قُداماها ولم يركب ذُنابابها وآنصرف أبو ذؤيب الى باديته
١٠ وثَبتَ على إسلامه .

ومنه : ما روى عن مُصْعَب بن عبد الله الزُّبيرىّ أنه حَدّث عن رجل قال :
شَرَدتْ لنا إبلٌ فأتيتُ حُليسا الأسدىّ فسألتُه عنها فقال لبنت له : خُطّى، فخطّت ونظرتْ
ثم آنقبضت وقامت مُنصَرِفةً فنظر حليس فى خطّها فضحك وقال: أتدرى لم قامت؟
قلت : لا، قال : رأت أنك تجد إبلك وأنّك تتزوجها فآستحيت فقامت، فخرجتُ
١٥ فأصبتُ إبلى ثمّ تزوجتُها بعد .

الفأل والطِّيَرَة

حُكى أنه لما وُلِد لسعيد بن العاص عَنْبَسة قال سعيد لآبنه يحيى : أىّ شىء تجله؟
قال: دجاجة بفراريجها، وإنما أراد آحتقاره بذلك لأن أمّه كانت أمَةً فقال سعيد:
إن صدق الطيرُ ليكوننّ أكثركم ولدًا فكان كذلك .

لما طلب عامر بن إسماعيل مَرْوان بن محمّد آعترضه بالفيّوم قومٌ من العرب فسأل رجلًا : ما آسمك ؟ فقال منصور بن سعد : وأنا من سعد العشيرة ، فتبسم تفاؤلًا به وتيمّنًا وآستصحبه فظفر بمروان تلك الليلة .

ومن الطِّيَرَة : ما حكى عن بعضهم قال : حضرتُ الموقِفَ مع عمر بن الخطاب رضي الله عنه فصاح به رجلٌ من خلفه : يا خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ثم قال : يا أمير المؤمنين ! فقال رجل من خلفه : دعاه بآسم ميت ! مات والله أمير المؤمنين ، ولا يَقف هـذا الموقف أبدا ! فآلتفتَ اليه فاذا هو اللّهْبيُّ ؛ فقُتِل عمر قبل الحول .

وحكى أنّ عمر رضى اللهُ عنه خرج الى حَرّة واقِم فلق رجلا من جُهينة فقال له : ما آسمك؟ قال : شِهاب ، قال : آبن من؟ قال : آبن جَمْـرة ! قال : وممن أنتَ ؟ قال : من الحُرَقة ! قال : ثم ممن ؟ قال : من بنى ضِرام ! قال : وأين منزلك ؟ قال : بحَرّةِ ليـلى ! قال : وأين تريد ؟ قال : لظى وهو موضع ! فقـال عمر : أدرِكْ أهلك ، فما أراكَ تُدركهم إلا وقد آحترقوا ، قال : فأدركهم ، وقـد أحاطت بهم النار .

وقال المدائنىّ : وقع الطاعونُ بمصر فى ولاية عبد العزيز بن مروان فخرج هاربا منه فنزل قريةً من الصعيد يقال لها : شكر ، فقدِم عليه حين نزلها رسولٌ لعبد الملك فقال له عبد العزيز : ما آسمك ؟ قال طالب بن مُدْرِك ! فقال : أوه ! ما أرانى راجعا الى الفِسطاط أبدا ، ومات فى تلك القرية .

وقيل : بينا مروان بن محمد فى إيوان له يُنَفِّذ الأمورَ ، فانصدعتْ زُجاجةُ الأموال ، فوقعت الشمسُ منها على مَنْكب مروان وكان هناك عَيّاف فقال : صَدْعُ الزُّجاج

أمر منكر على أمير المؤمنين، ثم قام فاتّبعه ثَوبان مولى مروان . فقال له : ويحك! ما قلت ؟ قال . قلتُ : صَــدْعُ الزجاج صَدْعُ السلطان، ستذهب الشمسُ بمُلك مروان، بقوم من الترك أو خُراسان، ذلك عندى واضح البرهان ! قال : فما ورد لذلك شهران حتّى ورد خبرُ أبى مُسلم .

٥ وقال إبراهيم بن المَهْدىّ : أرسل الىّ محمد الأمينُ فى ليلة مُقْمرة من ليالى الصيف فقال : يا عمّى ! إن الحرب بينى و بين طاهر قد سكنت فصِر الىّ فإنى اليك مشتاق فجئتُه وقد بُسِط له على سطح، وعنده سليمان بن جعفر ، وعليــه كساءٌ رُوذَبارِىّ، وقَلَنْسوة طويلة، وجواريه بين يديه وضعف جاريته عنده . فقال لها : غنّينى فقد سُررتُ بعمومتى فآندفعت تغنّيه

١٠ هُمُ قتلوه كى يكــونوا مكانَه * كما فعلتْ يوما بكسرَى مَرَازِبُهْ!

بنى هاشم كيف التّواصُل بيننا * وعنــد أخيه سيفُه ونجائبُــهْ؟

هكذا غنّته، وإنما هو

* وعند علىّ سيفه ونجائبه *

فغضب وتطيّر، وقال : ما قِصّتُكِ؟ ويحك ! غنّينى ما يسرّنى، فغنّتْ

١٥ هــذا مقام مطـرّدٍ * هُدِمتْ منازله ودورُهْ!

فازداد تطيّرا، ثم قال : ويحك ! آنتهى وغنّى غير هذا فغنّت

كُلَيب لعمرى كان أكثرَ ناصراً * وأيسر جُرماً منــك ضُرّج بالدّمِ

فقال لهــا : قومى الى لعنةِ الله ، فوثبت ؛ وكان بين يديه قَدَح بِلَّور وكان لحبه إيّاه يسمّيه محمدا باسمه ، فأصابه طَرفُ ذيلها فســقط على بعض الصوانى فآنكسر،

فأقبل عليّ وقال : أرى والله ياعمّ أن هذا آخر أمرنا ، فقلت : كلّا ! بل يبقيك الله يا أمير المؤمنين ويسرّك ، قال : ودجلةٌ والله هادئة ما فيها صوت مجداف ، ولا أحد يتحرّك ، فسمعتُ هاتفاً يهتف : (قُضِيَ الأَمْرُ الَّذِى فِيهِ تَسْتَفْتِيَانِ) قال فقال لى : سمعتَ ياعمّ؟ فقلتُ : وما هو؟ وقد والله سمعتُه ، فاذا الصوت قد عاد فقال : آنصرف بيتك اللهُ بخيرٍ فمحال أن لاتكون الآن قد سمعتَ ما سمعتُ ، فآنصرفت وكان آخر العهد به .

(٤٢)

وشبيه بهذا ما حكى عن عَلُّويَة المغنّى قال : كنتُ مع المأمون لما خرج الى الشام ، فدخلنا دِمَشق فطفنا فيها ، وجعل يطوف على قصور بنى أميـة ، ويتتبّع آثارهم ، فدخلنا صحناً من صحونهم ، مفروشًا بالرخام الأخضر ، وفيه بِرَكة ماء فيها سمك ، وأمامها بستان ، فاستحسن ذلك وعزم على الصَّبُوح ودعا بالطعام والشراب ، وأقبل علّى فقال : غنّنى ونشّطنى ، فكأنّ الله تعالى أنسانى الغناء كله إلا هـذا الصوت من شعر عبد الله بن قيس الرُّقَيّات

لو كان حولى بنو أميـة لم * تنطِق رجالٌ أراهمُ نطقـوا
من كلّ قَرْمٍ محضٍ ضرائبه * عن منكِبيه القميص ينخرقُ

قال : فنظر الىّ مُغْضَباً ، وقال : عليك وعلى بنى أميّة لعنة الله ، ويلك ! أقلتُ لك سُرّنى أو سؤنى ؟ ألم يكن لك وقت تذكر فيـه بنى أميـة إلا هذا الوقت تُعرّض بى؟ فتجلّدتُ عليه وعلمتُ أنّى قد أخطأتُ ، فقلت : أتلوموننى على أن أذكر بنى أميّة ؟ هـذا مولاكم زرياب عنـدهم يركب فى مائتى غلام مملوك له ، ويملك ثلثمائة ألف دينار [وهبوها له سوى الخيل والضِياع والرّقيق][1] : وأنا عندكم أموت

(١) الزيادة عن الأغانى .

جوعا، فقال: أو لم يكن لك شيء تذكّرنى به نفسَك غير هذا؟ فقلت: هكذا حضَرنى حين ذكرتُهم، فقال : أعرض وتنبّه على إرادتى وغنّ فأنسانى الله كلّ شيء أحسنه إلا هذا الصوت

الحَيْنُ ساق الى دِمَشق وما * كانت دمشــقُ لأهلنا بلدا
٥ قادتك نفسك فاستقدت لها * وأرتك أمرَ غَوايةٍ رَشَــدا

فرمانى بالقــدح فأخطأنى وآنكسر القــدح، وقال : قم الى لعنة الله وحَرّ سَقَر! فركب، وكانت تلك الحال آخر عهدى به حتى مرض ومات بعد ذلك بقليل .

ومثــل ذلك ما حكى فى قِتْـلة المتوكل ، وذلك أنه جلس يوم الأربعـاء لأيام خلون من شوّال سنة تسع وأربعين ومائتين وقال للفتح بن خاقان : أحبّ أن
١٠ نصطبح، فأَحضَر المغنّين وفيهم أحمد بن أبى العلاء فقال له : غنّ فغنّى

ياعاذلَىّ من الملام دعانى * إنّ البليّة فوق ماتصــفانِ
زعمتْ بُثينة أنّ فرقتنا غدا * لا مرحبا بغدٍ فقد أبكانى

فتطيّر المتوكّل منه، وقال : أحمد ! كيف وقع لك أن تغنّى بهذا الشعر، قال : فشُغِل قلبُ آبن أبى العلاء لمـا أنكر عليه، ثم ذهب ليغنّىَ غيره، فغنّاه ثانية ، فقال
١٥ المتوكّل : نسأل الله خير هذا اليوم ، وصرف المغنّين وقام لصلاة الظهر ، فلمّا فرغ قال له الفتح: يا سيّدى أتمِمْ يومك، فدعا بالشراب وقال: أين آبن أبى العلاء؟ فأُحضر فقال له : غنّ، فأعمى عليه فأعاد البيتين فاغتمّ المتوكّل غايةَ الغمّ وقُتِل فى الليلةَ الآتية من ذلك اليوم .

قال القاضى أبو على الجُوينىّ : حضرتُ بين يدى سيف الدولة أبى الحسن صَدَقة
٢٠ آبن منصور بن دُبَيْس، وآبنه أبو المكارم محمد إذ ذاك مريض مرضه الذى مات فيه

وقد أتى بديوان أبى نصر بن نُباته فتصفّحه فوقع بيـده وقال : يعزّى سيف الدولة أبا الحسن و يرثى آبنه أبا المكارم محمد، فأخذتُ المجلّد وأطبقتُه فعاد فتصفّحه فخرج ذلك، ومن القصيدة التى عناها قوله

فإنّ بميّا فَارِقِيــن حُفَـيْرَةً * تركنا عليها ناظر الجود داميا

تضمّنها أيدى فتى ثكلتْ به * غداةَ ثوى أمالنـا والأمانيا ٥

ولـمّـا عدمنا الصـبرَ بعد محمد * أتينا أباه نســتفيد التعازيا

وحكى: أنّ أبا الشَمَقْمَق شَخَص مع خالد بن يزيد بن مَزيد وقد تقلّد المَوْصِل ، فلما أراد الدخول اليها آندقّ لواؤه فى أوّل درب منها ، فتطيّر من ذلك وعظُم عليه ، فقال أبو الشمقمق

ما كان مندقّ اللواء لِريبةٍ * تُخشَى ولا أمرٍ يكون مبـذَّلا ١٠

لكنّ هـذا الرمح ضَعّف متنَه * صِغَر الولاية فاستقلّ المَوْصلا

فسرّى عن خالد، وكتب صاحبُ البريد بذلك الى المأمون، فزاده ديار ربيعـة وكتب اليه: هذا التضعيف المُوصِل متن رمحك ، فأعطى خالدٌ أبا الشمقمق عشرة آلاف درهم .

وقيل : لـمّـا توجّه المسترشدُ للقاء السلطان مسعود بن محمد بن مَلِكْشاه السلجلوقىّ، ١٥ وقع على الشمسية التى تُرفع على رأسه طائرٌ من الجوارح وألحّ، كلما نُفّر عاد، فتفاءل الناس له بذلك وسُرّ هو به ،فقال إنسان يُعرَف بمَلِكْدار: هذا جارح ومنقبض الكفّ وليس فيـه بُشرى بل ضدّها ، وأقبل السلطانُ فى جيشـه فكانت الكسرة وقُبِض على المسترشد وقُتِل من بعد .

خرج بعضُ ملوك الفُرس الى الصيد، فكان أوّل من آستقبله أعورُ فأمر بضربه وحبسه، ثم خرج وتصيّد صيدًا كبيرا ، فلما عاد آستدعى الأعورَ وأمر له بصِلة، فقال الأعور: لا حاجة لى فى صلتك، ولكن آئذن لى فى الكلام، فقال: تكلّمْ! قال: لقيتنى فضربتنى وحبستنى، ولقِيتك فصِدتَ وسَلِمتَ فأيّنا أشأم؟ فضحك وخلاه .

٥

الفراسة والذكاء

يقولون : عظم الجبين يدلّ على البَلَه ، وعَرْضُه يدلّ على قلة العقل ، وصِغَره على لُطف الحركة، والحاجبان اذا آتصلا على آستقامة دلّا على تخنيث وآسترخاء ، واذا تزججا نحو الصُّدغين دلّا على طَنْزٍ وآستهزاء ، والعين اذا كانت صغيرة الموق دلّت على سوء دخلَة ، وخُبث شمائل ، واذا وقع الحاجب على العين دلّ على الحسد، والعين المتوسطة فى حجمها دليل فطنة وحسن خُلق ومروءة، والناتئة على آختلاط عقل، والطائرة على حِدّة، والتى يطول تحديقها على قحة وحُمق، والتى تكسر طَرْفها على خفّة وطيش، والشَّعر على الأذن يدلّ على جودة السمع ، والأُذن الكبيرة المنتصبة تدلّ على حمق وهَذَيان .

١٠

وحكى: أن أبا موسى الأشعرىّ وجّه السائب بن الأقرع فى خلافة عمر بن الخطّاب رضى الله عنه الى مهرجا بعد أن فتحها ودخل دار الهُرمُزان بعد أن جمع السبىَ والغنائم، ورأى فى بعض مجالس الدار تصاوير فيها مثال ظبىٍ وهو مشير بإحدى يديه الى الأرض، فقال السائب : لأمرٍ مّا صُوّر هذا الظبىُ هكذا ، إن له لشأنا، فأمر بحفر الموضع الذى الإشارة اليه فأفضى الى موضع فيه حوض من رخام ، فيه سَفَطُ جوهر فأخذه السائبُ وخرج به الى عمر رضى الله عنه .

١٥

وقيل : كان المعتضد يوما جالسا فى بيت يُبنى له وهو يشاهد الصُّنّاع فرأى فى جملتهم عبدا أسود منكر الخَلْق ، شديد المرح ، يصعد على السلالم مرقاتين مرقاتين ويحمل ضِعْف ما يحمل غيره ، فأنكر أمرَه ، وأحضره وسأله عن سبب ذلك ، فلجلج فقال لوزيره : قد خَمنتُ فى هـذا تخمينًا ما أحسبه باطلا ، إمّا أن يكون معـه دنانير قد ظفر بها من غير وجهها ، أو لِصّا يتســتّر بالعمل ، ثم قال : علىّ بالأسود فأحضره وضربه ، وحلف إن لم يصدقه ليضربنّ عنقه ، فقال الأسود : ولى الأمان يا أمير المؤمنين ، قال : نعم ! إلّا ما كان من حدّ ، فظن أنه قد أمّنـه ، فقال : كنت أعمل فى أتّون الآجُرّ ، منذ سنين ، فأنا منذ شهور جالس إذ مرّ بى رجل فى وسطه كيس فتبعتُه وهو لا يعرف مكانى فحلَّ الهَميان وأخرج منـه دينارا فتأمّلتُه فاذا كله دنانير فكتّفتهُ وسددتُ فاه وأخذت الهميان وحملتهُ على كتفى وطرحته فى التّنور وطيّنتُ عليـه ، فلما كان بعد أيام أخرجتُ عِظامه وطرحتها فى دجلة والدنانير معى تقوّى قلبى قال : فأرسـل المعتضد من أحضر الدنانير ، واذا على الكيس : لفلان بن فلان ، فنادى فى المدينـة ، فحضرت آمرأته وقالت : هذا زوجى وقد ترك طفلا صغيرا خرج فى وقت كذا ومعه كيس فيـه ألف دينار ، فغاب الى الآن ، فسلّم الدنانير اليها وأمرها أن تعتدّ ، وضرب عنق الأسـود وأمر أن يوضع فى الأتّون .

وقيل : جلس المنصور فى إحدى قباب المدينة فرأى رجلا ملهوفا مهموما يجول فى الطُرُقات ، فأرسل من أتاه به فسأله عن حاله فأخبره أنّه خرج فى تجارة فأفاد مالا ورجع الى منزله به ، فدفعه الى آمرأته ، فذكرت المرأةُ أنّ المال سُرق ولم يرَ نَقْبًا ولا تسلّقا ، فقال له المنصور : منذ كم تزوّجتها ؟ قال : منذ سنة ، قال : فبكرًا أو ثيّبًا؟

قال ثيّبا، قال : فلها ولد من سواك ؟ قال : لا، قال : شابّة أم مسـنّة ؟ قال :
شـابّة، فدعا المنصور بقارورة طيب، وقال : تطيّب بهـذا، فهو يذهبُ همّك،
فأخذها وآنقلب الى أهله، ثم قال المنصور لأربعـة من ثقاته : آقعدوا على أبواب
المدينة، فمن مرّ بكم وعليه شيء من هذا الطّيب فأتونى به، وأشمهم من ذلك الطّيب،
٥ ومضى الرجلُ بالطّيب، فدفعه الى آمرأته وقال : وهبه لى أمير المؤمنين، فلّما شمّته
بعثتْ به الى رجل كانت تحبّه وقد كانت دفعتْ اليه المـال فتطيّب به، ومرّ مجتازا
ببعض الأبواب ، فأُخـذ وأُتى به الى المنصور، فقال له : من أين آستفدتَ هذا
الطيب ؟ فلجلج لسانه، فسلّمه الى صاحب شرطته وقال : أن آحضر الدنانير وإلّا
فاضربه ألف سوط ، فـا هو إلّا أن جُرّد وهُدّد، فأحضر الدنانير على حالتها فأُعلم
١٠ المنصورُ بذلك، فدعا صاحبَ الدنانير وقال : أرأيتك إن رددتُ عليك متاعَك بعينه
أتحكّمنى فى آمرأتك؟ قال : نعم ! قال : خـذ دنانيرك وقد طلّقتُ آمرأتك وخبّره
الخـــبر .

ودخل شَريك بن عبد الله القاضى على المهدىّ فأراد أن يخبّره فقال للخادم : آئتِ
القاضى بعُود، فذهب فجاء بالعود الذى يُلْهَى به، فوضعه فى حجر شريك، فقال شريك :
١٥ ما هـذا يا أمير المؤمنين ؟ قال : عود أخذه صاحبُ العَسَس البارحة فأحببنا أن
يكون كسره على يد القاضى، فقال شريك : جزاك اللهُ خيرا يا أمير المؤمنين، ثم ضرب به
الأرضَ فكسره ثم أفاضوا فى حديث آخر حتى نُسى الأمر ثم قال المهدىّ لشريك :
ما تقول فيمن أمر وكيلًا له أن يأتى بشيء فجاء بغيره فتَلِف ذلك الشيءُ ؟ فقال :
يَضْمَن يا أمير المؤمنين، فقال للخادم : آضمن ما تلف .

البـاب الرابع

من القسم الثانى من الفن الثانى

فى الكنايات والتعريض

والكنايات لها مواضع؛ فأحسنها العُدول عن الكلام القبيح الى ما يدُلّ على معناه فى لفظ أبهى منه . ومن ذلك أن يُعظَّم الرجل فلا يدعى باسمه ويكنى بكُنيته، أو يكنى بآسم آبنه صيانة لآسمه ، وقد ورد فى ذلك كثير من آى القرآن فمنها قوله تعالى (فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَيِّنًا) أى كنّياه . وقد كَنَّى رسول الله صلى الله عليه وسلم علىَّ بن أبى طالب رضى الله عنه : بأبى تراب؛ وقال البحترى

يتشاغفن بالصغير المسمّى * موضِعاتٍ وبالكبير المكَنَّى

وهذا يدل على أن المراد بالكنية التبجيل؛ وقول آبن الرومى

بكت شجوها الدنيا فلما تبيّنتْ * مكانك منها آستبشرت وتثنّتِ
وكان ضئيلا شخصها فتطاولتْ * وكانت تسمّى ذِلةً فتكنّتِ

وقال أبو صخر الهذلى

أبى القلب إلا حُبَّهُ عامريّةً * لها كنيةٌ: عمرٌو، وليس لها عمرُو

ومن عادة العرب وشأنهم؛ آستعمال الكنايات فى الأشياء التى يستحيى من ذكرها، قصدا للتعفّف باللسان، كما يُتعفّف بسائر الجوارح، قال الله عز وجلّ تأديبا لعباده (قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ) فقرن عفّة البصر

بعفّة الفرْج؛ وفى القرآن كنايات عُدِلَ بها عن التصريح تنزيها عن اللفظ المستهجَن، كقوله تعالى: (نِسَاؤُكُمْ حَرْثٌ لَكُمْ فَأْتُوا حَرْثَكُمْ أَنَّى شِئْتُمْ) وقال أبو عبيد: هو كناية، شبّه النساءَ بالحَرْثِ، وقوله تعالى: (وَقَالُوا لِجُلُودِهِمْ لِمَ شَهِدْتُمْ عَلَيْنَا)، قيل: هو كنايةٌ عن الفروج، وفى موضع آخر: (يَوْمَ يَشْهَدُ عَلَيْهِمْ سَمْعُهُمْ وَأَبْصَارُهُمْ وَجُلُودُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ)، وقوله تعالى: (أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ الصِّيَامِ الرَّفَثُ إِلَى نِسَائِكُمْ)، وقوله تعالى: (مَا الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ وَأُمُّهُ صِدِّيقَةٌ كَانَا يَأْكُلَانِ الطَّعَامَ) قال المفسرون: هــذا تنبيه بأكل الطعام على عاقبة ما يصير اليه، وهو الحَدَث، لأن من أكل الطعام فلا بدّ أن يحدث. ثم قال: (انْظُرْ كَيْفَ نُبَيِّنُ لَهُمُ الْآيَاتِ) وهذا من ألطف الكناية، ومنه قوله تعالى: (أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِنْكُمْ مِنَ الْغَائِطِ أَوْ لَامَسْتُمُ النِّسَاءَ) فالغائط: المطمئنّ من الأرض، وكانوا يأتونه لحاجتهم ويستترون به عن الأماكن المرتفعة. ومن لم يرَ الوضوء من لمس النساء جعل الملامسةَ هاهنا كناية عن الفعل.

ومن الكنايات فى كلام رسول الله صلى الله عليه وسلم — وهو وإن كان قد ورد فى الأمثال أشبه بالكناية — منها قوله صلى الله عليه وسلم "إياكم وخضراءَ الدِّمن" يريد بها المرأة الحسناء فى المنبِت السوء، وتفسير ذلك: أن الريح تجمع الدِّمنَ، وهو البعر فى البقعة من الأرض فاذا أصابه المطر نبت نبتا غضًّا يهتزّ وتحته الدِّمَنُ الخبيث، يقول: فلا تنكحوا هــذه المرأة الحسناء لجمالها، ومنبِتُها خبيثٌ كالدِّمن؛ فإن أعراق السوء تنزع أولادها؛ وقال زُفَر بن الحارث

وقد ينبتُ المرعى على دِمَنِ الثرى * وتبقى حزازاتُ النفوسِ كما هيا!

وقوله صلى الله عليه وسلم : "حَمِىَ الوطيسُ" قاله لمـا جال المسلمون يوم حُنين ، والوطيس : حفيرة تحتفر فى الأرض شبيهةٌ بالتنّور ؛ وقال الحسن : لبث أيوب عليه السلام على المزبلة سبعَ سنين ، وما على الأرض يومئذ خَلْقٌ أكرمُ على الله منه ، فما سأل اللهَ العافيــةَ إلا تعريضا فى قوله : (إِنِّى مَسَّنِيَ الضُّرُّ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ) والعرب تكنى عن الفضلة المستقذرة بألفاظ كلّها كنايات ، منها : الرَّجيعُ والنَّجْوُ وَالبرازُ والغَائطُ ٥ والعَذِرَةُ والحُشّ ، فبعض هـذه الألفاظ يراد بها نفسُ الحدَثِ ، وبعضها يراد بهـا المواضع التى يأتى اليها المحدِثُ ، وكذلك آستعملوا فى إتيان النساء : المجامعة ، والمرافعة ، والمباضعة ، والمباشرة ، والملامسة ، والمماسّة ، والخلوة ، والإفضاء ، والغشيان ، والتغشّى ، وكل هذه الألفاظ مذكورة فى القرآن .

وحُكى : أن رجلا من بنى العنبر كان أسـيرا فى بكر بن وائل ، وعزموا على غزو ١٠ قومه ، فسألهم رسولا الى قومه ، فقالوا : لا ترسل إلا بحضرتنا لئلا تنذرهم ، وجىء بعبد أسود ، فقال له : أتعقل ؟ قال : نعم إنى لعاقل ! قال : ما أراك عاقلا ! ثم أشار بيده الى الليل ، فقال : ما هذا ؟ قال : الليل ! قال : أراك عاقلا . ثم ملأ كفّيه من الرمل فقال : كم هذا ؟ قال : لاأدرى وإنه لكثير ، قال : أيّما أكثر ؟ النجوم أم النيران ؟ قال : كلٌّ كثير ، فقال : أبلغ قومى التحيّة ، وقل لهم ليُكرموا فلانا ، ١٥ يعنى أسيرا كان فى أيديهم من بكر ، فإن قومه لى مكرمون وقل لهم : إن العَرْفَجَ قد أَدْبَى ، وشكّتِ النساء ، وأمرهم أن يُعْروا ناقتى الحمراء ، فقد أطالوا ركوبها ، وأن يركبوا جملى الأصهب بآية ما أكلتُ معهم حَيْسًا ، وآسألوا عن خبرى أخى الحارث ؛

فلما أدّى العبد الرسالة اليهم قالوا : قد جُنَّ الأعورُ، والله ما نعرف له ناقة حمراء ، ولا جملا أصهبَ ، ثم سرّحوا العبدَ ودعوا الحارث فقصّوا عليه القِصّة ، فقال : قد أنذركم ؛ أمّا قوله : قد أدبَى العرفج ؛ يريد : أن الرجال قد ٱستلأموا ولبسوا السلاح ، وقوله : وشكّت النساء ؛ أى ٱتخذن الشِّكَاءَ للسفر ، وقوله : الناقة الحمراء ؛ (٤٥) أى ٱرتحلوا عن الدهناء وٱركبوا الصَّمَّانَ وهو الجمل الأصهب ، وقوله : بآية ما أكلت ٥ معكم حيسًا أى أخلاط من الناس وقد غزوكم ؛ لأن الحيس يجمع التمر والسمن والأقِط ، فٱمتثلوا ما قال ، وعرفوا لحنَ كلامه . وحكى أبو الفرج الأصفهانى بسنده الى مجالد ٱبن سعيد عبد الملك بن عمر قال : قدم علينا عمر بن هبيرة الكوفة ، فأرسل الى عشرةٍ أنا أحدهم من وجوه أهل الكوفة ، فسمرنا عنده . ثم قال : ليحدّثنى كلّ رجل منكم أحدوثة . وٱبدأ أنت يا أبا عمرو ، فقلت : أصلح الله الأمير ، أحديث الحق ١٠ أم حديث الباطل ؟ قال : بل حديث الحقّ ، قلت : إن ٱمرأ القيس آلى أليّة أن لا يتزوج ٱمرأة حتى يسألها عن ثمانية وأربعة وٱثنين ، فجعل يخطب النساء فاذا سألهن عن هذا ، قلن أربعة عشر ، فبينا هو يسير فى جوف الليل اذا هو برجل يحمل ٱبنة له صغيرة ، كأنها البدر لتمّه ، فأعجبته فسألها : ياجارية ! ما ثمانية وأربعة وٱثنان ؟ فقالت : أما ثمانية فأطْبَاءُ الكلبة ، وأما أربعة فأخلافُ الناقة ، وأما ٱثنان ١٥ فثديا المرأة ، فخطبها الى أبيها ، فزوّجه إياها وشرطت عليه أن تسأله ليلة بنائها عن ثلاث خِصالٍ ، فجعل لها ذلك ، وعلى أن يسوق اليها مائةً من الإبل ، وعشرة أعبدٍ ، وعشر وصائفَ ، وثلاثة أفراس ؛ ففعل ذلك ، ثم إنه بعث عبدا له الى المرأة ، وأهدى لها نِحْيًا من سمن ، ونِحْيًا من عسل ، وحلّة من قصب ، فنزل العبد

على بعض المياه ، فنشر الحلّة فلبسها فتعلّقت بسَمُرةٍ فانشقّت ، وفتح النِّحيْين فأطعم أهل الماء منهما فنقصا ، ثم قدم على حىّ المرأة وهم خلوف فسألها عن أبيها وأمها وأخيها ، ودفع اليها هديّتها فقالت له : أعلِمْ مولاك أنّ أبى ذهب يقرِّب بعيدا ، ويبعِّد قريبا ، وأنّ أمّى ذهبت تشقّ النفس نفسيْن ، وأنّ أخى ذهب يراعى الشمس ، وأنّ سماءكم آنشقّت ، وأنّ وِعاءيْكم نضَبا ، فقدم الغلام على مولاه فأخبره ، فقال : أما قولها : أنّ أبى ذهب يقرّب بعيدا ويبعّد قريبا : فإن أباها ذهب يحالف قوما على قومه ، وأما قولها : ذهبت أمّى تشق النفس نفسين : فإن أمها ذهبت تَقْبُلُ آمرأة نفساء ، وأما قولها : ذهب أخى يراعى الشمس : فإن أخاها فى سَرْحٍ له يرعاه ، فهو ينتظر وجوب الشمس ليروح به ، وقولها : أن سماءكم آنشقّت : فإن البُرْدَ الذى بعثتَ به آنشقّ ، وأما قولها : أن وعاءيكم نضبا : فإن النِّحيْين نقصا ، فاصدقنى ، فقال : يامولاى ! إنى نزلت بماء من مياه العرب ، فسألونى عن نسبى ، فأخبرتهم أنى آبن عمك ، ونشرتُ الحلّة فلبستها وتجمّلتُ بها ، فتعلّقتْ بسَمُرةٍ فآنشقّت ، وفتحتُ النِّحيْين فأطعمتُ منهما أهل الماء . فقال : أَوْلَى لك ، ثم ساق مائةً من الإبل ، وخرج ومعه الغلام ليسقىَ الإبلَ ، فعجز ، فأعانه آمرؤ القيس فرمى به الغلام فى البئر ، وخرج حتى أتى المرأة بالإبل فأخبرهم أنه زوجها ، فقيل لها : قد جاء زوجك ! فقالت : والله ما أدرى أزوجى هو أم لا ؟ ولكن آنحروا له جزورا وأطعموه من كرشها وذنَبها ، ففعلوا ، فأكل ما أطعموه ، قالت : آسقوه لبنا حازرا (وهو الحامض) فسقوه ، فشرب ، فقالت : آفرشوا له عند الفَرْثِ والدم ، ففرشوا له ، فنام . فلما أصبحت أرسلت اليه : أريد أن أسألك عن ثلاث ، قال : سلى عما بدا لك ، فقالت : لمَ تختلج شفتاك؟

قال : من تقبيلى إياك ! قالت : لم تختلج فخذاك ؟ قال : لتوركى إياك ! قالت : فلم يختلج كَشْحاك ؟ قال : لالترامى إياك ! قالت : عليكم العبد ! فشدّوا أيديكم به ، ففعلوا ؛ قال : ومرّ قوم فاستخرجوا آمرأ القيس من البئر ، فرجع الى حيّه وآستاق مائةً من الإبل وأقبل الى آمرأته . فقيل لها : قد جاء زوجك ! فقالت : والله ما أدرى أزوجى هو أم لا ؟ ولكن آنحروا له جزورا وأطعموه من كرشها وذنبها ، ففعلوا ؛ فلما أتوه بذلك ، قال : وأين الكبد والسّنام والملْحاء ؟ فأبى أن يأكل ، فقالت : آسقوه لبنا حازرا ، فأُتِىَ به ، فأبى أن يشربه وقال : أين الصَّريف والرَّثيئة ؟ فقالت : آفرشوا له عند الفَرْثِ والدم ، ففرشوا له ؛ فأبى أن ينام وقال : آفرشوا لى فوق التلعة الحمراء وآضربوا عليها خباء ، ثم أرسلت اليه : هلمّ شريطتى عليك فى المسائل الثلاث ، فأرسل اليها : سلينى عما شئت ، فقالت : لم تختلج شفتاك ؟ قال : لشرب المشعشعات ؛ قالت : فلم يختلج كشحاك ؟ قال : للبس الحبرات ؛ قالت : فلم يختلج فخذاك ؟ قال : لركض المطهّمات ؛ قالت : هـذا زوجى لعمرى ! فعليكم به ، وآقتلوا العبد فقتلوه ، ودخل آمرؤ القيس بالجارية ؛ قال آبن هُبَيرة : حسبكم ! فلا خير فى الحديث فى سائر الليلة بعد حديثك يا أبا عمرو ولن يأتينَا أحدٌ بأعجب منه ، فقمنا فانصرفنا وأمر لى بجائزة .

وقيل : بعث بَشَامة بن الأعور العنبرىّ الى أهله بثلاثين شاةً ونِحْيٍ صغير فيه سمن ، فسرق الرسول شاة ، وأخذ من رأس النحى شيئا ، فقال لهم الرسول : ألكم حاجةٌ أُخبره بها ؟ فقالت آمرأته : أَخبِرْه أنّ الشهر محاق ، وأن جدينا الذى كان يطالعنا وجدناه مرثوما ، فآرتجع منه الشاة والسمن .

وقيـل : أسرت طيٌّ غلاما، فقدم أبوه ليفديَهُ، فاشتطّوا عليـه . فقال أبوه : لا والذى جعل الفرقدين يُمسيانِ ويصبحانِ على جبلَىْ طيٍّ ! ما عندى غير ما بذلتهُ، ثم آنصرف وقال : لقد أعطيته كلاما إن كان فيه خيرٌ فهمه . كأنه قال : اِلزَم الفرقدَيْن على جبلَىْ طيٍّ، ففهم الآبن تعريضه وطرد إبلًا لهم من ليلته ونجا .

ومن التخليص المتوسَّط اليه بالكناية؛ ماروى عن عدىّ بن حاتم بن عبد الله الطائىّ، ٥ أنه قال يوما فى حق الوليد بن عقبة بن أبى مُعَيط : ألا تعجبون لهذا؟ أشعرَ بَرْكًا يُولَّى مثل هـذا المصر، والله ما يحسن أن يقضىَ فى تمرتين . فبلغ ذلك الوليـدَ فقال على المنبر : أنشُد الله رَجُلًا سمّانى أشعرَ بَرْكًا إلا قام، فقام عدىّ بن حاتم فقال : أيها الأمير، إن الذى يقوم فيقول : أنا سمّيتك أشعرَ بَرْكًا لجرىءٌ، فقال له : آجلس يا أبا طريف! فقد برّأك الله منها، فجلس وهو يقول : ما برّأنى الله منها . ١٠

وقيل: كان شُريح عند زياد بن أبيه وهو مريض، فلما خرج من عنده أرسل اليه مسروق رسولا وقال: كيف تركت الأمير؟ فقال: تركته يأمر وينهى، قال مسروق: إنه صاحب مرض، فارجع اليه وآسـأله ما يأمر وينهى، قال : يأمر بالوصـيّة وينهى عن النّوح .

خطب رجل الى قوم فجاءوا الى الشعبىّ يسألونه عنه، وكان به عارفا، فقال : هو ١٥ والله ما علمت نافذ الطعنة، ركين الجلسة، فزوّجوه ؛ فاذا هو خيّاط فأتوه فقالوا : غررتنا فقال : ما فعلتُ وإنه لكما وصفت .

وخطب باقلانيّ الى قوم وذكر أنّ الشعبيّ يعرفه فسألوه فقال : إنه لعظيم الرماد، كثير الغاشية .

قيل : أخذ العسس رجلين فقال لهما : من أنتما ؟ فقال أحدهما

أنا آبن الذى لا يُنزِل الدهرِ قِدْرَهُ * وإن نزلتْ يوما فسوف تعودُ

٥ ترى الناسَ أفواجا الى ضوء ناره * فمنهم قيامٌ حولها وقعودُ !

وقال الآخر

أنا آبن من تخضع الرقاب له * ما بين مخزومها وهاشمها

تأتيه بالذلّ وهى صاغرة * يأخذ من مالها ومن دمها !

فظنوهما من أولاد الأكابر، فلما أصبح سأل عنهما ؛ فإذا الأول آبن طبّاخ والثانى ١٠ آبن حجّام .

وقال عمر بن الخطاب رضى الله عنه للأحنف : أىّ الطعام أحبّ اليك ؟ قال : الزُّبدُ والكَمْأَةُ . فقال : ما هما بأحبّ الطعام اليه ، ولكنه يحبّ الخصب للسلمين .

وقال لقمان لآبنه : كُلْ أطيب الطعام، ونَمْ على أوطأ الفرش ؛ كنّى عن إكثار ١٥ الصيام، وإطالة القيام .

ومن جيّد التورية وغريبها مع توخّى الصدق فى موطن الخوف : قولُ أبى بكر الصدّيق رضى الله عنه ، وقد أقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو رَديفُه عامَ الهجرة، فقيل له : من هذا يا أبا بكر ؟ فقال : رجل يهدينى السبيل .

ورُفِعَ الى عبيد الله بن الحسن قاضى البصرة وصـيةٌ لرجل بمال أمر أن تُتَّخَذَ به حصون . فقال : آشتروا به خيلا للسبيل، أما سمعتم قول النخعىّ

ولقـــد علمت على تجنبىَ الردى * أن الحصون الخيلُ لامدَرُ القُرَى

قيـل كان البَرَاءُ بن قَبِيصة صاحبَ شرابٍ، فدخل على الوليد بن عبد الملك، وبوجهه أثر ، فقال : ماهــذا ؟ قال فرس لى أشقر ، ركبته فكبا بى ، فقال : لو ركبتَ الأشهبَ لَمَا كبا بك، يريد المـاء . ٥

قال عبد الملك بن مروان لثابت بن الزبير : ماثابت من الأسماء! ليس بآسم رجل ولا آمرأة ، قال : يا أمير المؤمنين لا ذنب لى لو كان آسمى الىَّ، لسمّيتُ نفسى زينبَ، يُعرِّضُ به ؛ فإنه كان يعشق زينبَ بنت عبد الرحمن بن هشام فخطبها؛ فقالت : لا أوسّخ نفسى بأَبِى الذبّان . ١٠

قال نُمَيْرىّ لفقعسىٍّ : إنى أريد إتيانك فأجد على بابك جروا ، فقال له الفقعسىُّ: آطرح عليه ترابا وآدخل، أراد النميرىّ قول الشاعر

ينـام الفقعسىُّ وما يُصَـــلِّى * ويخرى فوق قارعةِ الطريق

وأراد الفقعسىّ قول الآخر

ولو وُطِئتْ نساءُ بنى نميرٍ * على تُربٍ لخبَّثْنَ الترابَا ١٥

قال عبد الله بن الزبير لآمرأة عبد الله بن حازم السلمىّ : أَخرجى المالَ الذى وضعته تحت آستِك ، فقالت : ما ظننت أن أحدا يلى شيئا من أمور المسلمين يتكلّم بهذا ، فقال بعض من حضر : أما ترون الخلْع الخفىَّ الذى أشارت اليه ؟ فلما أخذ الحجّاج أمّ عبد الرحمن بن الأشعث تجنّب ماعيبَ على آبن الزبير، فكنّى عن المعنى فقال لها : عمدتِ الى مال الله فوضعتِه تحتَ ذيلك . ٢٠

(٤٧)

ماتت للهذلىّ أمُّ ولدٍ، فأمر المنصورُ الربيعَ بأن يعزّيَه ويقولَ له : إن أمير المؤمنين يوجّه اليك بجارية نفيسة لها أدبٌ وظَرْفٌ تُسليك عنها، وأمر لك بفرسٍ وكُسوةٍ وصِلةٍ؛ فلم يزل الهذلىّ يتوقّعها، ونسِيَها المنصور، ثم حجّ ومعه الهذلىّ فقال له وهو بالمدينة : أحبّ أن أطوفَ الليلةَ فى المدينة، وأطلبَ من يطوف بى فقال : أنا لها يا أمير المؤمنين؛ فطاف به حتى وصل الى بيت عاتكةَ فقال : يا أمير المؤمنين! وهذا بيت عاتكةَ الذى يقول فيه الأحوص

* يا بيتَ عاتكةَ الذى أتعزّلُ *

فأنكر المنصور ذكرَ بيتِ عاتكةَ من غير أن يسأله عنه؛ فلما رجع أمرّ القصيدة على خاطره فاذا فيها

وأراك تفعلُ ما تقولُ وبعضهم . مذِقُ الحديثِ يقول ما لا يفعلُ

فتذكّر الموعدَ وأنجزه واعتذر اليه .

اجتمع الشعراء بباب أمير من أمراء العرب ، فمرّ رجل ببازٍ فقال رجل من بنى تميم لآخر من بنى نمير : هـذا البازى ! فقال النميرىّ : إنه يصيد القطا؛ عرّض الأوّل بقول جرير

أنا البازى المطلّ على نُميرٍ * أتيح من السماء لها انصبابا

وأراد الآخر قول الطرمّاح

تميم بطرق اللؤم أهدَى من القَطا * ولو سلكتْ طُرْقَ المكارمِ ضلّتِ

قال عمر بن هُبَيْرة الفزارىّ لأيوب بن ظَبيان النميرىّ وهو يسايره : غُضّ من بغلتِك! فقال : إنها مكتوبة، أراد بن هبيرة قول جرير

فغُضّ الطرف إنك من نمير * فلا كعبا بلغتَ ولا كلابا

وأراد النميرى قول آبن دارة

لا تأمنَنّ فَزاريًّا خلوتَ به * على قلوصك وآكتُبْها بأسيارِ

وقيل : كان العزيز بن المعزّ العُبيدىّ أحد الخلفاء بمصر يلعب بالحَمام فتسابق هو وخادم له فسبق طائرُ الخادم طائرَ الخليفة ، فبعث الى وزيره آبن كلس اليهودىّ يستعلمه عن ذلك فاستحيي أن يقول : إن طائر الخليفة سُبِقَ ، فكتب إليه ٥

يآبن الذى طاعتُـه عِصمةٌ * وحُبُّـه مفتَرَضٌ واجبُ

طائرك السـابقُ لكنّه * جاء وفى خدمته حاجبُ

جاءت آمرأة إلى عمر رضى الله عنه فقالت : أشكو اليـك زوجى ، خيرُ أهـل الأرض إلا رجلٌ سبقه لعمل ، أو عمل مثلَ عمله ، يقوم الليل حتى يُصبح ، ويصوم النهار حتى يُمسِى ، ثم أخذها الحياء فقالت : أقِلْنى يا أمير المؤمنين ! فقال : جزاك ١٠ الله خيرا ! فقد أحسنتِ الثناء ، فلما ولَّتْ قال كعبُ بن سُوْر : يا أمير المؤمنين لقد أبلَغَتْ اليك فى الشكوى ، فإنها كنَّتْ بذلك عن عدم المباضعة .

البـاب الخامس

من القسم الثانى من الفن الثانى

فى الألغـاز والأحاجىّ ١٥

قالوا : وآشتقاق اللُّغز من ألْغزَ اليَربوعُ ولَغَزَ : إذا حفر لنفسه مستقيما ، ثم أخذ يَمْنةً ويسرة ليوارى بذلك ويعمّى على طالبـه . وللُّغز أسماءٌ فمنها : المُعاياة ، والعويصُ ، والرمز ، والمحاجاة ، وأبيات المعانى ، والمَلاحن ، والمرموس ، والتأويلُ ، والكناية ،

والتعريض، والإشارة، والتوجيه، والمعمَّى، والمُمَثَّل، ومعنى الجميع واحد، وآختلافها
بحسب آختلاف وجوه آعتباراته، فانك إذا آعتبرته من حيث إن واضعه كأنه يعايبك،
أى يُظهر إعياءك وهو التعبُ، سمّيتَه : معاياة، و إذا آعتبرته من حيث صعوبة
فهمه وآعتياص آستخراجه، سمّيته : عَويصا، و إذا آعتبرته من حيث إنه قد عمل
٥ على وجوه وأبواب، سمّيته : لُغْزاً، وفعلك له : إلغازا، واذا آعتبرته من حيث إن
واضعه لم يفصح عنه قلت : رَمَزَ، وقريب منه الإشارة، و إذا آعتبرته من حيث
إن غيرك حاجاك أى آستخرج مقـدار عقلك، سمّيته : محاجاة، و إذا آعتبرته من
حيث إنه آستخرج كثرة معانيه، سمّيته : أبيات المعانى، وإذا آعتبرته من حيث
إنّ قائله قد يوهمك شيئا و يريد غيره، سميته : لحنا وسميتَ فعلك : المَلاحن، و إذا
١٠ آعتبرته من حيث إنه سُتر عنك ورُمس فهو : المرموس، والرمس : القبر، و إذا آعتبرته
من أن معناه يؤوَّل اليك، سميته : مؤوَّلا، وسميت فعلك : تأويلا، و إذا آعتبرته
من حيث إن صاحبه لم يصرّح بغرضه، سميته : تعريضا وكناية، و إذا آعتبرته من
حيث إنه ذو وجوه، سميته : الموجَّهُ، وسميت فعلك : التوجيه، و إذا آعتبرته من
حيث إنه مغطًّى عليك، سمّيته : مُعَمًّى .

١٥ قال الحكيم أمير الدولة المعروف بابن التلميذ فى الميزان

ما واحد مختلِف الأسماءِ؟ * يعدل فى الأرض وفى السماءِ
يحـكم بالقسـط بلا رياءِ * أعمى يُرى الرشادَ كلَّ رائى
أخرس لا من عـلّة وداءِ * يُغنِى عن التصريح بالإيماءِ
يجيب إن ناداه ذو آمتراءِ * بالرفع والخفض عن النـداءِ
٢٠ * يُفصح إن عُلِّقَ فى الهواءِ *

(٤٨) أمير

قوله : مختلِف الأسمـاء يعنى ميزان الشمس ، والأصطرلاب ، وسائر آلات الرصد، وهو معنى قوله : يحكم فى السماء . وميزان الكلام : النحو، وميزان الشعر : العروض، وميزان المعانى : المنطق، وهذه الميزان والذراع والمكيال .

وقال آخر فيه

ما تقولون ؟ : فيما نزل من السماء، وعُلِّق فى الهواء، له عينٌ عمياء، وكفٌّ شلاء، ليس له إن عدل ثواب، ولا عليه إن جار عقاب، خُلقَ من ثلاثة أجناس، تضعضعه الأنفاس، جسمه عارٍ من غير لباس، أخرسُ اللسان، فى أذنه خُرصان، مكرر الذكر فى القرآن، ينطوى اذا نام كالصِّلّ، وفعله المستقبل معتلّ، وله فى الآخرة أكبر محلّ. ٥

وقال أبو نصر الكاتب فى الخاتم

ومنكوحٍ إذا ملكتْه كفٌّ * وليس يكون فى هذا مِراءُ ١٠

له عينٌ تخلّلها ضياءٌ * فإن كُحلتْ فللميلِ العَماءُ

يظلّ طليعةً للوصل هونا * وللخاشى بزورته آحتماءُ

وقد أوضحتُه وأبنتُ عنه * ففسِّره فقد برح الخفاءُ

أراد بقوله : تخلّلها ضياءٌ أى أنها مفتوحة وكحلها بالإصبع ؛ وقد يبعث المحبوب بخاتمه علامةً للزيارة أو رهنا عليها وهو أمانٌ للجانى . ١٥

وقال آبن الرومىّ فى فتيلة السراج

ما حَيَّــةٌ فى رأسها دُرَّة * تسـبح فى بحرٍ قليل المَدَى؟

إن غُيِّبتْ كان العمى حاضرا * وإن بدت لاح طريقُ الهدى!

وقال السرىّ الرفّاء فى شبكة الصيّاد

وكثيرة الأحداق إلا أنها * عمياءُ ما لم تنغمس فى ماءِ
و إذا هى آنغمست أفادت ربّها * ما لا يُنال بأعين البصراءِ

وقال آخر فى النوم

٥ وحاملٍ يحملنى * وماله شخصٌ يُرَى!
إذا حصلتُ فوقه * وهو لذيذُ الممتطَى!
سريتُ لا أدرى أفى * أرض سريتُ أم سما!

وقال أبو العلاء المعرىّ فى ركابَى السرج

خليلانِ نيطَا فى جوانب مجلسٍ * جداراه قدّام له ووراءُ!
١٠ متى يضع الرِّجْلَيْنِ ماشٍ عليهما * يَزُلْ عنه فى وَشْكٍ حَفًا وحَفاءُ!

قوله : خليلان لتشابههما، والمجلس : السرج، وجداراه : قربوسه ورادفته، والحفا مقصور : وجعُ الرِّجل، وممدود : من مشى الرجل حافيا بغير نعل .

وقال آبن القاسم عبد الصمد بن نائل فى القُفْل

مُجامعٌ يَعقِد عَقْد الكلبهْ * إن رامه غيرك جرّ نكبَهْ
١٥ ينام كالأمرد لا كالقحبهْ * حتى اذا شكَّ القُمُدُّ جنبَهْ
وعالج الجذبةَ بعد الجذبهْ * وآنحلّ بالحقنة لا بالشربهْ
ألقى جنينا تحتَه العزبهْ * ثم إذا عاد إليه أشبهْ
بعضَ حروفِ المُعْجَمِ المُنكبَهْ * يبُغض وهو صادق المحبهْ
يعتقد السِّلم وينوى حَربهْ * وهو على ذاك طويل الصحبهْ

شَبّهه بالمجامع : لدخول الفَراش فى بطنه ، وقوله : يعقد عقد الكلبة : فى عُسر المفارقة ، و إن فتحه غيرك جرّ نكبة عليك لسرقة مافيه ، ينام كالأمرد : لأنكبابه ، والقُمُدُّ : الذكر وهو المفتاح ، والجنين : الفَراش ، و إذا عاد إليه أشبه حرف الكاف .

وقال فى آسم سعيد

يبسم عن أوّل آسمـــه حَبِّى * ثم بثـانى حروفه يسـبى
ثم بحرفين لو بدا بهما * أسدى يدا ، صورةُ آسمها تُنبى
أربعـــة نصفهـا بجملتها * فى العدّ لم تنتقص ولم تُربى
هذا وفيه آسمُ يومٍ آتّفقت * مفاخرُ العُجْم فيه والعُرْبِ
فأعمـل الفكر فى تأمله * وآركب به كلّ مَرْكَب صعبِ

شبّه السين بالثغر ، وثانيه العين وهى تسبى القلوب ، والحرفان يَد وهى أربعة فى العدد وستّة فى الصورة ، و إذا أخذتَ السين والعين فهى أربعة وهى جملةَ العدد ، وفيـه عيد وهو يوم التفاخر بالزينة واللبوس .

وقال آبن أبى البَغْل الكاتب فى القلم

اصمّ عن المنادى لا يجيبُ * به تخبو وتستعل الخطوبُ
ضئيل الجسم " أعْلَمُ " ليس تخفَى * عليه غيوبُ ما تُخفى القلوبُ
تراه راجلًا لا روح فيـــه * ويُحييه ويُنطقه الرّكوبُ
يبين لسانُه ما كنّ سـودًا * معارفه ويُخرسـه المشيبُ
يقَسِّم فى الورى بؤسى ونُعمى * ويحكم والقضـاءُ له مجيبُ
عجبت لسطوة فيـه وضعْف * وكلّ أموره عجبٌ عجيبُ

أراد بقوله : أعلم : مَشقوق الشَّفَة .

وقال أبو العلاء المعرّى فى المِلْح

و بيضاء من سرّ المِلاح ملكتُها * فلما قضتْ إِرْبى حبوتُ بها صحبي

فباتوا بها مستمتعين ولم تزل * تحثّهم بعد الطعام على الشُّرب

قوله : سرّ أى خالصة، والمِلَاح جمع مِلْح، والإرب : الحاجة .

٥ وقال آخر فى عودى الغناء والبخور

وما شيئان إِسمهما سَواءٌ * وأصلهما معا عند ٱنتسابِ

إذا حضراك بتّ قرير عين * بلا طعم يلذّ ولا شَراب

وما أن يوجدان النفع إلّا * بضرب أو بضرب من عذابِ

معنى ٱسمهما سواء ظاهرٌ، وأصلهما خشب، والضَّرب الأول : ضَرب العود ،

١٠ والثانى : من العذاب وهو الإحراق .

وقال آخر فى الحرب

ما ذات شَوْكٍ لها جناح * يختطف النّاسَ عن قريبِ

وهى عقيم ترى بنيها * من بين مُرْدٍ و بين شِيبِ

يأكل بعض البنين بعضا * طلوعَ شمس الى غروبِ

١٥ تصحيفها الداء غير شك * قد يُحسم الداءُ بالطبيبِ

والداء معكوسه مكان * يصلح للطائر النجيبِ

يعرفها من يكون طَبّا * بالشّعر والنحو والغريبِ

هذا لغز معمى فى الحرب، وشوكها : السلاح، وجناحاها : جانباها ، وعقيم :

لأنها لا تلد ، وبنوها : رجالها، وأكلُهم : قتلهم، وتصحيفها : الجرب، وعكسه :

٢٠ برج .

وقال آخر فى الثدى

وما أخوانِ مشتبهان جِدًّا * كما آشـتبه الغَرابة والغرابُ

يَضمّهما على مرّ الليـالى * وما آجتمعا ولا آفترقا إهابُ

لذاك وذا دموع هاملات * ولكن كلّ دمعهما شَرابُ

يصونهما عن الأبصار دِين * ويُضرَب دون نَيْلهما حِجابُ ٥

هما : ثديا المرأة، ويضمّهما إهاب : وهو الجلد .

وقال آخر فى الفخّ

وما ميّت كفّنته ودفنته * فقام الى حىّ صحيح فأوثقهْ

وقال آخر وهو لغز

حلف الحبيبُ علىّ لا سمّيتُـه * فكنيته ولطفت خوف تغاضبِهْ ١٠

ظبى! اذا ما زارنى حلّ آسمـه * قلبى وذلك من عجيب عجائبِـهْ

ويكون إن رخّمتَه وخَرَمتَه * وقلَبتَه ما تشتهى من صاحبِهْ

ويكون إن صحّفتَ مبدأه الذى * أصبحتَ تهواه لعين مراقبِـهْ

وتراه بعـد الجزم إن ميّزت فى التصحيف مقلوبا أشـدّ معائبِهْ

وحروفها فالنصف منها جذرها * وحساب ذلك غير متعبٍ حاسبِهْ ١٥

فاطلبه سادس سادس ثانيه ثا * نيـه وثالثه كذاك لطالبِهْ

وتمـامه من بعـد مثل حروفه * فى البيت صحّ آسم الحبيب لقالبِهْ

هو لغز فى فرحةٍ ، والترخيم : حذف الآخر ، والخرم : حذف الأوّل؛ فاذا رخم وخرم وقلب بقى : حِر، واذا قلبت الفاء قافا بقى :قُرحة لعين المراقب ، واذا صحفته مقلوبا ، وجزمت آخره صار : هجر ، والنصف من حروفه آثنان، وهما جذر جميع حروفه، وقوله : فآطلبه سادس سادس : يعنى البيت السادس .

٥ وقال آخر فى سَلْمى

سل ماهرًا بالقريض والأدب * ما آسم فتاةٍ قعيـــدة النّسبِ

قــد صرّح الشّــعر باسمها فتى * فكّرتَ فيها ظفرتَ بالعجبِ

الآسم : سلمى، وهو ظاهر فى أول البيت .

وقال آخر فى الكُرة

١٠ ومضروبةٍ تحيـا إذا ما ضربتهـا * وإن تُركت من شدّة الضرب ماتت

وقال أبو عبد الله بن المغلّس فى السِّراج

وداعٍ الى نفسه فى الظلامِ * وما سمعتْ أذنه صــوتَهُ

اذا هو بيّض وجه الطريـــ*ـــقِ ســوّد فى وجهه بيتَهُ

وقال آخر فى الصَّدَى

١٥ وساكنٍ يسكن فى الفلاةِ * ليس من الوحش ولا النباتِ

ولا من الجنّ ولا الحيّا تِ * ولا الخيام الشَّعر والأبياتِ

ولا بذى جســـم ولا حيـاةٍ * كلا ! ولا يدرك بالصفاتِ

بـلى! له صوت من الأصوات * يُسمع فى الأحيان والأوقاتِ

وقال آبن المغلّس فى النخلة

وقائمـــة أبدا لا تنـام * وما قعدت قطّ مذ قامت

تعيش إذا غسـلوا رِجلها * وإن حلقـوا رأسَها ماتت

وقال آخر

مايقول سيدنا الشيخ : فى شىء نزل من السماء، وركض فى الهواء، وخيّم فى البيداء، ٥
نطق على نفسه فأفصح، وتكلّم فبيّن وأوضح، أفقر وأغنى، وأمات وأحيا، له شوارق
من غير غضب، ورقصات على غير طرب، يسبق الفرس السريع، ويسبقه الطفل
الرضيع، مختلف الألوان، يوجد فى كلّ زمان، ما أكثر لغاته ! وأعمّ فى البشر ذكر
صفاته ! وهو خفيف ثقيل، كثير قليل، كبير صغير، طويل قصير، غال رخيص،
قوىّ ضـعيف، سريع بطىء، بارد حارّ، نافع ضارّ، أبيض أسود أزرق، قريب ١٠
بعيد، قديم جديد، متحرّك ساكن، ظاهر باطن، يتجسّر ويتكسّر، ويتعوّج
ويتدوّر، سلطانه فى الشمال وبه يذلّ، وضـعفه فى الجنوب وبه يعزّ، نحيل يخفى
جثّة الميـل فى طيّه وعطفه، ويتخلّل جفن العين الرمدة برفقه ولطفه، يمشى على
الحـدق فلا يؤلمها، ويطأ القلوب فلا يُكْلِمها، على أنّه يقطع الطريق، ويخيف
الفريق، كم أهلك من قوم وما راق ولا سفك! يحمل ألف قنطار، ويعجز عن حمل ١٥
دينار، وهو ليـلىٌّ نهارىٌّ، عربىٌّ عجمىٌّ، برىٌّ بحرىٌّ، سهلىٌّ جبلىٌّ، رومىٌّ نوبىٌّ،
هندىٌّ حبشىٌّ، صينىٌّ جاهلىٌّ إسلامىٌّ، كان مع آدم فى الجنّة، وصحب نوحا فى السفينة،
وتوسّط النار مع إبراهيم، كم له مع موسى من خبر ! ولموسى فيه من آية وأثر ! حمل
المسيح على غير ظهر، وما سار فى برّ ولا بحر، أخرجه النبىّ صلى الله عليه وسلّم من
جسده، وفرّقه على صحابته، إذا نطقت به كان بعض أحد خلفاء بنى العباس السبعة ٢٠

وهو ١٤٣١ .

وقال آخر

ما شيءٌ وجهه قمر، وقلبه حجر إن علّقته ضاع، وإن أدخلتهُ السّوقَ أبى أن يباع، وإن فككته دعا لك، وإن ركبت نِصْفَه هالك، وربّما كثّر أموالك، وإن حذفتَ آخره، وشدّدت ثانيَه، أورثك الألم عند الفَجْر، والضجر عند العصر : هو الدُّملج الفضة .

٥

* * *

ومما يتصل بهذا الباب مسائل العويص

فمن ذلك : آمرأتان آلتقتا برجلين قالتا لها : مرحبا بابنينا وزوجينا وآبنى زوجينا، وذلك أن كلّ واحد منهما تزوّج بأم الآخر فهما آبناهما وزوجاهما وآبنا زوجيهما .

١٠

رجلان كلّ واحد منهما عمّ الآخر وآبن أخيه، وذلك : أنّ كلّ واحد من أبويهما تزوّج بأم الآخر، فرُزِق كل واحد منهما ولدا فكل من الولدين عمّ الآخر وآبن أخيه.

رجلان كلّ واحد منهما خال الآخر وآبن أُخته، وذلك : أنّ كلّ واحد من أبويهما تزوّج بابنة الآخر، فرزق كلّ واحد منهما ولدا فكلّ من ولديهما خال الآخر وآبن أخته .

١٥

رجل وآمرأتان هو خال أحديهما، وهى خالته وعمّ الأخرى، وهى عمّته، وذلك : أنّ جدّته أمّ أبيه تزوّجت بأخيه لأمّه وأخته لأبيه تزوّجت بأب أمّه، فولدتا بنتين فبنت أخته خالته وهو خالها، وبنت جدّته عمّته وهو عمّها، وهذا أصل الأبيات المنظومة فى ذلك

ولى خالة وأنا خالها * ولى عمّة وأنا عمّها

رجلان كلّ واحد منهـما ٱبن خال الآخر وٱبن عمّته، وذلك : أنّ كل واحد من أبويهما تزوّج بأخت الآخر، فرزق كلّ منهما ولدا، فكل من ولديهما ٱبن خال الآخر وٱبن عمّته .

رجلان كلّ واحد منهما عمّ والد الآخر، وذلك : أنّ كلّ واحد من أبويهما تزوّج بأم أب الآخر، فكلّ من أولادهما عمّ أب الآخر . ٥

رجلان كلّ واحد منهما عمّ أمّ الآخر، وذلك : أنّ كلّ واحد من أبويهما تزوّج بابنة ٱبن الآخر، فكلّ من أولادها عمّ أمّ الآخر .

رجلان كل واحد منهـما خال أمّ الآخر، وذلك : أنّ كلّ واحد من أبويهما تزوّج بابنة بنت الآخر، فكلّ من أولادهما خال أمّ الآخر .

رجلان أحدهما عمّ الآخر والآخر خاله، وذلك : أن رجلين تزوّج أحدهما ٱمرأةً وتزوّج الآخر ٱبنة ٱبنها، فولد لكل منهما ولد فابن الأب عمّ ٱبن الأبن، وٱبن الأبن من أمّ ٱمرأة الأب، هو أخوها وخال ٱبنها . ١٠

رجلان أحدهما عمّ الآخر وخاله، والآخر ٱبن أخيـه وٱبن أختـه، وذلك : أن رجلًا له أخ لأب وأخت لأم فزوّج أخاه لأبيه بأخته لأمّه فأولدها ولدا فهما كذلك .

---

*

القسمُ الثالث من الفنّ الثانى

فى المدح، والهجو، والمجون، والفُكاهات، والمُلَح، والخمر، والمُعاقرة، والنّدمان، والقِيان، ووصف آلات الطّرب

وفيه خمسة أبواب

الباب الأوّل ٥

من هذا القسم

فى المدح، وفيه ثلاثة عشر فصلا

حقيقة المدح وماقيل فيه، ماقيل فى الجود والكرم وأخبار الكرام، ماقيل فى الإعطاء قبل السؤال، ما قيل فى الشجاعة والصبر والإقدام، ما قيل فى وفور العقل، ما قيل فى الصِّدق، ماقيل فى الوفاء والمحافظة، ما قيل فى التواضع، ماقيل فى القناعة والنّزاهة ١٠ ما قيل فى الشكر والثناء، ما قيل فى الوعد والإنجاز، ما قيل فى الشفاعة، ما قيل فى الاعتذار والاستعطاف .

فأمّا حقيقة المدح، فقد عبّر عنها الحمدونىّ فى "غاية الاختصار والإيجاز" بقوله : حقيقة المدح : وصف الموصوف بأخلاق يُحمد صاحبُها عليها، ويكون نَعْتًا حميدًا . قال الله تعالى (قَدْ أَفْلَحَ ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ هُمْ فِى صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ . وَٱلَّذِينَ هُمْ عَنِ ١٥ ٱللَّغْوِ مُعْرِضُونَ . وَٱلَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَاةِ فَاعِلُونَ . وَٱلَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ) وقال عزّ وجلّ : (ٱلتَّائِبُونَ ٱلْعَابِدُونَ ٱلْحَامِدُونَ ٱلسَّائِحُونَ ٱلرَّاكِعُونَ ٱلسَّاجِدُونَ ٱلْآمِرُونَ

بِٱلْمَعْرُوفِ وَٱلنَّاهُونَ عَنِ ٱلْمُنْكَرِ وَٱلْحَافِظُونَ لِحُدُودِ ٱللَّهِ وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ) وروى عن النبيّ صلّى اللهُ عليه وسلّم أنه قال : "أصحابى كالنجوم بأيّهم اقتديتم اهتديتم" وقد أوّلوا الخبر المرويّ عن رسول الله صلى الله عليه وسلّم "اذا رأيتم المدّاحين فاحثوا فى وجوههم التراب" قال العُتْبيّ هو المدح الباطل والكذب .

وأمّا مدح الرجل بما هو فيه فلا بأس به ، وممّا يعضد هذا أنّ العبّاس بن عبدالمطّلب وكعب بن زهير ، وحسّان بن ثابت ، وغيرهم ، مدحوا رسول الله صلّى الله عليه وسلّم فلم يَرِد أنه حثا فى وجه أحد منهم ترابا . ٥

وقيل فى حثو التراب مَعْنَيان : أحدهما التغليظ فى الردّ عليه ، والثانى يقال له : بفيك التراب .

وللشعراء عادة فى تجاوز قدر الممدوح فوق ما يستحقّه حتى إنّ ذلك أفضى بكثير منهم الى الكفر والخروج عن الحدّ أعاذنا الله من ذلك . وقال أبو شروان : من أثنى عليك بما لم تولِهِ فغير بعيد أن يذمّك بما لم تجبه . وقال وهب بن منبّه : من مدحك بمـا ليس فيك ، فلا تأمَن أن يذمّك بما ليس فيك . ١٠ (٥١)

وأنشد عمر بن الخطاب رضى الله عنـه قول زُهير بن أبى سُلْمى فى هَرِم بن سِنَان

دع ذا ! وعُدَّ القـولَ فى هَرِم * خيرِ الكهول وسـيّدِ الحَضَرِ ١٥
لو كنتَ من شىء سوى بشر * كنتَ المنوّر ليـلةَ القَـدْرِ
ولأنتَ أوصل من سمعتُ به * لنـوائل الأرحام والصِّهْرِ
ولنعم حشـو الدّرع أنت اذا * دُعِيتْ نَزَالِ ولُجّ فى الذُّعْرِ

فقال عمر رضى الله عنه : ذلك رسول الله صلّى الله عليه وسلّم .

ولما حضر أبا بكر الصدّيق رضى الله عنه الوفاةُ ، قالت عائشة رضى الله عنها وهو يغمّض

وأبيض يُستسقَى الغَمام بوجهه * ثِمال اليتامى عصمة للأرامل

فنظر اليها وقال : ذاك رسول الله صلى الله عليه وسلّم .

٥ وقال آخر

ولو كنتِ أرضًا كنتِ مَيْثاءَ سهلةً * ولو كنتِ ليلًا كنتِ صاحبة البدرِ

ولو كنتِ ماءً كنتِ ماء غَمامة * ولو كنتِ يوما كنتِ تَعريسة الفجرِ

وقال محمّد بن هانئ

أغيرُ الذى قد خطّ فى اللوح أبتغى * مديحا له إنّى إذا لعنودُ

١٠ وما يستوى وحىٌ من الله منزل * وقافيةٌ فى الغابرين شرودُ

وقال عمرُ بن الخطّاب رضى الله عنه لمُتَمّم بن نُوَيرة صِف لى أخاك فإنى أراك تمدحه ، فقال : كان أخى يحبس المزاد بين الصُّوحَيْن فى الليلة القَرّة معتقلا للرمح الخَطِل ، عليه الشَّمْلَة القلوب ، يقود الفرس الحَرون فيصبح ضاحكًا مستبشرًا : الخَطل : الطويل المضطرب ، والقلوب : التى لا تنضمّ على الرّحل لقصرها .

١٥ وسأل عبد الله بن عباس صَعْصَعةَ بن صُوحان العَبْدىّ عن إخوته فقال : أما زيد فكما قال أخو عبس

فتى لا يبالى أن يكون بوجهه * إذا نال خلّان الكرام شحوبُ

ثم قال : كان والله يا ٱبن عباس ، عظيم المروءة ، شريف الأُبوّة ، جليل القدر ، بعيد الشرّ ، كميش العُروة ، زين النَّدْوة ، سليم جوانح الصدر ، قليل وساوس الفكر ،

ذا كراً لله تعالى فى طَرَفى النّهار وزلفًا من الليل، الجوع والشِّبَع عنده سِيّان، لا منافس فى الدنيـا، ولا غافل عن الآخرة، يطيل السكوت، ويديم الفكر، ويكثر الاعتبار، ويقول الحق، ويلهج الصدق، ليس فى قلبه غير ربه، ولا يهمه غير نفسه ، فقال آبن عبّاس : ما ظنّك برجل سبقه عضو منه الى الجنّة ؟ رحم الله زيدا ! فأين كان عبد الله منه؟ فقال : كان عبد الله سيّدا شجاعًا، شيخًا مُطاعًا ، خيره وِسَاع، وشره دِفَاع . ليّن النحيزة، أحوذىّ الغريزة ، لاينُهنهه مُنهنه عمّا أراد، ولا يركب إلّا ما آعتاد، سِمَام العدى، فيّاض النّدى، صعب المَقادة، جزل الرِّفادة. أخو إخوان، وفتى فتيان، ثم أنشد شعر حسّان بن ثابت

اذا قال لم يترك مقالًا لقـائل * بمُلتقطاتٍ لا يرى بينها فصـــلا
قضى فشفى ما فى النّفوس فلم يدع * لذى إربة فى القوم جدّا ولا هزلا

ودخل ضِرَار بن ضَمْرة الكِنَانىّ على معاوية بن أبى سُفيان فقال له : صِفْ لى عليّا فقال له : أو تعفينى؟ فقال : لا أعفيك؟ قال: أما إذ لا بدّ، فإنّه كان بعيد المدى، شديد القُوى، يقول فصلا، ويحكم عدلا، يتفجّر العلم من جوانبه، وتنطق الحكمة نواحيـه، يستوحش من الدنيا وزَهْرتها، ويأنس بالليل وظُلمته، كان والله غزير العَبْرة، طويل الفِكرة، يقلّب كفّيه، ويخاطب نفسَه، يعجبه من اللّباس ما قَصُر، ومن الطعام ماخَشُن، كان والله كأحدنا يدنينا إذا أتيناه، ويجيبنا إذا سألناه، وكان مع تقرّبه إلينا وقُربه منا لا نكلّمه هيبةً له، فان تبسّم فعن مثل لؤلؤ منظوم، يُعظّم أهـلَ الدين، ويحب المساكين، لا يطمع القوىّ فى باطله، ولا ييأس الضعيف من عدله .

وذكر عمرو بن مَعْدِيكَرِب بنى سُلَيْم فقال : بارك الله على حىّ بنى سليم ما أصدق فى الهيجاء لقاءَها ! وأثبت فى النوازل بلاءَها ! وأجزل فى النائبات عطاءَها ! والله لقد قابلتهم فما أجبتهم، وهاجيْتهم فما أفحمتهم، وسألتهم فما أبخلتهم .

وقال بعضُ العرب : فلان حتف الأقران غداة النزال، وربيع الضِّيفَان عَشيّة النزول .

وقال آخر: فلان لَيْثٌ اذا غدا، وبدر اذا بدا، ونجم اذا هدى . وسُمّ إذا أردى .

ودخل على النُّعمان بن المُنذِر بن آمرئ القيس آبنُ عمرو بن عدىّ اللّخمىّ فحيّاه بتحيّة الملوك ثم قال : أيفاخرك ذو فائش وأنت سائس العرَب ، وعُرْوة الحسب والأدب ، لأَمْسُك أيمن من يومه ! ولعبْدك أكرم من قومه ، ولقفاك أحسن من وجهه، وليسارك أجود من يمينه ، ولظنّك أصدق من يقينه ولوعدك أثلج من رفده ، ولخالك أشرف من جدّه ، ولنفسك أمنع من جُنده ، وليومك أزهر من دهره، ولفترك أبسط من شبره، ثم قال

أخلاقُ مجدك جُلّتْ مالها خطر * فى البأس والجود بين الحِلم والخَفَرِ
مُتوّج بالمعالى فوق مَفْرِقه * وفى الوغى ضيغم فى صورة القمرِ
اذا دجا الخطب جلاه بصارمه * كما يُجلّى زمانُ المحل بالمطرِ

فتهلّل وجهُ النعمان سرورًا، ثم أمر أن يُحشى فوه درّا وكُسِىَ أثواب الرضى وكانت جباب أطواقها الذهب بقصب الزُمُرد . ثم قال النّعمانُ : هكذا فليمدح الملوك .
وذو فائش : هو سَلامة بن يزيد بن سَلامة من ولد يَحْصُب بن مالك وكان النابغة

مُتّصلا به قبـل آتصاله بالنّعمان ، وله فيه مدائح كثيرة فاقتص الله تعـالى من النّعمان
آبن المنذر بعـد ذلك لمـا حُكِىَ أنه دخل حسان بن ثابت على الجفنىّ فقال : آنعم
صباحا أيها الملك ! السماء غِطَاؤك ، والأرض وِطَاؤك ، ووالدى ووالدتى فِداؤك ،
أنّى ينافسك آبن المنذر؟ فوالله لَقذالك أحسن من وجهه، ولأمّك خير من أبيه ،
ولظلك خير من شخصه، ولصَمْتك أبلغ من كلامه، ولشمالك خير من يمينه ، ثم قال ٥

قذالك أحسن من وجهه * وأمّك خيرٌ من المنذر
ويُسرَى يديك اذا أعسرتْ * كيُمنى يديه فلا تمـترى

أخذ المعنى الحسنُ بن هانئ فقال

بأبى أنت من غزالٍ غرير * بذّ حسنَ الوجوه حسنُ قفاكا

ونظر بعض الشـعراء الى هذا المعنى فقال يمدح زُبيدة آبنة جعفر بن أبى جعفر ١٠
المنصور أم الأمين

أزبيـدة آبنــة جعفر * طـوبَى لزائرك المُثـابِ
تعطين من رجليـك ما * تعطى الأكفُّ من الرِّغابِ

فلما أنشد ذلك تبادر العبيدُ ليوقعوا به فقالت زبيدةُ : كفّوا عنه فلم يرد إلّا خيرًا،
ومن أراد خيرًا فأخطأ خير ممّن أراد شرًّا فأصاب ، إنّه سمِع الناس يقولون : قفاك ١٥
أحسن من وجه غيرك ، وشمالك أندى من يمين سواك، فقدّر أن هذا مثل ذاك ،
أعطوه ما أمل، وعرّفوه ماجهل؛ ومثله : مدح شاعرٌ أميرا فقـال

أنت الهمام آبن الهما * م الواسع آبن الواسعهْ

فقال له : من أين عرفتها؟ قال : قد جرّبتها فقال : أسوأ من شعرك، ما أتيت
به من عذرك ! ٢٠

قال دخل خالدُ بن عبد الله العنبرىّ على عمر بن عبد العزيز لمّا ولى الخلافة فقال : يا أمير المؤمنين من تكن الخلافة قد زانَتْه فأنت قد زيّنتها، ومن يكن شرّفته فقد شرّفتَها، وأنت كما قال الشاعر

وإذا الدّر زان حسنَ وجوه * كان للدّر حسنُ وجهك زَيْنا

٥ فقال عمر بن عبد العزيز : أُعْطِىَ صاحبكم مَقُولا، ولم يُعْط معقولا . ولمّا دخل عبد الله المأمون بغدادَ تلقّاه وجوه أهلها فقال له رجل منهم : يا أمير المؤمنين! بارك الله لنا فى مَقْدمك، وزادك فى نعمتك، وشكرك على رعيّتك، تقدّمتَ من قبلك، وأتعبت من بعدك، وأيأستَ أن نُعاين مثلك، أمّا فيمن مضى فلا نعرفه، وأمّا فيمن بقى فلا نرجوه، فنحن جميعا ندعولك، ونُثنى عليك . خَصِبَ لنا جنابك، وعَذُب

١٠ شرابك، وحَسُنتْ نُصرتك، وكَرُمتْ مقدرتك . جبرتَ الفقيرَ، وفككتَ الأسير، فأنت يا أمير المؤمنين كما قال الشاعر

مازلت فى البذل للنوال وإطـ * ـلاق لعان بجرمه عَلِقِ

حتى تمنّى البُراء أنّهم * عندك أمسوا فى القِدّ والحَلَقِ

وقال رجل للحسن بن سَهْل : لقد صرت لا أستكثر كثيرَك، وإن قليلك أكثر

١٥ من كثير غيرك . وقال الرشيد لبعض الشعراء : هل أحدثتَ فينا شيئًا ؟ قال : يا أمير المؤمنين ! المديح كلّه دون قدرك، والشّعر فيك فوق قدرى . ولكنى أستحسن قول العَتّابى

ماذا عسى مادح يُثنى عليك وقد * ناداك فى الوحى تَقديسٌ وتطهيرُ

فتّ الممادح إلا أنّ ألسننا * مستنطقات بما تخفى الضمائرُ!

وقال رجل فى خالد بن صفوان : قريع المنطق، جزل الألفاظ، عربىُّ اللسان، قليل الحركات، حسن الإشارات، حلو الشمائل، كثير الطلاوة، صموتا قؤولا ، يَهنأ الجرب، ويداوى الدبر، ويفك المحزّ، ويطبق المِفْصَل، لم يكن بالزَمِر فى مروءته، ولا بالهذِر فى منطقه، متبوعا غير تابع، كأنّه عَلَم فى رأسه نار .

٥ وقيل لبعض الخلفاء: إن شَبِيب بن شَيبة يستعمل الكلام ليستعدّ به؛ فلو أمرتَ به أن يصعد المنبر فُجَاءَة لافتضح ، قال : فأمر من أخذ بيده فصعِد المنبرَ فحمد الله وأثنى عليــه وصلّى على النبيّ صلى الله عليه وسـلّم ثم قال : إن لأمير المؤمنين أشباها أربعة؛ فمنها : الأسد الخادر، والبحر الزاخر، والقمر الباهر، والربيع الناضر؛ فأما الأسد الخادر ، فأشبهُ منه صولته ومضاؤه . وأما البحر الزاخر ، فأشبه منــه جُوده ١٠ وعطاؤه . وأمّا القمر الباهر، فأشبه منه نوره وضياؤه . وأما الربيع الناضر ، فأشبه منه حسنه وبهاؤه، ثم نزل .

وقيل دخل رجل على المنصور فقال له تكلّم بحاجتك؛ فقال : يبقيك الله تعـالى يا أمير المؤمنين ! قال : تكلّم بحاجتك ؛ فإنّك لا تقدر على مثل هــذا المُقام فى كلّ حين . قال : والله يا أمير المؤمنين ! ما أستقصر أجلَك، ولا أخاف بخلَك، ولا أغتنم مالك، وإن عطاءك لشرف، وإن سؤالك لزين، وما بامرئ بَذَلَ اليك وجهَه نقص ١٥ ولا شَين، فأحسن جائزته وأكرمه .

وقال محمد بن مالك القُرطبيّ من رسالة : ما رأيتُ وجها أسمح، ولا حِلما أرجح، ولا سجيّة أسمح ، ولا بِشرا أبدى ، ولا كفًّا أندَى ، ولا غُرّة أجمل ، ولا فضيلة أكمل،

ولا خُلُقًا أصفى، ولا وعدا أوفى، ولا ثوبًا أطهر، ولا سَمْتا أوفر، ولا أصلا أطيب، ولا رأيا أصوب، ولا لفظًا أعذب، ولا عِرْضا أنقَى، ولا بناء أبقَى، ممّا خصّ الله به ثالث القمرين، وسِراج الخافقين، وعِماد الثّقلين المُعْتَصِم بالله .

وقال بعض الكتّاب : إنّ من النعمة على المُثني عليك أن لا يخاف الإفراط، ولا يأمن التقصير، ولا يحذر أن يلحقه نقيصة الكذب، ولا ينتهى به المدحُ الى غاية، إلا وجد فى فضلك عَونا على تجاوزها . ومن سعادة جَدِّك أنّ الداعِيَ لك لايعدم كثرةَ المشايعين له، والمؤمِّنين معه .

وقال آخر : إنى فيما أتعاطَى من مدحك كالمخبر عن ضوء النهار الباهر، والقمر الزاهر الذى لا يخفى على كلّ ناظر، وأيقنت أنى حيث آنتهى بى القول الى العجز مقصرٌ عن الغاية فانصرفت عن الثناء عليك الى الدعاء لك، ووكلت الإخبار عنك الى علم الناس بك .

وقال أبو عبد الله محمد بن الخياط من رقعة طويلة فى المظفّر فى أوّلها : حجب الله عن الحاجب المظفّر أعينَ النائبات، وقبض دونه أيدى الحادثات؛ فإنه مذ كان أنورَ من الشمس ضياءً، وأكمل من البدر بهاءً، وأندى من الغيث كفًّا، وأحمى من الليث أنفا، وأسخى من البحر بنانا، وأمضى من النصل لسانا، وأنجبه المنصور يجرى على سَنَنِه، وأدّب فأخذ بسُننه، وكانت الرياسة عليه موقوفة، والسياسة اليه مصروفة، قصرت الأوهام عن كنه فضله، وعجزت الأقلام عن وصف مثله، غير أن الفضائل لابدّ من نشرها، والمكارم لا عذر فى ترك شكرها .

فهذه نبذة كافية ممّا ورد فى المنثور فلنذكر ما ورد من المنظوم فى ذلك .

قال أبو هلال العسكرىّ : سمعتُ أبا أحمد الحسن بن عبد الله بن سعيد يقول : امدح بيت قالته العرب قول النابغة الذبيانىّ يمدح النّعمان بن المنذر

ألم تر أن الله أعطاك سُورة؟ * ترى كلّ ملْكٍ دونها يتذبذُب

بأنك شمس والملوك كواكب * اذا طلعت لم يبدُ منهنّ كوكبُ

وهو مأخوذ من قول بعض شعراء كِندةَ مدح عمرو بن هند ٥

تكاد تَميد الأرض بالناس أن رأوا * لعمرو بن هند غضبةً وهو عاتبُ

هو الشمس وافت يوم سعدٍ فأفضلتْ * على كلّ ضوء والملوكُ كواكبُ

وقال نُصَيب

هو البدر والناس الكواكبُ حوله * وهل يشبه البدرَ المضىءَ كواكبُ

وقالوا : أبدع بيت قيل فى المديح قول النابغة ١٠

فإنك كالليــل الذى هو مدركِى * وإن خِلْتُ أن المنتأَى عنك واسعُ

وقوله : "أخلاقُ مجدك" — الأبيات وقد تقدمت — وقد تداول الناس قول النابغة

* فإنك كالليل الذى هو مُدركى *

فقال الفرزدق

فــلو حملتْــنى الريحُ ثم طلبتنى * لكنتُ كشىءٍ أدركته مقادرُهْ ١٥

وقول النابغة أبلغ ، لأن الليــل أعمّ من الريح ، والريح يُمتنع منها بأشياء ، والليل لا يمتنع منه بشىء . وأخذ سلم الخاسر قول الفرزدق فقال

فأنت كالدهر مبثوثا حبــائله * والدهر لا ملجأ منه ولا هربُ

ولو ملكتُ عِنانَ الريح أصرفه * فى كلّ ناحيــةٍ ما فاتك الطلبُ

وقالوا : أجود شيء قيل فى الحسن مع الشجاعة من شعر المتقدّمين والمحدَثين قول أبى العتاهية يمدح الرشيد بن المهدىّ وولده

بنو المصطفى! هارون حول سريره * فخير قيام حوله وقعود
تُقلِّب ألحاظَ المهابة بينهم * عيونُ ظباء فى قلوب أسود

٥ وقالوا : أمدح بيت قالته العرب قول أبى الطَّمَحان القَينىّ

أضاءت لهم أحسابهم ووجوهُم * دجى الليل حتى نظَّم الجَزْعَ ثاقبُهْ
نجوم سماء كلّما انقضّ كوكبٌ * بدا كوكب يأوى اليه كواكبُهْ
وما زال منهم حيث كان مسوّدٌ * تسير المنايا حيث سارت كتائبُهْ

وهذه الأبيات من قصيدة مدح بها بُجَيرَ بْنُ أَوس بنُ حارثة ، ابنَ لأُم الطائى ،
١٠ وكان أسيرا فى يده، فلما مدحه بها أطلقه بعد أن جزّ ناصيته ، وأوّل القصيدة

اذا قيل : أىّ الناس خيرُ قبيلةٌ؟ * وأصبر يوما لاتوارى كواكبُهْ،
فإنّ بنى لأم بن عمرو أرومة، * علتْ فوق صعبٍ لاتُنال مراتبُهْ!

اضاءت لهم أحسابهم الأبيات .

ومثله قول ابن أبى السِّمْط

١٥ فتى لا يبالى المدلجون بنوره * الى بابه أن لا تضيء الكواكبُ
له حاجبٌ من كلّ أمرٍ يَشينه * وليس له عن طالب العُرف حاجبُ

ومثله قول الحُطيئة

نمشى على ضوء أحساب أضأن لنا. * كما أضاءت نجومُ الليل للسارى

ومثله قول الآخر

٢٠ وجوهٌ، لو انّ المدلجين اعتشوا بها * صدعن الدجى حتى يُرى الليلُ ينجلي

وقال عيسى بن أوس يمدح الجُنَيد بن عبد الرحمن

الى مستنيرِ الوجه طال بسؤددٍ * تقاصَرَ عنه الشاهقُ المتطاوِلُ

مدحتك بالحق الذى أنت أهله * ومن مِدَحِ الأقوام حَقٌّ و باطلُ

يعيش الندى مادمت حيًّا فإن تمت * فليس لحىٍّ بعد موتك طائلُ

وما لأمرئٍ عندى مَخِيلةُ نعمةٍ * سواك وقد جادت علىّ مَخائلُ ٥

وقالوا : أمدح بيت قالته العرب قول الأعشى

فتًى ،لو يُنادى الشمسَ ألقت قناعَها * أو القمرَ السارى لألقَى المَقالدَا

وهذا من الغلو وهو مذموم عند بعضهم .

ومثله فى الغلوّ قول طُرَيْح بن إسماعيل

لو قلتَ للسيل : دع طريقك والـ * ـموج عليه كالهَضْبِ يعتلجُ ١٠

لأرتدّ أو ساخ أو لكان له * فى جانب الأرض عنك منعرَجُ

ومن الغلوّ قول أبى تمّام فى المعتصم بالله

بِيُمنِ أبى إسحاقَ طالت يدُ العلى * وقامت قناة الدين واشتدّ كاهلُهْ

هو البحر من أىّ النواحِى أتيتَه * فلُجّتُه المعروفُ والجود ساحلُهْ

تعوّد بسطَ الكفِّ حتى لو آنه * أراد آنقباضا لم تُطعْه أناملُهْ ١٥

ولو لم يكن فى كفّه غيرُ نفسه * لجاد بها فليتّقِ اللهَ سائلُهْ

وقال العسكرىّ

وكيف يَبيت الجارُ منك على صدًى؟ * وكفُّك بحرٌ لُجّةُ الجود ساحلُهْ

وقال أبو هلال العسكرىّ يرفعه الى الأصمعىّ قال : سمعت أعرابيّا يقول : إنكم معاشر أهل الحضر، لتخطئون المعنى، إنّ أحدكم ليصف الرجل بالشجاعة فيقول : كأنه الأسد، ويصف المرأة بالحسن فيقول : كأنها الشمس، ولم لا تجعلون هذه الأشياء بهم أشبه؟ ثم قال : والله لأُنشِدنّك شعرا يكون لك إماما . ثم أنشدنى

٥ اذا سألتَ الورى عن كلِّ مَكرُمةٍ * لم تُلفِ نِسبتها إلا الى الهَوْلِ

فتى جوادا أعار النِّيلَ نائلَه * فالنِّيلُ يشكر منه كثرةَ النَّيْلِ

والموت يَرهَبُ أن يلقَى منيّتَه * فى شدّة عند لفّ الخيْل بالخيلِ

لو عارض الشمس ألقَى الشمسَ مظلمةً * أو زاحم الصُّمَّ ألجاها الى المَيْلِ

أو بارز الليلَ غطّته قوادمُه * دون الخوافى كمثلِ الليل فى الليلِ

١٠ أمضى من النجم إن نابته نائبةٌ * وعند أعدائه أجرى من السيل

ومثله قول الآخر

علَّم الغيثَ الندى حتى اذا * ماحكاه علّم البأسَ الأسَدْ

فله الغيث مقرٌّ بالندى * وله الليث مقرٌّ بالجلَدْ

وقال أميّة بن أبى الصلت فى عبد الله بن جُدْعان

١٥ أأذكر حاجتى أم قد كفانى * حياؤك؟ إن شيمتك الحياءُ

كريم لا يغيّره صباحٌ * عن الخُلُق الكريم ولا مَساءُ

فأرضك أرضُ مكرمة بنتْها * بنو تَيْمٍ وأنتَ لها سَماءُ

ونحوه قوله

لكل قبيلة شرفٌ وعِزٌّ * وأنت الرأسُ تقدمُ كلَّ هادِ

وقال ابن الرومى

قوم يحلّون من مجدٍ ومن شرفٍ * ومن غَناء محلّ البَيْض واليلَبِ

حلّوا محلّهما من كلّ جُمجمة * نفعا ودفعا وإطلالا على الرتبِ

قوم هم الرأسُ إذ حسّادهم ذنَبٌ * ومن يمثّلُ بين الرأس والذنبِ

وقال أبو هلال العسكرى ٥

فابشر فإنك رأس والعلى جَسَدٌ * والمجد وجهٌ وأنت السمع والبصرُ

لولاك لم تك للأيّام مَنقَبَةٌ * تسمو اليها ولا للدهر مفتخَرُ

وقال علىّ بن جَبَلَة

لولا أبو دُلَفٍ لم تحْيَ عارفَةٌ * ولم يَنُؤْ نَوْءُ مأمولٍ بآمالِ

يابنَ الأكارمِ من عدنان، قدعلموا * وتالد المجد بين العمّ والخالِ ١٠

وناقلَ الناس من عُدْمٍ الى جِدَةٍ * وصارفَ الدهر من حالٍ الى حالِ

أنت الذى تُنزِل الأيّام منزلَها * وتُمسك الأرضَ عن خسفٍ وزلزال

وما مددتَ مدَى طرفٍ الى أحدٍ * إلا قضَيتَ بآمالٍ وآجال

تَزْوَرُّ سخطا فتمسى البِيضُ راضيةً * وتَستهِلُّ فتبكى أوجهُ المال

وقالوا : أمدح بيت قالته العرب قول زهير ١٥

تراه اذا ما جئته متهللا * كأنك تعطيه الذى أنت سائلُهْ

وعاب بعضهم هذا البيت وقال : جعل الممدوح يفرح بغرض يناله ، وليس هذا صفة كبير الهمة، والجيّد قول أبى نوفل عمرو بن محمد الثقفى

ولئن فرحتَ بما يُنيلُك إنه * لبما ينيلك من نداه أفرح

ما زال يعطي ناطقا أو ساكتا * حتى ظننت أبا عَقيلٍ يمزح ٢٠

ومثله قول أبى تمّـام

أَسائلَ نَصرٍ لا تَسـلْه فإنّه * أحنّ الى الإرفاد منك الى الرِّفد

وقالوا : أمدح بيت قالته العرب قول الحُطَيئة

متى تأته تعشو الى ضوء ناره * تجدْ خيرَ نار عندها خيرُ مُوقد

٥ وقال القاسم بن حنبل

من البِيضِ الوجوهِ بنى سِنانٍ * لو انك تستضىء بهم أضاءوا

لهم شمس النهار اذا آستقلّتْ * ونورٌ لا يغيّبه العماءُ

هم حلّوا من الشرف المعلَّى * ومن حسب العشيرة حيث شاءوا

فلو أنّ السماء دنتْ لمجدٍ * ومكرمةٍ دنتْ لهمُ السماءُ

١٠ وقالوا أيضا : أمدح بيتٍ قيل قول الأوّل أيضا

قومٌ، سِنانٌ أبوهم حين تنسِبهم * طابوا وطاب من الأولاد ما ولدوا

لو كان يَقعُدُ فوق الشمس من كرمٍ * قومٌ بعزّهمُ أو مجدِهمْ قَعَدُوا

مُحسّدون على ما كان من نِعمٍ * لا ينزع الله عنهم ما له حُسِدوا

وقالوا : أمدح بيتٍ قاله محدَث ، قول مروان بن أبى حفصة فى معن

١٥ آبن زائدة

بنو مطرٍ يومَ اللقاء كأنّهم * أسودٌ لها فى غيلِ خفّان أشبُلُ

هم المانعون الجارَ حتى كأنما * لجارِهمُ بين السِّماكَيْنِ منزِلُ

بَهاليلُ فى الإسلام سادوا ولم يكن * كأوّلهم فى الجاهليّة أوّلُ

هم القوم، إن قالوا أصابوا، و إن دُعُوا * أجابوا، و إن أَعْطوا أطابوا وأجزلوا

وقال العسكرىّ : وأنشد بعض أهل الأدب قول آبن أبى طاهر وقال : لو آستعمل الإنصاف لكان هذا أحسن مدح قاله متقدّم ومتأخّر وهو

إذا أبو أحمـــدٍ جادت لنا يدُه * لم يُحْمَدِ الأجودان : البحرُ والمطرُ
وإن أضاءت لنا أنوارُ غُرّته * تضاءل النيّران : الشمسُ والقمر
وإن مضى رأيُه أو جدّ عزمتَه * تأخّر الماضيان : السيفُ والقدَرُ ٥
من لم يكن حَذِرًا من حدّ صولته * لم يدر ما المزعجان : الخوفُ والحذَرُ
حُلْوٌ، اذا أنت لم تَبعثْ مرارتَهُ * فإن أمرّ فحُلوٌ عنـده الصَّــبِرُ
سهل الخلائقِ إلا أنه خَشِنٌ * لَيْنُ المهـزّة إلا أنه حجـر
لا حَيّةٌ ذَكَرٌ فى مثل صولتــه * إن صال يوما ولا الصّمصامةُ الذكَرُ
اذا الرجالُ طغَتْ آراؤهم وعَموا * بالأمر رُدَّ اليـه الرأىُّ والنظر ١٠
الجود منـه عِيانٌ لا آرتيابَ به * إذ جود كلّ جوادٍ عنـده خبر

وقال : ومن المديح القليل النظير، قول علىّ بن محمد الأفوه

أوفَوا من المجدِ والعلياءِ فى قُلَلٍ * شُمٍّ، قواعدُهنّ البأسُ والجودُ
سُبْط اللقاءِ اذا شيمت مخائلهم * بُسْل اللقاء اذا صيد الصناديدُ
مُحسّـدون ، ومَن يعلقْ بحبلِهم * من البريّةِ يصْبحْ وهو محسودُ ١٥

وقالوا : أمدح بيت قاله محدّث قول علىّ بن جَبَلة فى أبى دُلف

إنما الدنيا أبو دُلَفٍ * بين باديه ومحتضرِهْ
فاذا ولّى أبو دُلَفٍ * ولّتِ الدّنيا على أثرِهْ

وهى من القصائد المشهورة، وأولها

ذاد وِرد الغىّ عن صَدرِهْ * وآرعوى، واللّهو من وطَرِهْ ٢٠

جاء منها فى مدحه

يا دواء الأرض إن فسدتْ * ومُجيرَ اليسر من عُسُرِهْ
كلّ من فى الأرض من عَرَبٍ * بين باديه الى حَضرِهْ
مستعيرٌ منه مكرمةً * يكتسيها يومَ مفتخَرِهْ
إنما الدنيا أبو دلف * ... ...

قال العسكرىّ : ومن المديح البارع قول بشار

ألا أيها الطالبُ المبتغِى * نجومَ السماء بسعى أَمَمْ
سمعتَ بمكرمة ابن العلاءِ * فأنشأتَ تطلُبها لستَ ثَمّْ
اذا عَرَض الهمُّ فى صدره * لَهَا بالعطاء، وضرب البُهَمْ
فقل للخليفة إن جئته * نصيحا ولا خيرَ فى المتّهمْ
اذا أيقظتك جسامُ الأمورِ * فنبّهْ لها عُمَرًا ثم نَمْ
فتًى، لا يبيت على دِمنة، * ولا يشرب الماء إلا بدَمْ
يحبّ العطاءَ وسفك الدماءِ * فيغدو على نِعَمٍ أو نِقَمْ

قال ومن المديح القليل النظير : قول أمامة بنت الجلّاح الكلبيّة

اذا شئت أن تلق فتى لو وزنته * بكلّ معدّىّ وكلّ يمانى
وفى بهمُ جودا وحلما وسؤددًا * وبأسًا، فهذا الأسود بن قنان
فتى، كالفتاة البكر، يُسفرُ وجهُهُ * كأن تلالِى وجهِه القمران
أغرُّ أبرُّ آبى نزار ويعرُبٍ * وأوثقُهم عَقْدا بقول لسان
وأوفاهُمُ عهدًا وأطولُهم يدا * وأعلاهُمُ فِعْلا بكلّ مَكانِ .

وأضربُهم بالسيف من دون جارِهِ * وأطعنُهــم من دونه بسنانِ

كأنّ العطايا والمنـايا بكفه * سحابانِ مقـرونانِ مؤتلفانِ

ومن المديح البارع قول أبى تمّـام

رأيت لعيّاش خلائقَ لم تكـن * لتكمُلَ إلّا فى اللُّبـاب المهـذّبِ

له كرمٌ لو كان فى المـاء لم يَغِضْ * وفى البرق ما شام آمرؤ برقَ خُلّبِ ٥

أخو عزماتٍ بذله بذلُ محسنٍ * الينا ولكن عذره عذر مذنبِ

يهولُك أن تلقاه فى صـدر محَفِـلٍ * وفى نحـرِ أعداءٍ وفى قلب موكبِ

وما ضيقُ أقطار البلاد أضافنى * اليك ولكن مذهبى فيـك مذهبى

وهذى بنات المدح فآجرر ذيولها * عليك وهذا مركب الحمد فآركبِ

وقد أحسن التّنوخىّ فى قوله ١٠

وفتيـةٍ من حِـمْيَرٍ حُمرِ الظُّبَى * بيضِ العطايا حين يَسـودُّ الأَمَلْ

شموسِ مجـدٍ فى سموات عُـلًى * وأسْـد موتٍ بين غاباتِ أَسَـلْ

وقالت الخنساء فى أخيها صخر ٥٦

طويل النجاد رفيـع العما * د سـاد عشـيرتَه أمردا

اذا القـوم مدّوا بأيديهـمُ * الى المجـدِ مدّ اليـه يدا ١٥

فنـال الذى فوق أيديهـمُ * من المجـد ثم مضى مُصْعِدا

فكلّفـه القـــومُ ما عالهم * وإن كان أصغرهم مَوْلَدَا

ترى الحمـد يهوِى الى بيته * يرى أفضلَ الكسب أن يُحمَدا

وقال آخر

ومُصْعِدٍ هضباتِ المجد يطلعها * كأنه لسكون الجاش منحدرُ

مازال يسبق حتى قال حاسِدُه * له طريقٌ الى العَلياء مُخْتَصرُ

وقال إبراهيم بن العبّاس

٥ تَلج السنون بيوتَهم وترى لها * عن بيت جارهم آزورار مناكبِ

وتراهم بسيوفهم وشفارهم * مستشرفين لراغبٍ أو راهبِ

حامين أو قارِين حيث لقيتهم * نهبَ العفاة ونزهة للراغبِ

وقال أيضا

اذا السَّنَةُ الشَّهباء مدّتْ سماءَها * مددت سماءً دونها فتجلّتِ

١٠ وعادت بك الريح العقيم لدى القِرى * لِقاحا فدرّت عن نداك وطَلّتِ

وقال آبن الرومىّ

كأن مواهبه فى المحو * ل آراؤه عند ضِيق الحِيلْ

فلو كان غيثًا لعمّ البلاد * ولو كان سيفا لكان الأَجلْ

ولو كان يُعطى على قدره * لأغنى النفوس وأفنى الأملْ

١٥ وقال أبو الحسن بن أبى البغل البغدادىّ يمدح أبا القاسم بن وهب وقد تقدّم ذكر بعضها لآبن أبى طاهر

اذا أبو قاسم جادت لنا يدُه * لم يُحمد الأجودان : البحر والمطرُ

وإن أضاءت لنا أنوارُ غرّته * تضاءل النّيّران : الشّمس والقمرُ

وإن بدا رأيُه أو جدّ عزْمته * تأخر الماضيان : السيف والقَدَرُ

ينال بالظنّ ما كان اليقين به * والشاهدان عليه العين والأثرُ
كأنّه وزِمام الدهر فى يده * يدرى عواقبَ ما يأتى وما يَذَرُ

وقال ذو الرمّة

يطيب تُراب الأرض إن نزلوا بها * ويختال أن تعلو عليها المنابرُ
وما زلت تسمو للمعالى وتجتنى * جَنى المجد مذ شُدّتْ عليك المآزِرُ ٥
الى أن بلغتَ الأربعين فأُلقِيَت * اليك جماهير الأمور الأكابرُ
فأحكمتها لا أنت فى الحكم عاجز * ولا أنت فيها عن هُدى الحقّ جائرُ

وقال الشّريف الرَّضِىّ

يامخرس الدّهر عن مقالته * كلّ زمان عليك متّهمُ
شخصُك فى وجه كلّ داجية * ضُحًى وفى كلّ مَجْهَل عَلَمُ ١٠

وقال أبو الحسن السلامىّ

اذا زرتَه لم تلق من دون بابه * حجابا ولم تدخل عليه بشافع
كماء الفرات الجمّ أعرض وِرْدَه * لكلّ أناس فهو سهل الشرائع
تراه اذا ما جئتَه متهللا * تهلُّل أبكار الغيوث الهوامع

وقال محمّد بن الحسين الآمدىّ ١٥

من القوم لما استغرب المجدَ غيرهم * من الناس أمسَوا منه فوق الغرائبِ
اذا سالموا كانوا صدور مراتب * وإن حاربوا كانوا قلوب مواكبِ
جواد متى ما رامت الريحُ شأوه * كبت دون مَرْمى خطوه المتقاربِ
وبحر ندًى لو زاره البحر حدّثت * عجائبُه عن فعله بالعجائبِ

وقال الأصمعى : كنتُ بالبادية فرأيتُ آمرأةً على قبر تبكى وتقول

فمَنْ للسؤال ومن للنوال * ومن للمقال ومن للخُطَبْ؟
ومن للحُماة ومن للكُماة * اذا ما الكماة جثوْا للرُّكَبْ ؟
اذا قيل: مات أبو مالك * فتى المكرمات قريع العربْ
٥ [فقد مات عزّ بنى آدم * وقد ظهر النَّكد بعد الطرب][1]

قال : فملتُ إليها، وسألتُها عنه، فقالت : فديتُك! هذا أبو مالك الحجّام، ختن أبى منصور الحائك، فما ظننتُ إلا أنّه من سادات العرب .

وقال العماد الأصفهانى

حيّون يخفون إحسانهم * ويعتذرون كان قد اساءوا
١٠ اذا أظلم الدهر أعدوا عليه * وإن أظلم الخطبُ يوما أضاءوا
بمثلكُمُ قد أقرّ الرجال * فمثلكُمُ لم تلده النِّساءُ
وللناس من حسن أيّامكم * بدولتكم كلّ يوم هناءُ

وقال ايضا

فَلَأَطْوِينْ على أغرّ مُحَجَّل * عرضَ الفلاة الى أغرّ محجّبِ
١٥ ليث الوغى غَوث الورى غَيْث النّدى * بدر النّدى، نعم! وصدر الموكبِ
واذا آستوى فى دَسْته مالت له * أعناقُ كل متوّج ومُعَصّبِ
وتُميت رأفتُه حُقودَ عداته * وتجِلّ هيبتُه عقود المُحتبى
إنّ الممالك ما تزال برأيه * فى صائب وبجوده فى صيّبِ

(١) الزيادة عن أمالى القالى ج ١ ص ٦٣

يحبــوك معتذرا اليك فيــا لَه * من محسن تعروه خجلة مُذنبِ
يُزهَى بأصــلٍ فى العَلاء مُخيَّمٍ * شرفا وفرعٍ بالكرام مطنّبِ

وقال أحمد بن محمد النامى

له سُورة فى البِشر تُقرأُ فى العلا * وتثبُتُ فى صُحْفِ العطاءِ وتُكتَبُ
اذا ما علىٌّ أمطــرتك سمــاؤه * رأيتَ العـــلا أنواؤها تتحلّبُ ٥
وأزهرَ يَبيضّ الندى منه فى الرضا * وتحمرُّ أطرافُ القنا حين يغضبُ
أميرَ الندى ما للندى عنك مَذهبٌ * ولا عنك يوما للرغائب مَرْغَبُ

وقال أبو حامد أحمد بن محمد الأنطاكى

ســيدٌ شادت علاه له * فى العـــلا آباؤه النجبُ
وله بيتٌ يُمَـــدّ له * فوق مجرى الأنجمِ الطُّنُبُ ١٠
حســبه بالمصطفى شرفاً * وعلىٌّ حينــ ينتســبُ



رتبـــةٌ فى العــز شامخةٌ * قصرتْ عن مثلها الرتبُ

وقال ابن نباتة السعدى

يَرَى الشمسَ أُمًّا والكواكبَ إخوةً * وينظرُ مِنْ بدر السماءِ الى تِرْبِ
غنيتُ عن الآمال حين رأيتُــه * وأصبح من بين الورى كلّهم حسبي ١٥
فلم أطلب المعروفَ من غير كفّــه * وهل تطلب الأمطار إلا من السحب؟

وقال أبو حامد أحمد الأنطاكى

لو نيــل بالمجــد فى العلياء منزلةٌ * لنــال بالمجد أعنــانَ السمواتِ
يرمى الخطوبَ برأيٍ يُستضاء به * اذا دجا الرأىُ من أهل البصيراتِ
فليس يلقاه إلا عنــد عارفــة * أو واقفا فى صدور السمهرياتِ ٢٠

وقال أبو طالب المأمونى

قد وجدنَا خُطا الكلامِ فِساحَا * فجعلنا النسيبَ فيك آمتداحا
وأفضنا ما فى الصدور ففاض الـ * ـمدح قبلَ النسيب فيك آنفساحا
وعمدنا الى علاك فصغنا * لصدور القريض منها وشاحا
وصدعنا فى أوجه الشِّعرِ من بيـ * ـض مَساعيكَ بالندى أوضاحا ٥
كم كسيرٍ جبرتَه وفقيرٍ * مستميح رددتَه مُستماحا
وأمانٍ خُرسٍ بسطتَ لها فى الـ * ـقول حتى أعدتهنّ فِصاحا
وبلادٍ جوامحٍ رُضْتَهَا بالعـ * ـزم حتى أنسيتهنّ الجماحا
شهرَتْ منك آلُ سامانَ عضبا * يُنجِح السعىَ غربُهُ إنجاحا
لا يذوق الإغفاء إلا رجاءً * أن يرى طيف مستميح رواحا ١٠

وقال أحمد بن محمد النامى

أميرَ العلا إن العوالِى كواسبٌ * عَلاءَك فى الدنيا وفى جَنّة الخُلد
يَمرُّ عليك الحولُ، سيفُك فى الطُّلَى، * وطرفُك ما بين الشكيمةِ واللّبْد
ويَمضى عليك الدهرُ، فعلُك للعُلا * وقولُك للتقوَى، وكفُّك للرِّفْد

وقال أيضا ١٥

فتى، قسّم الايّام بين سيوفه * وبين طريفاتِ المكارمِ والتلدِ
فسوّد يوما بالعَجاج وبالردى * وبَيَّض يوما بالفضائل والحمد

وقال الصاحب بن عبّاد

أيّها الآملون حُطّوا سريعا * برفيع العماد وارى الزنادِ

فهو إن جاد ذَمّ حاتم طيء * وهو إن قال فلّ قُسّ إيادِ
واذا ما ربا فأين زيادٌ * من علاه وأين آل زيادِ

وقال أبو طالب المأمونىّ من قصيدة

فــتًى مُلئتْ بردتاه عُــلًا * ونُبــلا وفضلًا ومجـدًا وخِيرا
اذا ضمّــه الدَّستُ ألفيتَــه * سحابًا مَطـيرًا وبدرًا مُنــيرا ٥
وإن أبرزَته وغًى خلتَــه * حُساما بَتورا وليثا هَصــورا
وطورا مُعيـدا وطورا مُبيـدا * وطورا مجـيرا وطورا أمـيرا
ترى فى ذراه لسانَ المنى * طويلا وباعَ الليالى قصـيرا
تضمّ الأسرَّة منـه ذُكـاءً * وتحمل منـه المذاكى ثبـيرا

وقال أبو الطيّب المتنبي ١٠

يمشى الكرام على آثار غـيرهِمُ * وأنت تَخلقُ ما تأتى وتبتــدعُ
من كان فوق محلّ الشمس موضعُه * فليس يرفعــه شيء ولا يضـع

وقال أبو المعالى محمد بن مسعود الأصفهانىّ شاعر الخريدة

قد حلّ فى مَدرَج العلياء مرتبـةً * مطامحُ الشهبِ عن غاياتهـا تقِفُ
أغْرَى بوصف معاليه الورى شغَفًا * لكنه والمعـالى فوق ما وصـفوا ١٥
إن ناصبتْه العـدا فالدهر معتـذر * أو أنكروا فضـله فالمجد معـترف

وقال السلامىّ شاعر اليتيمة

يزور نائلُك العـافى وصارمـك الـ*ـعاصى فتحويهـما أيدٍ وأعنـاقُ
فى كلّ يوم لبيت المجـد منك غنًى * وثروةٌ ولبيت المـال إمــلاقُ
كم خضتَ من لجةٍ للنفع زاخرة، * ماءُ المنون بهــا ــ حاشـاك ــ دفّاقُ ٢٠

وقال المتنبي

أنت الجوادُ بلا منّ ولا كدرٍ * ولا مطالٍ ولا وعدٍ ولا مَللِ

وقال أبو الفرج الببّغاء

لاغيثُ نعماه فى الورى خلّب الشـبرق ولا وِردُ جوده وشَلُ

٥ جاد الى أنْ لم يُبقِ نائلُه * مالًا ولم يَبقَ للورى أملُ

وقال محمد بن الحسن الحاتمىّ شاعر اليتيمة

ومَن عوّدته المكرماتُ شمائلا * فليس له عنها ــ ولو شاء ــ ناقلُ

وإن راسل الأعداء فالجود رُسْلُهُ * اليهم وأطراف العوالى الرسائلُ

عظُمتَ، فهذا الدهرُ دونك همةً، * وجُدتَ فهذا القَطرُ عندك باخلُ

١٠ وقال مؤيّد الدين الطغرائىّ

لو دبّ رأيُك فى كعوبِ قناً * ما مسّها طَنَبٌ ولا خللُ

أو كان ضوءُك للغزالة لم * يَحجبْ ضياءَ جبينها الطَّفَلُ

أو كان لطفُك فى الحياة لما * طافت بها الأسقام والعللُ

أنت الذى لولا علاه عَفَتْ * طُرُقُ الهدى وٱستبهم السُّبُلُ

١٥ فى كلّ شَعبٍ من رويّته * شُعَبٌ ومن آرائه شُعَلُ

يرتدّ عنه جفنُ حاسدهِ * فكأنه بالنار يكتحلُ

وجهٌ كيوم الصحو مبتسمٌ * ويدٌ كليل الدّجنِ تَنهملُ

مَسحَتْ على الأنواء راحتُه * فانساق منها العارِض الهطلُ

إن ضنّ غيثٌ أو خبا قمرٌ * فجبينه ويمينه البدَلُ

وقال ٱبن الرومىّ

آراؤكم ووجوهكم وسـيوفكم * فى الحادثات ــ اذا دجونَ ــ نجومُ
فيها مَعالم للهـدى ومَصابحٌ * تجلُو الدجَى والأخرياتُ رُجومُ

وقال أبو الطيّب المتنبّى

قومٌ بلوغُ الغلام عندهُمُ * طعنُ نحورِ الكماةِ لا الحُلُمُ
كأنما يولَد النـدَى معهم * لاصِغَرٌ عاذِرٌ ولا هَرَمُ
اذا تولَّوا عـداوةً كشفوا * وإن تولَّوا صنيعة كتموا
تظن من كثرة ٱعتـذارِهِم * أنهـمُ أنعموا وما علموا
إن برقوا فالحتوفُ حاضرة * أو نطقوا فالصواب والحِكَمُ
أو شهدوا الحربَ لاقحًا أخذوا * من مُهَج الدارعين ما ٱحتكموا
أو ركبوا الخيلَ غيرَ مُسرجةٍ * فإن أفخاذَهم لها حُزُمُ
تُشرق أعراضُهم وأوجهُهم * كأنها فى نفوسهم شِيَمُ
أعيذكم من صروفِ دهرِكُمُ * فإنه فى الكرام متَّهَمُ

وقال أيضا

ودانت له الدنيا فأصبح جالسا * وأيّامُه فيما يريد قيامُ
وكلّ أناس يبتغون إمامهم * وأنت لأهل المكرمات إمامُ

وقال أيضا

هم المحسنون الكرَّ فى حَومة الوغى * وأحسنُ منه كرُّهم فى المكارمِ
ولولا ٱحتقار الأسد شبّهتُها بهم * ولكنها معدودةٌ فى البهائمِ

وقال المشوّق الشامىّ شاعر اليتيمة

يروح الى كسبِ الثناءِ ويغتدى * اذا كان همّ الناس كسبُ الدراهمِ
وإن جلس الأقوامُ عن واجبِ الندى * وحقّ العطايا كان أوّلَ قائمِ
يزيد ابتهاجا كلّما زار قاصد * كأنّ به شوقًا إلى كلّ قادمِ

٥ وقال السلامىّ شاعرها

تُشبّهه المُدّاح فى البأس والندى * بمن لو رآه كان أصغرَ خادمِ
ففى جيشه خمسون ألفا كعنترٍ * وأمضَى وفى خُزّانه ألف حاتمِ

وقال أبو طالب المأمونىّ من قصيدة

يُعمّم بالهندىّ حين يسلّه * أسودَ الوغى بالضرب فوق العمائمِ
١٠ فلا مُلكَ إلا ما أقمت عروشَه * ولا غيث إلا ما أفضتَ لشائمِ
ولا تاجَ إلا ما تولّيتَ عَقْدَه * على جبهة المَلْكِ المكنّى بقاسمِ
فرأيك نجمٌ فى دُجى الليل ثاقبٌ * وعزمُك عَضبٌ فى طُلى كلّ ناجمِ

وقال المشوّق الشامىّ

ما زال يبنى كعبةً للعلى * ويجعل الجود لها ركنا
١٥ حتى أتى الناسَ فطافوا بها * وقبّلوا راحته اليُمنَى

وقال المأمونىّ من قصيدة

همام يُبكّى المشرفيّةَ ساخطا * ويُضحك أبكارَ الأمانىّ راضيا
ولو أنّ بحرا يستطيع ترقّيًا * اليه لأمّ البحرُ جدواه راجيا

ذكر ما قيل فى الافتخار

قالوا : أفخر بيت قالته العرب قول جرير

إذا غضِبتْ عليك بنو تميمٍ * حسبت الناس كلَّهمُ غضابا

قال : دخل رجل من بنى سعد على عبد الملك بن مروان فقال له : ممن الرجل؟

قال : من الذين قال لهم الشاعر ٥

اذا غضبت عليك بنو تميم ، البيت .

قال : فمن أيِّهم أنت ؟ قال : من الذين يقول فيهم القائل

يزيدُ بنُو سعدٍ على عَدَد الحصى * وأثقلُ من وزن الجبال حُلومُها

قال : فمن أيِّهم أنت ؟ قال : من الذين يقول لهم الشاعر

بناتُ بنى عوفٍ طَهارَى نقية * وأوجههمْ عند المشاهِدِ غُرَّانُ ١٠

قال : فمن أيِّهم أنت ؟ قال : من الذين يقول لهم الشاعر

فلا وأبيكَ ما ظَلَمتْ قُرَيعٌ * بأن يبنوا المكارمَ حيث شاءوا

قال : فمن أيِّهم أنت ؟ قال : من الذين يقول لهم الشاعر

قوم هم الأنف والأذناب غيرهمُ * ومن يسوّى بأنف الناقة الذنَبا

قال : اجلس، لا جلَست، والله لقد خفت أن تفخر علىّ ! ١٥

وقالوا : أفخر بيت قالته العرب قول الفرزدق

ترى الناس ما سِرنا يسيرون خلفنا * وإن نحن أومأنا الى الناس وَقَّفوا !

وقال عمرو بن كلثوم وهو أبلغ ما قاله جاهلىّ فى الافتخار

ونحن الحاكمون إذا أُطِعنا * ونحن العائفون اذا عُصِينا !

ونحن التاركون لما سَخِطنَا * ونحن الاخذون لما رَضِينا ! ٢٠

وقال إبراهيم بن العبّاس

إما ترينى أمامَ القوم متّبعًا، * فقد أُرى من وراء الخيل أتّبعُ
يوماأُبيحُ فلا أرعى على نَشَب * وأستبيح فلا أُبقى ولا أدَعُ
لاتسألى القومَ عن حىّ صبحتُهمُ * ماذاصنعت؟وماذا أهلُه صنعوا؟

٥ وقالوا : من أحسن ما مَدح به الرجلُ نفسَه قولُ أعشى ربيعة

وما أنا فى نفسى ولا فى عشيرتى * بمهتضَم حقّ ولا قارعٍ سِنّى
ولا مُسلِم مولاى عند جناية * ولا خائف مولاى من شرّ ما أجنى
وأن فؤادى بين جنبىّ عالمٌ * بما أبصرتْ عينى وما سمِعتْ أذنى
وفضّلنى فى الشّعر واللُّبِّ أننى * أقول على علمٍ وأعلمُ ما أَعنى
١٠ فأصبحتُ إذ فضّلتُ مروانَ وآبنَه * على الناس قد فضّلتُ خيرَ أبٍ وآبنٍ

وقال أبو هفان

لعمرى لئن بُيِّعت فى دارِ غُربةٍ * بناتىَ إذ ضاقت علىّ المآكلُ
فما أنا إلا السيف يأكلُ جفنَه، * له حليةٌ من نفسه وهو عاطِلُ

قال أبو هلال العسكرىّ : ولا أعرف فى الأفتخار أحسن مما أنشده أبو تمام وهو

١٥ فقل لزهير إن شتمتَ سَراتنا * فلسنا بشتّامين للمُتشتِّمِ
ولكننا نأبَى الظّلامَ ونقتضى * بكلّ رقيق الشفرتين مصمِّمِ
وتجهل أيدينا ويحلمُ رأيُنا * ونَشتِمُ بالأفعالِ لا بالتكلُّمِ

ومن الأفتخار قول السموءل بن عاديا من كلمته التى أولها

اذ المرء لم يَدنَسْ من اللؤم عِرضُه * فكلّ رداء يرتديه جميلُ
٢٠ وإن هو لم يَحمِل على النفس ضَيْمَها * فليس إلى حُسن الثناء سبيلُ

وقائـلةٍ ما بالُ أُسرةِ عادِيَا * تُنادِى وفيهـا قِلّةٌ وخُمـولُ
تُعَـيِّرنا أنَّا قليــلٌ عَـدِيدُنا * فقلتُ لهـا إنّ الكرامَ قليلُ
وما قَــلَّ من كانت بقاياه مثلَنا * شَــبابٌ تَسامَى للعـلَا وكُهولُ
وما ضَرَّنا أنَّا قليــلٌ وجارُنا * عزيز وجار الأكثرين ذليلُ
وأنَّا أناس لا نَرى القتـلَ سُبَّةً * اذا ما رأته عامرٌ وسَـــلُولُ ٥
يُقَرِّبُ حُبُّ الموتِ آجالَنا لنـا * وتكرهُـهُ آجالُهـم فتطـولُ
وما مات منّا سيدٌ حتفَ أنْفـه * ولا طُلَّ منّا حيثُ كان قتيلُ
تَسيلُ على حدِّ الظُّباة نفوسُــنا * وليست على غير الظُّباة تسـيلُ
صفونا فلم نكدُر وأخلص سِرَّنا * إناثٌ أطابتْ حَملَنا وفحـولُ
علونا الى خير الظهور وحطَّنا * لوقت الى خير البطون نُزولُ ١٠
فنحن كماء المُزنِ ما فى نِصابنا * كَـهامٌ ولا فينا يُعدّ بخيلُ
ونُنكر إن شئنا على الناس قولَهم * ولا يُنكِرون القولَ حين نقولُ
اذا سـيِّد منا خلا قام سـيِّد * قؤولٌ لمـا قال الكرامُ فعــولُ
وما أُخمدتْ نارٌ لنا دونَ طارقٍ * ولا ذمَّنـا فى النازلين نزيلُ
وأيامُنـا مشهورة فى عَـدوِّنا * لهـا غُرَرٌ معـلومة وحُجـولُ ١٥
وأسيافنا فى كلِّ شرق ومغربٍ * بهـا من قِراع الدارعين فُلُولُ
معـوّدةٌ أن لا تُسَــلَّ نِصالُها * فتُغمدَ حتى يُسـتباحَ قبيــلُ
سلى إن جهلتِ الناسَ عنا وعنهمُ * وليس سَــواء عالمٌ وجَهـولُ
فإن بنى الديّانِ قطبٌ لقومهمْ * تدورُ رحاهم حولهم وتجــولُ

وقال أبو هلال العسكرىّ من قصيدة

وما ضاع مثلى حيث حلّت ركابُه * بلى حيث ضاع المجد مثلىَ ضائعُ
ومثلِىَ مخضوعٌ له غير أنه * اذا كان مجهول الفضائل خاضعُ
ومثلىَ متبوعٌ على كل حالة * فإنْ ينقلب وجه الزمان فتابعُ

٥ وقال عبد الله بن المعتز

سألتكما بالله هل تُعلمانى؟ * ولا تكتما شيأ فعندكما خُبْرى
أأرفعُ نيرانَ القِرى لعُفاتِها * وأصبر يوم الروْع فى ثُغرة الثّغرِ؟
وأُسأل نَيْلا لا يُجاد بمثله * فيفتحهُ بِشرى ويختمه عُذرى؟

ومن الافتخار قول بعض الشعراء، ويروى لحسّان بن ثابت من قصيدة أوّلها

١٠ أنسيمُ ريحِك أم خِيارُ العنبرِ * يا هذه، أم ريحُ مسكٍ أذفرِ؟ أذفر
قولى لطيفك أن يصدَّ عن الحشى * سطواتِ نيرانِ الأسى، ثم اهجرى
وانهى رُماتَك أن يُصِبنَ مَقاتلى * فينالَ قومَك سطوةٌ من مَعشرى
إنّا من النَّفرِ الذين جيادُهم * طلعتْ على كِسْرى بريح صَرْصَرِ
وسَلَبْن تاجى مُلك قيصرَ بالقنا * واجتزْن باب الدرب لابن الأصفرِ
١٥ كم قد وَلَدنا من كريمٍ ماجدٍ * دامى الأظافرِ أو ربيع مُمْطرِ
خُلِقتْ أنامِلهُ لقائم مُرْهَف * ولبذل مَكْرُمة وذِرْوة منبرِ
يَلْقى الرماحَ بوجهِه وبصدره * ويُقيم هامتَه مقام المِغفرِ
ويقول للطّرف اصطبر لشَبا القَنا * فهدمتَ ركنَ المجد إن لم تَصبرِ
واذا تأمّل شخصَ ضيفٍ مُقبِلٍ * مُتسربِلٍ سِربالَ ثوبٍ أغبرِ
٢٠ أوما الى الكَوْماء هذا طارقٌ * نحرتْنِىَ الأعداءُ إِنْ لم تُنحَرِ

ذكر ما قيل فى الجود والكرم وأخبار الكرام

حقيقة الجود بذل المـال ، قال الله عزّ وجلّ : (لَنْ تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ) وقال تعالى: (وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَنْ يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ) ورُوى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : « إن الله آستخلص هـذا الدِّينَ لنفسه ولا يصلح لدينكم إلا السخاءُ وحسنُ الخُلُق ألا فزيِّنوا دينكم بهما » وقال صلى الله عليه وسلم: «تجاوزُوا عن ذنب السّخيّ فإن الله عزّ وجلّ آخذ بيده كلّما عَثَر وفاتحٌ له كلّما آفتقَر» وقال صلى الله عليه وسلم : «الجود من جود الله تعالى فجودوا يجود الله عليكم » . « ألا إن السخاء شجرة فى الجنة أغصانها متدلية فى الأرض فمن تعلق بغصن منها أدخـله الجنة » . « ألا إن السخاء من الإيمـان والإيمـان فى الجنة » . وقال علىّ بن عبد الله بن عبّاس : سادةُ الناس فى الدنيـا الأسخياء . وقال بعضُ الحكماء : الجوَاد من جاد بمـاله وصان نفسه عن مالِ غيره . وقيل لعمرو بن عبيد : ماالكرم؟ فقال : أن تكون بمـالك متبرّعا، وعن مال غيرك متورّعا . ويقال : مراتب السخاء ثلاثة : سخاء وجودٌ وإيثـارٌ، فالسخاءُ إعطاء الأقل وإمساك الأكثر، والجود إعطاء الأكثر وإمساك الأقل ، والإيثارُ إعطاء الكل من غير إمساك بشىء ، وهو أشرف درجات الكرم ، وبه آستحقُّوا ثنـاء الله عزّ وجلّ عليهم فى قوله : (وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ) . ومن كلامٍ يُنْسَب الى جعفر بن محمّد : لا يتمّ المعروفُ إلا بثلاثة : تعجيله، وتصغيره ، وسَتْره . الجُودُ زكاةُ السّعادة ، والإيثار على النفس موجب لآسم الكرم ، وقال : لا تَسْتَحِى مَن بَذْل القليل فإن الحِرْمان أقلّ منه . قال بعضُ الشّعراء

أعط القليلَ ولا يمنعك قِلّتُه * فكلُّ ما سدّ فقرًا فهو محمودُ

وقال علىّ بن الحسين : الكريم يبتهج بفضله ، واللئيم يفتخر بماله .

وقال الحسين بن على رضى الله تعالى عنهما : أيها الناس من جَاد سَاد ، ومن بخُل رذُل، وأن أجود الناس من أعطى من لا يرجوه . وقيل ليزيد بن معاوية : ما الجود ؟ قال : أن تُعطى المال من لا تعرِف ، فإنّه لا يصير اليه حتى يتخطّى من تعرِف .

وقال أحمد بن محمد بن عبد ربه : لو لم يكن فى الكرم، إلا أنه صفة من صفات الله تعالى، تَسَمَّى بها فهو الكريم عزّ وجلّ . وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : "إذا أتاكم كريم قوم فأكرموه" . وقيل لعبد الله بن جعفر: إنك قد أسرفتَ فى بذل المال ، قال : إن الله عز وجل قد عوّدنى بعادة أن يتفضل علىّ ، وعودته أن أتفضل على عباده، وأخاف أن أقطع العادة فيقطعَ عنى . وقال المأمون لمحمد بن عباد المهلّبىّ: إنك مِتْلاف، قال : منعُ الجود ، سوء ظنّ بالمعبود . قال الله تعالى : (وَمَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُ وَهُوَ خَيْرُ ٱلرَّازِقِينَ) . وقال أكثم بن صيفىّ حكيم العرب : ذلّلوا أخلاقكم للطالب ، وقودوها الى المحامد ، وعلّموها المكارم ، ولا تقيموها على خلق تَذُمُّونَه من غيركم ،وصِلُوا من رغِب اليكم وتحلّوا بالجود يُكْسِبكم المحبة، ولا تعتقدوا البخل، نتعجلوا الفقر؛ أخذه شاعر فقال

أَمِنْ خوف فقر تعجّلْتَه * وأخّرتَ إنفاق ما تجمعُ؟
فصرتَ الفقير وأنت الغنىّ * وما كنتَ تعدو الذى تصنعُ

وكتب رجل من البخلاء الى رجل من الأسخياء يأمره بالإنفاق على نفسه ويخوّفه الفقر، فأجابه : (ٱلشَّيْطَانُ يَعِدُكُمُ ٱلْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُمْ بِٱلْفَحْشَاءِ وَٱللَّهُ يَعِدُكُمْ مَغْفِرَةً مِنْهُ وَفَضْلًا) وإنى أكره أن أترك أمرا قد وقع لأمر لعلّه لا يقع .

وكان سـعيد بن العاصى يقول على المنـبر : من رزقه الله رزقا حسنا ، فلينفق منه سرا وجهرا ، حتى يكون أسعد الناس به ، فإنمـا يترك ما يترك لأحد رجلين ، إما لمُصْلِح ، فلا يقلّ عليه شيء ، وإما لمفسد ، فلا يبقَ له شيء . أخذ بعض الشعراء هذا المعنى فقـال

أسْـعد بمالِكَ فى الحياة فإنمـا * يبقى خلافك مصلِـحٌ أو مفسِدُ
فاذا جمعت لمفسـد لم يُغنِـهِ * وأخو الصّلاح قليـله يتزيّدُ

وقال أبو ذرّ رضى الله عنه : لك فى مالك شريكان ، الحَدَثان ، والوارث ، فإن آستطعتَ أن لا تكون أبخسَ الشركاء حظًّا فآفعـل . وقال بَزَرْجُمهر الفارسىّ : إذا أقبلت عليك الدنيا ، فانفق منها ، فإنها لا تفنى ، وإذا أدبرت عليك ، فانفق منها ، فإنها لا تبقى ؛ أخذ الشاعر هذا المعنى فقال

لا تبخلَنّ بدُنْيَا وهى مقبِـلةٌ * فليس ينقُصها التبذير والسَّرَفُ
وإنْ تولّت فأحرى أن تجودَ بها * فالحمد منها إذا ما أدبَرَتْ خَلَفُ

وكان كسرى يقول : عليكم بأهل السخاء والشجاعة ، فإنهم أهل حسن ظنّ بالله ، ولو أن أهـل البخل ، لم يدخل عليهم من ضَرّ بُخلهم ، ومذمّة الناس لهم ، وإطباق القلوب على بغضهم ، إلا سوءُ ظنّهـم بربهم فى الخلف ، لكان عظيما ؛ أخذه محمود الورّاق فقال

من ظنّ بالله خـيرا جاد مبتدِئا * والبخل من سوءِ ظنّ المرء باللهِ

وقيل لأبى عُقَيل البليغ العراقىّ : كيف رأيت مروان بن الحَكَم عند طلب الحاجة اليه ؟ قال : رأيتُ رغبَته فى الإنعام ، فوق رغبته فى الشكر ، وحاجتـه الى قضاء الحاجة ، أشدّ من حاجة صاحِبها .

وقال زياد : كفى بالبخيل عارا، أن آسمه لم يقع فى حمد قطّ .

وقال أسماء بن خارجة : ما أُحِبُّ أن أردّ أحدا عن حاجة طَلَبها ، لأنه لا يخلو أن يكون كريما، فأصون له عِرْضَه، أو لئيما، فأصون عِرْضى منه .

وقال إبراهيم بن المهدىّ : قلت لرجل من أهل الكوفة من وجوه أهلها كان لا يجفّ بيده قلم، ولا يستريح قلبُه، ولا تسكن حركتُه فى طلب حوائج الرجال، وإدخال المرافق على الضعفاء : أخبِرْنى عن الحالة التى خفّفَتْ عنك النَّصَبَ، وهوّنت عليك التعبَ ، فى القيام بحوائج النـاس ، ما هى ؟ قال : قد والله سمعتُ [تغريد الطّير بالأسحار، فى فروع الأشجار ، وسمعتُ خَفْقَ أوتار العيـدان] (١) وترجيع أصوات القيان، فما طرِبتُ من صوت قطّ ،طَرَبى من ثناء حسن، بلسان حسن، على رجل قد أحسن، ومن شُكْر حرّ لمنعِم حرّ، ومن شفاعة محتسب، لطالب شاكر؛ قال إبراهيم: فقلت، لله أبوك! لقد حشيت كرما . وكان طلحة بن عبدالله بن عوف الزهرىّ من أجود قريش فى زمانه، فقالت له آمرأته : ما رأيت قوما ألأم من إخوتك، فقال لها : لِمَ ؟ وأنّى قلت ذاك ؟ فقالت : أراهم إذا أيسرتَ أتوك، وإذا أعسرت تركوك، قال : هـذا والله كرمهـم، يأتوننا فى حال القوّة عليهـم ، ويتركوننا فى حال العجز عنهـم .

وحكى أن رجلا شيخا أتى سعيد بن سالم،وكلّمه فى حاجة وماشاه، فوضع الشيخ زجَّ عصاه التى يتوكأ عليها، على رجل سعيد حتّى أدماها، فما تأوه لذلك، وما نهاه، فلما فارقه، قيل له : كيف صبرتَ على هذا منه ؟ فقال : خفتُ أن يعلَم جِنايته ، فينقطع عن ذكر حاجته .

---

(١) الزيادة عن النسخة الراغبية .

ذكر من انتهى اليهم الجود فى الجاهلية
وذكر شيء من أخبارهم

(٦١)

والذى انتهى اليهم الجود فى الجاهلية حاتم بن عبد الله بن سعد الطائىّ، وهَرِم بن سِنان المُرِّىّ، وكعب بن مَامَة الإيادى، وضرب المثل بحاتم وكعب، والمشهور حاتم. وكعب هذا: هو الذى جاد بنفسه، وآثر رفيقه بالمـاء فى المفازة، ولم يشهر له خبرٌ غير ٥ هذا. وأما حاتم فأخباره مشهورة

منها: أنه كان اذا اشتد البَرْد، أمر غلامه يسارا، فأوقد نارا فى بقاع من الأرض، لينظر اليها مَنْ ضلّ عن الطريق، وفى ذلك يقول

أَوقِدْ فإن الليل ليل قَرٌّ * والريح يا واقِد رِيحٌ صِرٌّ
عسى يرى نارَكَ مَنْ يمرُّ * إن جلبتْ ضيفا فأنتَ حرٌّ ١٠

قالوا: ولم يك حاتم يمسك غير سلاحه وفرسه، ثم جاد بفرسه فى سنة أَزْمة.

قالت النوار امرأة حاتم: أصابتنا سنة اقشعرّت لها الأرض، واغبرّ أُفُق السماء، وضنّتِ المراضِعُ عن أولادها، لا تَبِضُّ بقطرة، وأيقنّا بالهلاك، فوالله، إنّى لفى ليلة صِنَّبْرَة، بعيدة ما بين الطرفين، إذ تَضاغى صِبْيَتُنا جُوعا، عبد الله، وعدىّ، وسَفانة، فقام حاتم الى الصبيّين، وقمت الى الصبيّة، فوالله ماسكتوا إلا بعد هَدْأَة من الليل، ١٥ وأقبل يعلّلنى، فعرفت ما يريد، فتناومت، فلما تهوّرتِ النجوم، إذا بشيء قد رفع كِسْرَ البيت، فقلت: مَنْ هذا؟ فولّى، ثم عاد آخر الليل، فقال مَنْ هذا؟ فقالت: جارتك فلانة، أتيتُك من عند صِبْيَة يتعاوون عوىَ الذئاب، فما وجدتُ معوّلا إلا عليك أبا عدىّ، فقال: أعجليهم، فقد أشبعكِ الله وإياهم، فأقبلت المرأة تحمل اثنين،

ويمشى بجانبها أربع كأنها نَعامة حولها رِئالُها ، فقام الى فرسه، فوجأ لبَّته بمُدية، فخر، ثم كَشَط عن جلده، ودفع المدية الى المرأة، وقال : شأنك، فاجتمعنا على اللحم نَشْوِى ، ونأكل، ثم جعل يأتيهم بيتا بيتا، فيقول : هبّوا عليكم بالنار، والتفع بثوبه ناحية ينظر الينا، لا والله إن ذاق منه مضغة وإنه لأحوج اليه منّا، فأصبحنا ٥ وما فى الأرض إلا عظم أو حافر .

وقيل : كان مبدأ الأمر لحاتم فى الجود، أنه لما تَرَعْرَع، جعل يُخرج طعامَه فإن وجد من يأكله معه أكله، وإن لم يجد طرحه، فلما رأى أبوه، أنه يُهلك طعامَه، قال له : الْحَق بالإبل، فخرج إليها، فوهب له جارية، وفرسا وفلوَها .

وقيل : بل هلك أبو حاتم وهو صغير، وهذه القِصّة كانت مع جدّه سعد بن الحَشْرج، ١٠ فلما أتى حاتم الإبل، طفِقَ يبتغى الناس، فلا يجدهم، ويأتى الطريق، فلا يجد عليه أحدا، فبينا هو كذلك، إذ بَصُر بركْب على الطريق، فأتاهم، فقالوا : يافتى، هل من قِرًى؟ فقال : تسألونى عن القِرَى؟ وقد تَرَوْن الإبل! وكان الذى بَصُر بهم، عَبِيد ابن الأبرص، وبِشْر بن أبى خازم، والنابغة الذُّبيانىّ، وكانوا يريدون النعمان، فنحر لهم ثلاثةً من الإبل، فقال عَبِيد : إنما أردنا اللبن، وكانت تكفينا بَكْرة، إن كنت ١٥ لا بدّ متكلّفا لنا شيئا، فقال حاتم : قد عرفتُ، ولكن رأيت وجوها مختلفة، وألوانا متفرّقة، فظننت أن البلدان غير واحد، فأردت أن يذكر كلّ واحد منكم ما رأى ، إذا أتى قومه فقالوا فيه أشعارا امتدحوه بها، وذكروا فضله ، فقال حاتم : أردت أن أُحسِن اليكم ، فصار لكم الفضل علىّ ، وإنى أعاهد الله أن أَضرِب عراقيبَ إبلى عن آخرها، أو تقوموا اليها فتقتسموها ففعلوا! فأصاب كل واحد تسعا وثلاثين ٢٠ بعيرا، ومضوا على سفرهم الى النعمان، وأن أبا حاتم أو جدّه، سمع بما فعل، فقال :

أين الإبل؟ فقال : يا أبت طوقتُك بهـا طوق الحمامة مجدا وكَرما ، لا يزال الرجل يحمـل بيت شـعر أثنى به علينا عِوَضا من إبلك ، فلما سمع أبوه ذلك ، قال : أبإبلى فعلتَ ذلك؟ قال: نعم، قال : والله لا أُساكنك أبدا ، فخرج أبوه بأهله ، وترك حاتما ، ومعه جاريته وفرسه وفِلْوه . قال : فبينما حاتم يوما نائم ، إذ آنتبه ، وحوله نحو مائتى بعير تجول وتَحْطِمُ بعضها بعضا ، فساقها الى قومه ، فقالوا : ياحاتم ، أبقِ على نفسك ، فقد رزقتَ مالا ، ولا تعودَنّ الى ما كنت فيه من الإسراف ، قال : فإنهـا نهب بينكم ، فانتُهِبت ؛ ثم أقبل ركب من بنى أسد ومن قيس يريدون النعمان ، فلقوا حاتمـا ، فقالوا له : إنا تركنا قومنا يُثْنُون عليك خيرا ، وقد أرسلوا اليـك برسالة ، قال : وما هى ؟ فأنشده الأسديّون شعرا ، لِعبيد ، وأنشده الليثيّون شعرا للنابغة ، ثم قالوا : إنا لنستَحِى أن نسألَك شيئا و إنّ لنا لحاجة ، قال : وما هى؟ قالوا : صاحب لنا راجل ، فقال حاتم : خذوا فرسى هذه ، فاحملوا عليها صاحبكم ، فأخذوها ، ورَبَطتِ الجاريةُ فِلْوها بثوبها ، فأفلت فاتبعته الجارية لتردّه ، فقال حاتم : مالحقكم من شىء فهو لكم ، فذهبوا بالفرس والفلو والجارية .

(٦٣) وأما هَرِم بن سِنان ، فمن أخباره : أنه آلى على نفسه أنه لا يسلّم عليه زُهَير إلا أعطاه فقلّ مال هَرِم ، وكان زهير يمرّ بالنادى وفيه هرِمٌ فيقول : أنعموا صباحا ماخلا هرِما ، وخير القوم تركتُ ؛ قالوا : وكان عبد الله بن جُدعان ، حين كَبُر ، أخذتْ بنو تميم على يده ، ومنعوه أن يعطى شيئا من ماله ، فكان الرجل اذا أتاه يطلب منه ، قال له : آدن منّى ، فاذا دنا منه لَطَمه ، ثم قال : آذهب فاطلب لطمتك أو ترضى ، فترضيه بنو تميم من ماله ؛ وفيه يقول الشاعر

والذى إن أشار نحوك لَطْمًا * تبـع اللطمَ نائلٌ وعَطاءُ

ومن أخبار الكرام : ما حُكى أنّ خالد بن عبد الله القَسْرى أميرَ العراق، كان
يكثر الجلوس ثم يدعو بالبِدَر ويقول: إنما هذه الأموال ودائع العرب لابدّ من تفرقتها،
فقال ذلك مرّة، وقد وفد عليه أخوه أسد بن عبد الله من خُراسان، فقام، فقال :
أيها الأمير إن الودائع تُجمع لا تُفرق ، فقال : ويحك! إنها ودائع المكارم، وأيدينا
٥ وكلاؤها، فإذا أتانا المُلِق فأغنيناه، والظمآن فأرويناه، فقد أدّينا فيها الأمانة، ومرّ
يزيد بن المهلّب بأعرابية فى هربه من سجن عمر بن عبد العزيز، وهو يريد البصرة،
فقدّمت له عَنْزا فقبلها، ثم قال لأبنه معاوية : مامعك من النفقة؟ قال ثمانمائة دينار،
قال : آدفعها اليها ! فقال له آبنه : إنك تريد الرجال، ولا تكون الرجال إلا بالمال،
وهذه يرضيها اليسير، وهى بعدُ لاتعرفك، فقال: إن كانت ترضى باليسير، فأنا لا أرضى
١٠ إلا بالكثير، وإن كانت لا تعرفنى، فأنا أعرف نفسى، آدفعها إليها، فدفعها اليها .
قال الأحنف : كثرت علىّ الدّيَات بالبصرة، لما قُتِل مسعود، فلم أجدها فى حاضرة
تميم، فخرجت نحو يَبْرِينَ ، فسألت : مَن المقصودُ هناك ؟ فأرسلت الى قُبّة ، فاذا
شيخ جالس بِفِنائها ، مؤتزر بشَمْلة، مُحتَبٍ بحبل ، فسلمت عليه ، وآنتسبت له ،
فقال : ما فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ قلت : تُوُفِّى ، قال : فما فعل
١٥ عمر بن الخطاب الذى كان يحفظ العرب ويحوطها؟ قلت : مات، قال : فأىّ خير
فى حاضرتكم بعدهما ؟ قال : فذكرت الديات التى لزمتنا للأزد وربيعة ، قال :
أقم، فإذا راعٍ قد أراح عليه بألف بعير، فقال : خذها، ثم أراح عليه آخر بمثلها، فقال:
خذها، قلت : لا أحتاج اليها، فآنصرفت بالألف، ووالله ما أدرى من هو الى الساعة.

وروى عن مَعْن بن زائدة ، قال : لما هربت من المنصور ، خرجت من
٢٠ باب حرب، بعد أن أقمت فى الشمس أياما، وخففتُ لِحيتى وعارضى، ولبست

جُبّة صوف غليظة، وركبت جملا، وخرجت عليه لأمضى الى البادية، قال : فتبعنى
أسودُ متقلد سيفا، حتى إذا غبت عن الحرس، قَبَض على خِطام الجمل فأناخه، وقبض
علىّ، فقلت : ما شأنك؟ فقال : أنت بغية أمير المؤمنين فقلت له : ومن أنا حتّى
يطلبنى أمير المؤمنين ؟ فقال مَعْن بن زائدة فقلت : يا هـذا ! آتق الله وأين أنا من
معن ؟ فقال : دع هذا عنك، فأنا والله أعرف بك، فقلت له : فإن كانت القصة ٥
كما تقول، فهذا جوهر حملتُه معى، بأضعاف ما بذله المنصور، لمن جاءه بى فخذه
ولا تَسْفك دَمِى، فقال : هاته، فأخرجتُه اليه، فنظر إليه ساعة، وقال : صدقتَ
فى قيمته، لست قابله حتى أسألك عن شىء، فإن صدقتنى أطلقتك، فقلت : قل،
فقال : إن الناس قد وصفوك بالجود فأخبرنى هل وهبتَ قطّ مالَك كلَّه ! قلت :
لا، قال : فنصفه ! قلت : لا، قال : فثلثه ! قلت، لا حتى بلغ العشر فاستحييت ١٠
وقلت : إنى أظن قد فعلت هذا، فقال : ما ذاك بعظيم، أنا والله راجل، ورزقى
على أبى جعفر، عشرون درهما، وهذا الجوهر قيمته ألف دينار، وقد وهبته لك،
ووهبتك لنفسك، ولجودك المأثور بين الناس، ولتعلم أن فى الدنيا من هو أجود
منك، ولا تعجبك نفسك، ولتُحَقِّر بعد هـذا كلّ شىء تفعله ولا تتوقف عن
مكْرمة، ثم رمى بالعقد إلىّ، وخلّى خِطام الجمل وآنصرف، فقلت : يا هذا ! قد والله ١٥
فضحتَنى، ولسَفْكُ دمى أهونُ علىّ مما فعلت، فخذ ما دفعته اليك، فإنى عنه فى غنًى،
فضَحِك، ثم قال : أردت أن تكذّبنى فى مقامى هـذا، فوالله لا آخذه، ولا آخذ
لمعروف ثمنا أبدا، ومضى، فوالله لقد طلبته بعد أن أمنتُ، وبذلت لمن جاءنى به ماشاء،
فـا عرفت له خبرا، وكأنّ الأرض آبتلعته، وكان سبب غضب المنصور على مَعْن
آبن زائدة : أنه خرج مع عمرو بن يزيد بن عمرو بن هُبَيْرة وأَبْلَى فى حربه بلاء حسنا. (٦٣) ٢٠

ويقــال : إن شاعرا أتى وهب بن وهب ، وكان جوادا، فمدحه فهَشّ وبَش له وثنى له الوِسَادة وأضافه و رفده وحمله ، فلما أراد الرّجل الرحلة ، لم يخدُمه أحد من غِلْمان وهب، فأنكر الرجل ذلك مع جميل فعله ، فعاتب بعضهم، فقــال له الغلام : إنّا انّما نُعين النازل على الإقامة ولا نُعين الراحل على الفراق .

٥ وكان الحارث بن هشام المخزومى فى وقعة اليرموك، وبها أصيب فأثبتته الجراح، فاستسقى ماء ، فأُتِىَ به، فلما تناوله ، نظر الى عِكْرِمة بن أبى جهل صريعا فى مثــل حاله ، فردّ الإناء على الساقى، وقال : آمض الى عِكْرِمة بن أبى جهل، فمضى إليه، فأبى أن يشرب قبله ، فرجع الى الحارث ، فوجده ميتا ، فرجع الى عِكْرمة، فوجده قد مات ، فلم يشرب واحد منهما .

١٠ وقد وصف الناس أهل الجود والكرم بمدائح ، سنذكر ما آستجودناه منها .

فمن ذلك ما حكى عن أبى العباس أحمــدَ بن يحيى المعروف بثعلب، قال : كان ببغداد فتى يُجَنّ ستة أشهر، فاستقبلته ببعض السكك ذات يوم، فقال : ثعلب ؟ قلت : نعم ، قال : فأنشِدْنى فأنشدته

و إذا مررتَ بقبره فاعقِرْ به * كُومَ الهِجان وكلّ طِرْفٍ سَابِحِ

١٥ وآنضحْ جوانبَ قبره بدمائها * فلكذا يكــون أخا دم وذَبائِحِ

فضَحِك، ثم سكت ساعة، وقال : ألا قال؟

آذهبا بى إن لم يكن لكما عَقْـــ * ـــرٌ على تُرب قـــبره فاعقِرَانِى

وآنضحا من دمى عليه فقد كا * نَ دمى من نَدَاه لو تعلمانِ

ثم رآنى يوما بعد ذلك فتأمّلنى ، وقال : ثعلب! قلت : نعم ، قال : أنشدنى

٢٠ فانشدته

أعار الجَـوْدَ نائلُه * إذا ما مالُهُ نَفِـدَا
وإنْ لَيْثًا شَكَا جُبنا * أعار فؤادَه الأسـدا

فضحك، وقال : ألا قال؟

علَّم الجَوْدَ النّـدى حتّى إذا * ما حكاه علَّم البأسَ الأسدْ
فـله الجَوْدُ مقِرٌّ بالنـدى * وله الليثُ مقِرٌّ بالجَـلَدْ ٥

وقال مسلم بن الوليد وهو مما يجوز إيراده فى الشجاعة والكرم

يجود بالنفس إن ضنّ الجوادُ بهـا * والجود بالنفس أقصى غايةِ الجودِ

وأول من أتى بهذا المعنى علقمة بن عَبْدة حيث قال

تجود بنفس لا يُجَـاد بمثلها * فأنتَ بها يوم اللّقاء خَصِيبُ

وهذا مثل قول يزيد بن أبى يزيد الشيبانى : من جاد بنفسه عند اللقاء، وبماله ١٠ عند العطاء، فقد جاد بنفسيه كلتيهما . قالوا: وأجود ماقيل فى ذلك قول أبى العتاهية يمدح العباس بن محمد

لو قيـل للعباس يا ابنَ محمـد * قل "لا" وأنت مخلّد ما قالَها
إنّ السماحة لَم تَزَلْ معقولةً * حتّى حللتَ براحتيك عِقَالَها
وإذا الملوك تسايرتْ فى بلدة * كانوا كواكِبها وكنتَ هِلالَها ١٥

فلم يثْبه العباس، فقال

هززْتُك هِزّة السيف المحـلّى * فلما أن ضربت بك انثنيتُ
فهبها مِدحةً ذهبت ضَـياعا * كَذَبتُ عليك فيها وافتريتُ

فلما سمع العباس الأبيات غضب ، وقال : والله لأجهدنّ فى حتفه ، قال : فمرّ أبو العتاهية بإسحاق بن العباس، وقال له إسحاق : أنشدنى شيئا من شعرك فأنشده ٢٠

ألا أيها الطالبُ المستَفيثُ * بمن لا يُفيــدُ ولا يَرْفِدُ
ألا تسأل الله من فضــله * فإن عطاياه لا تَنْفَــدُ
إذا جئت أفضلهم للسـؤا * ل ردّ وأحشاؤه تَرْعَــدُ
كأنّك من خشـيةٍ للسـؤا * ل فى عينه الحيّـةُ الأسودُ
٥ ففِـرّ الى الله من لؤمهم * فإنى أرى الناس قد أصْلَدُوا
وإنى أرى الناس قد أبرقُوا * بلؤم النِعَال وقـد أرْعَدُوا

ثم مضى ، فقيل لإسحاق : إن هذا الشعر له فى أبيك، فقال إسحاق : أولى له ، لم عرّض نفسه وأحوج أبا العتاهية إلى مثل هذا مع ملكه وقدرته ؟

وقد أورد أبو الفرج الأصفهانىّ خبر هـذه الأبيات ، فقال : آمتدح ربيعة الرَّقِّىّ
١٠ العباس بن محمد بن على بن عبـد الله بن العباس بقصيدة لم يُسْبق اليها حسنا ، وهى طويلة يقول فيها

لو قيل للعباس : يا آبن محمّدٍ * قل "لا" وأنت مخلّد ماقالهَا
ماإن أعدّ من المكارم خَصْلة * إلا وجدتُك عمّها أو خالَهَا
وإذا الملوك تسايرت فى بلدة * كانوا كواكِبَها وكنتَ هِلَالَهَا
١٥ إن المكارم لم تَزَلْ معقولةً * حتّى حللتَ براحتيك عقالهَا

قال : فبعث إليه بدينارين، وكان يقدّر فيه ألفين، فلما نظر إلى الدينارين، كاد أن يُجَن غضبا، وقال للرسول : خذ الدينارين فهما لك على أن تردّ إلىّ الرُّقعة، من حيث لا يدرى العباس، ففعل الرسول ذلك، فأخذها ربيعة، وأمر من كتب فى ظهرها

مدحتُك مِدْحة السيف المحلَّى * لتجْرِىَ فى الكرام كما جريتُ
فهبها مِدْحة ذهبت ضياعا * كذبتُ عليك فيها وآفتريتُ
فأنت المـــرء ليس له وَفَاءٌ * كأنى إذْ مدحتُك قد زَنَيتُ

(٦٤) ثم دفعها إلى الرسول وقال : ضعها فى الموضع الذى أخذتَها منه ، ففعل ، فلما كان من الغد، أخذها العباس فنظر فيها، فلمـا قرأ الأبيات ، غضب ، وقام من وقته ، فركب إلى الرشيد، وكان أثيرا عنده يجلّه ويقدّمه، وكان قد همّ أن يخطب اليه آبنته، فرأى الرشيد الكراهة فى وجهه، فقال ماشأنك؟ قال: هجانى ربيعة الرقّى، فأحضره الرشيد، وقال له : يا ماصّ كذا وكذا من أمّه أتهجو عمّى، وآثر خلق الله عندى؟ لقد هممت أن أضرب عنقك، فقال : ياأمير المؤمنين، والله لقد آمتدحته بقصيدة ما قال أحد مثلها من الشعراء فى أحد من الخلفاء ، ولقد بالغت فى الثناء ، وأكثرت الوصــف ، فإن رأى أمير المؤمنين أن يأمر بإحضارها فعل ، فلمـا سمع الرشيد ذلك، سكن غضبه، وأحب أن ينظر فى القصيدة، فأمر العباس بإحضارها فتلكأ عليه، فقال له الرشيد : سألتك بحق أمير المؤمنين ، إلا أمرت بإحضارها ؟ فأُحضِرت ، فإذا فيها القصيدة بعينها ، فاستحسنها وآستجادها وأعجب بها، وقال : والله ما قال أحد من الشعراء فى أحد من الخلفاء مثلها ، ولقد صـــدق ربيعة فبرّ ، ثم قال للعباس : كم أثبتَه عليها ؟ فسكت العباس، وتغيّر لونه، وغُصّ بريقه، فقال ربيعة : أثابنى عنها يا أمير المؤمنين دينارين،فتوهم الرشيد أنه قال ذلك من الموجدة عليــه، فقال : بحياتى يارقّى كم أثابك ؟ فقال : وحياتِك يا أمير المؤمنين ما أثابنى إلا بدينارين ، فغضب الرشيد غضبا شديدا، ونظر فى وجه العباس، وقال : سوءة لك ! أيّةُ حال قعدَت بك عن إثابته ؟ أقلّة مال ؟ فوالله لقد نولتك جهـدى، أم

انقطاع المـال عنك ؟ فوالله ما ٱنقطعتُ بك ، ام أصلُك ؟ فهو الاصـل الذى
لا يدانيــه شىء ، أم نفسك ؟ لا ذنب لى ، بل نفسك والله فعلت بك ذلك ، حتى
فضحتَ أجدادَك وفضحتَنى ، وفضــحت نفسَك ، فنكَس العباس رأســه ، ولم
ينطِق ، فقال الرشيد : يا غلام ، أعطِ ربيعــةَ ثلاثين ألف درهم ، وخِلْعَةً ، وٱحمله
على بغلة ، ثم قال له : بحياتى لا تذكره فى شىء من شعرك تعريضا ولا تصريحا ، وفتر ٥
الرشيد عما كان قد همّ به من أن يتزوج اليه وأظهر له بعد ذلك جفاء واطراحا .

وقال محمد بن هانئ

الواهب الألفَ إلا أنهـا بِدَرٌ * والطاعنُ الألفَ إلا أنها نَسَقُ
تأتى عطاياه شــتّى غير واحدة * كما تدافعَ موجُ البحر يصطَفِقُ

١٠ وقال الرضىّ المُوسوىّ

ريّانُ والأيام ظمآنةٌ * من النّدَى نَشْوان بالبِشْرِ
لا يُمسك العذلُ يديه ولا * تأخذُ منــه نشْوةُ الخمــر

وقال أيضا

ذخائرُه العُرْف فى أهــله * وخُزّانُ أمواله السائلونا

١٥ وقال أمية بن أبى الصلت الثقفِىّ يمدح عبد الله بن جُدْعان

أأذكر حاجتى أم قد كفانى * حَياؤك إنّ شيمَتك الحياءُ؟
وعلمك بالأمور وأنت قَرْمٌ * لك الحسبُ المهذّبُ والسناءُ
كريمٌ لا يغــيّره صَــبَاحٌ * عن الخُلُق السنىّ ولا مَســاءُ
إذا أثنى عليــك المرءُ يوما * كفاه من تعرُّضه الثنــاءُ

وقال الشمّاخ بن ضِرار

تَزورُ آمرأً يُعطِى على الحمد مالَه * ومن يُعْطِ أثمانَ المحامدِ يُحْمَدِ

وأنتَ آمرؤ، مَن تُعطِه اليوم نائلا * بكفّك، لا يمنعْك من نائل الغدِ

ترى الجودَ لا يُدنى من المرء حتفَه * كما البخل والإمساك ليس بمُخلِدِ

مُفيـدٌ ومِتلافٌ، اذا ما سألتـه * تهـلّل، وآهتزّ آهتزاز المهـنّدِ ٥

متى تأته تعشو الى ضـوءِ نارِه * تجدْ خيرَ نارٍ عنـدَها خيرُ مُوقِدِ

قال : ولمـا سمع عمر رضى الله عنه هذا البيت ، قال : كَذَبَ ، تلك نار موسى عليه السلام .

وقال السرىّ الرفّاء

كالغيثِ والليثِ والهلالِ اذا * أقمـر بأسًا وبهجةً وندَى ١٠

ناسٍ من الجـودِ ما يجود به * وذاكـرٌ منـه كلما وعدا

وقال أبو الفرج الوأواء

من قاسَ جدواك بالغمام فما * أنصف فى الحكم بين آثنيْنِ

أنت اذا جدت ضاحكا أبدا * وهو اذا جاد باكِىَ العيْنِ

وقال آبن نباتة السعدىّ من قصيدة ١٥

لم يُبقِ جـودُك لى شيئا أؤمّله * تركتنى أصحب الدنيا بلا أمل

ذكر ما قيل فى الإعطاء قبل السؤال

قال سَعيد بن العاصى : قبح الله المعـروف، اذا لم يكن آبتداءً من غير مسألة ، فـا المعروف عوضٌ من مسألة الرجل، اذا بذل وجهَه، فقلبُه خائفٌ ، وفرائصـه ترعُد، وجبينه يرشح، لا يدرى ايرجع بنُجح الطلب أم بسوء المنقلب ، قد بات ليلته ٢٠

يتململ على فراشه، يعاقب بين شِقَّيه، مرّة هكذا، ومرّة هكذا، مَنْ لحاجته؟ فخطرتُ بباله أنا أو غيرى، فمثَّل أرجاهم فى نفسه، وأقربهم من حاجته، ثم عزم علىَّ، وترك غيرى، قد انْتُقِع لونُه، وذهب دمُ وجهه، فلو خرجتُ له مما أملك لم أكافئه، وهو علىَّ آمنُ منّى عليه، اللهم فإن كانت الدنيا لها عندى حظٌّ فلا تجعل لى حظًّا فى الآخرة.

(٦٥)

٥ وقال أكثم بن صيفىّ : كلّ سؤال وإن قلّ، أكثر من كلّ نوال وإن جلّ .

وقال علىّ بن أبى طالب رضى الله عنه لأصحابه : من كانت له إلىّ منكم حاجة، فليرفعها فى كتاب، لأصونَ وجوهكم عن المسألة .

وقال عبد العزيز بن مروان : ما تأمّلنى رجل قط، إلا سألته عن حاجته، ثم كنت من ورائها .

١٠ وقال حبيب

عطاؤك لايفنى ويستغرقُ المنَى * وتبقى وجوهُ الراغبين بمائها

وقال أيضا

ما ماء كفك إن جادت وإن بخلت * من ماء وجهى إذا أفنيتُه عوضُ

وقالوا : مَنْ بذَلَ اليك وجهه، فقد وفّاك حقّ نعمته .

١٥ وقال معاوية لصَعْصَعَةَ بن صُوحان : ما الجود ؟ فقال : التبرّع بالمال، والعطاء قبل السؤال .

وقال أحمد بن محمد بن عبد ربّه

كريمٌ على العِلّاتِ جَزْلٌ عطاؤه * يُنيلُ وإن لم يُعتمدْ لنوالِ

وما الجود مَنْ يُعطي إذا ما سألته * ولكنّ مَنْ يُعطِى بغير سؤالِ

وقال حبيب الطائى:

لئن جَحَدْتُك ما أوليتَ من كَرَم * إنى لفى اللؤم أمضَى منك فى الكرم

أنسى ٱبتسامَك والألوانُ كاسفةٌ * تبسُّمَ الصبح، فى داجٍ من الظُّلَمِ

رددتَ رونقَ وجهى فى صفيحَته * ردَّ الصِّقالِ صفاءَ الصارم الخَذِمِ

وما أبالى — وخيرُ القول أصدقُه — * حقنتَ لى ماءَ وجهى أم حقنتَ دمِى ٥

ذكر ما قيل فى الشجاعة والصبر والإقدام

روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : « الشجاعة غريزة يضعها الله فيمن يشاء من عباده، إن الله يحبّ الشجاع ولو على قتل حيّة » .

وقالوا : حدّ الشجاعة سعة الصدر بالإقدام على الأمور المتلفة .

وسئل بعضهم عن الشجاعة فقال : جِبِلّةُ نفس أبيّة، قيل له : فما النجدة؟ قال: ١٠ ثقة النفس عند ٱسترسالها الى الموت، حتى تحمد بفعلها دون خوف .

وقيل لبعضهم : ما الشجاعة ؟ فقال : صبر ساعة. وقال بعض أهل التجارب : الرجال ثلاثة: فارس، وشجاع، وبطل، فالفارس: الذى يشدّ اذا شدّوا، والشجاع : الداعى الى البراز والمجيب داعيَهُ، والبطل : الحامى لظهور القوم اذا ولّوا .

قال يعقوب بن السكّيت فى كتاب الألفاظ : العرب تجعل الشجاعة فى أربع ١٥ طبقات، تقول: رجلٌ شجاعٌ، فاذا كان فوق ذلك، قالوا: بطلٌ، فاذا كان فوق ذلك، قالوا : بُهْمةٌ، فاذا كان فوق ذلك، قالوا : أَلْيَس .

وقال بعض الحكماء : جسمُ الحرب : الشجاعة ، وقلبها : التدبير، ولسانها : المكيدة، وجَناحها : الطاعة، وقائدها : الرفق، وسائقها : النصر .

قالوا : لما ظفر المهلّب بن أبى صُفرة بالخوارج ، وَجّهَ كعبَ بنَ معْدانَ الى الحجّاج ، فسأله عن بنى المهلّب ، فقال : المغيرةُ فارسهم وسيّدهم ، وكفى بيزيد فارسا شجاعا ، وجوادُهم وشيخُهم : قَبِيصةُ ، ولا يستحيى الشجاعُ أن يفرّ من مُدرِك ، وعبدُ الملك : سمٌّ ناقعٌ ، وحبيبٌ : موتٌ زعافٌ ، ومحمدٌ : ليثُ غابٍ ، ٥ وكفاك بالمفضّل نَجدةً ، قال : فكيف خلّفتَ جماعةَ الناس ؟ قال : خلّفتهم بخير ، قد أدركوا ما أملوا ، وأمنوا ما خافوا ، قال : فكيف كان بنو المهلّب فيهم ؟ قال : كانوا حُماة السَّرح نهارا ، فاذا أليلوا ففرسان البيات ، قال : فأيّهم كان أنجدَ ؟ قال : كانوا كالحلْقة المفْرغة ، لا يُدرَى أين طَرَفُها ، قال : فكيف كنتم أنتم وعدوّكم ؟ قال : كنّا اذا أخذنا ، عفونا ، واذا آجتهدوا ، آجتهدنا فيهم ، فقال الحجّاج : (إِنَّ ٱلْعَاقِبَةَ ١٠ لِلْمُتَّقِينَ) .

وقالوا : أشجعُ بيت قالته العرب قول العباس بن مِرداس السلمىّ

أَشُدُّ على الكتيبة لا أبالى * أحتفى كان فيها أم سواها؟

وقد مدح الشعراءُ الشجاعةَ وأهلَها ، وأوسعوا فى ذلك ، فمن ذلك قول المتنبّى

شجاعٌ كأنّ الحربَ عاشقةٌ له * اذا زارها فدّته بالخيل والرَّجْلِ

١٥ وقال أيضا

وكم رجالٍ بلا أرضٍ لكثرتهم * تركتَ جمعَهُمُ أرضًا بلا رجُلِ

ما زال طِرفُك يجرى فى دمائهمُ * حتى مشى بك مشىَ الشاربِ الثمِلِ

وقال العماد الإصفهانىّ

قوم إذا لبِسوا الحديدَ الى الوغى * لبِس الحدَاد عدوُّهم فى المهربِ

٢٠ المُصدِرون الدُّهمَ عن وِرْدِ الوغى * شُقْرًا تُجَلَّلُ بالعَجاج الأشهبِ

وقال أبو الفرج البيغاء

واليومُ من غَسَقِ العَجاجةِ ليـلةٌ * والكرُّ يخـرِّق سَجْفَها الممـــدودا
وعلى الصِّفاحِ من الكِفاحِ وصِدقِه * رَدْعٌ أحالَ بياضَـها توريدا
والطعنُ يغتصبُ الجيادَ شـياتِها * والضربُ يقـدح فى التليل وقودا
وعلى النفوس من الحِمـام طلائعٌ * والخوف يَنشُد صبرَها المفقودا ٥
وأجلّ ما عنـد الفوارس حثُّهـا * فى طاعة الهربِ الجيـادَ القُـودا
حتى إذا ما فارق الرأىُ الهـوى * وغدا اليقينُ على الظنون شهيـدا
لم يُغنِ غيرُ أبى شجاعٍ والعلا * عنـه تنـاجى النصرَ والتأييـدا

وقال أيضا ورُوى للبحترى

مِن كلّ متَّسِع الأخلاق مبتسِم * للخطب إن ضاقت الأخلاقُ والحِيلُ ١٠
يسعى به البرق ، إلا أنه فَـرَسٌ * فى صورة المـــوتِ إلا أنه رجلُ
يلقَى الرماحَ بصـدرٍ منه ليس له * ظَهـرٌ وهادِى جوادٍ ما له كَفَلُ

وقال البحترى

معشر أمسكت حلومُهُمُ الأر * ضَ وكادت لولاهُمُ أن تميدا
فإذا الجـدبُ جاء كانوا غيـوثا * وإذا النقع ثار ثاروا أســودا ١٥
وكأنّ الإلهَ قال لهُمُ فى الـ * ـحرب كونوا حجارةً أو حديدا

وقال مُسْلِم

لو أنّ قوما يخلُقون منيّةً * من بأسهم كانوا بنى جبريلا
قوم إذا حِمِى الوطيسُ لديهمُ * جعلوا الجماجمَ للسيوفِ مَقيلَا

وقال آخر

عِقبانُ رَوْع والسروجُ وُكورها * وليوثُ حربٍ والقنا آجامُ
وبدور تمّ والشوائك فى الوغَى * هالاتُها والسابرىُّ غَمامُ
جادوا بممنوع التلادِ وجوّدوا * ضربا تُخَدُّ به الطُّلا والهامُ
٥ وتجاورت أسيافُهم وجيادُهم * فالأرض تُمطَرُ والسماء تُغامُ

وقال آخر

قوم، شرابُ سيوفِهم ورماحِهم * فى كلّ معتَرِكٍ دمُ الأشرافِ
رجَعتْ إليهم خيلُهم بمعاشرٍ * كلٌّ لكلِّ جسيم أمرٍ كافِ
يتحنّنون إلى لقاء عدوّهم * كتحنّن الأُلّاف للأُلّاف
١٠ ويباشرون ظُبَا السيوف بأنفسٍ * أمضَى وأقطع من ظُبَا الأسيافِ

وقال ٱبن حَيّوس

إن تُرِدْ خُبْرَ حالهم عن قريبٍ * فَأْتِهم يومَ نائلٍ أو نِزالِ
تَلْقَ بيضَ الوجوه سودَ مَثار الـ * ـنقع، خُضْرَ الأكنافِ حُمْرَ النصالِ

ومما قيل فى الصبر والإقدام

١٥ قال الله عز وجل : (يَا أَيُّهَا ٱلَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَٱثْبُتُوا وَٱذْكُرُوا ٱللَّهَ كَثِيراً لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ وَأَطِيعُوا ٱللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَٱصْبِرُوا إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّابِرِينَ) . وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «لا تمنّوا لقاءَ العدو وسلوا الله العافية فاذا لقيتموهم فٱثبتوا وأكثروا من ذكر الله وإن جلبوا وضجّوا فعليكم بالصمت» .

ومن كلام علىّ بن أبى طالب رضى الله عنه : ربَّ حياةٍ، سببها التعرّض للموت، وربَّ منيّة، سبّبها طلبُ الحياة .

وقالوا : أجمع كلمة قيلت فى الصبر قول بعضهم : الصبر مطيّة النصر .

وقال آخر : الصبر مَطِيّةٌ لا تكبو، وإن عَنُفَ عليه الزمان .

وقال آخر : الصبر شَرْيَةٌ(١)، تثمر أرْيَة(٢) .

وقيل للمهلّب بن أبى صفرة : إنك لتُلقى نفسك فى المهالك، فقال : إن لم آت الموت مسترسلا، أتانى مستعجلا، إنى لست آتى الموت من حُبّه، وإنما آتيه من بغضه، وتمثّل بقول الحُصَيْن بن الحمام

تأخرتُ أستبقى الحياةَ فلم أجدْ * لنفسِى حياةً مثـلَ أن أتقدّما

وهى قصيدة مشهورة منها

فلسنا على الأعقابِ تَدمَى كلومُنا * ولكن على أقدامنا تقطُرُ الدّما

نفلِّقُ هامًا من كرامٍ أعزّةٍ * علينا، وهم كانوا أعقَّ وأظلمـا

ولما رأينا الصبرَ قد حِيلَ دونه * وإن كان يوما ذا كواكبَ مُظلِما

صبرنا، وكان الصـبرُ منا سجيةً * بأسيافنا يقطعنَ كفًّا ومِعصما

ولمـا رأيت الودَّ ليس بنافعى * عمدتُ الى الأمر الذى كان أحزما

فلستُ بمبتاعِ الحيـاة بسُـبّةٍ * ولا مرتقٍ من خَشيةِ الموتِ سُلَّما

وقالت العرب : الشجاعة وقاية، والجُبْن مَقْتَلة . وكذلك : إن مَنْ يُقتل مدبرا، أكثر ممن يقتل مقبلا .

وقال أبو بكر الصديق رضى الله عنه لخالد بن الوليد : احرِصْ على الموت، توهَبْ لك الحياة .

---

(١) الشرية : الحنظلة . (٢) الأرية : العسل .

وقالت الحكماء : آستقبال الموت، خير من آستدباره .

وقال العلوى:

محـرّمةٌ أكفالُ خيلى على القنا * وداميـــةٌ لبّاتُهـا ونحورُهـا

حرامٌ على أرماحِنا طعنُ مدبِر * وتندقُّ منها فى الصدور صدورُها

٥ وقال أبو تمّـام

قَلُّوا ولكنّهــم طابوا فأنجــدَهم * جيشٌ من الصبر لا يُحصَى له عَدَدُ

اذا رأَوا للنـايا عارضًا لبِســوا * من اليقين دروعا مالهـا زَرَدُ

ناوا عن المضْرَجِ الأدنَى فليس لهم * إلا السيوفَ على أعدائهم مددُ

وما زالت العــرب يتمادحون بالموت قَعْصًـا ، ويتسابّون بالموت على الفراش، ١٠ ويقولون فيه : مات فلانٌ حتفَ أنفه ، وأوّل من قال ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم .

ومدح أعرابىّ قوما فقال

يقتحمون الحربَ كأنمـا * يَلقونها بنفوس أعدائهم

وقال عبد الله بن الزبير لمـا بلغه قتل أخيه مُصْعَب : إن يُقتلْ فقد قُتِـل أخوه وأبوه وعمه، إنا والله لانموت حتفًا ولكن قَعْصًا بأطراف الرماح ، وموتًا تحت ظِلال ١٥ السيوف، وقال السموءل بن عادياء

وما مات منا سـيّد فى فراشه * ولا طُلَّ منا حيث كان قتيلُ

تسيل على حدّ الظُّباة نفوسُنا * وليست على غير الظُّباة تسيلُ

وقال أيضا آخر

وإنا لتستحلى المنايا نفوســنا * ونترك أخرى مُرّةً ما نذوقها

(٦٧) وقال علىّ بن أبى طالب رضى الله عنه يوم صفّين، وقد قيل له : أتقاتل أهـل الشام بالغداة، وتظهر بالعشىّ فى إزار ورداء ؟ فقال : أبالموت تخوفوننى ؟ فوالله ما أبالى، أسقطت على الموت، أم سقط الموت علىّ؛ وقال لابنه الحسن: لاتدعونّ أحدا الى المبارزة ، وإنْ دعيت اليهـا فأجب ، فانّ الداعىَ اليهـا باغٍ ، وللباغى مصرعٌ . وقال رضى الله عنه ٥

* بقية السيف أنمى عددا *

يريد أن السيف اذا أسرع فى أهل بيتٍ كثر عددُهم ونمَى .

وقال ابن عباس رضى الله عنه : عقمت النساء أن تأتى بمثل علىّ بن أبى طالب رضى الله عنـه ، لعهدى به يومَ صِفّين ، وعلى رأسه عِمامة بيضاء ، وهو يقف على شِرذِمةٍ شرذمة من الناس ، يحضُّهم على القتال، حتى انتهى الىّ، وأنا فى كنف من ١٠ الناس، وفى أغيلمة من بنى عبد المطّلب، فقال: يامعشر المسلمين، تجلببوا السكينةَ، وكمّلوا اللأمةَ، وأقلقوا السيوف فى الأغماد، وكالحوا بالظُّبا، وصِلوا السيوف بالخُطَا، فإنكم بعين الله، ومع ابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم، عاودوا الكرّ، واستحيوا من الفرّ، فإنه عار فى الأعقاب، ونار فى الحساب، وطيبوا على الحياة أنفسا، وسيروا الى الموت سيرا سُجُحا[1]، ودونكم هذا الرواق الأعظم، فاصبروا، فإن الشيطان راكب ١٥ صَعْدتَه، قدِّموا للوثبة رِجلا ، وأخّروا للنكوص أخرى ، فصمدًا صمدًا ، حتى يبلغَ الحقُّ أجلَه ، والله معكم ، ولن يتركم اعمالكم ؛ ثم صـدَرَ عنا ، وهو يقرأ (قَاتِلُوهُمْ يُعَذِّبْهُمُ اللَّهُ بِأَيْدِيكُمْ وَيُخْزِهِمْ وَيَنْصُرْكُمْ عَلَيْهِمْ وَيَشْفِ صُدُورَ قَوْمٍ مُؤْمِنِينَ) .

وكان معاوية بن أبى سفيان يتمثل يوم صِفّين بهذه الأبيات

أبتْ لى شيمتى وأبَى بلائى * وأخذى الحمدَ بالثمن الربيحِ ٢٠

(١) السجح بضمتين : اللّين السهل .

وإقدامى على المكروه نفسى * وضربى هامة البطلِ المشيح
وقولى كلّما جشأت لنفسى * مكانكِ تُحمَدِى أو تستريحى
لأدفع عن مآثرَ صالحاتٍ * وأحمِىَ بعدُ عن عِرضٍ صحيح

وقال قَطَرِىٌّ بن الفُجَاءة أمير الخوارج

٥ وقولى كلّما جشأت لنفسى * من الأبطال ويحكِ لا تُراعِى
فإنكِ لو سألتِ بقاءَ يومٍ * على الأجل الذى لك لم تطاعِى
فصبرا فى مجال الموت صبرًا * فما نَيْلُ الخلود بمستطاعِ
سبيلُ الموت غايةُ كلِّ حىٍّ * وداعيه لأهل الأرض داعِى

وقال عبد الله بن رواحة الأنصارىّ

١٠ يانفس إن لم تُقْتلى تموتِى * إن تسلمى اليومَ فلا تفوتِى
أو تُبتَلِى فطالما عُوفيتِ * هذى حياضُ الموت قد صَلِيتِ
وما تمنّيتِ فقد لَقيتِ * إن تفعلى فعلَهما هُدِيتِ
* وإن تولَّيت فقد شَقِيتِ *

يريد بقوله

١٥ * فإن تفعلى فعلهما هُديتِ *

فعلَ زيد بن حارثة، وجعفر بن أبى طالب رضى الله عنهما، وكانا قُتلا فى ذلك اليوم بموته . وكان علىّ بن أبى طالب رضى الله عنه، يخرج كلّ يومٍ بصفّين حتى يقف بين الصفين ويُنشد

من أىّ يومىَّ من الموتِ أفرّْ * يومُ لا يُقدَرُ أم يومُ قُدِرْ
٢٠ فيومُ لا يُقدَرُ لا أرهبهُ * ثمّ من المقدور لا ينجو الحذِرْ

ومثله قول جرير من قصيدة أولها

* هاجَ الفراق لقلبك المهتاجِ *

منها

قل للجبـان إذا تأخر سَرجُه * ما أنت من شَرك المنية ناجى

وقالت آمرأة من عبد القيس ٥

أبوا أن يَفرُّوا والقنـا فى نحورهم * ولم يبتغوا من خشـية الموتِ سُلَّما
ولو أنهـــم فرُّوا لكانوا أعزَّةً * ولكن رأَوا صبرًا على الموت أكرما

وقال حبيب بن أوس الطائىّ

فأثبتَ فى مستنقع الموت رِجـلَه * وقال لها من تحت أخْمَصك الحشرُ
وقد كان فوتُ الموتِ سهلًا فردَّه * عليـه الحِفاظُ المُـرُّ والخُلُقِ الوعْرُ ١٠
غدَا غدوةً والحمـــدُ نسجُ ردائه * فلم ينصرفْ إلا وأكفانُه الأجْرُ
تردَّى ثيابَ الموتِ حُمْرًا فمـا أتى * لها الليلُ إلا وَهْيَ من سندس خُضرُ

وقال

قومٌ اذا لبسوا الحديدَ حسبتهم * لم يحَسبوا أنــ المنيَّة تُخلَقُ
أُنظرْ بحيثُ ترى السيوف لوامعًا * أبدًا وفوق رءوسهـــم تتألّقُ ١٥

وقال الببغاء

يسعى الى الموت والقنا قِصَدٌ * وخيــله بالرءوس تنتعلُ
كأنه واثق بأنــ له * عُمرًا مُقيما وما له أجل

وقال كعب بن مالك

نَصلُ السيوف اذا قصُرن بخطوِنا * قَدَمًا ونلحقُهـا اذا لم تُلحقِ ٢٠

ومثله لبعض بنى قيس بن ثعلبة

لو كان فى الألف منّا واحد فدعوا * مَنْ فارسٌ ؟ خالهم إياه يعنونا
إذا الكماة تنحّوا أن يُصيبهمُ * حدُّ الظباة وصلناها بأيدينا

ومثله قول الآخر

٥ إذا قصُرتْ أسيافُنا كان وصلُها * خُطانا الى أعدائنا فتقاربُ

ومثله قول وَدّاك بن ثُمَيْل المازنىّ

مَقاديمُ وصّالون فى الرَّوْع خَطوَهم * بكلّ رقيقِ الشّفرتين يمانِى
اذا آستُنجدوا لم يسألوا مَن دعاهُمُ * لأيةِ حربٍ أم بأىّ مكانِ

وقال أبو تمّام فى سعة الخطو

١٠ خَطْوٌ، ترى الصارم الهندىّ منتصرا * به، من المازن الخطّىّ منتصفا

وقال آخر

كأنّ سيوفَه صِيغت عقودا * تجول على الترائب والنحورِ
وسُمْرَ رماحه جُعلتْ هموما * فما يخطُرنَ إلا فى ضمير

وأجود ما قاله مُحْدَثٌ فى الصبر قول آبن الرومىّ

١٥ أرى الصبر محمودا وعنه مذاهبٌ * فكيف اذا ما لم يكن عنه مذهبُ؟
هناك يحقّ الصبر، والصبر واجبٌ * وما كان منه كالضرورة أوجبُ
فشدّ امرؤ بالصبر كفًّا فإنه * له عِصمةٌ، أسبابُها لا تقَضّبُ
هو المهربُ المنجى لمن أحدقتْ به * مكارهُ دهرٍ ليس منهنّ مَهرَبُ
لبوس جمال جُنّةٌ من شماتةٍ * شِفاء أسى يُثْنَى به ويُثَوَّبُ

فياعجبا للشيء هـــذى خـلاله * وتارك ما فيه من الحظ أعجبُ
وقد يتظنى الناس أنّ أساهمُ * وصبرَهُمُ فيهـــم طِباعٌ مُركّبُ
فإنهـــما ليســا كشيء مُصرَّفٍ * يصرّفه ذو نكبة حينَ يُنكَبُ
فإن شاء أن يأسى أطاع له الأسى * وإن شاء صبرا جاءه الصبر يحلبُ
وليسا كما ظنوهمـا بل كلاهمـا * لكلّ لبيب مستطاعٌ مسبّبُ ٥
يصـــرّفه المختـارُ منـا فتارةً * يُراد فيأتى ، أو يُزاد فيـذهبُ
اذا آحتجّ محتجٌّ على النفس لم تكد * على قدَرٍ يُمـــنَى لهـا تتعتّبُ
وساعَدَها الصـبرُ الجميلُ فأقبلتْ * إليهـا له طوعا جنائبُ تُجنَبُ
وإن هو منّاها الأباطيلَ لم تزل * تقاتل بالعتب القضاءَ وتُغلبُ
فيُضحي جزوعا إن أصابت مصيبةٌ * ويمسى هلوعا إن تعـذّر مطلبُ ١٠
فلا يعذرنّ التاركُ الصبرَ نفسَـهُ * بأن قيل : إن الصبرَ لا يُتكسّبُ

ذكر ما قيل فى وفور العقل

قال الله تعالى : (إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى ٱلسَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ) قال المفسرون : عبّر عن العقل بالقلب، لأنه محلّه وسكنه، وقال تعالى : (وَلِيَذَّكَّرَ أُولُو ٱلْأَلْبَابِ)، وقال تعالى : (وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو ٱلْأَلْبَابِ) . وقال تعالى : (هَلْ ١٥ فِي ذَٰلِكَ قَسَمٌ لِذِي حِجْرٍ) .

وروى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : « أوّل ما خلق الله العقل، قال له : أقبل، فأقبل، ثم قال له : أدبر، فأدبر، ثم قال : وعزتى وجلالى، ما خلقتُ خلقا أكرم علىّ منك، بك آخذ، وبك أعطى، وبك أثيب، وبك أعاقب» .

وعنه صلى الله عليه وسلم أنه قال : « إن الله تعالى قسم العقل على ثلاثة أقسام، فمن كنّ فيه كمل عقلُه، ومن لم يكن فيه جزء منها، فلا عقل له»، قيل: يا رسول الله، ما أجزاء العقل ؟ قال : حسن المعرفة بالله، وحسن الطاعة لله، وحسن الصبر على أمر الله » . وعنه صلى الله عليه وسلم أنه قال : « ما ٱكتسب رجل مثل فضلِ عقلٍ يَهدى صاحبَه الى هدًى، ويردّه عن ردًى ، وما تمّ إيمان عبدٍ ولا استقام دينُه ، حتى يكمُلَ عقله» .

وعن عمر رضى الله عنه أنه قال لتميم الدارىّ : ما السؤدد فيكم ؟ قال : العقل، قال : صدقتَ، سألتُ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم كما سألتُك، فقال كما قلتَ، ثمّ قال : سألت جبريل ما السؤدد ؟ فقال : العقل .

وعن عائشة رضى الله عنها قالت : قلت : يارسول الله، بأى شىء يتفاضل الناسُ فى الدنيا ؟ قال : بالعقل، قلت : وفى الآخرة ؟ قال بالعقل، قلت : أليس إنما يجزون بأعمالهم ! فقال : « ياعائشة، وهل عملوا إلا بقدر ما أعطاهم الله تعالى من العقل ، فبقدر ما أُعطوا من العقل كانت أعمالهم، وبقدر ما عملوا يُجزَون » .

وعن سعيد بن المسيِّب : أن عمر وأبَىّ بن كعب وأبا هُريرة دخلوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقالوا : يارسول الله، من أعلم الناس؟ قال : العاقل، قالوا : فمن أعبد الناس ؟ قال : العاقل، قالوا : فمن أفضل الناس ؟ قال : العاقل ، قالوا : أليس العاقلُ من طَهُرت مروءتُه ، وظَهَرت فصاحته ، وجادتْ كفّه ، وعظُمت منزلته؟ فقال عليه الصلاة والسلام : (وَإِنْ كُلُّ ذَٰلِكَ لَمَّا مَتَاعُ ٱلْحَيَاةِ ٱلدُّنْيَا وَٱلْآخِرَةُ عِنْدَ رَبِّكَ لِلْمُتَّقِينَ) إن العاقل هو التقىّ وإن كان فى الدنيا خسيسا دنيًّا .

وورد فى الأثر : «أن الله تعالى أنزل على آدم عليه السلام العقلَ والدينَ والحياءَ،
فاختار العقلَ، فقيل للدين والحياء : آرتفعا، قالا : لا، قال : أفعصيتما أمرَ ربِّكما ؟
قالا : ما عصينا أمرَ ربِّنا ، ولكنّا أُمِرنا أن نتبعَ العقلَ حيث كان» .

وقال لقمان لابنه : إن غاية الشرف والسؤدد فى الدنيا والآخرة، حسـنُ العقل،
لأن العبدَ إذا حسُن عقلُه ، غطّى ذلك عيوبَه، وأصلح مساوِيَهُ، ورضى عنه خالقُه، ٥
وكفى بالمرء عقلا أن يسلمَ الناس من شرِّه .

وقيـل : مكتوبٌ فى حكمة آل داود عليه السلام : على العاقل أن يكون عالمـا
بأهل زمانه، مالكا للسانه، مقبلا على شأنه .

وقال بعض الحكماء : كلّ شيء يعِز اذا قلّ ، والعقل كلّما كان أكثر كان أعز
(٦٩) وأغلى ، ولو بيع ، لمـا آشتراه إلا العاقلُ لمعرفته بفضـله ، وأول شرف العقل أنه ١٠
لا يُشترَى بالمـال .

قال أبو عطاء السندىّ

فإن العقـلَ ليس له اذا ما * تذكّرتَ الفضائلَ من كفاءِ

وقالوا : العلم قائد، والعقل سائق، والنفس بينهما حرون، فاذا كان قائدٌ بلا سائقٍ
هلكتْ ، وان كان سائق بلا قائد أخذتْ يمينا وشمـالا ، فاذا آجتمعا أجابت طوعا ١٥
أو كُرْها .

ذكر ما قيل فى حدّ العقل وماهيّته وما وصف به

وقد آختلف الحكماء، فى حد العقل، فقيل : حدّه الوقوف عند مقادير الأشياء قولا وفعلا ، وقيل : النظر فى العواقب ، وقال المتكلمون : هو آسم لعلوم اذا حصلت للإنسان صحّ تكليفُه . وقيل : العاقل من له رقيب على شهواته، وقيل : هو من عقل نفسه عن المحارم، وقال عمرو بن العاص : أن يَعرِفَ خيرَ الخيرَيْن، وشرّ الشرَّيْن .

قال أبو هلال : ومن العجب أن العرب تمثّلت فى جميع الخصال، بأقوام جعلوهم أعلاما فيها، فضربوا بها المثل اذا أرادوا المبالغة، فقالوا : أحلم من الأحنف، ومن قيس بن عاصم، وأجودُ من حاتم، ومن كعبِ بن مامة، وأشجعُ من بِسطام ، وأَبْيَن من سَحبان، وأرمَى من آبن تِقْنٍ، وأعلمُ من دَغْفَل، ولم يقولوا : أعقلُ من فلان، فلعلّهم لم يستكملوا عقلَ أحدٍ، على حسب ما قال الأعرابىّ، وقد قيل له : حِدَّ لنا العقلَ، فقال : كيف أحِدُّه ولم أره كاملا فى أحدٍ قطّ .

وقيل لحكيم : ما جماع العقل ؟ فقال : ما رأيتــه مجتمعا فى أحدٍ فأصفُه، وما لا يوجد كاملا فلا حدّ له .

وقالوا : لكلّ شىء غاية وحدّ، والعقل لا غاية له ولا حدّ، ولكن الناس يتفاوتون فيه كتفاوت الأزهار فى الرائحة والطِّيب .

وآختلفوا فى ماهيّة العقل، كما آختلفوا فى حدّه، فقال بعضهم : هو نور وضعهُ الله تعالى طبعا وغريزةً فى القلب، كالنور فى العين وهو البصرُ، فالعقل نورٌ فى القلب ، والبصرُ نورٌ فى العين، وهو ينقص و يزيد، و يذهب و يعود، وكما يُدرَكُ بالبصر شواهدُ

الأمور، كذلك يُدرَكُ بالعقل كثيرٌ من المحجوب والمستور، وعَمَى القلب كعَمَى البصر، قال تعالى : (فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى ٱلْأَبْصَارُ وَلَكِن تَعْمَى ٱلْقُلُوبُ ٱلَّتِي فِي ٱلصُّدُورِ) .

وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : «ليس الأعمى من عمِيَ بصرُه، ولكن من عَمِيَتْ بصيرتُه» .

وقال عبد الله بن عمر بن معاوية عن عمر بن عُتبةَ المعروف بالعتبيّ : العقل عقلان، عقلٌ تفرّدَ الله تعالى بصنعه، وهو الأصل، وعقلٌ يستفيده المرء بأدبه وهو الفرع، فاذا ٱجتمعا، قوّى كلّ واحدٍ منهما صاحبَه ، تقويةَ النار فى الظُّلمة للبصر . ٥

نظم بعض الشعراء هذا اللفظ فقال، ويروى لعليّ بن أبى طالب رضى الله عنه

رأيتُ العقلَ عقلانِ : * فمطبوعٌ ومسموعُ

ولا ينفع مســموعٌ * اذا لم يك مطبوعُ ١٠

كما لا تنفع الشمسُ * وضوءُ العين ممنوعُ

وأكثرُ الناس على أنّ العقلَ فى القلب ، ودليله قوله عز وجلّ : (أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي ٱلْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا أَوْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى ٱلْأَبْصَارُ وَلَكِن تَعْمَى ٱلْقُلُوبُ ٱلَّتِي فِي ٱلصُّدُورِ) .

وروى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : « العقل فى القلب يفرق به بين الحقّ والباطل» . ١٥

وقال بعضهم : هو فى الدماغ، وإليه ذهب أبو حنيفة وأصحابه .

وأما ما وُصف به فقيل : العقلُ وزير رشيد، وظهير سعيد، من عصاه أرداه، ومن أطاعه أنجاه .

وقال سَعيد بن جُبَير : لم تر عيناى أجلّ من فضلِ عقلٍ يتردّى به الرجلُ إن انكسر جَبَره، وإن تصدّع أنعشَه ، وإن ذلّ أعزّه ، وإن اعوجّ أقامه ، وإن عثر اقاله ، وإن افتقر أغناه، وإن عرى كساه، وإن غوى أرشده، وإن خاف أمّنه ، وإن حزن أفرحه، وإن تكلّم صدقه، وإن أقام بين أظهرِ قومٍ اغتبطوا به، وإن غاب عنهم أسفوا عليه، وإن بسط يدَه قالوا : جوادٌ، وإن قبضها قالوا : مقتصدٌ، وإن أشار قالوا : عالم، وإن صام قالوا : مجتهد، وإن أفطر قالوا : معذور .

قال بعض الشعراء

يُعَدّ رفيعُ القوم من كان عاقلا * وإن لم يكن فى قومه بحسيب
وإن حلّ أرضا عاش فيها بعقله * وما عاقلٌ فى بلدةٍ بغريب

وقال بعض الحكماء : إذا غلبَ العقلُ الهوى، صرف المساوئَ الى المحاسن، فجعل البلادةَ حِلما، والحدّة ذكاءً، والمكرَ فطنةً، والهذرَ بلاغةً، والعِىّ صمتًا ، والعقوبةَ أدبا، والجُبنَ حَذَرا، والإسرافَ جُودا .

وقيل : لو صُوِّر العقلُ، لأضاء معه الليلُ، ولو صُوِّر الجهلُ، لأظلم معه النهارُ .

قال المتنبّى

لولا العقولُ لكان أدنَى ضيغمٍ * أدنَى الى شرَفٍ من الإنسان

وقد نُدبَ الى صحبة العقلاء .

قال الزُّهرىّ : اذا أنكرتَ عقلَك ، فاقدحْه بعاقلٍ . قال ابن زُرارةَ : جالِس العقلاءَ أعداءً كانوا أم أصدقاءً، فإنّ العقلَ يقع على العقل .

قال بعض الشعراء

عدوُّك ذو العقل أبقَى عليكَ * وأبقى من الوامقِ الأحمقِ

وقال آخر

لله دَرُّ العقل من راشــدٍ * وصاحبٍ فى اليسرِ والعسرِ
وحاكمٍ يقضِى على غائبٍ * قضيَّةَ الشاهـد للأمْرِ
وإنَّ شيئًا بعضُ أحواله * أن يفصلَ الخير من الشرِّ
له قُوًى ، قد خصَّه ربُّه * بخالصِ التقديس والطُّهْرِ ٥

وقال آخر

إذا لم يكن للمــرء عقلٌ فإنه * ـ وإن كان ذا قدر على الناس ـ هيِّنُ
وإن كان ذا عقل أُجِلَّ لعقــله ، * وأفضــلُ عقلٍ عقلُ من يتبيَّنُ

وقال آخر

العقلُ حُلّةُ فخرٍ مَنْ تسربلَها * كانت له نَسَبا يغنى عن النَّسَبِ ١٠
وأفضل العقل ما فى الناس كلِّهِم * بالعقل ينجو الفتى من حومة العطبِ

وقال ابن دُرَيد

وأفضلُ قِسمِ الله للمــرء عقلُه * فليس من الخيرات شىءٌ يقاربُهْ
فزينُ الفتى فى الناس صحّةُ عقله * وإن كان محظورا عليه مكاسبُهْ
ويُزرى به فى الناس قِلّةُ عقله * وإن كَرُمتْ أعراقُه ومَنَاسِبُهْ ١٥
اذا أكمل الرحمنُ للمرء عقلَه * فقــد كَمُلتْ أخلاقُــه ومآربُهْ

وقال آخر

ما وهبَ اللهُ لامرئٍ هِبــةً * أشرفَ من عقله ومن أدبِهْ
هما جمالُ الفتى ، فإن عدمَا * فإنَّ فقــدَ الحيــاة أنفعُ به

وقال آخر

ولم أرَ مثلَ الفقر أوضعَ للفتى * ولم أرَ مثل المال أرفعَ للنَّذْلِ

ولم أرَ من عُدْمٍ أضرَّ على الفتى * اذا عاش بين الناس من عَدَمِ العقلِ

ذكر ما قيل فى الصدق

قال الله عزّ وجلّ مبشّرا للصادقين : (هَـٰذَا يَوْمُ يَنفَعُ ٱلصَّادِقِينَ صِدْقُهُمْ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا رَضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ) .

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «تحرَّوا الصدقَ ، فإن الصدقَ يَهدى الى البِرّ، والبِرّ يَهدى الى الجنة ، وإن المرء ليتحرّى الصدقَ ، حتى يُكتَبَ صِدِّيقا » .

وعن عبد الله بن عمر رضى الله عنهما أنه قال: جاء رجل الى النبىّ صلى الله عليه وسلم وقال : يارسول الله، ما عَمَلُ أهلِ الجنّة؟ قال : الصدق، اذا صدق العبد بَرّ، واذا بر أَمِنَ ، واذا أَمِنَ دخل الجنّة . قال : يا رسول الله ما عمل أهل النار ؟ قال : الكذب، إذا كذب العبدُ فجر، واذا فجر كفر، واذا كفر دخل النار .

وعن عائشة رضى الله عنها قالت : سألت رسولَ الله صلى الله عليه وسلم، بمَ يُعرفُ المؤمنُ ؟ قال: بوقاره، ولِينِ كلامه، وصدقِ حديثه . ومن كلام علىّ رضى الله عنه : الإيمان أن تؤثر الصدقَ حيث يضرّك، على الكذب حيث ينفعك .

وقال بعض الحكماء : الصدق أزينُ حلية ، والمعروف أربح تجارة، والشكر أدوم نعمة . وقال بعضهم : رأيت أرسطاطاليس فى المنام، فقلت : أىّ الكلام أحسن ؟

فقال : ما صدق قائله ، قلتُ : ثمّ ماذا؟ قال : ما آستحسنه سامعه ، قلت : ثمّ ماذا؟ قال : كل كلام جاوز هذا فهو ونهيقُ الحمارِ بمنزلةٍ .

وقال الأحنف لآبنه : يا بنىّ ، يكفيك من شرف الصــدق ، أن الصادق يُقبَل قولُه فى عدوّه ، ومن دناءة الكذب ، أنّ الكاذب لا يُقبل قولُه فى صــديقه ولا عدوّه ، لكلّ شىء حليةٌ ، وحليةُ المنطق الصدقُ يدل على آعتدال وزن العقل . ٥

قال عامر بن الظَّرِب العَـدْوانىّ فى وصيّته : إنى وجدتُ صدق الحديث طرفا من الغيب فاصدقوا ، من لزم الصــدق وعوّده لسانه ، فلا يكاد يتكلّم بشىء يظنّه ، إلا جاء على ظنّه .

وقالوا : ما السيف الصارم ، فى كفّ الشجاع ، بأعز من الصدق .

وقيل : مرّ عمر بن الخطاب رضى الله عنه ، بعجوز تبيع اللبنَ ، فقال لها : يا عجوز ، لا تغشّى المسلمين ، ولا تشوبى لبنَك بالمــاء ، قالت : نعم يا أمير المؤمنين ، ثم مرّ بها بعد ذلك ، فقال يا عجوز ، ألم أعهد إليك أن لا تشوبى لبنَك بالمــاء ؟ فقالت : والله ما فعلتُ يا أمير المؤمنين ، فتكلّمتْ بنتٌ لها من داخل الخباء ، فقالت : يا أمّاه ، أغِشًّا وحِنْثًا جمعتِ على نفسك؟ فسمعها عمر فأعجبته ، فقال لولده : أيّكم يتزوّجها؟ فلعلّ الله أن يُخرج منها نَسَمةً طيّبةً ، فقال آبنه عاصم : أنا أتزوّجها يا أمير المؤمنين ، فزوّجها منــه ، فأولدها أمَّ عاصم ، تزوّجها عبد العزيز بن مروان فأولدها عمرَ آبن عبد العزيز . ١٠ ١٥

ورُوِىَ أنّ بِلالا لم يكذب منذ أسلم ، فبلغ ذلك بعض من يحسده ، فقال : اليوم أكذبه فسايره ، فقال له : يا بلال ما سنُّ فرسك؟ قال عَظْمٌ ، قال : فما جريه؟ قال :

يُحضر ما آستطاع، قال: فأين تنزل؟ قال : حيث أضع قدمى، قال: آبنُ من أنت؟
قال آبن أبى وأمى، قال : فكم أتى عليك؟ قال : ليالٍ وأيامٌ، الله أعلم بعددها ، (٧١)
قال : هيهات ، أعيتْ فيك حيلتى، ما اتعبُ بعد اليوم أبدا .

ذكر ما قيل فى الوفاء والمحافظة والأمانة

٥ قال الله عزّ وجلّ : (وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْئُولًا) . وقال تعالى : (وَأَوْفُوا بِعَهْدِى أُوفِ بِعَهْدِكُمْ) . وقال تعالى : (إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَى أَهْلِهَا) . وقال تعالى : (وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ) .

وروى : أنّ رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لأبى بكر الصدّيق رضى الله عنه : عليك بصدق الحديث، ووفاءِ العهد، وحفظِ الأمانة، فإنها وصيّة الأنبياء .

١٠ كان أبو العاص بن الربيع بن عبد العُزّى بن عبد شمس، خَتَنَ(١) رسول الله صلى الله عليه وسلم على آبنته زينب، تاجرا تضارب به قريشٌ بأموالهم ، فخرج الى الشام سنة الهجرة، فلما قدم، عرَض له المسلمون ، وأسروه ، وأخذوا ما معه ، وقدموا به المدينة ليلا ، فلما وصلوا الفجرَ، قامت زينب على باب المسجد ، فقالت : يا رسول الله، قد أجرتُ أبا العاص وما معه، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم :
١٥ قد أجرنا من أجرتِ ودفع اليه ما أخذوه منه، وعرَض عليه الإسلام، فأبَى، وخرج الى مكّة ، ودعا قريشا ، فأطعمهم ، ثم دفع اليهم أموالَهم ، ثم قال : هل وفَيتُ ؟ قالوا : نعم، قد أدّيتَ الأمانةَ ووَفَيْتَ، قال : آشهدوا جميعا ، إنى أشهد أن لا إله إلا الله، وأن محمدا رسول الله، وما منعنى أن أسلم إلا أن يقولوا : أخذ أموالَنا، ثمّ هاجر، فأقرّه رسول الله صلى الله عليه وسلم على النكاح، وتُوفّى فى سنة آثنتى عشرة .

٢٠ (١) الخَتَنُ : الصهر أو كل مَنْ كان مِن قِبَلِ المرأة كالأب والأخ وجمعه : أَخْتانٌ .

وقيل لمّا قوى أمرُ بنى العباس وظهر، قال مروان بن محمد لعبد الحميد بن يحيى كاتبه : إنّا نجد فى الكتب، أن هـذا الأمرَ زائل عنا لا محالةَ ، وسيظهر اليك هؤلاء القوم ، يعنى ولد العباس، فصر اليهم، فإنى لأرجو أن تتمكن منهم، فتنفعنى فى مخلفى ، وفى كثير من أمورى، فقال : وكيف لى بعلم الناس جميعا أن هـذا عن رأيك، وكلّهم يقول : إنى غدرت بك، وصرت الى عدوّك ؟ وأنشد ٥

أسرّ وفاءً ثم أُظهرُ غـــدرةً * فمن لى بعُذرٍ يوسِع الناسَ ظاهِرُهْ

ثم قال

ولؤمٌ ظاهرٌ لا شكَّ فيه * للائمةٍ وعذرى بالمعيبِ

فلما سمع مروان ذلك، علم أنه لا يفعل، ثم قال له عبد الحميد: إن الذى أمرتَنى به، لأنفعُ الأمرين لك، وأقبحهما بى، ولك علىّ الصبر معك، الى أن يفتح الله ١٠ عليك، أو أقتلَ معك .

والعرب تضرب المثل فى الوفاء بالسموءل بن عادياء الأزدىّ ،وقيل: إنه من ولد الكاهن بن هارون بن عمران ، وكان من خبره ، أن آمرأ القيس بن حُجْر ، أودعه أدراعا مائة، فأتاه الحارث بن ظالم، ويقال الحارث بن أبى شمر الغسّانىّ ، ليأخذها منه ، فتحصّن منه السموءل ، فأخذ آبنا له غلاما وناداه : إما أن أسلمتَ ١٥ إلىّ الأدرع ، وإما أن قتلت آبنك ، فأبى أن يسلمها ، فقتل آبنه بالسيف ، ففى ذلك يقول

وفَيتُ بأدْرُع الكِنْدِىِّ، إنى * اذا ما القومُ قد غَدَروا وفَيتُ

وأوصَى عاديا يوما بأن لا * تُهَــدِّم ياسموءلُ ما بَنَيتُ

وفيه يقول الأعشى

كن كالسموءل إذْ طاف الهُمامُ به * فى جَحْفَلٍ كَسَواد الليل جرّارِ

الأبلق الفرد من تيماء منزلُه * حِصن حصينٌ وجارٌ غيرُ غدّارِ

قد سامه خُطَّتَىْ خسف فقال له : * قل ما بدا لك إنى سامعٌ حارِ

٥ فقال : ثكل وغدر أنت بينهما * فاَختَر وما فيهما حظٌ لمختارِ

فشك غير طويل ثم قال له : * أُقتلْ أسيرَك إنّى مانع جارى

ومن وفاء العرب، مافعله هانئٌ بن مسعود الشَّيْبانىّ، حتى جرّ ذلك يوم ذى قار، وكان من خبره : أن النعمان بن المنذر لما خاف كسرى ، وعلم أنه لا منجأ منه ولا ملجأ، رأى أن يضع يده فى يده، فأودع ماله وأهله عند هانئٌ، ثمّ أتى كسرى فقتله ، وأرسل الى هانئٌ يطالبه بوديعة النعمان، وقال له : إن النعمان كان عاملى ، فابعث الىّ بوديعته، وإلا بعثت اليك بجنود تقتل المقاتلة وتَسْبِى الذُّرِّيةَ، فبعث اليه هانئٌ: أن الذى بلغك باطل، وإن يكن الأمر كما قيل، فأنا أحد رجلين، إما رجل استُودع أمانة، فهو حقيق أن يردّها على من آستودعه إياها، وإن يسلّم الحرّ أمانته، أو رجل مكذوب عليه، وليس ينبغى للملك أن يأخذه بقول عدوّ، فبعث كسرى اليه الجنود، وعقد لإياس بن قبيصة على جميع العرب ، وبعث معه الكَتِيبة الشَّهْبَاء والأساورة[(١)]، فلما آلتقوا ، قام هانئٌ بن مسعود ، وحرّض قومه على القتال ، وجرى بينهم حروب كثيرة ليس هذا موضع ذكرها، وسنذكرها إن شاء الله فى وقائع العرب، فآنتصر هانئٌ وآنهزمت الفُرْس، وكانت وقعة مشهورة، قيل : وكان مِرْداس فى سجن عبيد الله بن زياد بن أبيه ، فقال له السجّان : أنا أُحبّ أن أوليَك حسنة ، قال : فإن أذنتُ لك فى الآنصراف الى دارك أفتُدلج علىّ؟ قال : نعم، فكان يفعل ذلك به،

(١) الأساورة: جمع أُسوار بالضم والكسر وهو قائد الفرس .

فلما كان ذات يوم، قتل بعضُ الخوارج صاحبَ شرطة ٱبن زياد، فأمر أن يقتل من فى السجن من الخوارج ، وكان مرداس إذ ذاك خارجا، فقال له أهله : ٱتق الله فى نفسك ، فإنك مقتول إن رجعت ، فقـال : ما كنت لألقى الله غادرا، وهذا جبّار، ولا آمن أن يقتـلَ السجّانَ ، فرجع وقال للسجّان : قد بلغنى ما عزم صاحبك عليه من قتل أصحابنا ، فبادرت لئلا يلحقَك منه مكروه، فقال له السجّان : خذ أىّ طريق شئت، فانج بنفسك .

خرج سليمان بن عبد الملك ومعه يزيد بن المُهَلَّب الى بعض جبابين[1] الشام، و إذا بامرأة جالسة عند قبر تبكى، فجاء سليمان ينظر اليها، فقال لهـا يزيد، وقد عجب سليمان من حسنها : ياأَمَةَ الله، هل لك فى أمير المؤمنين؟ فنظرت إليهما، ثم نظرت الى القبر، وقالت

فإن تسألانى عن هوایَ فإنه * بِحَـوماء هـذا القبرِ يافتيانِ
وإنى لأَستحْيِيه والتُّربُ بيننا * كما كنتُ أستحييه وهو يَرَانِى

ومن أحسن الوفاء، ما حكى عن نائلة بنت القرافصة زوج عثمان بن عفّان رضى الله عنه : أن معاوية خطبها فردّته، وقالت : ما يعجب الرجال منّى؟ قالوا : ثناياك، فكَسرتْ ثناياها، وبعثت بها الى معاوية، فكان ذلك مما رغّب قريشا فى نكاح نساء كلب . وآمرأة هُدْبة لمـا قُتِل زوجها، قَطَعت أنفَها وشفَتَيْهَا، وكانت جميلة الوجه، لئلا يرغب فيها .

وحيث ذكرنا الوفاء والمحافظة، فلنذكر بيعة خليفةٍ ويَمِينٍ، ذكرها بعض أهل الأدب فى تصنيفه، وهى : تبايع عبـد الله الإمام أمير المؤمنين، بيعة طوع و إيثار ورضا وآختيار وآعتقاد و إضمار و إعلان و إسرار و إخلاص من طويتك وصدق من نيتك،

(١) الجَبَابين جمع جَبَّانة .

وآنشراح من صدرك، وصحة من عزيمتك، طائعا غير مُكْرَه، ومنقادا غيرَ مُجْبَر، مُقرًّا بفضلها، مُذْعِنا بحقها، ومعترفا ببركتها، ومُعْتَدًّا بحسن عائدتها، وعالما بما فيها، وفى توكيدها من صلاح الكافّة، وآجتماع كلمة الخاصّة والعامّة، ولمّ الشَّعث، وأمن العواقب، وسكون الدَّهْماء، وعِزّ الأولياء، وقَمْع الأعداء، على أن فلانا عبد الله
٥ وخليفته المفترض عليك طاعته، الواجب على الأمة إمامته وولايته، اللازم لهم القيام بحقه، والوفاء بعهده، لا تَشُكّ فيه، ولا ترتاب به، ولا تُداهِن من أمره، ولا تميل، ولكنك ولىّ أوليائه، وعدوّ أعدائه، من خاصّ وعامّ، وقريب وبعيد، وحاضر وغائب، متمسك فى بيعته بوفاء العهد، وذمّة العقد، سريرتُك مثل علانِيَتك، وضميرك فيه وَفْق ظاهرك، على أن إعطاءك هذه البيعة من نفسك، وتوكيدك إياها
١٠ فى عنقك، لفلان أمير المؤمنين، على سلامة من قلبك، وآستقامة من عزمك، وآستمرار من هواكَ ورأيك، على أن لا تتأوّل عليه فيها، ولا تسعى فى نقض شىء منها، ولا تقعد عن نصرة له فى الرخاء والشدّة، ولا تدع النُّصْح له فى كل حال راهنة وحادثة، حتى تلقى الله مُوفِيا بها، مؤدّيا للأمانة فيها، إذ كان الذين يبايِعون وُلَاة الأمر وخلفاء الله فى الأرض (إِنَّمَا يُبَايِعُونَ ٱللَّهَ يَدُ ٱللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ فَمَنْ نَكَثَ فَإِنَّمَا
١٥ يَنْكُثُ عَلَى نَفْسِهِ) عليك بهذه البيعة التى طوّقتها عنقك، وبسطت لها يدكَ، وأعطيتَ ما شُرط عليك فيها، من وفاء، ونُصْح، ومُوَالاة، ومشايعة، وطاعة، وموافقة، وآجتهاد، ومبالغة؛ عهد الله إن عهده كان مسئولا، وما أخذ الله على أنبيائه ورسله عليهم السلام، وعلى من أخذ من عباده من وَكِدات مواثيقه، ومُحْكَمَات عهوده، وعلى أن تُمسك بها، فلا تُبدل، وتستقيم، فلا تميل، وإن نكثتَ
٢٠ هذه البيعة، وبدّلتَ شرطا من شروطها، أو عفّيتَ رسما من رسومها، أو غيّرتْ

حكما من أحكامها، معلنا أو مسرّا، محتالا اومتأولا، أو زُغْتَ عن السبيل التى يسلكها من لا يحتقر الأمانة، ولا يستحِلّ الغدر والخيانة، ولا يستجيز حلّ العقود والعهـود، فكلّ ما تملكه من عين أو وَرِق، أو آنيـة أوعقَار أو سائمة أو زرع أو ضرع أو غير ذلك من صنوف الأملاك المعتقدة، والأموال المدّخرة، صدقة على المساكين، يحرَم عليك أن ترجع شيئا من ذلك الى مالكَ، بحيلة من الحيل، على وجه من الوجوه، أو سبب من الأسباب، أو مخرج من مخارج الإيمان، فكلّ ما تفيده عمرك من مال يقلّ خطره أو يجلّ فتلك سبيله الى أن تتوفاك [(١) منيتك، أو يأتيك أجلك، وكل مملوك لك اليوم من ذكر وأنثى أو تملكه الى آخر أيامك أحرار سائبون لوجه الله تعالى، ونساؤك يوم يلزمك الحِنْث وما تتزوج بعدهن مدة بقائك طوالق ثلاثا، طلاق الحَرَج والسنّة لا مثنويّة فيها ولا رجعة، وعليك المشى الى بيت الله الحرام، ثلاثين حِجّةً حافيا راجلا، لا يرضى الله منك إلا بالوفاء بها، ولا يقبل الله صرفا ولا عدلا، وخذلك يوم تحتاج اليه، وبرّأك من حوله وقوّته، وألجأك الى حولك وقوّتك والله عزّ وجلّ بذلك شهيد (وَكَفَى بِاللهِ شَهِيدًا) والله على ما نقول وكيل .

ذكر ما قيل فى التواضع

قال الله تبارك وتعالى : (أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ) . وقال الله تعـالى لنبيه صلى الله عليه وسلم : (وَٱخْفِضْ جَنَاحَكَ لِلْمُؤْمِنِينَ) . وقال قتادة فى تفسـير قوله تعالى : (وَبَشِّرِ ٱلْمُخْبِتِينَ) قال : هم المتواضعون . وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يأكل على الأرض متواضعا .

(١) الكلام الذى يبتدئ بهـذا المربع ينتهى فى صحيفة ٢٥٠ بمربع مثله وهو ساقط بالأصل ويقع فى صحيفتى (٧٣ و ٧٤) وقد نقلنا من النسخة الراغبية .

وقال أنس بن مالك : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعود المريض ويتبع الجنائز ويجيب دعوة المملوك ويركب الحمار، ولقد رأيته يوم حُنَين على حمار، خطامه ليف . وقال صلى الله عليه وسلم : « إن العفو لا يزيد العبد إلا عزًّا فاعفُوا يُعزّكم الله، وإن التواضع لا يزيد العبد إلا رِفْعة فتواضعوا يرفعكم الله، وإن الصدقة لا تزيد المال إلا نماء فتصدّقوا يزدكم الله » . وقال عروة آبن الزبير: التواضع أحد مصايد الشرف ، وفى لفظ " سلّم الشرف " . وقال جعفر بن محمد : رأس الخير التواضع، فقيل له : وما التواضع ؟ فقال : أن ترضى من المجلس بدون شرفك وأن تُسَلِّم على من لَقِيت ، وأن تترك المِرَاء وإن كنت مُحِقًّا .

وعن على رضى الله تعالى عنه ولم يذكر المِرَاء فيه وزاد فيه : وتكره الرياء والسمعة . وقيل : ثمرة القناعة الراحة، وثمرة التواضع المحبة، وقيل: التواضع نعمة لا يفطن لها الحاسد ، وقيل : التواضع كالوَهْدة يجتمع فيها قَطرها وقطر غيرها .

وقال عبد الله بن المعتز : متواضِع العلماء أكثرُهم علما ، كما أن المكان المنخفض أكثرُ الاماكن ماءً .

وكان يحيى بن خالد يقول : لست أرى أحدا تواضع فى إمارة إلا وهو فى نفسه اكبر مما نال من سلطانه .

ومن التواضع المأثور ما رُوِى : أن عمر بن الخطاب رضى الله عنه مرَّ ويَدُه على الْمُعَلَّى بن الجارود فلقيته آمرأة من قريش، فقالت له : يا عمر، فوقف لها، فقالت له : كنّا نعرفك مرّة عُمَيْرا ثم صرتَ بعدَ عُمَيْرٍ عُمَرَ ثم صرت بعد عمرَ أَمِيرَ المؤمنين فاتقِ الله يابنَ الخطّاب، فانظر فى أمور الناس ، فإنّه من خاف الوعيد ، قرب عليه

البعيد ، ومن خاف الموت، خشى الفوت، فقال لها المعلّى، إيهًا، إليك يا أَمَةَ الله لقد أبكيتِ أمير المؤمنين ، فقال له عمر أتدرى مَنْ هذه ؟ ويحك! هذه خَوْلة بنت حكيم التى سمع الله قولها من سمائه، فعمرُ أحرى أن يسمع قولها ويقتدىَ به . وقال عدىّ بن أَرْطاة لإياس بن معاوية : إنك لسريع المشية، قال : ذلك أبعد من الكِبْر وأسرع الى الحاجة . وقال عمر رضى الله عنه وقد قيل له مثل هذا : أنجح للحاجة وأبعد من الكِبْر . أما سمعت قوله عز وجل ؟ (وَٱقْصِدْ فِي مَشْيِكَ وَٱغْضُضْ مِنْ صَوْتِكَ)

وقد مدح الشعراء أهل التواضع ، فمن ذلك قول أبى تمّام حبيب

مُتَبَذِّلٌ فى القوم وهو مُبَجَّلٌ * متواضع فى الحىّ وهو مُعَظَّمُ

وقال آخر

متواضع والنُّبْلُ يَحْرُس قدرَه * وأخو النباهة بالنباهة يَنْبُــلُ

وقال البحترىّ

دَنَوْتَ تواضعا وعلَوْتَ مجدا * فشأناك ٱنحـدارٌ وٱرتفـاعُ
كذاك الشمسُ تبعد أن تُسامَى * ويدنو الضوء منها والشُّعَاعُ

وقال أبو محمد التيمىّ

تواضعَ لمـا زاده اللهُ رِفْعةً * وكلُّ رفيع قدرُه متواضِــعُ

وقال آخر

دَنوتَ تواضعا وعلوت قدرا * ففيــك تواضــعٌ وعُلُو شانِ

ذكر ما قيل فى القناعة والنزاهة

جاء فى تفسير قوله تعالى : (مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً) أن المراد بالحياة الطيبة : القناعة .

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : "القناعة مال لا يَنْفَدُ". وقال عليه السلام : "ما عَالَ مَنِ اقْتَصَد" . ومن كلام على رضى الله عنه : كفى بالقناعة مُلْكا، وبحسن الخُلُق نعيما .

وقال جعفر بن محمد : ثمرة القناعة الراحة .

وقال علىّ بن موسى : القناعة تجمع الى صيانة النفس، وعز القدرة طَرْح مؤونة الاستكثار والتعبّد لأهل الدنيا ، ولا ملك طريقَ القناعة إلا رجلان، إما متقلِّلٌ يريد أجرَ الآخرة ، أو كريمٌ يتنزّه عن آثام الدنيا .

وقال الراضى: القانع يعيش آمنا مطمئنا مستريحا مريحا، والشَّرِهُ لا يعيش إلا تعِبًا نَصِبًا فى خوف وأذًى .

وقال بعض الحكماء : عزّ النزاهة أحبّ الىّ من فرح الفائدة، والصبر على العسرة أحبّ الىّ من احتمال المِنّة . وقال أبو ذؤيب الهُذَلِىّ

والنفسُ راغبة إذا رغّبتَها * وإذا تُرَدُّ الى قليل تَقْنَعُ

وقال سالم بن وابصة

غِنَى النفس ما يكفيك فِي سَدِّ فاقةٍ * فإن زاد شيئا عاد ذاك الغِنَى فَقْرا

وقال أبو هلال العسكرى

أَلَا إِنَّ القنــاعة خيرُ مالٍ * لذى كَرَمٍ يروح بغــير مالِ

وإن يصبرْ فإن الصبر أولى * بمَنْ عثرت به نُوَبُ الليـالى
تجمّـلْ إن بُليتَ بسوء حالٍ * فإن من التجملِ حسن حالِ .

ذكر ما قيل فى الشكر والثناء

قال الله تبارك وتعالى: (وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ) فالشكر مما يوجب الزيادة .

وقال علىّ بن أبى طالب رضى الله عنـه : لا يُزَهِّدك فى المعروف من لا يشكرك عليه، فقد يشكرك عليـه من لا يستمتِـع بشىء منه ، وقد يُدرك من شكر الشاكر، أكثر مما أضاع الكافر، (وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ) .

ومما تعزيه الفرس الى إسفنديار : الشكر أفضل من النعمة لأنه يبق وتلك تفنى .
وقال موسى بن جعفر : المعروف لا يفكّه إلا المكافأة أو الشكر، وقال : قلّة الشكر تُزهّد فى آصطناع المعروف .

وقيل : إذا قصرت يدك عن المكافأة، فليطلْ لسانك بالشكر . وقيل : للشـكر ثلاث منازل : ضمير القلب، ونشر اللسان، ومكافأة اليد . قال الشاعر

أفادتكمُ النّعْـــماء منّى ثلاثة * يدى ولسانى والضميرَ المُحَجَّبَا

وقال يحيى بن زياد الحارثىّ بن كعب

حلفتُ بربِّ العِيس تَهوِى بِرَكْبِها * الى حَرَمٍ ما عنه للنـاس معـدِلُ
لمـا يبلغ الإنعـام فى النفع غاية * على المرء إلا مبلغ الشـكر أفضـلُ
ولا بلغتْ أيدى المُنيـلينَ بَسْـطةً * من الطُّول إلا بسطةُ الشكر أطولُ

ولا ثقُلَت فى الوزن أعباءُ مِنّةٍ * على المرء إلا مِنّةُ الشكر أثقلُ

فمن شكر المعروفَ يوما فقد أتى * أخا العرف من حُسن المكافاة من علُ

وقال رجل من غطفان

الشكر أفضلُ ما حاولتَ ملتَمِسًا * به الزيادةَ عند الله والناسِ

٥ وقال أبو بَجيلةَ

شكرتُك إنّ الشكرَ حَبْلٌ من التُّقى * وما كلّ من أوليتَه نِعمةً يقضى

ونَبّهتَ لى ذِكرى وما كان خامِلًا * ولكنّ بعضَ الذِّكرِ أنبهُ من بعضِ

وقال آخر

سأشكرُ عَمرًا ما تراختْ مَنِيّتى * أيادِىَ لم تُمْنَنْ وإن هِى جَلّتِ

١٠ فتى غير محجوبِ الغِنى عن صديقه * ولا مُظهِر الشكوى إذا النعلُ زَلّتِ

رأى خَلّتى من حيث يَخفَى مكانُها * فكانتْ قَذَى عينيهِ حتّى تجَلّتِ

وقال أبو تمام

كَمْ نِعمةٍ منك تَسَرْبلتُها * كأنها طُرّةُ بُردٍ قَشيب

من اللواتى إن وَنَى شاكر * قامت لمُسْديها مقامَ الخطيب

١٥ وقال أبو عُيَيْنَة بن محمد بن أبى عُتْبَةَ المُهَلّبىّ

ياذا اليمينين قد أوليتَنى مِنَنًا * تَتْرَى هى الغايةُ القُصوى من المِنَنِ

ولستُ أسطيع من شكرٍ أجىءُ به * إلا آستطاعةَ ذى جِسْم وذى بدنِ

لو كنتُ أعرِف فوقَ الشكر منزلةً * أوفى من الشكر عند الله فى الثَّمَنِ

أخلصتُها لك من قلبى مُهَذّبةً * حَذْوًا على مثل ما أوليتَ من حَسَنِ

قالوا وأجود ما قيـل فى عِظم النعمة وقصور الشكر من قديم الشّـعر قول طُرَيح ابن إسماعيل

سعيتُ ٱبتغاء الشكر فيما صنعتَ لى * فقصّرتُ مغلوبا وإنّى لشـاكرُ

لأنك تُولِيـنى الجميـلَ بَدَاهـةً * وأنت لما ٱستكثرتُ من ذاك حاقرُ

فأَرجِـع مَغبوطا وترجِـعُ بالَّتِى * لهـا أوّلٌ فى المَكرماتِ وآخرُ ٥

وقال دعبِل

هجَرتُك لا عن جَفْـوةٍ ومَلَالَة * ولا لِقِلًى أبطأتُ عنك أَبا بكرِ

ولكنّنى لمـا رأيتُـك راغِبًا * فأفرطتَ فى بِرّى عَجَزتُ عن الشكرِ

فَمِـلْآنَ[1] لا آتيـك إلا تعـذُّرًا * أزورك فى الشهرين يوما وفى الشهرِ

وقال البحترىّ ١٠

هاتيك أخلاقُ إسماعيل فى تَعَبٍ * من العُلَا والعُلَا منهنّ فى تَعَبِ

أبث شكرى فأُمسى منك فى نَصَبٍ * أَقْصِرْ فمالىَ فى جَدواك من أَرَبِ

لا أقبلُ الدهرَ نَيْلا لا يقوم له * شكرى ولو كان يُسديه إلىَّ أَبِى

لما سألتُـك وافانى نَدَاك على * أضعافِ شكرى فلم أظفَرْ ولم أَخِبِ

وقال أيضا ١٥

إنى هجرتُك إذ هجرتُك وَحْشةً * لا العَـودُ يذهبُها ولا الإبداءُ

أخجلتَنِى بنَدى يَدَيْك فسوّدتْ * ما بيننا تلك اليـدُ البيضاءُ

وقطعتنى بالجـود حتّى إنّنِى * مُتَخوِّفٌ أن لا يكون لِقـاءُ

صِلَةٌ غَدَتْ للناس وَهىَ] قطيعةٌ * عَجَبًا وبِرٌّ راح وهو جَفَـاءُ

ليواصِلَنّك رَكْبُ شِـعرٍ سائر * يرْويه فيكَ لحسـنِه الاعداءُ ٢٠

[1] فلآن أى فن الآن .

حتى يتمّ لك الثناءُ مُخلّدا * أبدا كما تمّتْ لك النَّعماءُ
فتظلّ تحسدُك الملوكُ الصّيد بى * وتظلّ تحسدُنى بك الشعراءُ

وقال الحسن بن هانئ

قد قلتُ للعباس معتذِرًا * من عُظم شكريهِ ومعترِفَا
أنت آمرؤ جلَّلْتَنِى نِعَمًا * أوهتْ قُوَى شكرى فقد ضَعُفَا
لا تُسْدِيَنَّ إلىَّ عارِفةً * حتَّى أقومَ بشكرها سَلَفَا

وقال الحسين بن الضحّاك للواثق من أبيات

إذا كنتُ من جَدْواك فى كلِّ نعمةٍ * فلا كنتُ إن لم أَفْنِ عُمْرِى بشكركا

وقال البحترىّ

إذا أنا لم أشكر لنُعماك جاهِدًا * فلا نلتُ نُعْمَى بعدها تُوجب الشُّكرا

وقال عُبَيد الله بن عبد الله بن طاهر

إنى لشاكرُ أَمْسِهُ ووليِّهُ * فى يومه ومُؤَمِّلٌ عنه غدَا

وقال آخر

وكيف أنساك ؟ لا نُعْماك واحدة * عندى ولا بالذى أوليتَ من قِدَمِ

وقال عبدُ الأَعْلى بن حمّاد : دخلتُ على المتوكّل، فقال لى: قد هممنا أن نصِلَك، فتدافعت الأمور، فقلت : يا أمير المؤمنين، قد بلغنى عن جعفر بن محمد الصادق أنه قال : من لم يشكر للهِمّة، لم يشكر للنعمة، وأنشدته قول الباهلىّ

لأشكرنّك معروفا هممتَ به * إن آهتمامَك بالمعروف معروفُ
ولا ألومُك إن لم يُمضِه قَدَرٌ * فالشيءُ بالقَدَر المحتومِ مصروفُ

وقال ابن الرومىّ

كم من يدٍ بيضاءَ قد أسديتَها * تَثْنِى إليــك عِنَانَ كلِّ وِدَادِ
شَكَرَ الإلهُ صــنائعًا أوليتَها * سَلَكَتْ مع الأرواح فى الأجسادِ

وقال آخر

وأحسنُ ماقال امرؤ فيك مِدْحة * تلاقَتْ عليها مِنَّــةٌ وقَبُولُ ٥
وشكرٌ كأن الشمسَ تعنَى بنشره * ففى كلّ أرض مُخْــبِرٌ ورسولُ

ومن كلام الحسن بن وهب : من شكرك على درجة رفعتَه اليها ، أو ثروة أفدتَه إيّاها ، فإن شكرى لك على مهْجة أحييتَها ، وحُشَاشة أبقيتَها ، ورَمَق أمسكته ، وقمتَ بين التَّلَف و بينه ، ولكل نعمة من نعم الدنيا حدٌّ يُنتهَى إليه ، ومدًى توقَف عليه ، وغاية من الشكر يسمو اليها الطرْف ، خلا هــذه النعمة التى فاتتِ الوصفَ ، ١٠ وطالتِ الشكرَ ، وتجاوزتْ كلَّ قَدْر ، وأتت من وراء كلّ غاية ، وردت عنّا كَيْد العدوّ ، وأرغمتْ أنفَ الحسود ، نلجأ منها الى ظِلٍّ ظليل ، وكَنَفٍ كريم ، فكيف يشكر الشاكر ، وأين يبلغُ جهد المجهود .

وقال الشريف الرضىّ

ألبستنى نِعَــما علــى نِعَــمٍ * ورفعتَ لى عَلَمَــا على عَلَمِ ١٥
وعلوتَ بى حتّى مشيتُ على * بُسُــطٍ من الأعناق والقمَمِ
فلأشــكرَنَّ يديك ما شكرت * خُضْرُ الرِّياضِ مَصَانِــعَ الدِّيَمِ
فالحمــدُ يُبقِى ذِكْرَ كلِّ فتًى * ويُبِينُ قَدْرَ مواقِــعِ الكَرَمِ
والشكرُ مَهْــرٌ للصنيعة إنْ * طُلِبَتْ مُهُــورُ عقائِلِ النِّعَمِ

وقال أبو الحسن الكاتب المغربيّ.

سأشكر نُعماك التى آنبسطتْ بها * يَدِى ولسانى فهو بالمجْـدِ يَنْطِقُ
وأُثنى بمـا أوليتَنى من صنيعةٍ * ومن مِنَّـةٍ تَغْـدُو علىّ وتَطْرُقُ
وكلُّ آمرئٍ يرجو نداك مُوفَّقٌ * وكلُّ آمرئٍ يُثْنِى عليك مُصَدَّقُ

٥ وقال آبن رشيق القيروانىّ

خُذْ ثَنَاءً عليك غِبَّ الأيادى * كَثَنَاءِ الرُّبَى على الأمطارِ
سَقَطَ الشكر وهو موجب نُعْما * كَ سُقُوطَ الأنواءِ بالأثمـارِ

ومن المُنْعِمين من رأى أن الشكر بإظهار النعمة، أبلغ منه بالنطق باللسان، وعاقب على ذلك بالحِرْمان .

١٠ فمن ذلك مارواه أبو هلال العسكرىّ بسنده الى العُتْبِىّ قال: أراد جعفر بن يحيى حاجة كان طريقه إليها على باب الأَصْمَعِىّ، فدفع الى خادم له كيسا فيه ألْف دينار وقال: إنى سأنزِل فى رَجْعتى الى الأَصْمَعِىّ، ثم سيحدثنى ويُضحِكُنى، فاذا ضحكت، فضع الكِيسَ بين يَدَيْه، فلما رجع، ودخل إليه، رأى حُبًّا[(١)] مكسورَ الرأس، وجَرَّةً مكسورةَ العُنُقِ، وقَصْعة مشعبة، وجَفْنة أعشارا، ورآه على مُصلًّى بالٍ، وعليه بَرْنكان[(٢)]
١٥ أَجْرَدُ، فغمز غلامَه أن لا يضعَ الكيسَ بين يديه، فلم يدع الأَصْمَعِىّ شيئا ممّا يُضْحك الثكلان والغضبان إلا أورده عليه فلم يتبسم، ثمّ خرج، فقال لرجل يسايره: من آسترعى الذئب ظَلَم، ومن زَرَع السَّبخة حصد الفقر، إنى والله لما علمت أن هـذا يكتم المعروف بالفعل، ما حفِلتُ بنشره له باللسان، وأين يقع مديح اللسان

(١) الحُبُّ: الجَرَّة الضخمة . (٢) البَرْنكان على وزن زعفران: ضرب من الأكسية .

من آثار العيان؟ إن اللسان قد يكذِب ، والحال لا تكذِب، ولله در نُصَيب حيث يقول

فعاجُوا فَأثْنَوْا بالذى أنت أهلُه * ولو سكتوا أثنتْ عليك الحقائبُ

ثم قال : أعلمت أن ناووس أبرويز، أمدح لأبرويز من زُهَيْر لآل سِنَان ؟

(٧٦) وقالت الحكماء : لسان الحال، أصدق من لسان الشكوى . ٥

وقد أجاد ٱبن الرومىّ فى هذا المعنى فقال

حالى تَبُوح بما أَوْليتَ من حسَنٍ * فكلُّ ما تدعيــه غـيرُ مردودِ

كلّى هجاء، وقتــلى لا يحِــلُّ لكم * فـما يداويكُمُ منّى سوى الجُـودِ

وقالوا : شهادات الأحوال، أعدل من شهادات الرجال .

ذكر ما قيل فى الوَعْد والإنجاز ١٠

رُوِى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : « وعد المؤمن كأخذٍ باليد » .

وقال الحسن بن على رضى الله عنهــما : الوعد مرض فى الجود، والإنجاز دواءه .

ومن كلامه : المسئول حُرٌّ حتّى يَعِدَ، ومسترَقٌّ بالوعد حتى يُنْجِزَ .

وقال الزُّهْرِىّ : حقِيق على من أزهر بالوعد، أن يُثمِر بالفعل .

وقال مسلم بن الوليد عن أبيه قال: سألت الفضل بنَ سَهْلٍ حاجة، فقال : أشرِّفك ١٥ اليوم بالوعد، وأحبوك غدا بالإنجاز ، فإنى سمعتُ يحيى بنَ خالد يقول : المواعيــد شَبَكَة من شِباك الكرام ، يَصِيدون بهــا محامِد الأحرار، ولو كان المُعْطى لا يعــد، لارتفعتْ مفاخر إنجاز الوعد، ونقص فضلُ صدقِ المقال .

وقال الأَبْرَش الكلبِىُّ لهشام بن عبد الملك : يا أمير المؤمنين، لا تصنع إلىّ معروفا حتى تَعِدَنى، فإنه لم يأتنى منك سَيْب على غير وعد ، إلا هان علىّ قَدْرُه ، وقلّ منّى ٢٠

شكره، فقال له هشام : لئن قلتَ ذلك، لقد قال سيِّدُ أهلِك أبو مسلم الخَوْلانىّ : أنجعُ المعروف فى القلوب ، وأبردُه على الأكباد ، معروف منتظَر مِن وعد لا يُكَدَّر بالمطل .

وكان يحيى بن خالد لا يقضى حاجةً إلا بوعد .

٥ وقالت أعرابيّة لرجل: مالك تعطِى ولا تَعِد، فقال: مالكِ والوعد؟ قالت ينفسِح به البصرُ، وينشر فيه الأملُ، وتطيب بذكره النفسُ ، ويَرْخَى به العيشُ، وتربح به المدحَ بالوفاء .

قيل: كلّم منصور بن زياد يحيى بن خالد فى حاجة لرجل فقال : عِدْه عنّى قضاءَها، قال : وما يدعوك أعزّك الله الى العِدَة مع وجود القُدْرة ؟ فقال يحيى : هذا قول ١٠ من لا يعرف موضِعَ الصنائع من القلوب ، إن الحاجة إن لم تتقدمها بوعد ينتظر به نُجْحها، لم تتجاذب الأنفسُ بسرورها، ولم تتلذذ بتأميلها، وإن الوعد تطعّم، والإنجاز طعام ، وليس من فاجأه طعام، كمن وجد رائحته ، وتمطّق له وتطعّمه، ثم طَعِمه، فدع الحاجة تختمّ بالوعد، ليكون لها عند المصطنع اليه حسنُ موقع، ولطفُ محلّ .

وقال عيسى بن ماهان : إنى أُحِبُّ أن أَهِب بلا وعد، وأُحِبُّ أن أَعِد، لأَخرجَ ١٥ من جملة المخلفين ، وأدخلَ فى عدد الوافين ، ويُؤْثَرعنّى كرم المُنْجزين ، فإن من سبق فعلَه وعدَه، وُصِف بكرم فرد، وسقط عنه جميع ما ذكرت .

قال ذَكر العباس المأمون فقال : إنه أَلْقَحَ معروفه عندى بالوعد، ونتجه بالنُّجْح، وأرضعه بالزيادة ، وشيَّبه بالتعهد ، وهرّمه باستتمامه من جهاته ، وهنّأه[1] بترك الأمتنان به .

٢٠ (١) هَنَأَهُ : طلاه بالهناء، وهو القَطِران .

وشكا رجلٌ جعفرَ بن يحيي لأبيه: أنه وعده وعدا ومَطَله به، فوقّع: يا بَنيّ، أنتم معـاقل الأحرار ومَظانّ المطالب ومعادنُ الشـكوى، فكونوا سَواءً فى الأقوال والأفعال، فإن الحُرّ، يدّخر وعدَ الحر و يعتقده و ينفقه قبل ملَكته، فإن أخفق أمله، كان سببا لذمّه واتّهامه وسوءِ ظنّه، حتّى يوارِىَ قُبْحُ ذلك حُسنَ يقينه، فأَنجِز الوعد، وإلا فأَقْصِرِ القول، فإنه أعذر والسلام . ٥

قال: كُلِّم المأمون فى الحسين بن الضحّاك الخليع أن يردّ عليه رزقَه، فقال: أليس هو القائل فى الأمين

فلا فَرِح المأمونُ بالمُلْك بعـدَه * ولا زال فى الدُّنيا طَرِيدًا مشردا

فما زالوا يتلطفون معه فى القول، إلى أن أَذِن له أن يُنْشِده، فأنشده

أَبِنْ لى فإنى قد ظَمِئْتُ الى الوعدِ * متى تُنْجِز الوعدَ المؤكَّد بالعهدِ؟ ١٠

أُعِيذُكَ من صَدِّ الملوك وقد ترى * تقطُّعَ أنفاسى عليك من الوَجْدِ

فما لى شَفِيعٌ عند حسنك غيره * ولا سببٌ إلا التمسـك بالوُدِّ

أيَخْلُ فَرْد الحُسنِ فرد صـفاته * علىّ وقد أفردتُه بِهَوًى وحدى

رأى اللهُ عبـد الله خيرَ عباده * فملّكَـهُ والله أعلم بالعبـد

فقال له المأمون: هذه بتلك، وقد عفونا عنك فقال: يا أمير المؤمنين، فأتبع عفوَك إحسانَك، فأمر بردّ أرزاقه عليه، وكانت فى كلّ شهر خَمْسِمائةِ دينارٍ، فقال المأمون: لولا أنى نويتُ عفوا عنه، وجعلت ذلك وعدا له من قبل، ما فعلته، وإنمـا ذكر الوعد فى تشبيبه يذكرنيه . ١٥

وقال بعض ملوك العجم: البخل بعـد الوعد، يضعفُ قبحه على البخل قبـلَه، فمـا قولك فى أمرٍ، البخل أحسن منه ؟ ٢٠

وقال بعض الشعراء

ولى منك مَوْعودٌ طلبتُ نجاحه * وأنت آمرؤٌ لا تُخلف الدهرَ مَوْعِدَا

وعوّدتَنى أن لا تزالَ تُظِلُّنِى * يدٌ منك قد قدّمتَ من قبلها يَدَا

فلو أن مجدا أو ندًى أو فضيلة * تُخَلِّد شيئا كنتَ أنت المخلَّدَا

٥ وقال بشّار

وعد الكريم يحُثُّ نائِلَه * كالغَيْثِ يَسْبِق رعدُه مَطَرَهْ

وقال آبن الرومىّ

يَتخطّى العِداةَ عمدا الى البَذْ * لِ كَسَحِّ الحَيَا بلا إيماضِ

ذكر ما قيل فى الشفاعة

١٠ قال الله عزّ وجلّ : (مَنْ يَشْفَعْ شَفَاعَةً حَسَنَةً يَكُنْ لَهُ نَصِيبٌ مِنْهَا) .

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «إن الله تعالى يسأل العبد عن جاهه كما يسأله عن عمره، فيقول له : جعلت لك جاها، فهل نصرتَ به مظلوما، أو قمعتَ به ظالما، أو أعنتَ به مكروبا» ؟ وقال صلى الله عليه وسلم : «أفضل الصدقة أن تعين بجاهك من لا جاهَ له» وقال : «الخلق عيال الله، فأحبُّهم اليه، أنفعُهم لعياله» .

١٥ وقال : «الشفيعُ جَناحُ الطلب» .

وقيل : قصد آبن السّماكِ الواعظ رجلا فى حاجةٍ لرجلٍ سأله الشفاعة فيها، فقال آبن السّماك : إنى أتيتك فى حاجةٍ، وأن الطالب والمطلوبَ اليه عزيزان إن قُضيتْ الحاجةُ، وذليلان إن لم تُقْضَ، فآختر لنفسك عزّ البذل، على ذلّ المنع، وآختر لى عزّ النُّجح، على ذلّ الردّ، فقضى حاجته .

قال أبو تمــام

وإذا آمرؤ أسدى اليك صنيعة * من جاهه فكأنها من ماله

وقال رجل لبعض الملوك : إن الناس يتوسّلون اليك بغيرك، يسألون معروفك، ويشكرون غيرك، وأنا أتوسّل اليك بك، ليكون شكرى لك لا لغيرك .

قال بعض الشعراء

إذا أنتَ لم تَعطفْك إلا شفاعةٌ * فلا خيرَ فى ودّ يكون بشــافِع

ذكر ما قيل فى الآعتذار والآستعطاف

رأيتُ جماعةً من أهل الأدب قد ألحقوا الآعتذار والآستعطاف بالمدح، كالحمدونىّ فى تذكرته، وغيره، فلذلك أضفته اليه، وجعلته من فصوله . قال الله عزّ وجلّ : (وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا أَلَا تُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ ٱللهُ لَكُمْ) .

ورُوىَ عن رســول الله صلى الله عليه وســلم أنه قال : « من آعتذر اليه أخوه المسلمُ، فلم يقبلْ، لم يَرِدْ على الحوض » .

وقال علىّ رضى الله عنــه : أَوْلَى الناس بالعفو، أقدرهم على العقوبة . وقال : العفو زكاة الظَّفر . وقال : اذا قدرت على عدوّك ، فاجعــل عفوك عنــه شــكر المقدرة عليه .

وقال الحسن بن علىّ رضى الله عنهما : لا تعاجل الذنبَ بالعقوبة، وآجعل بينهما للآعتذار طريقا . وقال: أوسعُ ما يكون الكرمُ بالمغفرة، اذا ضاقت بالذنب المعذرة .

وقال جعفر بن محمد الصادق : شفيع المذنب إقراره، وتوبة المجرم الآعتذار .

وقالوا ما أذنب من آعتذر، ولا أسى من آستغفر .

وأوصى بعض الحكماء ولده فقال : يابنىّ لا يعتذر اليك أحد من الناس ، كائنا من كان، فى أى جرم كان، صادقا كان أو كاذبا، إلاقبلتَ عذره، فكفاك بالاعتذار بِرًّا من صديقك، وذلًّا من عدوّك .

قال بعض الشعراء

فإن كنت ترجو فى العقوبة راحةً * فلا تزهدَنْ عند التجاوز فى الأجْرِ

وقال أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل العسكرىّ : الاعتذار ذِلّة، ولابدّ منه ، لأن الإصرار على الذنب، فيما بينك و بين خالقك هلكةٌ، وفيما بينك و بين صديقك فُرقةٌ، وعند سائر الناس مثلبةٌ وهُجنةٌ، فعليك به، اذا واقعت الذنب ، وقارفت الجرم، ولا تستنكفْ من خضوعك وتذلّلك فيه، فربما آستثير العزُّ من تحت الذلة ، وآجتُنِىَ الشرفُ من شجرة النذلة ، وربّ محبوبٍ فى مكروه، والمجدُ شهدٌ يُجتَنَى من حنظل .

قال : ومما خُصّ به الاعتذار أنّ الحقّ لا يثبت لباطله ، والحقيقةَ لا تقوم مع تخييله وتمويهه، وأنّ ردّه لا يسعُ مع الكذب اللائح فى صفحاته . وقالوا : لا عذرَ فى ردِّ الاعتذار، والمعتذرُ من الذنب، كمن لا ذنب له ، وهذه خَصلة لا يشركه فيها غيرُه .

قال بعضهم : كنت بحضرة عُبيد الله بن سليمان، فوردت عليه رقعة من جعفر آبن توّابة، نسختُها : قد فتحتَ للظلوم بابَك، ورفعتَ عنه حجابَك ، فأنا أحاكم الأيّام الى عدلك ، وأشكو صُروفَها الى فضلك ، وأستجير من لؤم غلَبتِها بكرم قدرتِك ، وحسن ملكتِك، فإنها تؤخّرنى اذا قدّمتْ، وتَحرِمنى اذا قسّمتْ ، فإن

أعطت أعطت يسيرا، وإن ٱرتجعتْ ٱرتجعتْ كثيرا، ولم أشـكُها الى أحد قبلك، ولا أعددت الآنتصاف منها إلا الى فضلك، ولى مع ذمام المسألة لك، وحقّ الظُّلام اليك، ذمامُ تأميلك، وقَدمُ صدقٍ فى طاعتك، والذى يملأ من النَّصَفَة يدى، ويُفرغ الحقّ علىّ، حتى تكونَ لى محسِنا، وأكونَ بك الى الأيام مقتربا، أن تخلطنى بخواصّ (٧٨) خدمك الذين نقلتهم من حدّ الفراغ الى الشغل، ومن الخمول الى النباهة والذِّكْر، ٥ فإن رأيتَ أنْ تعـذّبنى فقد ٱستعديتُ اليك، وتنصُرَنى فقد عذت بك، وتُوسعَ لى كنفَك فقد أويتُ اليه، وتسمَنى بإحسانك فقد عوّلت عليه، وتستعمل يدى ولسانى فيما يصلحان له من خدمتك، فقد درستُ كتبَ أسلافك وهم القدوة فى البيـان، وٱستضأتُ بآرائهم، وٱقتفوتُ آثارَهم ٱقتفاءً جعلنى بين وحشىّ الكلام وأنيسـه، ووقفنى منه على جادةٍ متوسطةٍ، يرجع اليها العالى، ويلحق بها المقصّر التالى، فعل إن ١٠ شاء الله . قال : فعل إن شاء الله ! قال : فجعل عبيد الله يرددها ويستحسنها؛ ثم قال : هذا أحقّ بديوان الرسائل .

ومن الآستعطاف : ماحكى أن محمد بن الحنفيّة، جرى بينه وبين أخيه الحسين، كلام ٱفترقا بسببه متغاضبين؛ فلما وصل محمد الى منزله، كتب الى الحسين رقعة فيها : بسم الله الرحمن الرحيم أما بعد، فإن لك شرفا لا أبلغه، وفضلا لا أدركه، أبونا علىٌّ، ١٥ لا أفضلك فيـه ولا تفضلنى، وأمّى ٱمرأة من بنى حنيفـة ، وأمّك فاطمةُ بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم، ولو كان ملء الأرض نساءً مثلَ أمى ما وفين بأمّك، فاذا قرأت رقعتى هـذه فألبس رداءك ونعليك وتعـال لترضّانى، وإياك أن أسبقك الى هذا الفضل الذى أنت أولى به منى والسلام . فلبس الحسين رداءه ونعليه وجاء الى محمد وترضّاه . ٢٠

وقيل : وقّع جعفر بن يحيى فى رقعة معتذرا : قد تقدمتْ طاعتُك ونصيحتُك، فإن ثبت منك هفوة فلن تغلبَ سيئةٌ حسنتين .

وقال شاعر

إرضَ للسائل الخضوعَ وللقا * رف ذنبًا مَذلّةَ الإعتذارِ

٥ قال أبو هلال العسكرىّ : لم يُرْوَ عن أحد قبل النابغة الذبيانىّ فى الاعتذار شعر؛ فمن أجود ما روى له فيه، قوله حين سعى به المنخَّل اليشكُرىُّ الى النّعمان، وزعم أنه غشى المتجرّدةَ حظيّة النعمان، وذلك حين وصفها النابغة فى شعره فقال

واذا لمستَ، لمستَ أخثمَ جاثمًا * متحيِّزًا بمكانه ملءَ اليدِ

واذا طعنتَ، طعنتَ فى مستهدِف * رابى المجسّة بالعبير مقرمَدِ

١٠ واذا نزعتَ، نزعتَ من مستحصِف * نزعَ الحَزَوَّر بالرِّشاء المحصَدِ

فقال المنخَّل للنعمان : هذا وصفُ من ذاقها، فوقَر ذلك فى نفس النعمان، ثم وفد عليه رهط من بنى سعد بن زيد مناة من بنى قُريع، فأبلغوه أن النابغة ما يزال يذكرها ويصف منها، فأجمع النعمان على الإيقاع بالنابغة، فعرّفه بذلك عِصام حاجب النعمان، وهو الذى قيل فيه

١٥ * نفسُ عِصامٍ سوّدتْ عِصاما *

فانطلق النابغة الى آل غسّان وكانوا قتلوا المنذر والد النعمان، فزادهم لحاق النابغة بهم حشمة؛ ثم اتصلت بالنعمان كثرة مدائح النابغة لهم، فحسدهم عليه وأمّنه وراسله فى المصير اليه، فأتاه وجعل يعتذر ممّا قذف به ومن مدحه لآل غسّان فقال

حلفتُ فلم أترك لنفسك رِيبَةً * وليس وراء الله للمرء مذهبُ

لئن كنتَ قد بُلِّغْتَ عنى جنايةً * لَمُبلغُك الواشى أغشُّ وأكذبُ

ولستَ بمستبقٍ أخا لا تَلُمُّــه * على شعث! أىّ الرجال المهذبُ؟

فأن أكُ مظلوما، فعبدٌ ظلمتَه * وإن تك ذا عُتبى، فمثلك يعتبُ

يقول: مثلك يعفو ويُحسِنُ وإن كان عاتبا، وفى كرمك ما يفعل ذلك، ولك العتبى والرجوع الى ما تحبّ. ومنه قوله أيضا للنعمان ٥

أتانى أبيتَ اللّعنَ! أنك لمتنى * وتلك التى تستكُّ منهـا المسامعُ

مقالةُ أن قد قلتَ سوف أنالُه * وذلك من تِلقاء مثلِكَ رائعُ

فبتُّ كأنّى ساورتنى ضئيـلةٌ * من الرُّقْشِ فى أنيابهـا السمُّ ناقعُ

لَكلَّفتنى ذنبَ آمرئ وتركته * كذى العُرّ يكوى غيرُه وهو راتعُ

الى أن قال ١٠

فإن كنتُ لا ذو الضِّغْن عنى مكذَّبٌ * ولا حَلِفى على البراءةِ نافـعُ

ولا أنا مأمونٌ بشىء أقـوله * وأنت بأمرٍ لا محالة واقعُ

فإنك كالليـل الذى هو مـدركى * وإن خلتُ أنّ المنتأى عنك واسعُ

وقال أيضا

أنبئت أن أبا قابوس أوعدنى * ولا قَرار على زأرٍ من الأسـدِ ١٥

مهلًا، فداءٌ لك الأقوام كلّهم، * وما أُثَمِّـرُ من مالٍ ومن ولدِ

لا تقـذفَنّى بركن لا كِفاءَ به * وإن تأثّفـك(١) الأعداءُ بالرِّفَـدِ

ما قلتُ من سيئ ممّـا أُتيتَ به * اذا فلا رفعتْ سوطى الىّ يدى

قال: فخلع عليه النعمان خِلعَ الرضى، وكَنّ حبراتٍ خُضرا مطَرّقةً بالجوهر.

(١) أى لم تبرح تغريك. ٢٠

قال العسكرىّ : ولم يسلك أحد طريقته فأحسن فيها كإحسان البحترىّ ، فمن آعتذاراته قوله فى قصيدته التى أوّلها

* لوت بالسلام بنانا خضيبا *

قال منها

فديناك من أىّ خطبٍ عرَى * ونائبةٍ أوشكتْ أن تنوبا

وإن كان رأيك قد حَالَ فىّ * وأوليتنى بعدَ شرٍّ قُطوبا

يريبُنىَ الشىءُ تأتى به * وأُكبرُ قدرَك أن أستريبا

وأكره أن يتمادى علىّ سبيلُ آغتِرارٍ فالقى شَعوبا

أكذّب نفسى بأن قد سخطتَ * وما كنتُ أعهد ظنّى كذوبا

ولو لم تكن ساخطا لم أكن * أذمّ الزمان وأشكو الخطوبا

أيُصبح ودّىَ فى ساحتيك طَرْقا(1) ومرعاىَ مُحْلًا جديبا

وما كان سخطك إلا الفراق * أفاض الدموعَ وأشجى القلوبا

ولوكنتُ أعرف ذنبا لما كا * ن خالجنى الشك فى أن أتوبا

سأصبر حتى ألاقى رضا * ك إما بعيدا وإما قريبا

أراقب رأيَك حتى يصحَّ * وأنظرُ عطفَك حتى يثوبا

وقوله

عَذيرِى من الأيّام رنّقنَ مشربى * ولقّينى نحسا من الطير أشأما

وأكسبنى سخط آمرئ بتُّ مَوْهِنا * أرى سخطه ليلا مع الصبح مظلما

تبلّج عن بعض الرضى، وآنطوى على * بقيةِ عتبٍ شارفت أن تَصَرّما

اذا قلتُ يوما : قد تجاوز حدَّها * تلبّثَ فى أعقابها وتلوّما

وأَصْيد إن نازعتَه الطرف ردّه * قليلا، وإن راجعتَه القول جمجما

(1) الطَّرْقُ : الماء الذى خوضته الإبل وبوّلت فيه .

ثناه العدا عنى، فأصبح مُعرِضا * ووهّمــه الواشون حتى توهّمــا
وقد كان سهلا واضحا فتوعّرت * رباه، وطَلْقــا ضاحكا فتجهّما
أمتّخذٌ عندى الإســاءة محسنٌ * ومنتقم منى آمرؤ كان مُنعما
ومكتسِبٌ فىَّ الملامــةَ ماجــد * يرى الحمــد غُنْماً والملامــةَ مَغْرما
يخوِّفنى من ســوء رأيك معشرٌ * ولا خوف إلا أن تجور وتظلما ٥
أعيذك أن أخشاك من غير حادثٍ * تَبَيَّنَــ، أو جُرمٍ إليك تقــدما
الستُ الموالى فيك نظمَ قصائدٍ * هى الأنجم آقتادت مع الليل أنجما؟
أعِدْ نظرا فيما تسخطْتَ، هل ترى * مقالا دنيئــا أو فَعالا مذمَّما؟
وكان رجائى أن أؤوب مملَّكا * فصار رجائى أن أؤوب مسلّما
حياء فلم يذهب بىَ الغىُّ مذهبا * بعيدا، ولم أركب من الأمر مُعظَما ١٠
ولم أعرف الذنب الذى سؤتنى له * فأقتــلَ نفسى حسرةً وتنــدّما
ولو كان ما خُبّرتُه أو ظننتهُ * لمــا كان غروا أن ألوم وتكرما
أذكِّرك العهدَ الذى ليس سؤددا * تناسيه، والودَّ الصحيح المسلّما
وما حمل الركبان شرقا ومغــربا * وأنجد فى أعلى البــلاد وأتهــما
أُقرّ بمــا لم أجنــه متنصّــلا * إليــك، على أنى إخالك ألوما ١٥
لىَ الذنب معروفا. فإن كنتُ جاهلا * به ، فلك العتبى علىّ وأنعــما
ومثلك، إن أبدى الفَعــال أعاده * وإن صــنع المعروف زاد وتمّــما

وقال سعيد بن حُميد

لم آت ذنبا، فإن زعمت بأن * أتيت ذنبــا، فغــير معتمدِ
قدتطرِفُ الكفُّ عينَ صاحبها * فلا يرى قطعَها من الرشد ٢٠

وقال آخر

وكنتُ اذا ما جئتُ أدنيتَ مجلسى * ووجهك من ماء البشاشــة يقطُر
فمن لىَ بالعين التى كنتَ مرّةً * الىّ بهـا فى سالف الدهر تنظرُ؟

وقال آخر

٥ اغتفر زلّتى لتُحرز فضــلَ الـ * ـعفو عنى ولا يفوتك أجرِى
لاتكِلْنى الى التوسّــل بالعذ * ر لعلّى أن لا أقوم بعــذرى

وقال بعض فضلاء الأندلس

إنى جنيتُ ولم يزل أهلُ النهى * يَهبونُ للجانين ما يجنــونَهُ
ولقد جمعتُ من الذنوب فنونها * فاجمع من الصفح الجميل فنونَهُ
١٠ من كان يرجو عفوَ مَن هو فوقه * فليعفُ عن ذنب الذى هو دونَهُ

البـاب الثـانى

من القســـم الثـالث من الفن الثـانى

فى الهجاء، وفيه أربعة عشر فصلا

ما قيل فى الهجاء ومن يستحقّه .

١٥ ما قيل فى الحسد .

ما قيل فى السعاية والبغى .

ما قيل فى الغيبة والنميمة .

ما قيل فى البخل واللؤم وأخبار البخلاء وآحتجاجهم .

ما قيل فى التطفيل ويتّصل به أخبار الأَكَلة والمؤاكلة.

ما قيل فى الجبن والفرار .

ما قيل فى الحمق والجهل .

ما قيل فى الكذب .

ما قيل فى الغدر والخيانة .

ما قيل فى الكبر والعجب .

ما قيل فى الحرص والطمع .

ما قيل فى الوعد والمطل .

ما قيل فى العىّ والحَصَر.

ذكر ما قيل فى الهجاء ومن يستحقه

قال الله تعالى : (وَٱلشُّعَرَاءُ يَتَّبِعُهُمُ ٱلْغَاوُونَ أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِي كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ إِلَّا ٱلَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا ٱلصَّالِحَاتِ وَذَكَرُوا ٱللَّهَ كَثِيرًا وَٱنْتَصَرُوا مِنْ بَعْدِ مَا ظُلِمُوا وَسَيَعْلَمُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ) فهذه رخصة لمن ظلم فى الانتصار .

وقال حسّان بن ثابت الأنصارىّ يردّ على أبى سفيان بن الحارث

ألا أبلغ أبا سفيان عنى * مغلغَلة[(1)] فقد برح الخفاءُ

هجوتَ محمّدا، فأجبتُ عنه، * وعند الله فى ذاك الجزاءُ

أتهجوه ولستَ له بكفءٍ * فشرّكما لخيركما الفداءُ

(١) يقال رسالة مغلغَلة : أى محمولة من بلد إلى بلد .

لنا فى كلّ يومٍ من معــدّ * سبابٌ أو قتــالٌ أو هجــاءُ
لسانى صارم لا عيب فيه * وبحــرى لا تكدّره الدِّلاءُ
فإنّ أبى ووالدتى وعِرضى * لعــرض محمّدٍ منكــم وِقاءُ

ويستحقّ الهجاءَ من آتصف بسوء الخصال، وآتسم بأخلاق الأرذال والأنذال، وجعل اللؤم جلبابه وشعاره، والبخل وِطاءه ودثاره، وسأذكر جِماع ما آتصفوا به من سوء الفعال، وأسّسوا بنيانهم عليه من قبح الخلال .

قال بعض الحكماء : أربعة من علامات اللؤم : إفشاء السرّ، وآعتقــاد الغدر، وغِيبة الأحرار، وإساءة الجوار .

وسأل عبــد الملك بن مروان الحجاج بن يوسف عن خلقه، فتلكأ عليه وأبى أن يخبره فأقسم عليــه فقال : حسود، كنود، حقود، فقال عبد الملك : ما فى إبليس شرٌّ من هذه الخلال ؛ فبلغ ذلك خالد بن صفوان فقال : لقد انتحل الشرّ بحذافيره، ومرق من جميع خلال الخير، وتأنّق فى ذمّ نفسه، وتجرّد فى الدلالة على لؤم طبعه، وأفرط فى إقامة الحجّة على كفره، وخرج من الخلال الموجبة رضى ربّه .

قال أبو تمــام

تأنّستْ بذميمِ الفعلِ طلعتُه * تأنُّسَ المقلة الرمداء بالظلَمِ

وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : « أربعة، من كنّ فيه فهو منافق، مَن اذا حدّث كذب، واذا وعد أخلف، واذا عاهد غدر، واذا أؤتمن خان » .

وقالوا : اللئيم كذوب الوعد، خؤون العهد، قليل الرفد . وقالوا : اللئيم اذا آستغنى بطر، واذا آفتقر قنط، واذا قال أفحش، واذا سئل بخل، وإن سأل ألحّ، وإن

أُسدِىَ اليه صنيعٌ أخفاه، وإن ٱستُكتِمَ سرًّا أفشاه، فصديقه منه على حذر، وعدوّه منه على غَرَرٍ[(١)] .

وإنّ للشعراء والبلغاء فى الذّم والهجاء نظما ونثرا سنورد منه طُرَفا، ونشرح ما يجعل ضوء النهار على المقول فيه سَدَفا[(٢)] .

فمن ذلك ما قاله أحمد بن يوسف الكاتب فى بنى سعيد بن مسلم بن قتيبة : محاسنهم مساوئُ السِّفل، ومساوئهم فضائح الأمم، وألسنتهم معقودة بالعِىّ، وأيديهم معقولة بالبخل، وأعراضهم أعراض الذمّ؛ فهم كما قيل

لا يَكْثُرُون وإن طالتْ حياتهمُ * ولا تَبِيــد مخازيهم وإن بادوا

وذمّ أعرابى قوما فقال

هم أقلّ الناس ذنوبا الى أعدائهــم ، وأكثرهم تجرؤا على أصدقائهم ، يصومون عن المعروف، ويُفطِرون على الفحشاء .

وذمّ أعرابىّ قوما فقال : قوم سُلِخت أقفاؤُهم بالهجاء، ودُبغت جلودُهم باللؤم، فلباسهم فى الدنيا الملامة، وفى الآخرة الندامة .

وكان عيسى بن فرخان شاه يتيــه على أبى العَيْناء حال وزارته، فلمــا صرف عن الوزارة لقِىَ أبا العيناء فى بعض السكك فسلّم عليــه سلاما خفيفا ، فقال أبو العيناء لقائده : من هــذا ؟ قال : أبو موسى، فدنا منه حتّى أخذ بعنَان بغلته وقال : لقد كنت أقنع بإيمائك دون بَنَانك، وبلحظك دون لفظك ، الحمد لله على ما آلت اليه حالك، فلئن كانت أخطأت فيك النعمة، لقد أصابت فيك النِّقمة؛ ولئن كانت الدنيا أبدت صفحاتِها بالإقبال عليــك، لقد أظهرت محاســنَها بالإدبار عنك، ولله المِنّــةُ

(١) الغَرَرُ : التعرض للهلكة . (٢) السَّدَفُ : الظلمة .

إذ أغنانا عن الكذب عليك، ونزّهنا عن قول الزور فيك، وقد والله أسأتَ حمل النعمة، وما شكرتَ حقّ المنعم، ثم أطلق يده من عِنانه، ورجع الى مكانه فقيل له : يا أبا عبد الله ! لقد بالغتَ فى السَّبِّ ، فما كان الذنب ؟ قال : سألته فى حاجة أقلّ من قيمته، فردّنى عنها بأقبح من خلقته .

٥ قال بعض الأعراب : نزلت بذاك الوادى فإذا ثياب أحرار على أجسام عبيد ، إقبال حظهم، إدبار حظ الكرام، أَلَمَّ بهذا المعنى شاعر فقال

أرى حُلَلًا تُصانُ على رجال * وأعراضًا تُذَالُ ولا تُصَانُ

يقولون الزمانُ به فسادٌ * وهم فسدوا وما فَسَد الزمانُ

وسئل بعضُ البلغاء عن رجل فقال : هو صغير القَدْر، قصير الشِّبْر، ضيِّق الصدر،

١٠ لئيم النَّجر(١)، عظيم الكِبْر، كثير الفخر .

وذمّ أعرابىّ رجلا فقال : هو عبد البَدَن ، حُرّ الثياب، عظيم الرّواق، صغير الأخلاق، الدهرُ يرفعه، ونفسه تَضَعُهُ .

وقال آخر : فلان غَثٌّ فى دينه، قَذِر فى دنياه، رَثٌّ فى مُرُوءته، سَمِج فى هيئته، منقطع الى نفسه، راضٍ عن عقله، بخيل بما أنعم الله عليه، كتوم لما آتاه الله من

١٥ فضله، حَلّاف لَجُوج، إن سأل ألحف، وإن وعد أخلف، لا يُنْصِف الأصاغر، ولا يعرِف حقّ الأكابر .

وترجم الفتحُ بن عبد الله القَيْسىّ صاحبُ قلائد العِقْيان فى كتابه عن أبى بكر بن ماجة المعروف بابن الصائغ فقال : هو رَمَدُ جَفْن الدِّين، وكَمَدُ نفوس المهتدين، اشتهر سخفا وجنونا ، وهجر مَفْروضا ومَسْنُونا، فما يتشرع، ولا يأخذ فى غير الأضاليل ولا (٨١)

٢٠ (١) النَّجْر : الأصل .

يشرع ، ناهيك به من رجل ما تَطَهّر من جنابه ، ولا أظهر مَخِيلةَ إنابه ، ولا آستنجى من حَدَث ، ولا أمْحَى فؤادَه مُوارّى فى جَدَث ، ولا أقرّ ببارئه ومُصوِّره ، ولا فرّعن تباريه فى ميدان تهوّره ، الإساءة اليـه أجدَى من الإحسان ، والبهيمة أهدَى عنده من الإنسان ، نظر فى تلك التعاليم ، وفكّر فى أجرام الأفلاك وحدود الأقاليم ، ورفَضَ كتاب الله الحكيم العليم ، ونبذه وراء ظهرِه ، ثانِيَ عِطْفِه ، وأراد إبطال ما لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ، وآقتصر على الهيئة ، وأنكر أن يكون له عنـد الله تبارك وتعالى فيئة ، وحكم للكواكب بالتدبير ، وآجترم على الله اللطيف الخبير ، وآجترأ عند سماع النهى والإيعاد ، وآستهزأ بقوله تعالى : (إِنَّ ٱلَّذِى فَرَضَ عَلَيْكَ ٱلْقُرْآنَ لَرَادُّكَ إِلَىٰ مَعَادٍ) فهو يعتقـد أن الزمان دَوْر ، وأن الإنسان نبات له نَوْر ، حَمامُه تَمامُه ، وآختلافه فطامه ، قد مُحِى الإيمـان من قلبه فما له فيه رسم ، ونَسِىَ الرحمنَ لسانُه فما يمرّ له عليه آسم ، وآنمّت نفسه للضلال وآنتسبت ، ونفت يوما تُجْزَى فيه كُلُّ نَفْسٍ بما كسبتْ ، فقصر عمرَه على طَرَب ولهو ، وآستشعر كل كبر وزهو ، وهو يَعْكِفُ على سماع التلاحين ، ويقف عليها كلَّ حين ، يعلن بذلك الآعتقاد ، ولا يؤمن بشىء قادنا الى الله فى أسلس مَقَاد ، مع منشإ وخيم[1] ، ولؤمِ أصل وخيم ، وصورةٍ شوّهها الله وقبحها ، وطلعةٍ لو رآها كاب لنبحها ، وقذارةٍ يُؤذِى البلادَ نَفَسُها ، ووضارةٍ يحكى الحداد دَنَسَها وفَنَدٍ لا يعمُر إلا كنفه ، ولَدَدٍ لا يُقَوِّم إلا الصِّفَادُ جَنَفه[2] .

وكتب أحمد بن يوسف : أما بعـد فإنى لا أعرف للعروف طريقا أوعر من طريقه إليك ، لأنه يحصل منك بين حسب دنىء ، ولسان بَذىء ، وجهل قد ملك عليك طِباعَك ، فالمعروف لديك ضائعٌ ، والشكر عندك مهجورٌ ، وإنما غايتك فى المعروف أن تُحَقِّره ، وفى وَلِيِّه أن تكفره .

(١) الخيمُ : السجيّة . (٢) الجنف : الميل .

*
* *

ومما قيل فى الهجاء من النظم

فمن ذلك قول جرير وهو أهجى بيت قالته العرب

فَغُضَّ الطَّرْفَ إنك من نُمَيْرٍ * فلا كَعْبًا بلغت ولا كِلَابَا

ولو وُضِعَتْ فِقَاحُ بَنِى نُمَيْرٍ * على خَبَثِ الحَدِيدِ إذًا لَذَابَا

وقال عبد الملك بن مروان يوما لجلسائه : هل تعلمون أهل بيت قيل فيهم شعرٌ ودُّوا أنهم آفتدَوْا منه بأموالهم، وشعرٌ لم يسرّهم به حُمْر النَّعم فقال أسماء بن خارجة : نحن يا أمير المؤمنين ! قال : وما قيل فيكم : قال : قول الحارث بن ظالم

وما قومى بثعلبة بن سعد * ولا بفزارة الشُّعْرِ الرِّقابا

فوالله يا أمير المؤمنين! إنى لَأَلْبَسُ العِمَامة الصفيقة فيخيّل إلىّ أن شعر قفاى قد بدا منها، وقول قيس بن الخطيم

هَمَمْنا بالإقامة يومَ سِرْنا * مَسِيرَ حُذَيْفة الخير بن بدرِ

فما يسرّنا أنّ لنا بها أو بِهِ حُمْرَ النَّعم، فقال هانئُ بن قبيصة النُّمَيْرىّ : أولئك نحن يا أمير المؤمنين ! قال : ما قيل فيكم ؟ قال قول جرير

* فَغُضَّ الطَّرْفَ إنك من نُمَيْرٍ *

والله لودِدْنا أننا آفتدیناه بأملا كنا، وقول زياد الأعجم

لعمرُكَ ما رِماحُ بَنِى نُمَيْرٍ * بطائشةِ الصُّدور ولا قصار

فوالله ما يسرّنا به حُمْر النَّعم

قال العسكرىّ وذكر أن جريرا لما قال

والتَّغلَبِىُّ إذا تَنَحْنَحَ لِلقِرَى * حَكَّ آسْتَهُ وتَمَثَّلَ الأَمْثَالَا

قال : قلت فيهم بيتا لو طُعِنَ أحدُهم فى آسته لم يَحُكّها ! وقالوا : مرت آمرأة بنى نُمَير فتغامزوا إليها فقالت : يا بنى نمير ! لم تعملوا بقول الله ولا بقول الشاعر، يقول الله تعالى : (قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ) ويقول الشاعر

* فَغُضَّ الطَّرْفَ إنَّكَ مِنْ نُمَيرٍ *

فخجلوا ؛ وكان النُّمَيرىّ إذا قيل له : ممن أنت؟ قال : من نُمَير، فصار يقول : من بنى عامر بن صَعْصَعَةَ .

قال العسكرىّ : ولو قيل إنَّ أهجى بيت قالته العرب قول الفرزدق لم يبعد وهو

ولو تُرْمَى بِلُؤْمِ بَنِى كُلَيْبٍ * نُجُومُ الليل ماوضَحَتْ لِسَارِى

ولو يُرْمَى بِلُؤْمِهِـمُ نهـار * لدنّس لؤمهم وَضَحَ النّهارِ

وما يَغْدُو عَزِيزُ بنى كُلَيْبٍ * ليطلبَ حاجةً إلا بجـار

ومثله قول الآخر

ولَوْ أنَّ عَبْدَ القَيْسِ ترمى بلؤمها * على الليل لم تَبْدُ النجومُ لِمَنْ يَسْرِى

وقالوا : أهجى بيت قالته العرب قول الأعشى

تَبِيتون فى المَشتا مِلاءً بطونكم * وجاراتُكم غَرْثَى يَبِتْنَ خَمائِصا

وهذا البيت من أبيات ولها سبب نذكره الآن فى هـذا الموضع وإن كان خارجا عن مكانه وذلك : أن عامر بن الطُّفَيـل بن مالك وعلقمة بن عُلاثَةَ تنازعا الزعامة فقال عامر : أنا أفضل منك ! وهى لعَمّى ولم يمت، وعمّه عامر بن مالك بن جعفر آبن كلاب وكان قد أُهتر وسقط، وقال علقمة : أنا أفضل منك ! أنا عفيف، وأنت

عاهر، وأنا وفيٌّ وأنت غادر، وأنا وَلُود وأنت عاقر، وأنا أدنَى الى ربيعة، فتداعيا الى هَرِم بن قُطْبة؛ ليحكم بينهما فرحلا اليه ومع كل واحد منهما ثلثمائة من الإبل، مائة يُطعمها مَنْ تبعه، ومائة يُعطيها للحاكم، ومائة تُعقر إذا حكم؛ فأبى هرم بن قُطْبة أن يحكم بينهما مخافةَ الشَّرّ وأبيا أن يرتحلا؛ فخلا هَرِم بعلقمةَ وقال له : أترجو أن ينفّرك رجل من العرب على عامرٍ فارسِ مُضَر؛ أندى الناس كفًّا، وأشجعهم لِقَاءً، لَسِنانُ رمح عامر أذكرُ فى العرب من الأحوص، وعمّه ملاعب الأسنة، وأُمّه كبشة بنْت عُروة الرِّحال، وجَدَّته أم البنين بنت عمرو بن عامر فارس الضَّحْياء، وأمك من النَّخَع، وكانت أمّه مُهَيْرة، وأمّ عُلاثة أخيذة من النَّخع، ثم خلا بعامر فقال له : أَعلى علقمة تفخر؟ أنت تناوئه؛ أعلى بن عوف بن الأحْوَص؛ أعفّ بنى عامر وأيمنهم نقيبة، وأحلمهم وأسودهم وأنت أعور عاقر مشئوم! أما كان لك رأى يزعك عن هذا! أكُنتَ تظنّ أن أحدا من العرب يُنَفّرك عليه؟ فلما آجتمعا وحضر الناس للقضاء قال : أنتما كركبتَيِ الجمل فتراجعا راضِيين.

قال العسكرىّ: والصحيح أنه توارى عنهما ولم يقل شيئا فيهما ولو قال : أنتما كركبتى الجمل لقال كل واحد منهما: أنا اليُمْنَى، فكان الشرّ حاضرا؛ قال وسأله عمر بن الخطاب رضى الله عنه بعدذلك بحين : لمن كنتَ حاكما لو حكمت؟ فقال : أعفِنِي يا أمير المؤمنين! فلو قلتها لعادت جَذعةً. فقال عمر : صدقتَ! مثلُك فلْيحْكُم.

قال فارتحلوا عن هَرِم لما أعياهم نحوَ عُكاظ فلقيهم الأعشى منحدرا من اليمن، وكان لمّا أرادها قال لعلقمة : آعقد لى حَبْلا فقال: أعقد لك من بنى عامر! قال: لا يغنى عنِّى قال : فمن قيس! قال: لا، قال : فما أنا بزائدك، فأتى عامر بن الطفيل فأجاره من أهل السماء والأرض فقيل له : كيف تجيره من أهل السماء؟ قال: إن مات

وَدِيَتُـه ، فقال الأعشى لعامر : أظهِر أنكما حَكَّمْتُمانِى ففعل ، فقام الأعشى فرفع عَقِيرتَه (أى صوته) فى الناس فقال

حَكَّمْتُموه فَقَضَى بينكم * أبلج مثل القَمَرِ الزاهِرِ
لا يأخذ الرِّشوة فى حُكمِه * ولا يبـالى خُسُرَ الخاسِرِ
علقمَ لا لستَ الى عامر الـ * ـناقض الأوتار والواتِرِ ٥
واللابِسِ الخيل بخيلٍ اذا * ثار عَجَاجُ الكَبَّةِ الثائرِ
إن تسدِ الحوص فلم تعدُهم * وعَامِرٌ سادَ بَنِى عَامِرِ
ساد وأَلْفَى رهْطَه سادةً * وكابِراً سادُوك عن كَابِرِ

قال وشدّ القوم فى أعراض الإبل المـائة فعقروها وقالوا : نُفِّر عامر ، وذهبت بها الغوغاء ، وجهد علقمة أن يردّها فلم يقدر على ذلك . فجعل يتهدّد الأعشى فقال ١٠

أتانى وعيد الحوص من آل عامر * فيا عبـد عمرو لو نهيتَ الأحاوِصَا
فما ذنبُنا إن جاش بحر ٱبن عَمِّكم * وبحـرك ساجٍ لا يوارى الدَّعامِصَا
كِلا أَبَوَيكم كان فَرْعا دَعامةٍ * ولكنَّهم زادوا وأصبحتَ ناقِصَا
تبيتون فى المشـتا مِلاءً بطونكم * وجاراتُكم غَرْثَى يبِتْنَ خمائِصا
يراقِبْنَ من جوع خِلَالَ مخـافةٍ * نجوم العِشاء العاتِمـات الغَوامِصَا ١٥
رمى بكَ فى أُخراهمُ تركُكَ النَّـدَى * وفضَّـل أقواما عليـك مراهِصَا
فعضّ حديدَ الأرض إن كنت ساخطا * بفيك وأحجارَ الكلاب الرّواهِصَا

قال فبكى علقمة لمـا بلغه هذا الشعر وكان بكاؤه زيادة عليه فى العار ، والعرب تعيّر بالبكاء؛ قال مهلهل

يُبكَى علينـا ولا نبكى على أحد * ونحنُ أغلظُ أكبادا من الإبل ٢٠

وقال جرير

بكى دَوْبَلٌ لا يُرقئُ اللهُ دَمْعَـه * ألا إنمـا يبكى من الذُّل دَوْبَلُ

قال عبد الملك بن مروان لأمية : مالك وللشاعر إذ يقول

إذا هتف العصفورُ طار فؤادهُ * وليثٌ حديدُ النابِ عند الشدائد

٥ فقال : أصابه حدّ من حدود الله فأقمته عليه قال : فهلّا درأته عنه بالشُّبُهات ؟ قال : كان أهون علىّ من أن أعطِّل حدّا من حدود الله فقال : يابنى أمية ! أحسابكم أحسابكم ، أنسابكم أنسابكم ، لا تعرضوا للفصحاء فإن للشعر مواسمَ لا يزيدها الليل والنهار إلا جِدّة ، والله مايسرّنى أنى هجيتُ ببيت الأعشى حيث يقول : تبيتون فى المشتا الخ ولى الدنيا بحذافيرها ولو أن رجلا خرج من عَرَض الدنيا كان قد أخذ عوضا لقول ١٠ ابن حُرْثان

على مكثريهم حقّ من يعتريهمُ * وعنـد المُقِلّين السماحةُ والبذْلُ

وهذا البيت لزهير .

وقالوا أهجى بيت قالته العرب قول الحطيئة فى الزِّبْرِقان بن بدر

دَع المكارمَ لا ترحلْ لبُغْيتِهـا * واقعُدْ فإنك أنت الطاعِمُ الكاسى

١٥ ولهذا الشعر حكاية نذكرها فى أخبار الحطيئة فى البخلاء . وقيل : اتفق جماعة من الشعراء على أن أهجى بيت قالته العرب ، قول الفرزدق فى جرير

أتم قراره كلّ معدن سَوْءه * ولكلّ سائلة تسـيل قَرَارُ

أخذه أبو تمـام فقال

وكانت زفرة ثم اطمأنت * كذاك لكل سائلة قَرَارُ

(٨٣) وقالوا أهجى بيت قالته العرب قول الأخطل لجرير

ما زال فينا رباط الخيل مُعْلمة * وفى كليب رِباطُ اللُّؤمِ والعَـارِ
قومإذا آستنبح الأضيافُ كَلْبَهمُ * قالوا لأمهم : بُولى على النّـارِ

قالت بنو تميم : ما هجينا بشىء، هو أشـدّ علينا من هـذا البيت، وهو يتضمن وجوها شتّى من الذّم : جعلهم بخلاء بالقِرَى ، وجعـل أمّهم خادمهم ، يأمرونها بكشف فَرْجها، وجعلهم يخلون بالمـاء أن يطفئوا به النار ، وجعل نارهم من قلّتها تطفى ببولة، وأغرى بينهم وبين المجوس، لتعظيم المجوس للنار، وإهانتهم لهـا إلى غير ذلك .

وقالوا أهجى بيت قالته العرب قول الطرمّاح

تميمٌ بِطُرْق اللؤمِ أهـدى من القَطَا * ولو سلكتْ طُرْق المكارم ضَلَّتِ

وقيل أهجى بيت قالته العرب قول الأعرابىّ

اللـؤمُ أكرمُ من وَبْرٍ ووالدِه * واللؤم أكرم من وَبْر وما وَلَدا
قـوم إذا ما جَنَى جانيهمُ أَمِنُوا * من لؤم أحسابهم أن يُقتَلوا قَوَدَا

وقال مسلم بن الوليد يهجو دِعْبِل الخُزاعىّ

أما الهِجَاء فدقَّ عِرْضُك دُونَه * والمَدْح عنك كما علمتَ جَليلُ
فاذهبْ فأنت طليقُ عِرْضك إنَّه * عرضٌ عززتَ به وأنت ذليلُ

وكان سبب ذلك أنه كان بخراسان عند الفضل بن سهل، فبلغ دعبل ما هو فيه من الحَظْوَة عنده، فصار إلى مَرْو، وكتب الى الفضل بن سهل

لا تعبأنْ بآبن الوليـد فإنه * يرميك بعـد ثلاثة بمَلالِ
إن المَلُول إذا تقادم عهـدُه * كانت مودّتُه كفَىْء ظِلالِ

فدفع الفضل الرُّقعة إلى مسلم، فلما قرأها قال : هل عرفت لقب دعبل وهو غلام أمرد يُفْسَق به ؟ فقال : لا، قال : كان يُلَقَّب بِمَيَّاس، وكتب إليه

مياسُ قل لى: أين أنتَ من الورى؟ * لا أنت معلوم ولا مجهولُ

أما الهجاء الخ، ومنه أخذ إبراهيم بن العباس فقال

٥ فكن كيف شئتَ وقُلْ ماتَشَاء * وأبْرِق يمينا وأرعِدْ شِمَالَا

نجا بك لؤمُك مَنجا الذُّبابِ * حمتْهُ مقاذيرُه أن يُنَالَا

وأنشد الجاحظ

ووثِقتُ أَنَّك لَا تُسَبُّ * حَمَاكَ لُؤْمُك أَنْ تُنَالَا

وقال الآخر

١٠ بِذِلَّةِ والديْك كُسِيتَ عِزًّا * وباللؤم اَجترأتَ على الجوَابِ

وقال آخر

دناءة عِرْضِك حِصْنٌ مَنِيعُ * يقيك إذا ساء منك الصنيعُ

فقل لعدوِّكَ ما تشتهِى * فأنتَ المَنيعُ الرفيعُ الوَضيعُ

وقال أبو نُوَاس

١٥ ما كان لو لم أهجُهُ غالبٌ * قام له هجوى مقامَ الشرفْ

يقول : قد أسرفَ فى هجونا * وإنما ساد بذاك السَّرفْ

غالبُ، لا تسعَ لتبنى العلا، * بلغتَ مجدا بهجائى، فقِفْ

قد كنتَ مجهولا ولكننى * نوهتُ بالمجهولِ حتى عُرِفْ

وقال أبو هلال العسكرىّ

أهنتُ هجائى يابن عُروةَ، فانتحى * علىّ ملام الناس فى البعد والقربِ

وقالوا : أتهجو مثله فى سقوطه؟ * فقلت لهم: جرَّبتُ سيفىَ فى كلبِ

وقال آبن لنكك

وعصـــبةٍ لمّـا توسّـــطهمْ * صارت علىّ الأرضُ كالخاتَمِ ٥

كأنّهــم من سوء أفهامهــم * لم يخرجوا بعدُ إلى العـالَمِ

يَضحكُ إبليسُ سرورا بهــم * لأنهـــم عارٌ عـــلى آدَمِ

وقالوا أهجى بيت قالهُ محدّث قول الآخر

قَبُحَتْ مَناظِرُهم، فحين خبرتُهم، * حسُنتْ مناظرُهم لقبح المَخْبرِ

وقال العسكرىّ: ولست أعرف فى الهجاء أبلغَ من قول الأوّل ١٠

إن يفجُروا أو يغدروا * أو يبخـلوا لم يحفِـلوا

وغدوا عليـــك مُرجَّلين كأنّهــم لم يفعـلوا!

ومن البليغ قول حسان

أبناء حار، فلن تلقى لهم شبها * إلا التيوسَ على أكتافها الشَّـعَرُ

إن نافروا نُفِروا، أو كاثروا كُثِروا، * أو قامروا الريحَ عن أحسابهم قُمِروا ١٥

كأنّ ريحهُمُ فى الناس إن خرجوا * ريحُ الكلاب إذا ما مسَّها المطرُ

وقال أيضا

أبوك أبو سوء وخالُك مثــلُه * ولستَ بخيرٍ من أبيك وخالِكا

وإن أحقّ الناس أن لا تلومَه * على اللؤم من ألفى أباه كذلكا

وقال الآخر

سلِ اللهَ ذا المنّ من فضله * ولا تسألنّ أبا وائله

فما سأل اللهَ عبدٌ له * فخاب ولو كان من باهله

وقال آخر

٥ ولو قيل للكلب : ياباهليّ * لأعولَ منْ قُبحِ هذا النسبْ!

وقال زياد : ما هُجيتُ ببيتٍ قطّ أشدّ عليّ من قول الشاعر

فَكِّرْ، ففى ذاك إن فكّرتَ معتبر * هل نلتَ مكرُمةً إلا بتأميرِ

عاشت سُميّةُ ما عاشت وما علمت * أن ٱبنها من قريش فى الجماهير

وقال إبراهيم بن العباس

١٠ ولما رأيتك لا فاسقا * تُهابُ ولا أنت بالزاهدِ

وليس عدوك بالمتّقِى * وليس صديقك بالحامدِ

أتيتُ بك السوقَ سوقَ الهوان * فناديت : هل فيك من زائدِ؟

على رجلٍ غادر بالصديق * كفورٍ لنعمائه جاحدِ

فما جاءنى رجُلٌ واحد * يزيد على دِرهم واحدِ

١٥ سوى رجُلٍ حان منه الشقاء * وحلّت به دعوة الوالدِ

فبعتُك منه بلا شاهدٍ * مخافةَ ردِّك بالشاهدِ

وأبتُ الى منزلى سالما * وحلّ البلاء على الناقد

وقال العسكرى

إن كان شكلُك غيرَ متّفقٍ * فكذا خلالك غير مؤتلفهْ

٢٠ صُوِّرْتَ من نُطَفٍ قد ٱختلفتْ * فأتت خلالُك وهي مختلفهْ

من عصبةٍ شتّى اذا اجتمعوا * شبّهتُ داركم بهـم عرفَهْ
فورثتَ من ذا قُبْحَ مَنظَرِه * وورثتَ ذاك خناه أو صلفَهْ

(٨٤)

وقال الحسن بن مطران شاعر اليتيمة

كم غصتُ فى مدحك فكرا على * درٍّ نفيس غـيرِ مثقـوبِ
ولم يغصْ رأيُك يوما عـلى * برّ، ولا رأيٌ لمكذوبِ
إن كان موعودك فى الجود لى * أكذب من موعودِ عُرقوبِ
فإنّ أخبـارك فى مدحتى * أكذبُ من ذئب ابن يعقوبِ

٥

وقال أحمد بن محمد بن حامد شاعر الخريدة

بُليت بقومٍ ما لهم فى العـلا يدٌ * ولا قدمٌ تسعى لبذل الصـنائع
اذا نظَرتْ عينى اليهم تنجّستْ * برؤيتهـم طهرّتُهـا بالمـدامع

١٠

وقال المتنبّى

إن أوحشتك المعالى * فإنهـا دار غُربَـهْ
أو آنستك المخازى * فإنهـا بك أشـبَهْ

وقال أبو عبد الله الحسين بن محمد بن الحجّاج

ولقـد عهـدتك تشـتهى * قربى، وتستدعى حضورى
وأرى الجفـا بعـد الوفا * مثل الفُسـا بعـد البخورِ
يا خرْية العـدس الصحـ*ـيح النِّيء والخبزِ الفطيرِ
فى جوف منحلّ الطبيـ*ـعة والقُوَى شيخٍ كبيرِ
يخرَى فيخرجُ سُـرمُه * شِبرينْ من وجعِ الزحيرِ
يا فَسـوةً بعـد العَشـا * بالبَيْض واللبنِ الكثيرِ

١٥

٢٠

وفطائرٍ عُجنتْ بلا الشـ * ـملح الجريش ولا الخمير
يا نَتْنَ رائحةِ الطبيـ * ـخ إذا تغيّر فى القدورِ
يا عُشَّ بيضِ القمْل فـ * ـرَّخَ فى السوالف والشعورِ
يا بولَ صبيان الفِطا * مِ ويا خراهم فى الججورِ
٥ يا بعض تدخين الحشا * فى الصوم من تُخَم السّحورِ
يا حَرَّ قُولَنج البطو * نِ، وبردَ أعصابِ الظهورِ
يا ذِلّة المظلوم أصـ * ـبح وهو معدومُ النصيرِ
يا سوءَ عاقبة التفـ * ـقُّد عند تشبيه الأمور
يا كلَّ شىء مُتعِبٍ * متعقِّدٍ صعبٍ عسيرِ
١٠ يا حَيْرَةَ الشيخ الأصـ * ـمّ، وحسرةَ الحَدَثِ الضريرِ
يا قعدةً فى دِجلَة * والريحُ تلعبُ بالجسورِ
يا قرحةَ السلّ التى * هتّتْ شراسيفَ الصدورِ
يا أربعاء لا تـدو * ر به مَخَافاتُ الشهورِ
يا هدَّة الحيطان تُنـ * ـقَضُ بالمعاوِلِ والمُرورِ
١٥ يا قَرحةً فى ناظـرٍ * غلطوا عليها بالذّرورِ
فتسلّختْ مع ما يليـ * ـها فى الجفون من البُثورِ
يا خيبةَ الأمل الذى * أمسَى يعُلَّل بالغرورِ
يا غُلمةَ المتخدّرا * تِ وراء أبواب القُصورِ
يا وحشةَ الموتَى إذا * صاروا إلى ظُلَم القبورِ
٢٠ يا ضجرةَ المحموم بالـ * ـغدَواتِ من ماء الشعيرِ

يا شـؤمَ إقبـالِ الشـــتا * ءِ أضرَّ بالشـــيخ الفقــيرِ
يا دولةَ الحُسْنِ التي * خُسِفَتْ بأيّام السّــرورِ .
يا ضجّـــةَ الضَّجِرِ المصـــدَّع بالتنازُع والشّــرورِ
يا عـــثرَةَ القــلم المرشَّـــش بين أثنـاءِ السطور
يا ليــلةَ العُريان غِبَّ عشـــيّةِ اليومِ المَطــيرِ ٥
يا نومـــةً فى شمس آ * بَ على الترابِ بلا حَصيرِ
يا لجاةَ المكروه فى الـــشبوم العبوس القَمطريرِ
يا نهمةَ الكَلْبِ الرضيـــع ونَكهةَ الليثِ الهصــور
يا عيشَ عانٍ موثَقٍ فى القَيْـد مغلولٍ أســـيرِ
يا حِـــدّة الرَّمَد الذى لا يستفيقُ من القُطورِ ١٠
يا عيشةَ الكَأس من شَـــمِّ الذرائرِ والعبـــيرِ
يا حَيْرة العطشانِ وقـــتَ الظُّهر فى وسَـط الهبيرِ
من لى بأن تلقاك خيـــلُ بنى كلاب بلا خفــيرِ
وأرى بعينى لحمَك المطبـــوخَ فى حَـــرّ الهجــيرِ
فى الأرض ما بين السبا * ع وفى السما بين النُّسورِ ١٥

وقال المتنبّى

يمشى بأربعـــة على أعقـابه * تحت العلوج ومن وراء يُلجمُ
وجفونه ما تســـتقرّ كأنها * مطروفةٌ أو فُتَّ فيها حِصرِمُ
وتراه أصـــغر ما تراهُ ناطـــقا * ويكونُ أكذبَ ما يكونُ ويُقسمُ

وإذا أشــار مكلّما فكأنه * قِردٌ يُقهقِهُ أو عجــوزٌ تَلطِــمُ
يَقلَى مُفــارقةَ الأكفِّ قَذالُه * حتى يكادَ على يدٍ يتعمّمُ

✤

وممــا يذمّ به الرجل أن يكون ثقيلا، فأبلغ ما قيل فى ذلك قول بعضهم

٥ وثقيل أشدّ من غَصَصِ المو * ت ومن زَفْرة العذابِ الأليمِ
لو عَصَتْ ربَّها الجحيمُ لمــا كا * ن ســواه عقــوبةٌ للجحيمِ

وأبلغ ما قيل فى هذا المعنى قول بشّار

ولقد قلتُ حينَ وَتّدَ فى الأر * ض ثقيــلٌ اربَى على ثَهْلانِ
كيف لم تَحمِلِ الأمانةَ أرضٌ * حَمَلت فــوقَها أبا سُــــفْيانِ

١٠ ✤

وممــا هجى به أهلُ الوقت على الإطلاق، من ذلك قول أبى هــلال العسكرىّ

كم حاجةٍ أنزلتُها * بكريم قومٍ أو لئــيمِ
فإذا الكريمُ من اللئيــــم أو اللئيمُ من الكريمِ
١٥ ســبحان ربٍّ قادرٍ * قَدَّ البريّةَ من أديمِ
فشريفُهم ووضيعُهم * سيّان فى سَفَهٍ ولُومِ
قد قلّ خيرُ غنيّهــم * فغنيُّهم مثلُ العَــديمِ
وإذا آختبرتَ حميدَهم * ألفيْتَه مثــلَ الذميمِ

*
* *

ومـــا قيل فى هجاء بعض العشـيرة ومدح بعضهم ، فمن ذلك قول أبى عُيينة ليهجوَ خالدَ بنَ يزيد المُهلّبيّ ويمدحُ أباه

أبوكَ لنا غَيثٌ نعيشُ بفضلِه * وأنت جَرادٌ ليس يُبْـقى ولا يَذَرْ
له أثرٌ فى المَكْرُمات يَسُرُّنا * وأنت تُعَـفِّى دائبًا ذلك الأثَرْ
لقـد قُنِّعتْ قحطانُ خِزْيًا بخالدٍ * فهل لك فيه يُخْزِكَ اللهُ يامُضَرْ؟

وله فى قَبيصة بن رُوح، يُفَضِّل عليه آبنَ عمِّه داودَ بنَ يزيد بن حاتم

أَقَبِيصُ لستَ وإن جهدتَ ببالغ * سَعْىَ آبنِ عمِّكَ ذِى النَّدى داودِ
شَتَّان بينـك ياقبيصُ وبينَـهُ * إن المُذَمَّمَ ليس كالمحمودِ
داودُ محمـــودٌ وأنت مُـذَمَّمٌ * عجبًـا لذاك وأنتمـا من عُـود
ولرُبَّ عُودٍ قد يُشَقُّ لمسـجدٍ * نصفًا وسائرُه لحشِّ يَهُـودِى

وقال حسّان فى أبى سُفْيان بن الحارث

أبوكَ أبٌ حُرٌّ وأمُّـك حُرَّةٌ * وقد يَلِدُ الحُـرَّان غيرَ نجيبِ
فلا تعجبنّ الناسُ منك ومنهما * فما خَبَثٌ من فِضَّةٍ بعجيبِ

ذكر ما قيل فى الحسد

ومـــا يذمّ به الرجلُ، أن يكون حسودا ، وقد أمر الله تعالى نبيّه عليـه الصلاة والسلام، أن يتعوّذ من شرّ الحاسد إذا حَسَد

قال آبن السمّاك

أنزل الله تعالى سورة جعلها عُوذةً لخلقه من صنوف الشرّ، فلما انتهى الى الحسد، جعله خاتما إذ لم يكن بعده فى الشرّ نهاية، والحسد أوّل ذنب عُصِىَ الله تعالى به فى السماء، وأول ذنب عُصِىَ به فى الأرض، أما فى السماء، فحسد إبليسَ لآدمَ، وأما فى الأرض، فحسد قابيلَ لهابيلَ، وذهب بعضُ أهل التفسير فى قوله عزّ وجلّ إخبارا عن أهل النار (رَبَّنَا أَرِنَا ٱللَّذَيْنِ أَضَلَّانَا مِنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنْسِ نَجْعَلْهُمَا تَحْتَ أَقْدَامِنَا لِيَكُونَا مِنَ ٱلْأَسْفَلِينَ) أن المراد بالجنّ إبليس، و بالإنس قابيل، وذلك أن إبليسَ أوّلُ من سَنّ الكفرَ، وقابيلَ أوّلُ من سَنّ القتلَ، وأصل ذلك كلّه الحسدُ .

وقال عبد الله بن مسعود : لا تُعادُوا نِعَمَ الله، فقيل له : ومن يُعادى نِعَمَ الله ؟ قال : الذين يَحْسُدُون الناسَ على ما آتاهم الله مِن فَضْلِه، يقول الله تعالى فى بعض الكتب : الحَسُودُ عدوُّ نِعْمَتى، مسخِط لقضائى، غيرُ راض بقسمتى .

وقالت الحكماء : إذا أراد الله، أن يُسَلِّطَ على عبد عدوًّا لا يرحمه، سلَّط عليه حاسدا .

وكان يقال فى الدعاء على الرجل : طلبك من لا يَقْصِّر دون الظَّفر، وحسدك من لا ينام دون الشَّقاء .

وقالوا : ما ظنُّك بعداوة الحاسد، وهو يرى زوالَ نعمتك نعمةً عليه ؟

قال أبو الطيب المتنبى

سوى وجع الحساد داءٌ فإنه * إذا حَلَّ فى قلبٍ فليس يَحُولُ
ولا تطمعَنْ مِن حاسِدٍ فى مَوَدَّةٍ * وإن كنتَ تُبْدِيها له وتُنِيلُ

وقال البَبَّغاءُ

ومن البلية أن تُداوىَ حِقْدَ مَنْ ... نِعَمُ الإله عليك من أحقادهِ

وقال علىّ رضى الله عنه

لا راحةَ لحَسُود، ولا أخ لِمَلُول، ولا مُحِبَّ لسيئ الخُلُق .

وقال الحسن ٥

ما رأيت ظالماً أشبهَ بمظلوم من حاسد؛ نفَس دائم، وحزن لازم، وعَبْرة لا تنفد، ثم قال : لله دَرُّ الحسد ما أعدله ! يقتل الحاسد قبل أن يَصِلَ الى المحسود .

وقال الجاحظ : من العدل المَحْض، والإنصاف الصحيح، أن تَحُطَّ عن الحاسد نِصفَ عِقابه، لأن ألَمَ جسمه، قد كفاك مَئُونَة شطر غيظك عليه .

وقيل : الحسد أن تُمنى زوال نعمةِ غيرك، والغبطة أن تُمنى مثلَ حالِ صاحِبك. ١٠
و فى الحديث : « المُؤمِنُ يَغْبِط ، والمنافق يَحْسُدُ » .

وقال أرسطاطاليس : الحسد حسدان : محمود، ومذموم، فالمحمود أن ترى عالماً فتشتهى أن تكون مثله، وزاهدا فتشتهى مثل فعله . والمذموم أن ترى عالماً وفاضلا فتشتهى أن يموتا . وقيل : الحسود غضبان على القَدَر، والقدر لا يعْتبه .

قال منصور الفقيه ١٥

ألا قُلْ لمن كان لى حاسدا * أتدرى على من أسأتَ الأدبْ
أسأتَ على الله فى فضله ... إذا أنتَ لم تَرْضَ ما قد وَهَبْ

وقال المتنبّى

وأظلم أهلِ الأرض من بات حاسدا ... لمن بات فى نَعْمَائه يتقلّبُ

ومن أخبار الحَسَدة : ما حكى ، أنه اجتمع ثلاثة نفر منهم ، فقال أحدهم لصاحبه : ما بلغ من حسدك ؟ قال : ما اشتهيتُ أن أفعل بأحد خيرا قطُّ ، فقال الثانى : أنت رجل صالح، أنا ما اشتهيت أن يفعل أحد بأحد خيرا قطّ، فقال الثالث : ما فى الأرض أفضل منكما، أنا ما اشتهيت أن يفعل بى أحد خيرا قط .

٥

⁂

ومما قيل من الشعر فى تفضيل المحسود ومدحه، وهجاء الحاسد وذمّه،

قال بعض الشعراء

إن يحسُدونى فإنى غيرُ لائمهم ٭ قبلى من الناس أهلَ الفضل قد حَسدوا

فدام لى ولهم مابى وما بهمُ ٭ ومات أكثرنا غَمًّا بما يَجِدُ

١٠ وقال آخر

إن الغرابَ وكان يَمشى مِشْيةً ٭ فيما مضى من سالف الاحوالِ

حَسَد القَطاةَ ورامَ يَمْشِى مشيَها ٭ فأصابه ضَرْب من العُقَّالِ

وقال آخر

حَسَدوا الفتَى إذْ لم ينالوا سَعْيَه ٭ فالقومُ أعداءٌ له وخُصُومُ

١٥ كضرائرِ الحَسْناء قُلْن لوجهِها ٭ حَسَدًا وبَغْيًا إنّه لدَمِيمُ

وقال البُحترىّ

لا تحسُدوه فضلَ رُتْبته التى ٭ أَعْيتْ عليكم وافعلوا كفِعَالِه

وقال السَّرِىّ الرفّاء

نالتْ يدَاه أقاصِىَ المجدِ الّذى ٭ بَسَط الحسود إليه باعا ضَيِّقَا

أَعَدوّهُ هـــل للسّماك جَرِيرَةٌ * فى أَنْ دَنوتَ من الحَضيض وحلّقا؟

أم هل لِمَنْ مَلأَ اليدَيْنِ من العُلَا * ذَنْبٌ إذا ما كنتَ منها مُمْلِقَا؟

وقال أبو تمـام الطائىّ

وإذا أراد الله نَشْرَ فضـــيلةٍ * يوما أتاح لهـا لِسَانَ حَســودِ

لولا آشتعال النار فيما جاورتْ * ما كان يُعرفُ طِيبُ عَرْفِ العُودِ ٥

وقال البُحترىّ

ولن يَسْتَبِينَ الدَّهرَ مَوْضِعُ نِعمةٍ * إذا أَنْت لم تُدْلَلْ عليها بحاســدِ

وقال محمد بن مُناذِر

يا أَيُّهـا العاتِي وما بِيَ مِنْ * عَتْبٍ ألا تَرْعَوِى وتَزْدَجِرُ!

هل لك عنـدى وِتْرٌ فتطلبُهُ * أم أنت ممّـا أتيتَ مُعْتَذِرُ؟ ١٠

إن يك قِسْمُ الإلٰهِ فَضَّلنِي * وأنت صَلْدٌ مافيـك مُعْتَصَرُ

فالحمـد والشـكر والثناء له * وللحســود التُّرابُ والحَجَــرُ

ما ذا الذى يَجْتَنِي جليسُكَ أو * يبدُو له منك حين يَخْتَـبِرُ

اقـرأْ لنـا ســورةً تُذَكِّرُنا * فإن خيرَ المواعظِ السُّــوَرُ

أَوْ صِفْ لنا الحُكْمَ فى فرائضنا * ماتســتحِقّ الأُنْثَى أو الذَّكَرُ ١٥

أَوِ آرْوِ فِقْهًا تُرْوَى القلوبُ بِه * جاء به عن نبيِّنا الأَثَرُ

أو من أحاديثِ جاهليّتِنَا * فإنهـا حِكمـةٌ ومفتخَــرُ

أَوِ آرْوِ عن فارِسٍ لنا مَثَلًا * فإن أمثالَهـا لنـا عِبَرُ

أوغَنِّ صوتا تُشْجِى النفوسَ به * وذَنْبُ ما قـد أتيتَ مُغْتَفَرُ

فإن تكنْ قد جَهِلتَ ذاك وذا * ففيك للناظرين مُعْتَـبَرُ ٢٠

ذكر ما قيل فى السّعاية والبَغْى والغِيبة والنَّميمة

قال الله تعالى : (يَأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّمَا بَغْيُكُمْ عَلَىٰ أَنفُسِكُمْ) . وقال تعالى : (ثُمَّ بُغِىَ عَلَيْهِ لَيَنصُرَنَّهُ ٱللَّهُ) . وقال تعالى : (هَمَّازٍ مَّشَّاءٍ بِنَمِيمٍ مَّنَّاعٍ لِّلْخَيْرِ مُعْتَدٍ أَثِيمٍ عُتُلٍّ بَعْدَ ذَٰلِكَ زَنِيمٍ) . وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « من كان يُؤمن بالله واليومِ الآخر فلا يَرْفَعَن إلينا عورَة أخيه المؤمن » . وقال صلى الله عليه وسلم : « لا يَرَاحُ القَتَّاتُ رَائحَةَ الجَنَّةِ » . وفى لفظ « لايدخُل الجنَّةَ قَتَّاتٌ » ، والقَتَّاتُ : النَّمَّام .

قال بعض الشعراء

فلا تَسعَ على أحَد بِبَغْيٍ * فإن البَغْىَ مَصرَعُه وَخِيمُ

وقال العتَّابِىّ

بَغَيتَ فلم تَقَعْ إلا صَرِيعًا * كذاك البغىُ مصرعُ كلِّ بَاغِى

وسأل رجل عبد الملك بن مروان الخَلْوَةَ ، فقال لأصحابه : إذا شِئتُم ، فقاموا ، فلما تهيّأ الرجل للكلام ، قال له : إياك أن تمدحَنى فإنى أعلم بنفسى منك ، أو تكْذِبنى ، فإنه لا رأْى لِكَذُوب ، أو تسعى إلىّ بأحد ، وإن شئتَ أقلتُك ، قال : أقلنى .

قال : ولمـا وَلِى عبد العزيز بن الوليد بن عبد الملك دِمَشْقَ ، ولم يكن فى بنى أُمَيَّة ألبُّ منه فى حداثة سنّه ، قال أهل دمشق : هذا غلام شابٌّ ، ولا علم له بالأمور ، وسيسمع منا ، فقام إليه رجل ، فقال : أصلح الله الأميرَ ، عندى نصيحةٌ ، فقال له : يا ليتَ شعرى ، ما هـذه النصيحةُ التى ٱبتدأتنى بها من غير يدٍ سبقتْ منّى إليك ؟ فقال : جارٌ لى عاصٍ ، متخلّف عن ثَغره ، فقال له : ما ٱتقيتَ الله ، ولا أكرمتَ أميرَك ، ولا حفظت جِوارَك ، إن شئتَ ، نظرْنا فيا تقول ، فإن كنتَ صادقا ؛

لم ينفعك ذلك عندنا ، وإن كنتَ كاذبا ، عاقبناك ، وإن شئتَ ، أقلناك ، قال :
أقلنى ، قال : آذهب حيث شئتَ ، لا صَحِبك الله ، ثم قال : يا أهلَ دِمَشْق ، ماأعظَمتم
ما جاء به الفاسقُ ، إن السِّعاية أحْسَبُ منه سجيّةً ، ولولا أنه لا ينبغى للوالى أن
يعاقِبَ ، قبل أن يُعاتِبَ ، كان لى فيه رأىٌ ، فلا يأتى أحد منكم بسِعاية على أحد ،
فإن الصادق فيها فاسق ، والكاذبَ بَهّاتٌ . وسَعَى رجل برجل إلى عُمَرَ بن عبد العزيز ٥
رضى الله عنه ، فقال : إن شئتَ نظرنا فى أمرك ، فإن كنتَ كاذبا ، فأنت من هذه
الآية : (إِنْ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَإٍ) وإن كنتَ صادقا ، فأنت من هذه الآية : (هَمَّازٍ
مَشَّاءٍ بِنَمِيمٍ) وإن شئت عفونا عنك ، قال : العفو يا أمير المؤمنين ، قال : على أن
لا تعودَ .

وكتب محمد بن خالد إلى آبن الزيّات : إن قوما صاروا إلىّ مُتَنَصِّحين ، فذكروا ١٠
أن رُسُوما للسلطان قد عَفَتْ ودَرَستْ ، وأنه توقّف عن كشفها إلى أن يعرف
مَوقِع رأيه فيها ، فوقّع على رُقْعته : قرأت هذه الرُّقعةَ المذمومة ، وسُوق السُّعاة
مُكْسِدٌ عندنا ، وألسنُتهم تَكِلُّ فى أيامنا ، فاحمل الناس على قانونك ، وخذهم بما
فى ديوانك ، فلم نرِد للناحية لكشف الرسوم العافية ، ولا لِتُحْيِيَ الأعلام الداثرة ،
وجنّبنى وتجنّب قول جرير ١٥

وكنت إذا حَلَلْت بدار قوم * رَحلْتَ بِخزْيةٍ وتركتَ عارَا

قالوا : وكان الفضل بن يحيى يكره السّعاة ، فإذا أتاه ساع ، قال له : إن صَدَقْتنا ،
أبغضناك ، وإن كَذَبْتَنا ، عاقبناك ، وإن آستقلتنا ، أَقَلْناك .

وحكى صاحب العقد قال : قال العُتْبِىّ ، حدّثنى أبى عن سعيد القصرىّ ،
قال : نظر إلىّ عمرو آبن عُتْبة ورجل يشتُم بين يَدىّ رجلا ، فقال لى : وَيْلَك ، ٢٠

وما قال لى و يلك قبلها : نَزِّه سمعك عن آستماع الخَنَا ، كما تُنَزِّه لسانَك عن الكلام به ، فإن السامع شريك القائل ، و إنه عمد إلى شرِّ ما فى وِعَائه ، فأفرغه فى وِعَائك ، ولو رُدَّتْ كلمةُ جاهل فى فيه ، لَسَعَدَ رادُّها ، كما شَقِىَ قائلها ، وقد جعله الله تعالى شريك القائل ، فقال : (سَمَّاعُونَ لِلْكَذِبِ أَكَّالُونَ لِلسُّحْتِ) .

٥

وممـا قيل فى الغِيبة والنَّمِيمة ، روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : « إذا قلت فى الرجل ما فيه فقد آغتبتَه و إذا قلت ما ليس فيه فقد بهتّه » .

اغتاب رجل رجلا عند قُتَيبة بن مسلم ، فقال له : أَمْسِك عليه أيُّها الرجلُ ، والله لقد تلمظتَ بمُضْغة طالمـا لفظتْها الكرام .

١٠ وذكر فى مجلسه رجل ، فنال منه بعض جلسائه ، فقال له : يا هذا أوحشتَنا من نفسك ، وأيأستَنا من مودّتك ، ودلّلتنا على عَوْرتك .

وآغتاب رجل عند بعض الأشراف ، فقال له : قد آستدللتُ على كثرة عيوبك ، بمـا تَذْكُر من عيب الناس ، لأن الطالب للعيوب ، إنمـا يطلبها بقدر ما فيه منها ، أما سمعت قول الشاعر

١٥ لَا تَهْتِكَنْ من مَساوِى الناسِ ماسَتَرُوا * فيهتِك الله سِـتْرا من مساوِيكَا
وآذْكرْ محاسنَ ما فيهـم إذا ذُكِرُوا * ولا تَعِبْ أحدا منهـم بِمَـا فيكَا

وقال آبن عبَّاس رضى الله عنهما

أُذكرْ أخاك إذا غاب عنك بمـا تُحِبُّ أن يذكرَك به ، ودَعْ منه ما تُحِبُّ أن يَدَع منك .

وقال بعض الملوك لولده وهو ولىّ عهـده : يا بُنَىّ ليكنْ أبغضُ رعيتك إليك ، أشدّهم كشفا لمعايب النـاس عندك ، فإنّ فى الناس معايبَ وأنت أحق بِسَتْرِها ، وإنمـا تحكم فيما ظهر لك ، والله يحكُم فيما غاب عنـك ، وآكره للنـاس ما تكرهُه لنفسك ، وآسترُ العورةَ ، يَسْتُرِ الله عليك ، ما تُحِبُّ سَتْرَه ، ولا تعجّل الى تصديق ساع ، فإن الساعِىَ غاشٌ ، وإن قال قَوْلَ نُصْحٍ .

وَوَشَى واشٍ برجل الى الإسكندر فقال له : أَتُحِبّ أن تقبلَ منك ما قلتَ فيه ، على أن نقبلَ منه ما يقول فيك؟ قال : لا ، قال : فَكُفَّ عن الشر، نكفّ عنك .

وقال ذو الرِّياستين : قَبُول النميمة ، شرٌّ من النميمة ، لأن النميمةَ دَلالة ، والقبول إجازة ، وليس من دَلَّ على شىء ، كمن قَبِلَه وأجازه .

قال أبو الأسود الدُّؤَلِىّ

لا تقبلَنّ نميمةً بُلِّغتَهـا ... وتحفظَنّ من الذى أنباكها

إن الذى أهدى إليك نميمةً ... سَيَنُمُّ عنك بمثلها قد حاكها

وقال رجل لعمرو بن عُبَيد : إن الأساوِرِىّ لم يزل يذكرك ، ويقول : الضالّ ، فقال عمرو : يا هذا ! والله ما راعيتَ حقَّ مجالستِه ، حتَّى نقلتَ إلينا حديثَه ، ولا راعيتَ حقِّى ، حين أبلغتَنى عن أخى ما أكرَهُه ، اعلم أن الموت يعمّنا ، والبعثَ يَحْشُرنا ، والقيامةَ تجمعنا ، والله يحكم بيننا .

وقال معاوية للأحنف فى شىء بلغه عنه ، فأنكره الأحنف : بلَّغنى عنك الثقة ، فقال الأحنف : إن الثقة لا يُبلِّغ .

قال بعض الشعراء

لعمرُك ماسَبَّ الأميرَ عدوُّه * ولكنما سَبَّ الأميرَ المُبَلِّغُ

وقال آبن المعتزّ : الساعى كاذب لمن سعى إليه، خائن لمن سعى عليه .

وقالوا : النَّمام، شرٌّ من الساحر، فإن النمامَ، يُفسد فى الساعة الواحدة، ما لا يفسده الساحر فى المدة الطويلة .

وقالوا : النميمة، من الخلال الذميمة، تدُلُّ على نفس سقيمة، وطبيعة لئيمة، مشغوفة بهتك الأستار، و إفشاء الأسرار .

وقال بعض الحكماء : الأشرار يتتبعون مساوئَ الناس، ويتركون محاسنهم، كما يتتبع الذباب المواضع الألِمَةَ من الجسد، ويترك الصحيحة .

وقالوا : لم يَمْشِ ماش، شرٌّ من واش . والساعى بالنميمة، كشاهد الزُّور، يهلك نفسه، ومن سعى به، ومن سعى اليه .

وقالوا : حَسْبُك من شرٍّ سَمَاعه . وقد لهج الشعراء بذمّ النمام، وجعلوه من أهاجيهم .

قال بعض الشعراء

من نَمَّ فى الناس لم تُؤْمَنْ عقاربُه * على الصديق ولم تُؤْمَنْ أَفَاعِيهِ

كالسَّيل بالليل لا يدرى به أحدٌ * من أينَ جاء ولا من أين يأتيه

وقال السَّرِىُّ الرَّفَّاء

أَنَمّ بما آستودعتَه من زُجاجة * تَرَى الشىءَ فيها ظاهرا وهو باطِنُ

وقال محمد بن شَرَف

وناصبٍ نحوَ أفواه الورى أُذُنًا * كالقَعْب يلْقُط فيها كلّ ما سَقَطَا

يَظَلُّ يلتقِـط الأخبارَ مجتهِـدًا * حتى إذا ما وعاها زَقَّ ما لقطَا

وقال ٱبن وكيع

يَنُمُّ بسرّ مسترْعيـه لُؤْما * كما نَمَّ الظلامُ بسرِّ نارِ ٥

أَنَمّ من النُّصول على مَشِيب * ومن صافى الزُّجاج على عُقارِ

وقال الحسن البصرىّ : لا غِيبة فى ثلاثة : فاسقٍ مجاهِرٍ ، و إمامٍ جائرٍ ، وصاحبِ بِدْعة .

وكتب الكِسائىّ الى الرقاشىّ

تركت المسجد الجامـ * ـعَ والتَّركُ له رِيبهْ ١٠

وأخبـارُك تأتينـا * على الأعلام مصوبهْ

فإن زدت من الغيبـ * ـة زدناك من الغِيبهْ

ذكر ما قيل فى البخل واللؤم

والبخل منع الحقوق و إليه الإشارة بقوله تعالى : (وَٱلَّذِينَ يَكْنِزُونَ ٱلذَّهَبَ وَٱلْفِضَّةَ وَلَا يُنْفِقُونَهَا فِى سَبِيلِ ٱللهِ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ يَوْمَ يُحْمَى عَلَيْهَا فِى نَارِ جَهَنَّمَ ١٥ فَتُكْوَى بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ وَظُهُورُهُمْ هَـٰذَا مَا كَنَزْتُمْ لِأَنْفُسِكُمْ فَذُوقُوا مَا كُنْتُمْ تَكْنِزُونَ) . وقال تعالى : (وَلَا يَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ يَبْخَلُونَ بِمَا آتَاهُمُ ٱللهُ مِنْ فَضْلِهِ هُوَ خَيْرًا لَهُمْ بَلْ هُوَ شَرٌّ لَهُمْ سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخِلُوا بِهِ يَوْمَ ٱلْقِيَامَةِ) .

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « خَلّتانِ لا تجتمعان فى مؤمن : البخلُ وسوءُ الخُلُقِ » .

وقال بعض السلف : منع الجود، سوء ظن بالمعبود، وتلا (وَمَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُ وَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ)

٥ وروى أبو بكر الخطيب فى كتاب البخلاء، بإسناده عن أبى هُرَيْرة عن النبيّ صلى الله عليه وسلم، أنه قال: "لما خلق الله تعالى جَنَّة عَدْن، قال لها: تزيّنى فتزينت، ثم قال لها : أَظْهِرِى أنهارَك ، فأظهرتْ عَيْنَ السلسبيل ، وعين الكافور ، وعين التسنيم ، ونهر الخمر ، ونهر العسل ، ونهر اللبن ، ثم قال لها : أظهرى حُورَك ، وحُلَلَك ، وسررك وحجالك ، ثم قال لها : تكلّمِى ، فقالت : طُوبَى لمن دخلنى ، فقال

١٠ الله عزّ وجل : أنتِ حرام على كل بخيل" .

وقال سُقراط : الأغنياءُ البخلاءُ ، بمنزلة البِغَال والحَمِير ، تحمل الذهب والفضة ، وتعتلف التِّبنَ والشعيرَ .

وقالوا : البخلُ من سوء الظن ، وخمول الهِمّة ، وضعف الروِيّة ، وسوء الاختيار ، والزُّهد فى الخيرات .

(٩١)

١٥ وقال الحسن بن علىّ رضى الله عنهما : البخل جامع للمساوئ والعيوب ، وقاطع للمودّات من القلوب .

وقالوا : حدُّ البخل ، منع المسترِفد مع القدرة على رِفْده .

وكان أبو حنيفة لا يقبل شهادة البخيل ، ويقول محتجّا لذلك : إن البخيل يحمله بخلُه ، على أن يأخذ فوق حقّه ، مخافةَ أن يُغْبن ، ومن كان هكذا لا يكون مأمونا .

وقال بشر بن الحارث الحافى : لا غِيبة لبخيــل ، ولَشُرَطِىٌّ سخِىٌّ أحبّ إلىّ من عابد بخيل .

وقالوا : البخيل لا يستحق ٱسمَ الحُرِّية ، فإن ماله يملكه .

ويقال : لا مال للبخيل ، وإنما هو لمــاله .

وقال الحسن البصرىّ : لم أر أشقى بماله من البخيل ؛ لأنّه فى الدنيا يَهْتَمُّ بجمعه ، وفى الآخرة يحاسَبُ على منعه ، غيرَ آمن فى الدنيا من همه ، ولا ناج فى الآخرة من إثمه ، عيشه فى الدنيا عيشُ الفقراء ، وحسابه فى الآخرة حساب الأغنياء . ودخل رحمه الله على عبــد الله بن الأهتم يعوده فى مرضه ، فرآه يُصَــعِّدُ بَصَرَه ويُصَوِّبه الى صُندوق فى بيته ، ثم ٱلتفت اليــه ، فقال : ياأبا سعيد ، ما تقول فى مائة ألف دينار فى هــذا الصندوق لم أُؤَدِّ منها زَكاةً ولم أَصِــلْ بها رَحِماً ؟ فقال له : ثكلتْكَ أمك ! ولم كنتَ تجمعها؟ قال لرَوْعة الزمان ، وجَفْوَة السلطان ، وتكاثر العشــيرة ، ثمّ مات ، فشَهِده الحسن ، فلما فَرَغ من دفنه ، ضرب بيده على القبْر ، ثم قال : انظروا إلى هذا ، أتاه شيطانه فخوَّفه رَوْعَةَ زمانه ، وجفوة سلطانه ، بما ٱستودعه الله إيّاه ، وعمّره فيه ، انظروا اليه كيف خرج مذموما مَدْحُورا ! ثم ٱلتفت إلى وارثه ، فقال : أيها الوارث لاتُخْدَعَنَّ كما خُدِع صُوَيْحِبُكَ بالأمس ، أتاك هذا المــال حلالا ، فلا يكونن عليك وَبَالا ، أتاك عفوا صفوا ، ممن كان له جَمُوعا مَنُوعا ، من باطل جمعه ، ومن حقّ منعه ، قطع فيه لُجَجَ البحار ، ومفاوزَ القِفار ، ولم تَكْدَحْ لك فيه عَيْنٌ ولم يَعْرَقْ لك فيه جَبين ، إن يوم القيامة يوم ذو حَسَرات ، وإن من أعظم الحسرات غدا ، أن ترى مالك فى ميزان غيرك ، فيالها حسرة لا تُقال ، وتَوْبة لا تُنال .

ومن أخبار البخلاء : قيل : بخلاءُ العرب أربعة، الحطيئةُ، وحُمَيد الأَرْقَط ، وأبو الأسود الدُّؤَليّ، وخالدُ بنُ صفوان، ونُقِلت عنهم أُمُور دلّت على بخلهم .

أما الحطيئة : فقد حكى عنه : أنه مَرّ به آبن الحمامة، وهو جالس بفِنَاء بيته، فقال له : السلام عليكم، فقال : قلت مالا يُنْكَر، فقال : إنى خرجتُ من أهلى بغير زاد، قال : ما ضمنتُ لأهلك قِرَاك، قال : أفتأذن لى أن آتى بظلّ بيتك فأتفيّأ به؟ قال : دونك الجبل يَفِيء عليك، قال أنا آبن الحمامة، قال : آنصرف وكن آبن أى طائر شئتَ . قال : وآعترضه رجل وهو يَرْعى غنما، فقال له : ياراعِيَ الغَنَمِ، وكان بيد الحطيئة عَصًا فرفعها، وقال : عَجْراءُ من سَلَم، فقال الرجل : إنما أنا ضيف، فقال : للأضياف أعددتها . وكان الحطيئة أحد الحَمْقَى، أوصى عند موته، أن يُحْمَل على حِمَار، وقال : لعلّى إن حُملتُ عليه، لا أموت، فإنى ما رأيت كريما مات عليه قطّ . وقال : لكُلِّ جديد لَذّةٌ، إلا جديد الموت، فإنى رأيته غيرَ لذيذ . وقيل له : أوص، فقال : أُوصى أن مالى للذكور دونَ الإناث، قالوا : فإن الله ليس يقول كذلك، قال : لكنى أقوله . وقالوا له : قل لا إله الا اللهُ، فقال : أشهدُ أن الشّماخ أشعرُ غطفان .

ومن أخباره : أن الزِّبرِقان بن بدر، لَقِيَه فى سفر، فقال له : مَن أنت ؟ فقال : أنا حَسَبٌ موضوع، أنا أبو مُلَيْكَة، فقال له الزِّبرِقان : إنى أريد وَجْهًا، فَصِرْ إلى منزلى، وكن هناك، حتّى أرجعَ . فصار الحُطَيئةُ إلى آمرأة الزِّبْرِقان، فأنزلته وأكرمته، فحسده بنو عمّه، وهم بنو لأيٍ، فقالوا للحطيئة : إن تحولتَ إلينا، أعطيناك مائة ناقةٍ، ونَشُدّ الى كلّ طُنُب من أطناب بيتك حُلّةً تَحْويه، وقالوا

لامرأة الزِّبرِقان : إن الزِّبرِقان إنمـا قدّم هـذا الشيخ ليتزوّج بنته ، فقَـدَح ذلك في نفسها ، فلما أراد القوم النُّجْعَة ، تخلّف الحطيئة ، فتغافلت عنه امرأة الزِّبرِقان ، فاحتمله القُرَيعيُّون ووفَّوْا له بمـا قالوا ، فمدَحهُم ، وهجا الزِّبْرِقان ، فقال

أزمعتُ يأسًا مُبِينًا من نوالِكُمُ * ولا يُرَى طاردا للحُـرِّ كاليـاسِ

دعِ المكارِمَ لا ترحــلْ لبُغْيتِها * واقعُدْ فإنكَ أنتَ الطاعِمُ الكَاسِى ٥

مَنْ يفعلِ الخيرَ لا يَعْدَمِ جَوازِيَه * لا يذهبُ العُرْفُ بين الله والنـاسِ

فاستعدى الزبرقانُ عليــه عمرَ بن الخطاب رضى الله عنــه ، فحكَّم عمرُ حسانَ ابنَ ثابت ، فقال حسان : ما هجاه ولكن سَلَح عليــه ، فحبس عمرُ الحطيئةَ ، فقال يستعطفه

ما ذا تقول لأفراخٍ بِذِى مَرَخٍ * حُمْرِ الحواصل لا ماءٌ ولا شَجَـرُ؟ ١٠

ألقيتَ كاسبهم فى قَعْرِ مُظْلِمَة * فاغْفِر عليك سـلام الله يا عمرُ

ما آثروك بها إذْ قدَّموك لهـا * لكن لأنفسهم كانت بك الأُثَرُ

فأخرجه عمرُ ، وجلس على كرسىّ ، وأخذ بيده شَفْرة ، وأوهم أنه يريد قَطْعَ لسانه ، فضجّ ، وقال : إنى والله يا أمير المؤمنين ! قد هجوتُ أبى وأُمّى وامرأتِى ونفسى ، (٩٢) فتبسّم عمرُ ، ثم قال : ما الذى قلتَ ؟ قال : قلتُ لأبى وأُمّى ١٥

ولقد رأيتُكِ فى النساء فسؤتِنِي * وأبَا بَنِيكِ فساءنى فى المجلس

وقلتُ لأَبِى خاصة

فبِئْسَ الشــيخُ أنتَ لَدَى تميم * و بئس الشيخُ أنت لَدَى المَعالى

وقلت لأمّى خاصة

تنحَّىْ واجلسى منّى بعيــدا * أراح الله منك العالمينــا؟
أغربالا إذا استودعتِ سرًّا * وكانونًا على المتحدّثينـا؟

وقلت لامرأتى

٥ أطوّف ما أطوّف ثم آتى * إلى بيت قَعيــدتُه لَكاعِ

وقلت لنفسى

أبتْ شفتاىَ اليومَ إلا تكلُّماً * بسوء فما أدرى لمن أنا قائلُهْ
أرى لِىَ وَجْها شوّه الله خَلْقَهُ * فقُبِّحَ من وجهٍ وقُبِّح حامِلُهْ

فخلّى عمر سبيله، وأخذ عليه أن لا يهجوَ أحدا، وجعل له ثلاثة آلاف اشترى
١٠ بها منه أعراض المسلمين، فقال يذكر نَهْيَهُ إيّاه عن الهجاء ويتأسف

وأخذتَ أطرافَ الكلام فلم تدَعْ * شَتْمًا يضُرُّ ولا مديحا ينفعُ
ومنعتنى عِرْضَ البخيل فلم يَخَفْ * شتمى وأصبحَ آمِنًا لا يَجْـزَعُ

وأما حميد الأرقط : فكان هجّاءً للضيف، فحّاشًا عليه، فنزل به ضيف ذات
ليلة، فقال لامرأته : نزل بك البــلاءُ، قومى فأَعِدّى لنا شيئا، ففعلتْ، فجعـل
١٥ الضيف يأكل ويقول : ما فعل الحجاج بالناس؟ فلما فرغ، قال حُمَيد

يجرّ على الأطناب من جذْل بيتنا * هِجَفٌّ[1] لمحزونِ التّحيّـةِ باذِلُ
يقول وقد ألْقَى المراسِىَ لِلقِرَى * أبِنْ لِىَ ما الحجّـاجُ بالناس فاعِلُ؟
فقلت : لعَمْـرِى ما لهذا أتيتَنا * فكُلْ ودعِ الأخبارَ ما أنت آكِلُ

(١) الهِجَفّ : الجافى الثقيل .

تُدَبِّرُ كفاه ويحْــدرُ حَلْقُــهُ * الى الصدر ما حازتْ عليه الأَنامِلُ
أتانا ولم يَعْــدِلْه سَحبانُ وائلٍ * بيانا وَعِلْمًــا بالذى هــو قائلُ
فما زال عنــه اللَّقْمُ حتّى كأنه * من العِيِّ لمَّـا أَنْ تكلّم باقِلُ

ونزل به أضياف، فأطعمهم تمرا وهجاهم، وآدعى عليهم أنهم يأكلونه بنواه، فقال

باتوا وجُلَّتُنَا(١) الصَّهْبَاءُ حَوْلَهُــمُ · كأن أظفارَهم فيهـا السكاكِينُ ٥
فأصبحوا والنَّوى مُلقَى مُعَرَّسِهِم * وليس كلُّ النَّوى أُلقِى المساكِينُ

وأما خالد بن صفوان : فكان إذا أخذ جائزَتَه، قال للدرهم : طالما سرتَ فى البلاد، أما والله لَأُطيلَنَّ حبسَك ، ولأُدِيمَنَّ لُبْثَك . وقيل له : مالك لا تنفق ، فإن مالك عريض؟ فقال : الدهر أعرضُ منه، قيـل : كأنك تؤمل أن تعيشَ الدهرَ كلَّه، قال : ولا أخاف أن أموت فى أوله . ١٠

وأما أبو الأسود الدؤلىّ : فعمل دكانا عاليا يجلس عليه . فكان ربمـا أكل عليه فلا يناله المجتاز، فمرّ به أعرابىّ على جمل . فعرض عليه أن يأكل معه . وظنّ أنه لا يناله . فأناخ الأعرابىّ بعيره، حتّى وازى الدكان ، وأكل معه . فما جلس بعد ذلك على الدكان . وكان يقول : لو أطعنا المساكين فى أموالنا ، كنا أسوأَ حالا منهم . وقال لبنيه : لا تُطعِموا المساكين فى أموالكم ، فإنهم لا يَقْنَعُون منكم، حتّى ١٥ يرَوْكم فى مثل حالهم . ووقف عليه أعرابىّ وهو يتغدّى ؛ فسلّم عليه، فردّ عليه، ثم أقبل على الأكل، ولم يَعْرِض عليه . فقال الأعرابىّ : أما إنى قد مررتُ بأهلك، قال : كان ذلك طريقك ، قال : وهم صالحون ، قال : كذلك فارقتُهم ، قال :

(١) الجُلّة : قفة كبيرة للتمر .

وآمرأتك حُبْلى ، قال : كذلك كان عهدى بها ، قال : ولَدَتْ ، قال : ما كان بدٌّ لها أن تَلِدَ ، قال : ولدتْ غلامين ، قال : كذلك كانت أمُّها ، قال : مات أحدهما ، قال : ما كانت تَقْوَى على رضاع آثنين ، قال : ثمّ مات الآخر ، قال : ما كان لِيَبْقى بعد أخيه ، قال : وماتت الأُمُّ ، قال : جَزَعًا على ولَدَيْها ، قال : ما أطيبَ طعامَك ! قال : ذلك جزائى على أهله ، قال : أفٍّ لك ما ألأَمَكَ ! قال : من شاء سَبَّ صاحبَه .

ونظير هذه الحكاية : ما حُكِيَ أن أعرابيًّا مرّ بآخَر ، فقال : مِن أين أقبلت يابن عمّ ؟ قال : من الثَّنِيَّة ، قال : فهل أتيتَنا منها بخبر؟ قال : سل عما بدَا لك ، قال : كيف علمُك بحيي ؟ قال : أحسن العلم ، قال : هل لك علم بكلبي نفّاع ؟ قال : حارس الحَيّ ، قال : فبأمّ عثمان؟ قال بَخٍ بَخٍ ، ومَن مِثل أمّ عثمان! لا تدخلُ من الباب إلا منحرفة بالثياب المُعَصْفَرات ، قال : فبعثمان ؟ قال : وأبيك فإنه جَرْو الأسد ويلعب مع الصبيان ، و بيده الكِسْرَةُ ، قال : فبجملنا السقّاء؟ قال : إن سنامه ليَخْرج من الغبيط ، قال فبالدار ؟ قال : وأبيك ، إنها لخصيبة الجناب ، عامرة الفِناء ، ثم قام عنه ، وقَعَد ناحيةً يأكل فلا يدعوه ، فمرّ كلب ، فصاح به ، وقال : يابن عم ، أين هذا الكلب من نفّاع ؟ قال : يا أَسَفا على نَفّاع ! مات ، قال : وما أماته ؟ قال : أكل من لحم الجمل السقّاء ، فاغْتَصّ بعظمٍ منه فمات ، قال : إنا لله ، أو قد مات الجمل ! فما أماته ؟ قال : عثر بقبر أم عثمان ، فانكسرتْ رِجْلُه ، قال : ويْلُمّك ! أماتت أم عثمان؟ قال : إى والله ، أماتها الأسف على عثمان ، قال : ويلك ! أمات عثمان ؟ قال : إى وعهد الله ! سقطت الدار عليه ، فرمى الأعرابىّ

(٩٣) بطعامه ونثره وأقبل ينتف لحيته و يقول : إلى أينَ أذهب؟ فيقول الآخر الى النار، وأقبل يلتقط الطعام و يأكله و يهزأ به و يضحك، و يقول : لا أرغمَ الله إلا أنفَ اللئام .

وكان أُحَيْحَةُ بن الجُلَاح من البُخَلاء، وكان إذا هبتِ الصَّبَا ، طلع أُطُمَة ، ينظر الى ناحية هبو بها ثم يقول : هُبي هبو بَك ، فقد أعددت لك ثَلَثِمائةٍ وستين صاعا من عَجْوة ، أدفع الى الوليد منها ، خمسَ تمرات ، فيردّ عليّ منها ثلاثا ، أى لصلابتها بعد ٥ جهد ما يَلُوكُ منها .

والعرب تضرب المثل فى اللؤم بِمَادِر ، تقول : هو أَلأَمُ من مَادِرٍ ، و يزعُمون أنه بنى حوضا وسقى إبله ، فلما أصدَرها سَلَحَ فى الحوض ، لئلا يَسْقِيَ غيرُه فيه .

وكان عُمَرُ بن يزيد الأسدىّ مبخلًا جدًا ، فأصابه القُولَنْجُ فحقنه الطبيب بدُهن كثير ، فانحل ما فى بطنه ، فلما أبرزه ، قال للغلام : ما تصنع به؟ قال أَصُبُّه ، قال : ١٠ لا ولكن مِزِّ الدُّهن منه وٱستصبح به .

وقال سلم بن أبى المعافى : كان أبى متنحياً عن المدينة ، وكان الى جنبه مزرعة فيها قِثَّاء ، وكنت صبيّاً فجاءنى صِبْيان أقران لى ، فكلّمتُ أبى ليهب لى درهما أشترى لهم به قثّاء ، فقال لى : أتعرف حال الدرهم؟ كان فى حجر فى جبل ، فضُرب بالمعاوِل ، حتى ٱستُخرج ، ثم طُحِن ، ثم أُدخِل القِدْرَ وصُبّ عليه المـاء ، وجُمع بالزِّئبق ، ثم ١٥ صُفِّى من رَق ، ثم أدخل النارَ فسُبك ، ثمّ أخرج فضُرب ، وكُتب فى أحد شِقّيه : لا إله إلا الله ، وفى الآخر : محمد رسول الله ، ثم حُمل الى أمير المؤمنين ، فأمر بإدخاله بيت ماله ، ووَكّل به عُوجَ الفلانِس صُهْب السِّبال ، ثم وهبه لجارية حسناء جميلة ، وأنت والله أقبح من قِرد ، أو رَزَقه رجلا شُجاعا وأنت والله أجبن من صُرَد ، فهل ينبغى

لك أن تَمَسّ الدرهم إلا بثوب؟ ومثله قول سهل بن هارون، وقد قال له رجل :
هبنى ما لَا مَرْزِئَةَ عليك فيه، قال: وما داك ؟قال : دِرهما واحدا، قال : يابن أخى
لقد هوّنتَ الدرهم، وهو طابع الله فى أرضه، والدرهم ويحك عُشْر العشرة، والعشرة
عشر المائة، والمـائة عشر الألف، والألف عشر دِيَة المُسـلم، ألا ترى يابن أخى
٥ كيف آنتهى الدرهم الذى هوّنتَه ؟ وهل بيوت الأموال إلا درهم على درهم ؟ .

وقال سليمان بن مُزاحم، وقد وقع بيده درهم، فجعل يقلّبه، ويقول: فى شِقّ،
لا إله إلا الله محمد رسول الله، وفى شِقّ، قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ، ما ينبغى لهذا إلا أن يكون
تَعويذًا أو رُقْيَة، ويَرْمى به فى الصندوق .

كان بعضهم إذا صار الدرهم فى يده يخاطبه ويقول : بأبى وأمّى أنت، كم من
١٠ أرضٍ قطعتَ، وكيس خرقتَ، وكم من خامل رفعتَ، ومن رفيعٍ أخملتَ، لك
عندى أن لا تَعْرَى ولا تَضْحَى، ثم يلقيه فى كيسه، فيقول : آسكن على آسم الله،
فى مكان لا تزول عنه، ولا تزعج منه .

ومن البخلاء "مُزَبِّد" وله حكايةٌ نذكرها، قيـل : كان بالمدينة جارية جميلة
مُغَنِّيَةٌ، يقال لها : "بَصْبَص" وكانت الأشراف تجتمع عند مولاها، فاجتمع يوما
١٥ عنده محمّد بن عيسى الجعفَرِىّ وعبد الله بن مُصعب الزُّبيرىّ فى جماعةٍ من الاشراف،
فتذاكروا أمر مزبد وبخله، فقالت الجارية : أنا آخذ لكم منه درهما، فقال لهـا
مولاها : أنت حرّة إن فعلتِ إن لم أشـترِ لك مخنقة بمـائة دينار وثوب وشى
بمـائة دينار، وأجعل لك مجلسا بالعقيق أنْحَرُ فيـه بَدَنَةً، فقالت : جِئْ به، وآرفع
الغَيْرَة، حتّى أفعلَ، فقال : أنت حرّة إن منعتُك منه، ولأعاونَنّه عليك إن جصّلت .

منه الدرهمَ ، فقال عبـد الله بن مُصعب : أنا آتيكم به ، قال عبد الله : فصلّيْتُ الغَـداة فى المسجد ، فاذا أنا بهِ قد أقبل ، فقلتُ : يا أبا إسحاق ، إنّا نُحِب أن نرى بصبص ؟ قال : بلى والله ، وآمرأته طالِقٌ إن لم تكن له سـنة يشتهى أن يلقاها ، فقلت له : إذا صليتَ العصر ، فأتنى ها هنا ، فقال : آمرأته طالق إن برح من ها هنا الى العصر ، قال فانصرفتُ فى حوائجى ، فلما كان العصر جئتُ فوجدتُه ، فأخذتُ بيده ، وأتيتُهم به ، فأكل القوم وشربوا حتّى صُلِّيتِ العَتَمَةُ ، ثم تساكروا وتناوموا ، فأقبلتْ بَصْبَصُ على مُزَبِّد ، فقالت له : يا أبا إسحاق كأنّى والله فى نفسك تشتهى أن أُغَنِّيَكَ الساعةَ

لقد حَثُّوا الجِمالَ ليهـْـربُوا مِنّا فلم يئِلُوا

فقال لها : آمرأته طالق إن لم تكونى تعلمين ما فى اللوح المحفوظ ، فغنته إيّاه ، ثم قالت له : كأنّى بك تشتهى أن أقوم من مجلسى فأجلس إلى جنبك فتَدْخل يَدَك فى جِلْبابى ، فقال : آمرأته طالق إن لم تكونى تعلمين ما فى الأرحام ، وما تَكْسِب الأَنْفُس غدًا قالت : فقم ، فقام وجلس إلى جانبها وغنّتْ له ، ثم قالت : أعلم أنك تشتهى أن أغنّيك

أنا أبصرتُ بالليْـل * غُلامًا حَسَـنَ الدَّلّ
كَغُصن البان قد أصبـَـحَ مَسْقِيًّا من الطَّلّ

فقال لها : آمرأته طالق أن لم تكونى نبيّةً مُرسلةً ، فغنته وقبّلها ، ثم قالت : يا أبا إسحاق ، هل رأيتَ قطّ أنذل من هؤلاء ؟ يدعونى ويدعونك ، ويُخرجونى اليك ولا يشترون نُقْلا ولا رَيْحانا ، كأنّى بك وفى جيبك درهم وأنت تقول : الساعة أخرجه ،

وأعطيها إيّاه، وتشترى به ما تريد، فقام من جنبها وقال : أخطأت آستُك الحُفْرة، وآنقطع عنك الوحى ، ووثب وجلس ناحيـة ، فأنتبه القوم وعَطْعَطُوا[1] عليها وعلموا أنّ حيلتها لم تَتِمّ، وخرج من عندهم ولم يَعُـد إليهم .

وقال بعضهم: بتُّ عند رجل من أهل الكوفة من الموسرين ، وله صِبْيان نِيام ، فرأيته فى الليـل يقوم فيقلّبهم من جنب الى جنب، فلما أصبحنا سألته عن ذلك، فقال : هؤلاء الصبيان يأكلون وينامون على اليسار، فيمريهم الطعام، ويصبحون جياعا ، فأنا أقلّبهم من اليسار الى اليمين لئلا يَنْهضِمَ ما أكلوه سريعا .

وكان زياد بن عبد الله الحارثىّ واليا على المدينة ،وكان فيه بُخْلٌ وجفاء،فأهدى اليه كاتب له سِلَالًا فيها أطعمةٌ،وقد تَنَوَّق فيها فوافته وقد تغدّى، فقال :ما هذه؟ قالوا : غداء بعثه فلان الكاتب، فغضب، وقال : يبعث أحدهم الشىءَ فى غير وقته، ياخَيْثَم بن مالك! يريد صاحبَ شُرْطته، آدع لى أهل الصُّفَّة يأكلون هذا ، فبعث خيثمُ الحرسَ يدعونهم ، فقال الرسـول الذى جاء بالسِّلَال : أصلح الله الأمير، لو أمرتَ بهذه السـلال تُفتَح ويُنْظَر ما فيها، قال : آكشفوها فاذا طعام حسن من دَجَاجٍ وفراخ وجِداءٍ وسمك وأَخْبِصَة وحَلْوَاء فقال : آرفعوا هذه السِّلَال، وجاء أهلُ الصُّفَّة، فأُخبِر بهم، فأمر بإحضارهم وقال : يا خَيْثَم! آضْرِبهم عشرة أسواط، فإنه بلغنى أنهم يفسون فى مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم .

ومن الخلفاء من يُنْسب الى البخل ، فمنهم عبد الملك بن مروان كان يلقب بَرَشْحِ الحَجَر ولبن الطير لبخله .

(١) العَطْعَطة : تتابع الأصوات واختلاطها أو حكاية صوت المُجّان اذا قالوا : عِيطْ عِيطْ وذلك اذا غلبوا قوما .

ومنهم هشام آبنه وكان ينظر فى بيع الهدايا التى تُهْدَى اليه . حُكِىَ عنه أن أعرابيًا أكل عنده فرفع اللُّقمةَ الى فيه، فقال له هشام : فى لقمتك شَعْرة ياأعرابىّ، فقال: وإنك تلاحظنى ملاحظة من يَرَى الشَّعْرَة ، والله لا أكلتُ عندك أبدا ، ثم قام وآنصرف .

ومنهم أبو جعفر المنصور كان يلقب بأبى الدوانيق، لُقِّب بذلك لأنه لما بنى مدينةَ بغداد كان يباشرها بنفسه ويحاسب الصُّناع، فيقول لهذا : أنت نمتَ القائلة، ولهذا : لم تُبَكِّر، ولهذا : آنصرفتَ قبل أن تُكَمِّل اليوم، فَيُسقط لهذا دانقا، ولهذا دانقين، فلا يكاد يعطى لأحد أُجْرةً كاملة، وكان يقول : يزعُمون أنّى بخيل، وما أنا ببخيل، ولكن رأيت الناس عبيدَ المال، فمنعتُهم عنه، ليكونوا عبيدا لى . ويُحْكى عنه أنه قال لطباخه : لكم ثلاثة وعليكم آثنتان، لكم الرءوس والأكارع والجلود، وعليكم الحبوب والتوابل . ومن حكاياته الدالة على بخله : أن صاحبه الربيع بن يونس قال له يوما : ياأمير المؤمنين، إن الشعراء ببابك وهم كثير، وقد طالت أيامهم ونفدت نفقاتهم، فقال: آخرج إليهم وسلم عليهم، وقل لهم مَنْ مدحنا منكم فلا يصف الأسدَ، فإنما هو كلب من الكلاب، ولا الحيَّةَ، فإنما هى دويبة منتنة تأكل التراب، ولا الجبَلَ فإنه حجر أصَمُّ، ولا البحرَ، فإنه غَطِن بضّ لِجَبٌ ، فمن ليس فى شعره شىء من هذا فليدْخُلْ، ومن كان فى شعره شىءٌ منه فَلْينصَرِفْ ، فأبلغهم فانصرفوا كلهم إلا إبراهيم بن هَرْمَة فقال : أنا له يا ربيع فأدخلنى عليه: فأدخله ، فلما مثل بين يديه، قال له : يا ربيع قد علمت أنه لايجيبك غيره فأنشده قصيدته التى منها

له لحَظَات فى حِفَافَىْ سريره * إذا كرَّها فيها عِقاب ونائلُ
فَأُمُّ الذى أَمَّنتَ آمِنةُ الردى * وأُمُّ الذى خوَّفتَ بالثُّكل ثاكِلُ

فرفع له السِّتر وأقبل عليه وأصغى إليـه، فلما فرغ من إنشاده أمر له بعشرة آلاف درهم وقال له : يا إبراهيم، لا تتلفها طمعا فى نَيْل مثلها منّا، فما كلّ وقت تصل إلينا، فقال إبراهيم : ألقاك بها يا أمير المؤمنين يوم القيامة وعليها الجِهْبِذ[(١)] .

ودخل المؤمّل بن أميل على المهدىّ وكان بالرّىّ، وهو إذ ذاك ولىّ عهد أبيه

٥ المنصور، فامتدحه بأبيات يقول فيها

هو المهـدِىُّ إلا أن فيه · مَشابهَ صورة القمر المنـيرِ
تشـابه ذا وذا فهُـما إذا ما * أنارا يُشْـكَلانِ على البصـيرِ
فهذا فى الضيـاء سِراج عدلٍ * وهـذا فى الظلام سراج نُورِ
ولكن فضَّل الرحمنُ هذا * على ذا بالمنـابر والسَّـرِيرِ
١٠ وبعض الشهرِ يَخْفَى ذا، وهذا · منـير عند نقصـان الشهورِ

وجاء منها

فإن سبق الكبير فأهلُ سَبْقٍ * له فضلُ الكبير على الصغيرِ
و إن بلغ الصغيرُ مَدَى كبيرٍ * فقد خُلِق الصغير من الكبيرِ

فأعطاه عشرين ألف درهم ، فكتب بذلك صاحب البريد إلى المنصور وهو

١٥ ببغداد، فكتب الى المهدىّ يلومه و يقول له : إنما كان ينبغى أن تعطِىَ الشاعر إذا أقام ببابك سنة، أربعة آلاف درهم، وأمره أن يوجهه إليـه، فطلِب فلم يوجد، وتوجه إلى بغداد، فكتب الى المنصور بذلك، فأمر بإرصاده فمُسك، وقيل له أنت بغية أمير المؤمنين وطِلْبته، قال المؤمل : فكاد قلبي يَنخلِـع خوفا وفَرَقا، ثم أخذ بيدى وأنطلق بى إلى الربيع، فأدخلنى على المنصور، وقال : يا أمير المؤمنين، هذا المؤمّل

٢٠ (١) الجهبذ : كاتب رسم أستخراج المـال وقبضه .

آبن أمِيل قد ظفر به، فسلمت عليه، فرد علىّ السلام، فسكن جأشى وآطمأنّ قلبى وزال رَوْعى، ثم قال لى: أتيت غلاما غِرًّا فخدعته فآنخدع، فقلت: يا أمير المؤمنين، إنما أتيت مِلكا جوادا كريما، فمدحته فحملته أريحيّتُه على أن وصلنى وبرّنى، فأعجبه ذلك، ثم قال: أنشدنى ما قلت فيه، فأنشدتُه، فقال: والله لقد أحسنت، لكن ما يساوى عشرين ألفا، يا ربيع، خُذِ المـالَ منه، وأَعْطِه منه أربعة آلاف درهم، فلما ولى المهدى الخلافة، قدم عليه المؤَمّلُ، فأخبره بما كان بينه وبين أبيه، فضحك وردّ عليه ما أُخِذَ منه .

وحكى آبن حمدون فى كتابه المترجَم بالتذكرة : أن المنصور حجّ فى بعض السنين فحدا به سالم الحادى يوما بقول الشاعر

أبلجُ بين حاجبيه نُورُهُ * إذا تغدّى رفِعت ستورُهُ
يَزِينُــه حَيَـاؤُه وخيرُهُ * ومِسْكُه يَشُوبُه كافورُهُ

فطرِب المنصور حتى ضرب برجله المَحْمِل، ثم قال: يا ربيع، أعطه نصف درهم، فقال سالم: لا غير، يا أمير المؤمنين، والله لقد حدوت بهشام بن عبد الملك فأمر لى بثلاثين ألف درهم، فقال المنصور: ما كان له أن يعطِيَك من بيت المـال ماذكرت، يا ربيع! وَكِّلْ به من يستخرج منه هذا المـالَ، قال الربيع: فما زلت أسْفِر بينهما حتى شرط عليه أن يحدوَ به فى خروجه ورجوعه بغير مـؤونة، وكان سالم هـذا يورِد الإبل لثمان ولِتِسـع ولعشر، فيحدو لها فَيُلْهِيها حدوه عن ورود المـاء .

ومن طريف ما حكِى عنه : أن عبيد الله بن زياد الحارثىّ، كتب إليه رقعة بليغة يستميحه فيها، فوقّع عليها : إن الغِنى والبلاغة إذا آجتمعا لرجل أبطراه، وإن أمير المؤمنين مشفِق عليك، فا كتفِ بالبلاغة .

وقد ذمّ الشعراء البخل وهجوا من آتصف به ، فمن ذلك ، وهو أبلغ ما قاله مُحْدِث ، قول ابن الرومي

الحابسُ الروث فى أعفاج بَغْلَتِه * خوفا على الحَبّ من لَقْطِ العصافيرِ

وقال العسكرىّ : أبلغ ما قيل فى البخل ، قول آبن الرومىّ

يُقَتِّرُ عيسى على نفسه * وليس بباقٍ ولا خالدِ

فلو يستطيع لتقتيره * تنفَّسَ من مَنْخِرٍ واحدِ

رضيت لتشتيت أموالِهِ * يَدَىْ وارثٍ ليس بالحامدِ

وقال أبو تمام

صدَّق أَلِيَّتَه إن قال مجتهدًا * لا وَالرَّغيفِ فذاك البرّ من قَسَمِهْ

وإن هممتَ به فافتك بخُبزَتِه * فإن موقعَها من لحمه ودمه

قد كان يُعجِبُنى لو كان غَيْرَتُه * على جَرَادِقِهِ كانت على حَرَمِهْ

وقال دِعبِل

استبقِ وُدَّ أبى المقا * تِل حين تأكُلُ من طَعَامِهْ

سِيَّان كَسْرُ رغيفِهِ * أو كسرُ عَظْمٍ من عِظامِهْ

وتراه من خوف النزيـ * ـل به يُرَوَّع فى منامهْ

وقال أبو هلال العسكرىّ

خُبْزُ الأَمِيرِ عَشِيقُهُ * يَغْدُو عليه يُلاعِبُهْ

وإذا بَدَا لجليسِهِ * أفضى إليه يُعاتِبُهْ

وتحوطه حرّاسُهُ * وتَذُبُّ عنه كتائبُهْ

فالزَّورُ يُصفَعُ عنده * والضيفُ يُنْتَفُ شارِبُهْ

وقال آخر

فتى لرغيفه قُرطٌ وشَــنْفٌ * وإكليلان من دُرٍّ وشَــذْرِ
إذا كُسِرَ الرغيفُ بكى عليه * بُكَا الخنساء إذْ فُجِعتْ بِصَخْرِ
ودون رغيفه قَلْعُ الثنايا * وحَرْبٌ مثل وَقْعَةِ يوم بَدْرِ

وقال آخر ٥

إن هــذا الفتى يصون رغيفا * ما إليه لآكلٍ من سَــبِيلِ
هو فى سُــفْرتين من أَدَم الطا * ئف فى سَــلَّتَينَ من زَنْبِيــلِ
خُتِمتْ كلُّ سَــلَّةٍ بِرَصَاصٍ * وسُــيُورٍ قُدِدْنَ من جلدِ فِيلِ
فى جِرَابٍ فى جوفِ تابوتِ موسى * والمفاتيــح عنــد ميكائيــلِ

وقال العسكرى ١٠

قُلْ خــيرُ ابن قاسم * فِغنــاه كعُدْمِــهِ
كادَ من خشْية القِرَى * يختبى فى حِرِ أمــه
جاز فى اللؤم حدّه * كأبيــه وعمــه
كاد يُعــديك لؤمُهُ * لو تسمَّيتَ باسمــه

وقال ايضا ١٥

لك بُرْمَــــةٌ نزَّهتَهــا * مِن أن تُدَنَّس بالدَّسَمْ
بيضــاءُ يُشرق نُورها * كالبَدْر فى غَسَقِ الظُّلَمْ
لو كان عِرْضُك مثلَها * كنتَ المُمَدَّحَ فى الأُمَمْ
أو كان فعلُك مثلَ قو * لك كنتَ تاريخَ الكَرَمْ

وقال أيضا

ضِفتُ عمرا فجاءنى برغيف * زادنى أكْلُه على الجوع جُوعَا
ثم وَلَّى يقول وهو كئيب: * لَهْفَ نَفْسِى على رَغيفٍ أُضِيعَا
كان خدّاعةَ الضيوف ولكن * ربما أصبح الخَدُوع خَدِيعَا
كنتُ أنزلتُه محلاًّ رفيعًا * فغدا ذلك الرفيع وَضِيعَا ٥
عَجَبًا منه إذْ أُبِيح حِمَاه * كيف لم يمتنع وكان مَنِيعَا

وقال آخر

أرى ضيفَك فى الدار * وكَرْب الموت يَغْشَاهُ
على خُبْزِكَ مَكْتُوبٌ: * «فَسَيَكْفِيكَهُمُ اللهُ»

١٠ وقال بشّار

وضيفُ عمرٍو وعمرو يَسْهَران معًا * عمرٌو لبِطْنَتِه والضيفُ للجوعِ

وقال آخر

نوالُك دونَهُ خَرط القَتَادِ * وخبزُك كالثُّرَيَّا فى البِعَادِ
ولو أبصرتَ ضيفا فى منام * لحرّمتَ المنامَ الى التَّنَادِى
أرى عُمُرَ الرغيف يطول جِدًّا * لديك كأنّه من قومِ عَادِ ١٥
وما أهجوك أنك كُفْءُ شِعْرِى * ولكنِّى هجوتُك للكَسَاد

وقال العسكرى

قد كان للمال رَبًّا * فصار بالبخل عَبْدَهْ
وصحّف الضّيفَ ضَيفًا * فراح يَلْطُم خَدَّهْ

وقال أبو نُوَاس فى إسماعيل بن نُو بخت، بعد أن نصب إسماعيل فى صحن داره طارمة، واَصطبح فيهـا أربعين يوما ومعه جماعة، منهـم أبو نُوَاس، فبلغت نفقته اربعين ألف درهم، ثم قال بعد ذلك

خبزُ إسماعيـل كالوشـــى * إذا ما شُـــقَّ يُرْفا
عجبا من أثر الصنـــعة * فيـه كيف تخفى؟
إنَّ رَفَّاءك هـــذا * ألطف الأمة كفًّا
فإذا أَلْصَـــق بالنصـــف * من الجَرْدَق نصْفا
الطف الصـنعة حتَّى * ما ترى مَطْعَنَ إشْفَى(١)
مثـل ما جاء من التَّنُّـــور * ما غادر حَـــرْفَا
وله فى المـاء أيضـا * عمـــلٌ أبدع ظَـرْفَا
مَزجه العَذْب بمـاء الـــبئْر * كى يزدادَ ضِـعْفَا
فهو لا يَسْقِيك منـــه * مثـل ما يشرب صِرْفَا

وقال فيه

على خبز إسماعيل واقيـــةُ البُخلِ * فقد حلَّ فى دار الأَمان من الأَكْلِ
وما خبزه إلا كعنقاء مُغْـرِب * يُصَوَّر فى بُسْط الملوك وفى المُثْلِ
يحدِّث عنها الناسُ من غير رؤية * سوى صورة ما إن تُمِرُّ ولا تُحْـلِي
وما خبزه إلا كآوَى يُرى ٱبْنُـــهُ * ولم يُرَ آوَى فى الحُزُون وفى السَّهْلِ
وما خبزه إلا كليبُ بنُ وائلٍ * ليـالى يَحْمِى عِزُّهُ مَنْبِتَ البَقْـلِ(٢)

(١) الإشفَى : الإسكاف .
(٢) هكذا فى الأصل . وفى ديوان أبى نواس : ومن كان الخ ولعله الصواب .

وإذْ هو لا يَسْتَبُّ خَصْمان عنده * ولا الصوتُ مرفوعٌ بجِدٍّ ولا هَزْلِ
فإن خبزُ إسماعيلَ حلَّ به الذى * أصاب كليبا لم يكن ذاك عن ذُلِّ
ولكن قضاءٌ ليس يُسْطاعُ ردُّه * بحيلة ذى مَكْرٍ ولا دَهْيِ ذى عقلِ

وقال ابن الرومىّ

٥ بخيل يُصَوِّم أضيافَه * ويخلُ عنهم بأجر الصيامِ
يَدُسُّ الغلامَ فيولِيهمُ * هوانا فيَشْتُمُ مولى الغلامِ
فهم مُفْطِرون وهم صائمون * وما يُطْعَمون وهم فى أثامِ
فيحتال بخلا لأَنْ يُفْطِرون * علَى رَفَث القول دون الطّعامِ

وقال أحمد بن كُشَاجم

١٠ صديقٌ لنا من أبرَعِ الناس فى البخلِ * وأفضلِهم فيه وليس بذى فَضْلِ .
دعانِى كما يدعو الصديقُ صديقَه * فجئت كما يأتى إلى مثله مِثْلِى
فلما جلسنا للطعام رأيتُه * يرى أنه من بعض أعضائه أكْلِى
ويغتاظ أحيانا ويَشْتُمُ عبده * وأَعْلَمُ أن الغيظ والشتمَ من أجلى
فأقبلت أستلّ الغداء مخافَةً * وألحاظ عينيه رقيبٌ على فِعْلى
١٥ أمدّ يدى سرا لأَسْرقَ لُقْمةً * فيلحظنى شَزْرًا فأعْبَثُ بالبَقْلِ
إلى أن جنتْ كَفِّى لحتفى جِنَايةً * وذلك أن الجوعَ أعْدَمنى عَقْلِى
فجرّت يدى لِلْحَيْن رِجْلَ دَجَاجَةٍ * فجُرّتْ كما جرّتْ يدى رجلَها رِجْلِى
وقدّمَ من بعد الطعامِ حلَاوةً * فلم أستطع فيها أُمِرُّ ولَا أُحْلِى
وقمتُ لو آنّى كنتُ بَيَّتُّ نيّةً * ربحتُ ثوابَ الصومِ مع عدمِ الأكلِ

وقال آخر

تراهم خشيَة الأضيافِ خُرْسًا * يُقيــمون الصــلاةَ بلا أذانِ

* * *

احتجاج البخلاء وتحسينهم للبخل على قبحه

قالت الحكماء : لتكن عنايتُك بحفظ ما آكتسبتَه، كعنايتك باكتسابه . ٥

وقال أبو الأسود الدؤليّ لبنيه : لا تُجاودوا الله، فإنه أكرم وأجود ، ولو شاء أن يُغْنِيَ الناس كلَّهم لفعل ، ولكنه علِم أن قوما لا يصلحهم ولا يصلح لهم إلا الفقر، وقوما لا يصلحهم ولا يصلح لهم إلا الغنى .

وقال رجل من تَغْلِب: أتيت رجلا من كِندة أسأله ، فقال: يا أخا بنى تغلب، إنّى لن أصلَك حتَّى أحرِم من هو أقرب إلى منك، و إنه لم يبقَ من مالى وعِرْضى وأهلى إلا ما منعتُه من الناس . ١٠

وقيل : إن لقمانَ الحكيمَ ، قال لآبنــه : يابُنَيَّ، أُوصيك باثنتين لن تزال بخــير ما تمسكتَ بهما : دِرْهَمِكَ لمعاشك، ودينِكَ لمَعادِك .

وقال أبو الأسود : إمساكُك ما تبذُل، خير من طلبك ما يبذُل غيرُك، وأنشد

يلوموننى فى البخل جَهْلًا وضلَّةً * ولَلْبُخلُ خيرٌ من سؤال بخيل ١٥

ونظيره قول المتلَمِّس

وحَبْسُ المـــال أَيْسَرُ من بُغَاهُ * وضَرْب فى البــلاد بغير زاد

و إصْلَاحُ القليــل يَزِيدُ فيــه * ولا يَبْقَى الكثيرُ مع الفسادِ

وقال الجاحظ : قلت للحزامىّ : يابخيل! قال : لا أعدمنى الله هذا الأسم ، لأنه لا يقال لى: بخيل إلا وأنا ذو مال فَسَلِّم لى المـال، وسَمِّنِي بأىّ اسم شئت، قلت : ولا يقال لك : سخىّ، إلا وأنت ذو مال، فقد جمع الله لهذا الأسم المـال والحمد، وجمع لذاك المـال والذّم، فقال : بينهما فرق عجيب، وبَوْن بعيد، إن فى قولهم : ٥ بخيل، سببا لمكث المال فى ملكى، وفى قولهم: سخىّ،سببا لخروجه عن ملكى، وأسم البخل فيه حزم وذَمّ وأسم السخاء فيه تضييع وحمد، وما أقلّ غناء الحمد عنه إذا جاع بطنه وعَرِىَ ظهره وضاع عياله وشمت به عدوّه .

وقال محمد بن الجَهْم : من شأن مَنِ استغنى عنك، أن لا يقيم عليك،ومن احتاج إليك أن لا يزول من عندك، ومن حُبّك لصديقك وضَنّك بمودّته أن لا تبـذل له ١٠ ما يغنيه عنك، وأن تتلطف له فيما يُحْوِجه إليك .

وقد قيل فى مثل هذا : "أَجِعْ كَلْبَكَ يَتْبَعْك، وسَمِّنْه يَأْكُلْك"، فمن أَغْنَى صديقه فقد أعانه على الغَدْر، وقطع أسباب الشكر، والُمعين على الغدر شريك للغادر، كما أن المزَيِّن للفُجُور شريكٌ للفاجر .

وقال أبو حنيفة: لا خير فيمَنْ لايصون ماله ليصونَ به عِرْضَه، ويَصِلَ به رحِمه ١٥ ويستغنِيَ به عن لئام الناس . قال عبد الله بن المعتزّ

أَعَاذِل ليس البخل منّى سَجِيَّـةً * ولكن وجدتُ الفقرَ شَرَّ سبيلِ
لَموت الفتى خيرٌ من البخل للفتى * ولَلْبخلُ خيرٌ من سؤال بخيلِ

وكان داود بن علىّ يقول : لَأن يترك الرجلُ مالَه لأعدائه، خيرٌ من الحاجة فى حياته لأوليائه، قال الشاعر

مَالٌ يُخَلِّفُــهُ الفــتَى * للشامتين من العِــدَا
خير له من قصــده * إخــوانَهُ مســتَرْفِدا

وقال سُــفْيَان الثَّوْرِىّ : لأن أُخلِّفَ عشرة آلاف درهم أحاسب عليها، أحب إلىّ من أن أحتاج إلى الناس ؛ وقال : كان المــال فيما مضى يكره، وأما اليوم فهو يزين المؤمن؛ وجاءه رجل فقال له : يا أبا عبد الله، تمسك هذه الدنانير ! فقال : ٱسكت، فلولاها لتَمَنْدَلَتَنا هؤلاء الملوك، ولكن من كان فى يده منها شىء فليصلحه، فإنه زمانٌ من ٱحتاج فيه كان أوّل ما يبذُل دينه .

وقال المنصور لمحمد بن مروان التميمىّ : إنك لسيد لولا جمودٌ فيــك ، فقال : يا أمير المؤمنين، إنى لأجمُد فى الحق، ولا أذوب فى الباطل .

وكان محمد بن الجهم يقول : من وَهَب من عمله ، فهو أحمق ، ومن وهب بعد العزل ، فهو مجنون، ومن وهب من جوائز ملوكه أو ميراثه ، فهو مخذول ، ومن وهب من كَسْبِه وما ٱستفاده بحِيلة، فهو المطبوع على قلبه، المأخوذ ببصره وسمعه .

وسأل رجل زياد بن أبيه، فأعطاه درهما، فقال : صاحب العِراقَيْنِ أسأله فيعطينى درهما؟ فقال له زياد : مَنْ بيده خزائن السموات والأرض ربما رزق أخصّ عباده عنده وأكرمهم لديه التمرةَ واللقمة، وما يكبر عندى أن أَصلَ رجلا بمائة ألف درهم ، ولا يصغر أن أعطى سائلا رغيفا ، إن كان ربّ العالمين فعل ذلك .
قال الشاعر

يارُبَّ جُود جرَّ فَقْـرَ ٱمرئٍ * فقام للنــاس مَقَام الذليــل
فاشدد عُرَى مالِكَ وٱسْتَبْقِهِ * فالبخلُ خيرمن سؤال البخيل

وقال الشريف بن الهَبَّارِيّة

لَأصونَنَّ درهمِى * فهو لا شكَّ صائنى
لم يُعِنِّى ٱبنُ والدى * وصحيحى أعانَنِى

وقال أيضا

لله دَرُّ دراهمِى * فَهِىَ التى أعلت مَكانِى ٥
لولا الغِنَى عن صاحبى * لَأَحَلَّنِى دار الهوانِ

وقال آخر

كن بما أوتيتَه مُغتَبِطا * تَستَدِمْ عيشَ القَنُوع المُكتفِى
إن فى نَيل المُنى وَشْكَ الرَّدَى * وٱجتناب القصد عين السَّرَف
كَسِراجٍ دُهْنُه قوتٌ له * فإذا غَرَّقْتَه فيه طُفِى ١٠

ومن ذلك رسالة كتبها سهل بن هارون، وقد عيب عليه أمور من البخل، فاعتذر عنها وٱحتجّ فقال: أصلح الله أمركم، وجمع شملَكم، وعلمكم الخيرَ، وجعلكم من أهلِهِ، قال الأحنفُ بن قَيْس: يا بنى تميم، لا تُسرِعوا إلى الفتنة، فإن أسرع الناس إلى القتال، أقلُّهم حَياء من الفِرار، وكانوا يقولون: إذا أردتَ أن ترى العيوب جَمَّةً، فتأمّلْ عيَّابا فإنه يعيب الناس بفضل ما فيه من العَيْب، ومن أعيب العيب أن تعيب ما ليس بعيب، وقبيح ١٥ أن تَنْهى مرشدا أو تُغْرى مُشْفِقا، وما أريد بما قلت إلا هدايتَكم وتقويمَكم وصلاحَ فسادكم، وإبقاءَ النعمة عليكم، ولئن أخطأنا سبيلَ إرشادكم، فما أخطأنا سبيل حسن النية فيما بيننا وبينكم، ثم قد تعلمون أنا ما أوصيناكم إلا بما ٱخترناه لأنفسنا قبلكم، وشُهِرْنا به فى الآفاق دونكم، ثم نقول فى ذلك ما قال العبد الصالح لقومه: (وَمَا أُرِيدُ

أَنْ أُخَالِفَكُمْ إِلَى مَا أَنْهَاكُمْ عَنْهُ إِنْ أُرِيدُ إِلَّا ٱلْإِصْلَاحَ مَا ٱسْتَطَعْتُ وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ) فما كان أحقكم فى كريم حرمتنا بكم أن ترعوا حقّ قصدنا بذلك إليكم، على مارعيناه من واجب حقّكم، فلا العذر المبسوط بلغتُم، ولا بواجب الحرمة قمتم، ولو كان ذكر العيوب بِرًّا ونخرا، لرأينا فى أنفسنا عن ذلك شغلا، عبتُمونى بقولى لخادمى : أجيدى العجين فيكون أطيب لطعمه، وأزيد فى ريعه، ٥ وقال عمر بن الخطاب رضى الله عنه : أملكوا العجين فإنه أحد الريعين، وعبتمونى حين ختمت على سَلٍّ عظيم، وفيه شىء ثمين من فاكهة نفيسة، ومن رطبة غريبة، على عبدٍ نهِمٍ، وصبىٍّ جشع، وأمة لكعاء، وزوجة مضيعة، وليس بين أهل الأدب، ولا فى ترتيب الحكم، ولا فى عادات القادة، ولا فى تدبير السادة، أن يستوى — فى نفيس المأكول، وغريب المشروب، وثمين الملبوس، وخطير المركوب — التابع ١٠ والمتبوع، والســيد والمسود، كما لا تستوى مواضعهم فى المجالس، ومواقع أسمائهم



فى العنوانات، ومن شاء أطعم كلبه الدَّجاجة السمينة، وَعلَف حِماره السِّمْسِمَ المُقشّر، وعبتمونى بالختم، وقد ختم بعض الأئمـة على مُدّ سَوِيق، وختم على كيس فارغ، وقال طِينـة خير من ظِنَّة، فأمسكتم عمن ختم على لا شىء، وعبتم على من ختم على شىء، وعبتمونى أيضا، أن قلت للغلام : إذا زدت فى المرَق، فزد فى الإنضاج، ١٥ ليجتمع مع التأدم باللحم طِيبُ المرَق، وقال النبىّ صلى الله عليه وسلم : « إذا طَبَخ أحدكم لحما، فليزد من المـاء، فمن لم يصب لحما أصاب مَرَقا، » وعبتمونى بخَصْف النعل، و بتصدير القميص، وحين زعمت أن المخصوفة من النعل أبقى وأقوى وأشبه بالنُّسُك، وأن الترقيع من الحزم، والتفريق من التضــييع، والاجتماعَ مع الحِفظ،

وقد كان النبيّ صلى الله عليه وسلم يَخْصِفُ نعلَه ، ويُرَقِّع ثوبه ، ويَلْطَع أصابعه ، ويقول : «لو أُهدِيَ إلىّ كُرَاع لقبلت ، ولو دُعِيتُ إلى ذراع لأجبت» وقال صلى الله عليه وسلم «من لم يَستَحى من الحلال ، خفت مَئُونته ، وقلَّ كِبْرُه» . وقالت الحكماء : لا جديد لمن لم يَلْبَس الخَلَق ، وبعث زياد رجلا يرتاد له مُحَدِّثا ، وآشترط عليه أن يكون عاقلا ، فأتاه به موافقا ، فقال له : أكنتَ به ذا معرفة ؟ قال : لا ، ولكنّى رأيته فى يوم قائظ ، يلبَس خَلَقا ، ويلبس الناس جديدا ، فتفرّست فيه العقل والأدب ، وقد علمت أن الخَلَق فى موضعه ، مثل الجديد فى موضعه ، وقد جعل الله لكل شيء قَدْرًا ، وسمى له موضعا ، كما جعل لكل زمان حالا ، ولكل مقام مقالا ، وقد أحيا الله بالسّم ، وأمات بالغِذَاء ، وأغصّ بالماء ، وقتل بالدواء ، وقد زعموا أن الإصلاح أحد الكاسِبَين ، كما زعموا أن قلّة العيال أحد اليسارين ، وقد جبر الأحنف بن قيس يد عنز وأمر مالك بن أنس بفرك البَعر ، وقال عمر بن الخطاب رضى الله عنه : من أكل بيضة فقد أكل دجاجة ، ولبس سالم بن عبد الله جلد أُضحية ، وقال رجل لبعض الحكماء : أريد أن أُهدىَ لك دجاجة ، قال : إن كان لا بدّ ، فاجعلها بَيُوضا ، وعبتمونى حين قلت : من لم يعرف مواضع السَّرَف فى الموجود الرخيص لم يعرف مواضع الاقتصاد فى الممتنع الغالى ، وقد أتيت بماء للوضوء على مبلغ الكفاية ، وأشفّ من الكفاية ، فلما صرت الى تفريق أجزائه على الأعضاء ، وإلى التوفير عليها من وظيفة الماء ، وجدت فى الأعضاء فضلا عن الماء ، فعلمت أن لو كنت مكّنتُ الاقتصاد فى أوائله لخرج أوّله على كفاية آخره ، ولكان نصيب الأوّل كنصيب الآخر ، فعبتمونى بذلك وشنعتموه علىّ ، وقد قال الحسن وذكر السرف : أما إنه ليكون فى الماء والكلا ، فلم يرض

بذكر المـاء حتى أردفه بالكلإ، وعبتمُونى انى قلت : لا يغترّن أحد بطول عمره، وتقويس ظهره،ورقة عظمه، ووهن قوّته، وأن يرى دخله أكثر من رزقه فيدعوه ذلك الى إخراج ماله من يده، وتحويله إلى ملك غيره، أو تحكيم السرف فيه، وتسليط الشهوات عليه، فلعلّه أن يكون معمّرا وهو لا يدرى وممدودا له فى السن وهو لا يشعُر، ولعلّه أن يُرْزَقَ الولَدَ على اليأس، وتُحدِث عليه آفات الكِبَر ما لا يخطر على باله، ولا يدركه عقله، فيستردّه ممن لا يردّه، ويظهر الشكوى إلى من لا يرحمه، أضعف ما كان عن الطلب، وأقبح ما كان له أن يطلب، فعبتمُونى بذلك، وقال عمرو بن العاص : ٱعْمَل لدنياك عَمَـلَ من يعيش أبدا، وٱعْمَل لآخرتك عَمَلَ من يموت غدا، وعبتمُونى بأن قلت : إن التلف والتبذير إلى مال المواريث، وأموال الملوك، وإن الحفظ الى المـال المكتسب، والغنى المجتلب، والى ما يعرض فيـه بذهاب الدين، وٱهتضام العرض، ونصب البدن، وٱهتمام القلب أسرع، ومن لم يحسب نفقته لم يحسب دخله، ومن لم يحسب الدخل فقد أضاع المـال، ومن لم يعرف للغنى قـدره فقد أذن بالفقر، وطاب نفسا بالذلّ، وعبتمُونى بأن زعمت أن كسب الحلال، مُضمَّنٌ بالإنفاق فى الحلال، وأن الخبيث ينْزِع إلى الخبيث، وأن الطيِّب يَدعو إلى الطيّب، وأن الإنفاق فى الهوى، حجاب دون الحقوق، وأن الإنفاق فى الحقوق حجاب دون الهوى، فعِبْتُم علىّ هـذا القول، وقد قال معاوية بن أبي سفيان : لم أر تبـذيرا قطّ، إلا وإلى جنبه حقٌّ مُضَيَّع، وقال الحسن : إذا أردتم أن تعرفوا من أين أصاب الرجل ماله، فانظروا فى أىّ شىء ينفقه، فإن الخبيث إنمـا يُنْفَق فى السرف، وقلت لكم بالشفقة عليكم، وحسن النظر منّى إليكم، أنتم فى دار الآفات، والجوائحُ غير مأمونات، فإن أحاطت بمـال

أحدكم آفةٌ، لم يرجع إلى ثقة، فاحذروا النِّقم، باختلاف الأمكنة، فإن البلية لا تجرى في الجميع ، وقد قال عمر بن الخطاب رضى الله عنه في العبد، والأمة، والشاة، والبعير: فرقوا بين المنايا، واجعلوا الرأس رأسين، وقال ابن سيرين [لبعض البحريين][1]: (٩٩) كيف تصنعون في أموالكم؟ قالوا: نفرّقها في السفن، فإن عَطِب بعض، سلم بعض، ولولا أن السلامة أكثر، ما حملْنا أموالنا في البحر، فقال ابن سيرين: تَحْسَبُها خَرْقاء وهي صَنَاعٌ، وعبتُمونى بأن قلت لكم عند إشفاقى عليكم: إن للغنى سُكْرا، والمال نَزْوةً، فمن لم يحفظ الغنى من سكره، فقد أضاعه، ومن لم يرتبط المال لخوف الفقر فقد أهمله، فعبتُمونى بذلك، وقد قال زيد بن جَبَلَة: ليس أحدٌ أقصر عقلا، من غَنِيٍّ أَمِنَ الفقرَ، وسكرُ الغنى أشدُّ من سكر الخمر، وقد قال الشاعر في يحيى ابن خالد

وَهُوبٌ تِلَادَ المال فيما ينوبُهُ * مَنُوعٌ إذا ما مَنْعُه كان أحْزَمَا

وعبتُمونى حين زعمتم، أنّى أقدّم المالَ على العلم، لأن المال به يُفاد العلم، وبه تقوم النفس، قبل أن يُعرَف فضلُ العلم، فهو أصل، والأصل أحقُّ بالتفضيل من الفرع، فقلتم. كيف هذا؟ وقد قيل لبعض الحكماء: الأغنياء أفضل أم العلماء؟ فقال: العلماء، قيل له: فما بالُ العلماء يأتون أبوابَ الأغنياء، أكثر مما يأتى الأغنياء أبواب العلماء؟ قال: ذلك لمعرفة العلماء بحقّ المال، وجهل الأغنياء بحقّ العلم، فقلت: حالهما هى القاضية بينهما، وكيف يستوى شىء حاجة العلماء إليه، وشىء يغنى فيه بعضهم عن بعض، وكان النبىّ صلى الله عليه وسلم يأمر الأغنياء باتّخاذ الغَنَم، والفقراء باتّخاذ الدَّجَاج، وقال أبو بكر الصدّيقُ رضى الله عنه: إنى

(١) الزيادة لازمة من كتاب البخلاء.

لأبغض أهل البيت ينفقون نفقةَ الأيام فى اليوم الواحد، وكان أبو الأسود الدُّؤَلِىّ يقول لولده : إذا بَسَط الله لك فى الرزق فابْسُط، و إذا قبض فاقبِض ، وعبتُمُونى حين قلت : إن فضل الغِنَى عن القوت، إنَّمـا هو كفضل الآلة تكون فى البيت، إن آحتيج إليها آستُعْمِلت، و إن آستغنِىَ عنها كانت عُدّةً، وقد قال الحُصَيْنُ بن المنذر: ودِدْتُ أن لى مِثلَ أُحُد ذهبا لا أنتفع منه بشىء، قيل له : فمـا كنتَ تصنع به ؟ قال : لكثرة مَنْ كان يخْدُمنى عليه، لأن المـال مخدوم، وقال بعض الحكماء : عليك بطلب الغنى ، فلو لم يكن فيــه إلا أنه عِزٌّ فى قلبك ، وذُلٌّ فى قلب عدوّك، لكان الحظّ فيه جسيما ، والنفع عظيما، ولسنا ندع سيرة الأنبياء ، وتأدّب الخلفاء ، وتعليم الحكماء، لأصحاب الهوى ، فلستم علىّ تردّون، ولا رأيِى تُفَنِّدُون، فقدّموا النظر قبل العَزْم، وأَدْرِكوا ما عليكم من قبل أن تُدرِكوا مالكم، والسلام .

***

ومن نوادر البخلاء، قال رجل لبعض البخلاء : لِمَ لا تدعونى إلى طعامك؟ قال : لأنك جَيِّدُ المَضْغ سريعُ البَلْع، إذا أكلتَ لُقْمَةً هَيَّأْتَ أخرى، قال: يا أخى أتريد إذا أكلتُ عندك أن أُصَلِّىَ ركعتين بين كلّ لقمتين ؟ .

وقال آخرُ لبخيل : لِمَ لا تدعونى إلى طعامك ؟ قال : لأنك تُعلِّق، وتُسـدّق، وتُحـدق ، أى تحمل واحدة فى يدك ، وأخرى فى شِــدْقك ، وتنظر إلى الأخرى بعينك .

وقال بعض البخلاء : أنا لا آكل إلا نصفَ الليل ، قيل له : ولِمَ ؟ قال يَبْرُدُ المـاء، ويَنْقَمِع الذُّباب، وآمَنُ فَجاة الداخل، وصَرْخَة السائل .

وطبخ بعض البخلاء قِدْراً ، وجلس يأكل مع زوجتــه فقال : ما أطيبَ هذا الطعامَ! لولا كثرة الزِّحام، فقالت : وأىّ زحام وما ثَمَّ إلا أنا وأنتَ؟ قال : كنت أُحِبُّ أن أكون أنا والقِدْر .

وقال بعض البخلاء لغلامه : هاتِ الطعامَ ، وأغْلِقِ الباب، فقال : يا مولاى، ليس هذا بحَزْم، و إنمــا أُغْلِقُ الباب، وأُقَدِّم الطعام، فقال له : أنت حُرٌّ لوجه الله .

وعزم بعضُ إخوانِ أَشْعَبَ عليه ليأكلَ عنــده ، فقال : إنّى أخاف من ثقيل يأكل معنا فينغِّص لذّتنا ، فقال : ليس عنــدى إلا ما تُحِبّ فمضى معه فبينما همــا يأكلان ، إذا بالباب قد طُرِق ، فقال أشعب : ما أرانا إلا صِرْنا لمــا نكره، فقال صاحب المنزل : إنه صديق لى، وفيه عشْرُ خصال، إن كرهتَ منها واحدة لم آذن له ، فقال اشعب : هاتِ ، قال : أوّلها ، أنه لا يأكل ولا يشرب ، فقال : التسعُ لك ودَعْه يدخل ، فقد أَمِنَّا منه ما نخافه .

ذكر ما قيل فى التطفيل

ويتصــــل به أخبــارُ الأَكَلة والمُؤَاكَلة

والتطفيل من اللؤم، وهو التعرّض إلى الطعام، من غير أن يدعى إليه، وسنذكر تلو هذا الفصل آدابَ الأكل ، والمُؤَاكلة ، والاقتصاد فى المطاعم ، والعفَّة عنها، وما يجرى هذا المَجْرَى، و إن كان خارجا عنه، و إنما الشيء يُذْكر بالشيء، والعرب تقول للطفيلىّ : الوارش، والراشن، قيل : هو مشتق من الطَّفَل، وهو الظلمة لأن الفقير من العرب كان يحضر الطعام الذى لم يُدْعَ إليه مستترا بالظلمة، لئلا يُعرَف . وقيــل : سُمِّى بذلك ، لإظلام أمره على الناس ، لا يدرى مَنْ دعاه . وقيل : بل

من الطَّفَل لهجومه على الناس كهجوم الليل على النهار، فيكون من الظلمة، ولذلك قيل: "أطفل من ليل على نهار"، وأول من سمى بهذا الاسم: طُفَيل العَرائس، وإليه ينسب الطُّفَيليّون، وكان يقول لأصحابه: إذا دخل أحدُكم عُرسا، فلا يلتفت تلفّت المريب، ويتخيَّر المجالس، وإن كان العُرس كثيرَ الزحام، فليمض ولا ينظر فى عيون الناس، ليظنّ أهلُ المرأة أنه من أهل الرجل، ويظنّ أهل الرجل أنه من أهل المرأة، وإن كان البوّاب غليظا فاحشا، فليبدأ به، ويأمره وينهاه من غير أن يُعَنِّف عليه، ولكن بين النصيحة والإدلال .

وأشهر من نُسب إليه هذا الاسم، وكثرت عنه الحكايات، بُنَان الطُّفَيلىّ، وهو عبد الله بن عثمان، ويكنى أبا الحسن، ولقبه بُنَان، وأصله مَرْوَزِىّ وأقام ببغداد، وكان نقشُ خاتَمه، "مَالَكُمْ لَا تَأْكُلُونَ" . حكى أن رجلا سأله أن يدعو له، فقال: اللهم ارزقه صحة الجسم وكثرة الأكل، ودوام الشهوة، ونقاء المَعِدَة، وأمْتعه بضِرْس طَحُون، ومَعِدة هَضُوم، مع السعة والدَّعَة، والأمن والعافية؛ وقال يُوصى بعضَ أصحابه: إذا قعدتَ على مائدة وكان موضعُك ضيِّقا فقل للذى يليك: لعلى ضيقتُ عليك فإنه يتأخر إلى خلف، ويقول: موضعى واسع، فيتسع عليك موضع رجل؛ وقال له طفيلىٌّ: أوصنى، فقال: لا تصادِفَنّ من الطعام شيئا، فترفع يدك عنه وتقول: لعلِّى أصادف ما هو أطيب منه، فإن هذا عجز ووَهَن، قال: زدنى، قال: إذا وجدت خبزا فيه قِلّة، فكُلِ الحروف، فإن كان كثيرا فكل الأوساط، قال: زدنى، قال: لا تكثر شرب الماء وأنت تأكل، فإنه يصدّك عن الأكل، ويمنعك من أن تستوفى، قال: زدنى، قال: إذا وجدت الطعام، فكل منه أكل من لم يره قط، وتزوّد منه زاد من لا يراه أبدا، قال: زدنى، قال: إذا وجدت الطعام، فاجعله زادك إلى الله تعالى،

وقال : إذا دعاك صديق لك ، فاقعد يَمْنَةَ البيت فإنّك ترى ما تُحِبّ ، وتسودهم فى كلّ شىء ، وتسبقهم إلى كلّ خير ، وأنت أوّل من يغسل يده والمِنْديل جافّ ، والماء واسع ، والخِوان بين يديك يوضع ، والنبيذ أوّل القِنّينة ورأسها تشربه ، والنقل منتخب ، يوضع بين يديك ، وتكون أوّل من يتبخّر ، فإذا أردت أن تقوم لحاجة لم تحتج أن تتخطّاهم ، وأنت فى كل سرور الى أن تنصرف . قال البديع الهمذانىّ فى طفيليّين يشبههم بُنَان

خلقتُم بُنَانا فكم من أديبٍ * من الغَيْظ عَضّ عليكم بَنَانا
إذا ما النهار بدا ضَوءُه * غدوتم خِماصا ورُحْتُم بِطانا

ومنهم : عثمان بن درّاج ، قيل له : كيف تصنع إذا لم يدخلك أهل العُرس ؟ قال : أنوح على الباب ، فيتطيّرون فيدخلوننى . وحكى أبو الفرج الأصفهانى : أن عثمان هذا ، كان يلزم سعيد بن عبدالكريم الخطابىّ أحد ولد زيد بن الخطاب ، فقال له : ويحك ! إنى أبخل بأدبك وعلمك ، وأضنّ بك عما أنت فيه من التطفيل ولى وظيفة راتبة فى كلّ يوم ، فالزمنى وكن مدعوّا ، أصلح لك مما تفعل ، فقال : يرحمك الله فأين لذّة الجديد ، وطيب التنقل كل يوم إلى مكان ؟ وأين هُوَيْناك ووظيفتك من آحتفال العرس ؟ وأين ألوانك من ألوان الوليمة ؟ قال : فأما إذا ثبت ذاك : فإذا ضاقت عليك المذاهب فأتنى قال : أمّا هـذا فنعم ؛ قال : وقال له رجل : ما هذه الصُّفرة التى فى لونك ؟ قال : من الفترة التى بين القَصْعَتين ، ومن خوفى فى كلّ يوم من نفاد الطعام قبل أن أشبع ؛ وقيل له مرة : هل تعرف بستان فلان ؟ فقال : إى والله ، وإنه لجنة الحاضرة فى الدنيا ، قيل له : فلم لاتدخل اليه فتأكل من ثماره ، وتقِيل

تحت أشجاره، وتسبح فى أنهاره؟ قال: لأن فيه كلبا لا يتمضمض إلا بدماء عراقيب الرجال، وعثمان هذا الذى يقول

لَذَّة التطفيل دُومى * وأَقيمى لَا تَرِيمى
أنت تشْفِين غَلِيلى * وتُسَلِّين هُمُومى

ولهم أخبار وحكايات، منهــا: ما نقل عن نصر بن علىّ الجهضمىّ أنه قال: ٥
كان لى جار طفيلىّ، إذا دعيت إلى مدعاة ركب معى وجلس حيث أجلس، فيأكل وينصرف، وكان نظيفا عطِرا، حسن اللباس والمركب، وكنت لا أعرف من أمره إلا الظاهر، فاتفق لجعفر بن القاسم الهاشمىّ حقٌّ دعا له أشراف البصرة ووجوهها، وهو يومئــذ أمير البصرة، فقلت فى نفسى: إن تبعنى هــذا الرجل إلى دار الأمير لأخزيته، فلما كان يوم الحضور، جاءنى الرسول، فركبت، وإذا به قد تبعنى حتى ١٠
دخل بدخولى، وآرتفع حيث أُجلست، فلما حضرنا الطعام، قلت: حدّثنا دُرُسْتُ آبن زياد عن أبان بن طارق عن نافع عن آبن عمر قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «من دخل إلى دار قوم بغير إِذْنِهم، دخل سارقا، وخرج مُغيرا، ومن دُعِى ولم يُجب فقد عصى اللهَ ورسولَه»، فظننت أنى قد أشرفت على الرجل وقصّرت من لسانه، فأقبل علىّ وقال: أعيذك بالله من هذا الكلام فى دار الأمير، فإن الأشراف ١٥
لا يحتملون التعريض باللؤم، وقد حَظَر الدينُ التعريضَ، وعزّر عليه عمر رضى الله عنه، ووليمة الامير دعاء لأهل مِصره فإنه سَلِيلُ أهل السقاية، والرفادة، والمطعمين الأفضلين الذين هَشَمُوا الثَّرِيد، وأبرزوا الجِفَان لمن غدا إليهــا، ثم لا تُوزع وأنت فى بيت من العلم معروف من أن تحدّث عن درست بنِ زياد وهو ضعيف عن أبان آبن طارق وهو متروك الحديث بحكم رفعه الله إلى النبىّ صلى الله عليه وسلم، والمسلمون ٢٠

على خلافه، لأن حكم السارق القطع، والمغير يُعَزَّرُ على مايراه الإمام، وهذان حكمان لاينفذان على داخلٍ دارا فى مجمع فيتناول لُقَما من فضل الله الذى آتى أهلها ثم لايُحدِثُ حدثا حتى يخرجَ عنها، وقد قال النبىّ صلى الله عليه وسلم : «طعامُ الواحد يكفِى الاثنين، وطعامُ الاثنين يكفِى الأربعَة»، حدّثنا بذلك أبوعاصم النبيل عن ابن جريج عن أبى الزبير عن جابر عن النبىّ صلى الله عليه وسلم، فأين أنت عن هذا الحديث الصحيح الإسناد والمتن ؟ قال نصر : فأصابتى خَجْلَة شديدة، فلما نظر الرجل إلى ما بى أكل ونهض قبلى، فلما خرجت وجدتُه واقفا على دابتـه بالباب، فلما رآنى تبعنى، ولم يكلّمنى ولم أكلّمه، إلا أننى سمعته يتمثل

ومَن ظنّ ممّن يُلاقِى الحروب * بأنْ لا يُصاب فقد ظَنّ عَجْزا

وقيل : مرّ طفيلىٌّ بسكّة النَّخَع بالبصرة على قوم، وعندهم وليمة، فاقتحم عليهم، وأخذ مجلسـه مع مَنْ دُعِى، فأنكره صاحب المنزل، فقال له : لو تأنّيتَ أو وقفت حتّى يُؤْذَنَ لك، أو يُبعثَ إليك، فقال : إنما اتُّخذتِ البيوتُ ليُدخَلَ إليها، ووُضِعتِ الموائدُ ليؤكَلَ ما عليها، وماوجّهت بهديّة فأتوقع الدعوة، والحِشْمَةُ قطيعةٌ، واطّراحُها صلَةٌ، وقد جاء فى الأثر : «صِلْ مَنْ قطعك، وأعطِ مَنْ حرمك»، ثم أنشد

كلَّ يوم أدورُ فى عَرْصَة الدّا * ر أشُمُّ القُتَار[1] شمَّ الذُّبابِ
فاذا ما رأيتُ آثارَ عُرْس * أو دُخَانا أو دَعْوةَ الأصحابِ
لم أُعرّج دونَ التقحُّم لا أر * هَب شتما ولكْزة البوّابِ
مُستهِينا بمن دخلت عليـه * غيرَ مُستأذِن ولا هيّابِ
فترانى ألُفُّ بالرغم منـه * كلَّ ما قدّموه لَفَّ العُقَابِ

(١) القتار : ريح الشواء.

ووصف طفيلىّ نفسه فقال

نحنُ قومٌ إذا دُعينا أَجَبْنَا * ومتى نُنْسَ يَدْعُنَا التطفيلُ
قولنـا : علّنا دُعِينَا فَغِبنَا * أَوْ أتانا فلم يجِدْنَا الرســولُ

وقال آخر

نحنُ قومٌ نُحِبُّ هَدْىَ رسولِ اللّهِ هَــدْياً به الصوابَ أَصَبْنَا ٥
فادْعُنا كلّمــا بَسطْتَ فإنّاَ * لَو دُعِينا إلى كُرَاعٍ أَجَبْنَا

وقال آخر

نحنُ قومٌ إن جفا النّا * سُ وَصَلْنَا من جفانا
لا نُبالى صاحب الدّا * رِ نَسِــينا أم دَعانا

وقال آخر وقد أقبل إلى طعام، من غير أن يُدْعى إليه فقال له صاحب الصنيع : ١٠
مَنْ دعاك ؟ فأنشد

دعوتُ نفسى حين لم تَدْعُنى * فالحمدُ لِى لا لكَ فى الدّعوةِ
وكان ذَا أحسن من مَوْعِدٍ * إخلافُهُ يدعو إلى جفــوةِ

وقد مدح أبو رَوْح ظفر بن عبدالله الهَرَوِىّ طُفَيلياً ولم يسبق إليه، فقال

إنَّ الطفَيْــلِىَّ له حُرْمَةٌ * زادتْ على حُرمة نَدْمَانى ١٥
لِأنّه جاء ولم أَدْعُــه * مبتدِئاً منــه بإحســانِ

ودخل طفيلىّ إلى قوم فقالوا له : ما دعوناك ! فمـا الذى جاء بك ؟ فقال :
إذا لم تدعونى ولم آت، وقعت وحشة، فضحكوا منه وقرّبوه .

وقيل : مرّ طفيليّ على قوم يتغدّون، فقال : سلام عليكم معشرَ اللئام، فقالوا : لا والله ، ! بل كرام ، فثنى ركبتَه ونزل ، وقال : اللهـمّ آجعلهم من الصادقين ، وآجعلني من الكاذبين .

قال هشام أخو ذي الرمّة لرجل أراد سفرا : إن لكل رُفقة كلبا يشركهم في فضلة الزاد، فإن آستطعت أن لا تكون كلب الرِّفاق فآفعل . ٥

ونظر طفيليّ إلى قوم من الزنادقة يُسار بهم إلى القتل، فظنهم يُدْعون الى صنيع، فتلطّف حتّى دخل في لفيفهم وصار كواحد منهم، فلما بلغوا صاحب الشُّرطة، أمر بضرب أعناقهم ، فقدّموا واحدا بعد واحد حتّى آنتهوا إلى الطفيليّ فلما قُدِّم للقتل آلتفت إلى صاحب الشُّرطة، فقال له : إنّي واللهِ ما أنا منهم، ولا أعلم بما يدينون، وإنما أنا طفيليّ ظننتُهم يُذْهَبُ بهم إلى صنيع، فتلطّفت حتّى دخلت في جملتهم، ١٠ فقال ليس هذا مما ينجيك، آضربوا عنقه، فقال : أصلحك الله، إن كنتَ عزمتَ على قتلي ، فأمر السياف أن يضرب بطني بالسيف ، فإنه هو الذي أوقعني في هـذه الورطة، فضَحِك، وكشف عنه، فأُخبِر أنه طفيليّ معروف، فخلّى سبيله .

وحُكِي أن المأمون أمر أن يُحمل إليـه عشرة من الزنادقة سُمُّوا له من أهـل البصرة، فجُمِعوا، فأبصرهم طفيليّ، فقال : ما آجتمعوا إلا لصنيع، فدخل في وسطهم ١٥ ومضى بهم الموكَّلُون، حتّى آنتهوا إلى زورق قد أُعِدَّ لهم، قال الطفيليّ : هي نُزْهة، فدخل معهم الزَّورق، فلم يكن بأسرع من أن قُيِّدُوا، وقُيِّدَ معهم الطفيليّ، ثم سِير بهم إلى بغداد، فأُدْخِلوا على المأمون، فجعل يدعوهم بأسمائهم رجلا رجلا، ويأمر بضرب (١٠٢) أعناقهم، حتّى وصل إلى الطفيليّ، وقد آستوفى العِدّة، فقال للوكلين : ما هـذا ؟ قالوا : والله ما ندري ، غيرَ أنّا وجدناه مع القـوم ، فجئنا به، فقـال له المأمون : ٢٠

ما قصّتُك؟ ويلك! فقـال يا أمير المؤمنين : آمرأتى طالق إن كنت أعرف من
أقاويلهم شيئا ولا ممـا يدينون به وإنمـا أنا رجل طفيلىّ ، رأيتُهـم مجتَمِعين ،
فظننتُ صنيعا يُدْعَون إليــه ، فضحك المـأمون وقال : يُؤَدَّبُ ، وكان
إبراهيم بن المهدىّ قائمـا على رأس المأمون فقال : يا أمير المؤمنين، هب لى أدبه ،
وأحدثك بحديث عجيب عن نفسى، قال : قل يا إبراهيم، قال : يا أمير المؤمنين ، ٥
خرجتُ من عندك يوما، فطُفتُ فى سِكَك بغداد متطرِّفا ، حتّى آنتهيت إلى موضع
كذا ، فشممت من قُتَار أبازير قُدور قد فاح ، فتاقت نفسى إليهـا ، وإلى طِيب
ريحها، فوقفت إلى خياط ، فقلت له : لمَنْ هذه الدار؟ فقال : لرجل من التّجار ،
قلت : ما آسمه؟ قال : فلان بن فلان ، فرميت بطرفى إلى الدار ، فإذا شُبَّاك فيها
مطلٌّ، وإذا كَفٌّ قد خرج من الشُّبَّاك ومِعْصَم، فشغلنى حسنُ الكفِّ والمعصم عن ١٠
رائحة القُدور، فبُهِتُّ ساعة، ثم أدركنى ذهنى، فقلت للخياط : أهو ممّن يشربُ النبيذَ؟
قال : نعم، وأحسب أن عنده اليومَ دعوة، وهو لا ينادم إلا تُجَّارا مثله مستورين،
فإنى لكذلك، إذ أقبل رجلان نبيلان راكبان من رأس الدَّرْب، فقال لى الخياط :
هؤلاء منادماه، فقلت : ما آسماهما وما كُنَاهما؟ فقال : فلان وفلان، فحرّكتُ دابتى
وداخلتهما، وقلت : جُعِلْتُ فِدَاكما، قد آستَبْطَأَكما أبو فلان، وسايرتهما حتّى بلغنا ١٥
البـاب فأجلّانى وقدّمانى ، فدخلت ودخلا ، فلما رآنى صاحب المنزل معهما ،
لم يشكّ أنى منهما، فَرَحَّبَ بى وأجلسنى فى أفضل المواضع، فجىء يا أمير المؤمنين
بمائدة عليها خبز نظيف وأُتينا بتلك الألوان، فكان طعمها أَطْيَبَ من رِيحها ،
فقلت فى نفسى : هــذه الألوان قد أكلتُها، بَقِيت الكَفُّ، كيف إلى صاحبتها ؟
ثم رُفِع الطعام، وجِيءَ بالوَضُوء، ثم صرنْا إلى مجلسِ المنادمة، فإذا أشكلُ منزل، وجعل ٢٠

صاحب المنزل يلطف بى ، و يميل علىّ بالحديث، حتّى إذا شربنا أقداحا ، خرجت علينا جارية ، كأنها بدر ، تتثنى يا أميرالمؤمنين كالخيزران، فأقبلتْ،وسلّمت غير خَجلة وثُنيت لها وِسَادة، فجلست عليهـا ، وأُتى بالعود فَوُضع فى حِجْرِها، فجسته فاستبينتُ حِذْقها فى جَسِّها، ثم آندفعت تُغَنِّى

٥ توهَّمَهَا طَرْفِى فأصـبح خَدُّها * وفيه مكان الوَهْم من نظرى أَثْرُ
تُصَافِحُهَا كَفِّى فَتُؤْلِمُ كَفَّهَا * فِنْ مَسِّ كَفِّى فى أناملها عَقْرُ

فهيّجتْ يا أمير المؤمنين بلابلى، وطرِبتُ لحسن شعرها، ثم آندفعت تغنّى

أشرتُ إليها هل عرفتِ مودّتى؟ * فردّتْ بطرف العين إنى على العهد
فَحِدْتُ عن الإظهار عَمْـدا لسرها * وحادت عن الإظهار أيضا على عَمْدِ

١٠ فصحت يا أمير المؤمنين، وجاءنى من الطرب مالم أملك نفسى معه، ثم آندفعتْ فغنّت الصوت الثالث

أليس عجيبا أَنّ بيتا يَضُمُّنِى * و إياك لا نخـلو ولا نتـكلّم!
سوى أعين تشكوالهوى بجفونها * وتقطيع أكباد على النار تُضْرَمُ
إشارة أفواهٍ وغَمْـز حواجبٍ * وتكسـير أجفان وكَفّ تُسَلِّمُ

١٥ لحسدتها والله يا أمير المؤمنين على حِذْقِها ومعرفتها بالغِناء، و إصابتها لمعنى الشعر، فقلت: بقى عليك ياجارية،فضربتْ بالعود على الأرض،وقالت : متى كنتم تُحْضِرون مجالِسَكم البُغَضَاءَ ؟ فندمتُ على ما كان منِّى، ورأيت القوم قد تغيّروا لى، فقلت : أما عندكم عود غير هذا ؟ قالوا : بلى ، فأُتيت بعود، فأصلحت من شأنه ثم غنّيت

ما للمنازل لا يُجِبْنَ حَزِينا * أَصَمِمْنَ أم قَدُم البِلَى فَبَلِينا؟

راحوا العَشيّةَ رَوْحةً مذكورةً * إنْ مُتْنَ مُتْنا أو حَيِينَ حَيِينَا

فما آستَتْمَمْتُه يا أمير المؤمنين، حتّى قامت الجارية، فأكبّت على رجليّ تقبّلهما، وقالت: مَعْذِرة ياسيدى، فوالله ما سمعت أحدا يُغَنّى هذا الصوت غِناءك، وقام مولاها وأهل المجلس، ففعلوا كفعلها، وطرب القوم وآستحثّوا الشرب فشربوا، ثم آندفعتُ أُغَنّى ٥

أَفِي الحقّ أن تَمْشِي ولا تَذْكُرِنَّنِى * وقد هَمَعت عيناى من ذكرها الدّما

إلى الله أشكو بُخلَها وسماحتى * لها عسل منى وتبذل عَلْقَما

فَرُدِّى مُصَابَ القلبِ أنتِ قتلتِه * ولا تَتْرُكيه ذَاهِلَ العقلِ مُغْرَما

فطَرِب القومُ حتّى خرجوا من عقولهم، فأمسكت عنهم ساعة حتّى تراجعوا، ثم غنّيتُ الثالث ١٠

هـذا مُحِبُّك مطوِيًّا على كَمَدِهْ * عبرى مدامُعه تَجْرِى على جسدِهْ

له يَدٌ تسأَل الرحمنَ راحته * مما به ويَدٌ أخرى على كَبِده

فجعلت الجارية تصيح: هذا الغِناء والله ياسيدى، لا ما كُنّا فيه منذ اليوم، وسَكِرَ القومُ، وكان صاحب المنزل حسنَ الشرب، صحيحَ العقل، فأمر غلمانه أن يُخرِجوهم ويحفظوهم إلى منازلهم، وخلوتُ معه، فلما شرِبْنا أقداحا، قال: ياسيدى، ذهب ما مضى من أيامى ضَيَاعا، إذ كنتُ لا أعرفك، فمن أنت؟ ولم يزل يلِحّ علىّ، حتّى أخبرتُه الخبَر، فقام وقبّل رأسى، وقال: وأنا أعجب أن يكون هذا الأدب إلا لمثلك! وإنى لجالس مع الخلافة ولا أشعر، ثم سألنى عن قصتى، فأخبرته حتّى بلغتُ إلى صاحبة الكف والمعصم، فقال للجارية: قومى فقولى لفلانة تنزل، فلم تزل تنزل ١٥ ٢٠

(١٠٣)

جواريه واحدةً واحدةً، فأنظر إلى كَفِّها ومِعصَمِها، وأقول : ليس هى هذه! حتّى قال : والله ما بقى غير أختى وأُمّى، والله لأنزلها إليك، فعجبتُ من كرمه وسعة صدره، فقلت : جُعِلتُ فداك، آبدأ بالأخت قبل الأمّ فعسى أن تكون هى، فبرزتْ، فلما رأيتُ كَفَّهَا ومِعْصَمَها، قلت : هى هذه فأمر ! غلمانه، فساروا إلى عشرة مشايخ من جِلّة جيرانه، فأقبلوا بهم، وأمر بِبَدْرَتين فيهما عشرون ألف درهم، ثمّ قال للشايخ : هذه أختى فلانة، أشهدكم أنى قد زوّجتها من سيدى إبراهيم بن المهدىّ، وأمهرتها عنه عشرين ألف درهم، فرضيت وقَبِلت النكاح، فدفع إليها بَدْرة، وفرّق الأخرى على المشايخ وصرفهم، ثم قال : ياسيدى، أمهِّد بعض البيوت فتنام فيه مع أهلك، فأحشمنى مارأيت من كرمه، فقلت : أحضر عَمَارِيَّةً[1] وأحملها إلى منزلى، ففعل، فوالله يا أمير المؤمنين، لقد أتبعها من الجَهاز ما ضاقت عنه بيوتنا، فأولدتها هذا القائم على رأس أمير المؤمنين، يشير إلى ولده، فعجب المأمون من كرم الرجل وألحقه فى خاصة أهله، وأطلق الطفيلىّ وأجازه .

ومن إنشاء المولى الفاضل تاج الدين عبد الباقى بن عبد المجيد اليمانىّ وهو الذى حاز قصبات السبق فى فن الأدب على أترابه، وفاز من البلاغة بقِدْحها المُعَلَّى فى عُنفُوان شبابه، رسالة وضعها فى هذا الفنّ، وصار له بها على أهله غاية المنّ، مع نزاهة نفسه الأبِيّة، وآرتفاعه عن المطاعم الدنية، و إنمـا وضعها تجربة لخاطره، وضمها إلى فوائد دفاتره، وهى :

هذا عهد عهده زارِد بن لاقم، لبالع بن هاجم، آستفتحه بأن قال : الحمد لله مسهل أوقات اللذّات وميسّرها، وناظم أسباب الخيرات ومُكَثِّرها، وجاعل أسواق الأفراح قائمة على ساق، جابرة لمن ورد إليها بأنواع الإرفاد وأجناس الإرفاق، أحمده

(١) العمارِيّة : هودج يُجلَس فيه .

على أن أحلّنا فى منازل السادات، أرفَعَ الدرجات، وأحلّ لنــا من الأطعمة الفائقة الطّيبات، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، شهادة تهدينا إلى المقام الرفيع، وتخصنا بالمحل الجسيم المنيع ، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله رب المكارم الجسام، ومعدن الجسارة والإقدام، الجامع بين فضيلتى الطعان والطعام، صلى الله عليه وعلى آله أهــل السماحة والكرم والإكرام ، صــلاة تُحِلّ قائلها فى غُرُفَات الجنان فى دار السـلام ، وبعد ، فإن صــناعة التطفيل صناعةٌ مهوبة ، وحِرْفة هى عنـد الظرفاء محبوبة، لا يَلْبَس شِعارَها إلا كلُّ مقدام، ولا يرفع خافقَ علمها إلا من عُدَّ فى حِرْفته من الأعلام، ولا يتلو أساطير شهامتها إلا من آرتضع أفاويق الصَّفَاقة، ولا يهتدى لمنار عَلَائِهـا إلا من نزع عن مَنْكِبيه رِدَاء الرَّقاعة والحمـاقة، وكنتُ والفَوْد غُدَافِيّ الإهاب، والغصن رَيّان من ماء الشباب، والقَدُّ يَمِيس فى حُلَّة النشاط، والقـدَم تَذْرَع الأرض ذَرْعَ الآختباط، لا يُقام سوقُ وليمة إلا وأنا الساعى إليها ، ولا ترفع أعلام نار مأْدَبة إلا وكنت الواقف لديها، أتخذ الدروب شِباكا للآصطياد،وحبائل أبلغ بها لذيذ الآزدراد، قد جعلت المعطس حليف الهواء، والقلب نزيل الأهواء، فحيث عَبَقت روائح الأبازير من أعالى تلك القصور، وتمنـدلت تلك الشوارع بزعفران البُرَم والقُـدُور، ألقيت عصا المسـير على البـاب ، وخَلبتُ بحسن أدبى قلْبَ البواب، وأوسعت فى وصولى ألفَ حيله، وجعلتها على ما عندى من حسن فنونها مَخِيله ، فلا دعوة، إلا وكنت عليهم دعوة، ولا وليمة خِتَان، إلا وقد طلعت على أرجائها مثل الجان، ولا سِمَاط تأنيب ، إلا وكنتُ إليه الساعى المنيب،ولا مَجْمَع ضيافة، إلا وكنت عليه أشد آفة، ولا ملاك عُرْس مشهود، إلا وآنتظمت فى سلك الشهود ، يحسن فىَّ قول القائل

لو طُبخت قِدْر بمَطْمُورة * مَوقدُها الشام وأعلى الثغور

وأنت فى الصين لوافيتها * ياعالمَ الغيب بما فى القُدُور

واليوم قد مال القَويمُ إلى الاعوجاج، وعزّ بازى الشيب غُرَاب الشّعر الدّاج، وقيّد الزمَنُ أقداما، ومنعت الشيخوخة إقداما، وصرتُ لحما على وَضَم، بعد أن كنت

٥ نارا على عَلَم، وقد أفادتنِي التَّجْربةُ من هذه الصناعة فنونا، وتلت علىّ من محاسنها متونا، وقد أبقيت لكل مجمْع بابا، وفَذْلَكْت لكل مَشهد حسابا، وقد اقتضى حسن الرأى أن أفوض إليك أمرها، وأودِع تأمورَ قلبِك وحِسِّك سِرَّها، علمى بأنك الكَيِّس الفَطِن، بل الألْمعِيّ الذَّرِب المَرِن، لوعقدت أكلةُ الولائم بِغَابٍ و بلد، وأحسن بتأنّيه الجميل مَدْخَلَه ومَخْرَجَه، وقد شاهدتُ من أعمالك الصالحة، ما يقال عند ذهابى:

١٠ ما أشبه الليلة بالبارحة، وقد عَهِدتُ إليك، واستخرت الله فى التعويل عليك، (١٠٤) فمثلك من يُخْطَب للمناصب، و يتسنّم ذِرْوَة المراتب، ودونك ما أنطِق به من الوصايا، واحفظ ما يسْرُدُه لسانُ القلمِ من جميل المزايا، إياك وموائدَ اللئام، وانزِل بساحات الكرام، واتخذ الشروع فى الشوارع حِرفة، وأظهِر على مشيك صَلَافة وعِفَّة، ومَيِّز بعينك حُسْنَ المساطب ونَقْشَ الستُور، و جمال الخدم وقُعود الصدور، واقصِد

١٥ الأبواب العالية، والأكلة المنقوشة الحالية، فإن دُلِلت على مأْدبة نصبها بعض الأعيان، وجمع إليها أصحابه الإخوان، فالْبَسْ من ثيابك الجميلة قشيبَها، وضوِّع بالمِنْدل الرطب طِيبَها، وأتقن خُبْرَ صاحب الدار وأخباره، وقف فى صدر الشارع من الحاره، وإذا رأيت الجَمع وقد تهادَوْا بالهوادى والأقدام، وتهادَوْا فيما بينهم لذيذَ الكلام، تَقَدّمْ إليهم بقلب قَلَبَ الأمور، وعلم بحسن تطلُّعه وتضلّعه داءَ الجمهور، وقل

٢٠ لهم: رب الدار قد استبطأكم، فما الذى أبطأكم؟ حتّى إذا قاربوا صُعُود العتبة،

ولم تبقَ هنا لك مَعْتَبَة ، تقدَّمْ رافعا لهم الستور ، ومعرّفا بمقـدار أولئك الصدور ،
فالأضياف، يعتقدون أنك غلام المضياف ، و ربُّ الحلّة ، يعتقد أنك رفيق السادة
الحِلّة ، و إن وَلجتَ مجتمعِ ختان ، وقد نُصبت فيه موائدُ الألوان ، وذُرِّفنَتِ الأبواب ،
وآكفهرَّت وجوهُ الحُجَّاب ، فاجعل تحت ضِبْنِكَ المجمع ، وآخدع قلوبَهم فمثلك من
يَخْدع ، وقل : رفيق الأستاذ ومعينُه ، ورِجْله التى يسعى بها بل يمينُه ، فحينئذ تُرْفَع ٥
الستُور ، وتُقَدَّمُ لك أطايبُ القُدور ، وإن رماك القَدَرُ على باب غفل عنـه
صاحبُه ، وسها فى غَلْقه حاجبُه ، وقد مدُّوا فى أوانيه سِمَاطا ، وجعلوا لأوائل من
يقدمه فِرَاطا ، وقد تقاربت الزبادى ، وآمتدت الأيادى ، ورأيت السِّماط رَوْضَةً
تخالفت ألوانها ، وآمتـدّت أفنانها ، والموائد فيما بينها أفلاكٌ تدور بصحونها ، بل
بروج ثابتة تُشْعِرُ بسكونها ، فَلِجْ على غَفْلة من الرقيب ، وآبسُط بَنانَ الأكل وكُفَّ ١٠
لسان المجيب ، فإن قيل لك : أما غُلق دونك باب؟ فقل : ما على الكرماء من حِجَاب ،
و إيّاك والإطالةَ على الموائد ، فإنها مصايدُ الشوارد ، و إياك والقَذَارةَ عليها ، فإنها إمارة
الحِرْمان لديها ، و إن وقعتَ على وليمة كثيرة الطعام ، قليلة الأزدحام ، كَبِّر اللقمة ولا تطل
عَلْكَها ، ومُرِ الفكَّ فى سرعة أن يَفُكَّهَا ، فإنك ما تدرى ما تُحدث الليالى والأيام ، خِيفةَ
أن يعثُرَ عليـك بعض الأقوام ، فتكتسى حُلّة الخجـل ، وتظهر على وجهك صُفرة ١٥
الوَجَل ، وآجعل من آدابك ، تطلعك الى أثوابك ، ولا ترفع لمستجلّ وجها وجيها ،
وقل لمن يحادثك : إيه ولا تقل : إيها ، وجاوب بنعم ، فإنها مُعينة على اللُّقَم ، وآجعل
لكل مقام ما يناسبه من الحيلة ، ومِلْ على أهل الولائم والمآدب ميلةً وأىَّ مِيلَة ،
وآسأل عمن و رث من آبائه مالا ، وقد جمعـه بوَعْثاء السفر وعَنَائه حراما وحلالا ،
أهل يَعْقِد مقاما؟ أم يبلُغ من دنياه بالقصف مراما؟ فإن قيل : فلان الفلانىّ رَبّ ٢٠

هـذه المثابة، وصاحب الدعوة المجابة ، فكن ثالثةَ الأثافى لِبابه، وٱنتظم فى سلك عشرائه وأتْرابه، وتفقّدِ الأسـواق خصوصا الحمّامين ، ومواطِنَ الطبخ ومساطِبَ المطربين، ومَجمَعَ القراء ومعاهدَ محالّ الوعّاظ، وكلّ بقعة هى مَظَنّة فرح يعود عليك نفعه وكن أوّلَ داخل وآخرَ خارج، ومِل إلى الزوايا، فهى أجمل مالهذه الحِرْفة من المزايا، ونَقّل رِكابك فى كلّ يوم ، فتـارة فى سوق اللحم وتارة فى سوق الثّوْم ، وغيِّرِ الحِلْيَة ، وقَصِّرِ اللحْيَة، وٱبرُزْ كلَّ يوم فى لباس، فهو أكثر للالتباس، وجَدِّد البَهْتَ حتى تتخذَه عصاك ، وتجعلَه ذَرِيعةً لمن عصاك ، وأتقن الفنون المحتاج اليها من غنى ونجامة، وطب وشهامة، وتاريخ وأدب، وكرم أصـل وحسب، وحالتى التوقيت والتنزيل، فاجعلهما دأبك، فإذا عرفوك، وحضر الجمعُ وكشفوك، فَطَرِّز كلَّ مَحْفِل بمحاسن أقوالك ، وكلّل جِيدَ كلِّ مَأْدُبة بجواهر أفعالك ، وٱعلم أنهـا صنعة دَثَرَتْ معالمُها، وقلَّ عالمُها، ولو لم أرَ على وجهك مخائلَ بِشْرِها ، وعلى أعطاف أردافك روائحَ نَشْرِها ، لمـا ألقيتُ إليك كتاب عهدها ، ولا حملتُ لبابك رايةَ مَجْدِها، فتلَقّ رايةَ هذا العهد بساعِدٍ مُسَاعِد، وعَضُد فى الوُلُوج على الأسْمِطَة مُعاضِد، فوّضتُ اليك أمرَ مَنْ تحلّى بجواهرها المنظومة ، ولَبِسَ حُلَلَها القشيبةَ المرقومة ، وبسطتُ لسانَ قلمك فى رَقْم عهودِها، وأَذنتُ لك أن تُجْرِيَهم على سَنَن معهودِها ، وإياك أن تَعْهَدَ إلا لمن ملك خِصَالها ، وجاس خلالها، وٱستجلى هلالها، وأتقن أحوالهـا، ولايةً عامّة ، وكلمـةً مُبْرَمَةً تامّة، حَرَس الله بك مَعْقَلَ الأدب واللطافة، ومَحَا بك معالمَ الثقالة والكثافة .

ذكر آداب الأكل والمؤاكلة

قال الله تعالى (يَأَيُّهَا ٱلَّذِينَ آمَنُوا كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَٱشْكُرُوا لِلَّهِ إِنْ كُنْتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ) ورُوِى أنّ داودَ عليه السلام أمر منادِيَه فنادى : أيها الناس، آجتمعوا لأعلّمكم التقوى، فاجتمعوا فقام فى محْرابه، فبكى ثم حمد الله وأثنى عليه ، ثم قال : يأيها الناس، لا تُدخلوا ها هنا إلا طَيِّبا ، ولا تُخرجوا منه إلا طَيِّبًا، وأشار إلى فيه . قيـل : أوّل آداب الأكل ، معرفة الحـلال من الحرام ، والخبيث من الطيّب .

وأما الآداب فى هيئة المُؤاكلة وأفعالها ،فقد رُوِى أنّ رسول الله صلى الله عليه وسلم ماعاب طعاما قطُّ ، إن آشتهاه أكله وإلا تركه . ورُوِى أنّ النبيّ صلى الله عليه وسلم قال : « لا تَشُمُّوا الطعام كما تَشُمُّه البهـائم ، من آشتهى شيئا فليأكل ، ومن كَرِه فَلْيَـدَع » . وقال أَنَس : قَدِمَ النبيّ صلى الله علـيه وسلم المدينة، وأنا آبن عشر، ودخل دارنا ، فَحَلَبْنَا له شاةً، فشرِب، وأبو بكر عن يسَاره، وأعرابىّ عن يَمينه، فقال عُمَرُ بن الخطاب رضى الله عنه : أعط أبا بكر، فقال صلى الله عليه وسلم : «الأيمنَ فالأيمنَ» وفى هذا المعنى يقول الشاعر

صَدَدْتِ الكأْسَ عَنَّا أُمَّ عَمْرٍو * وكان الكأْسُ مَجْـرَاها اليَمِينا

ورُوِى عن أَنَس : أنه رأى النبىّ صلى الله عليـه وسلم شرب جُرْعة ، ثم قَطَع ، ثمّ سَمَّى ، ثم شَرِب جُرْعة، ثم قَطَع، ثم سَمَّى، ثم قَطَع الثالثة ، ثمّ جَرَع مَصًّا ، حتّى فَرَغ ثمّ حَمِد الله . وقد ندب إلى غسل اليد قبل الأكل فإنه ينفى الفقر، ويُنَقِّ اللَّمَم؛ ومن السُّنة : البَدَاءةُ باسم الله، وحَمْده عند الآنتهاء .

رُوِى عن عمر بن أبى سَلمَةَ أنه قال : مررت بالنبىّ صلى الله عليه وسلم وهو يأكل، فقال « ٱجلس يا بُنَىّ وسَمّ الله ، وكُلْ بيمينك مما يليك » .

وقال بعض السلف : إذا جَمَعَ الطعامُ أربعا، فقد كَمَلَ كلُّ شىء ، إذا كان حلالا ، وذُكِرَ ٱسمُ الله عليه، وكَثُرَتْ عليه الأيدى، وحُمِدَ اللهُ حين يُفْرَغُ منه .

٥ ورُوِى عن النبىّ صلى الله عليه وسلم أنه قال : « من قال عند مَطْعَمِه ومَشْربه بسم ٱلله خَيْرِ الأسماء رَبِّ الأرض والسماءِ لم يضره ما أَكَلَ وما شَرِب» وفى حديث عائشة رضى الله عنها ، عنه صلى الله عليه وسلم قال : « إذا أكل أحدُكم فَلْيَذْكُرِ ٱسْمَ الله فإن نَسِىَ فى أوّله ، فَلْيَقلْ بِسْم الله فى أوّله وآخره » . وقال صلى الله عليه وسلم : « إذا أكل أحدُكم فليأكل بيمينه ، فإنّ الشيطان يأكل بشماله ويشرب ١٠ بشماله » .

ورُوِى : أنّ المسيحَ عليه السلام كان إذا دعا أصحابَه قام عليهم ، ثمّ قال: هكذا فاصنعوا بالفقراء .

ووصف شاعر قوما فقال

جُلُوسٌ فى مجالسهم رِزَانٌ * وإن ضَيْفٌ أَلَمَّ بهم وُقُوفُ

١٥ قال سَهْلُ بن حُصَين : شهدت الحسَنَ فى وليمة، فَطَعِم ثم قام ، فقال : مدّ الله لكم فى العافية، وأوسع عليكم فى الرزق، وٱستعملكم بالشكر .

ورُوِى عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال : « تخَلَّلُوا فإنه نظافة والنظافة من الإيمان، والإيمان مع صاحبه فى الجَنَّة » .

وفى حديث عمر رضى الله عنه : عليكم بالْخَشَبَتَيْن : يعنى السِّوَاكَ والْخِلَالَ .

وكان بعضهم يقول لولده إذا رأى حرصه فى الطعام : يابُنَىَّ، عوِّد نفسك الأثرة، ومجاهدة الشهوة، ولا تَنْهَسْ نَهْسَ السِّباع، ولا تَخْضَمْ خَضْمَ البراذين، فإن الله جعلك إنسانا، فلا تَجْعَلْ نفسَك بهيمةً .

وحكى عن بعض الكتّاب قال : تغديت مع المأمون فالتفت إلىّ وقال : خِلال قبيحة عند الجلوس على الطعام : كثرةُ مسح اليد، والانكباب على الطعام، وكثرةُ أكل البقل، ومعنى ذمّه هذه الخِلال الثلاثْ: أنه إذا أكثر مسح اليد فإنما ذلك من غَمْسها فى الطعام، والانكباب يدُلّ على شدّة الحرص وزيادة الشره والنَّهَم . قال الشاعر

لقد سَتَرَتْ منك الخِوانَ عِمَامَةٌ * دَجُوجِيّـة ظَلْمَاؤها ليس تقلع

وأما البقل، فإن الحاجة إلى البُلغة منه، وفى الإكثار منه تشبُّهٌ بالبهائم، لأنه مرعاها .

وقيل : الأكل ثلاثة : مع الفقراء بالإيثار، ومع الإخوان بالانبساط، ومع أبنـاء الدنيا بالأدب.

وقيل لبعض الحكماء : أىّ الأوقات أحمد للأكل ؟ فقال : أما مَنْ قَـدَر فإذا اشتهى، وأما من لم يَقْدِر فإذا وجد .

ذكر الاقتصاد فى المطاعم والعفّة عنها

قال الله عز وجل : (يابَنِي آدَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِنْـدَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ) وفى الحديث أن النبىّ صلى الله عليه وسلم قال : « من زاره أخوه المسلمُ فقرَّبَ إليه ما تيسر غفرَ له وجعـل فى طعامه البركةُ، ومن قُرِّب إليه ما تيسر فاستحقر ذلك كان فى مَقْت من الله حتّى يخرج» . وقالت عائشة رضى الله عنها : أَوْلَمَ النبىّ صلى الله عليه وسلم على بعض نسائه مُدَّيْنِ من شعير .

وقيل : كان عيسى بن مريم صلوات الله عليه يقول : اعملوا ولا تعملوا لبطونكم، وإياكم وفضولَ الدنيا، فإن فضولها رِجزٌ، هذه طير السماء تغدو وتروح ، ليس معها من أرزاقها شيء، لا تحرُث ولا تحصد، والله يرزقها، فإن قلتم : بطونُنا أعظم من بطونها، فهذه الوَحْشُ تغدو وتروح، وليس معها من أرزاقها شيء والله يرزقها .

وروِى أنّ عليّ بن أبى طالب رضى الله عنه : لما دخل شهر رمضان كان يفطر ليلة عند الحسن، وليلة عند الحسين، وليلة عند عبد الله بن جعفر ، لا يزيد على لقمتين أو ثلاث، فقيل له ، فقال : إنما هى أيّام قلائل يأتى أمر الله وأنا خَمِيص، فقتل من ليلته .

وفى الحديث عن النبيّ صلى الله عليه وسلم أنه قال : "من قلّ طُعْمُه صحّ بدنه وصفا قلبه، ومن كثر طعمه سَقِمَ جسمه وقسا قلبه" . وعنه صلى الله عليه وسلم قال : "ما زيَّنَ الله رجلا بزينة أفضل من عَفَاف بطنه" . قال حاتم

أَبِيتُ خَمِيصَ البطنِ مُضْطَمِرَ الحشا * من الجوع أخشى الذّم أن أتضلعا
فإنك إن أعطيتَ بطنك سُؤْلَه * وفَرْجَك نالا منتهى الذّم أجمعا

وقال بعضهم : رأيت مجنونا ببغداد ، وهو على باب دار فيها صنيع والناس يدخلون، وكنتُ ممن دُعى، فقلت : ألا تدخل فتأكل ؟ فإن الطعام كثير، قال : وإن كثر فإنى ممنوع منه، فقلت : كيف والباب مفتوح ، ولا مانع من الدخول ؟ فقال : أآكل طعاما لم أُدْعَ إليه؟ لقد اضطرّنى إلى ذلك غير الجوع، فقلت : ما هو؟ قال : دناءة النفس وسوء الغريزة، قال شاعر

وإنِّى لَعَفٌّ عن مَطَاعِمَ جَمَّةٍ * إذَا زَيَّنَ الفَحشاءَ للنفس جُوعُها

وقال آخر

وأعرِضُ عن مَطَاعِمَ قد أراها * فأتركها وفى البطن ٱنطواءُ

فلا وأبيـك ما فى العيش خيرٌ * وفى الدنيا إذا ذهب الحيـاءُ!

قال الجنيد : مرّ بى الحارث بن أسد المحاسبىّ، فرأيت فيه أثَرَ الجوع، فقلت : ياعمّ، تدخل الدار وتتناول شيئا ؟ قال : نعم، فدخل، وقدّمت إليـه طعاما حُمِل إلىّ من عُرْس، فأخذ لقمة فلاكها ونَهَضَ فألقاها فى الدِّهليز ومضى ، فالتقيت به بعـد أيام ، فقلت له فى ذلك ، فقال : كنت جائعا ، وأردت أن أسرّك بأكلى ، ولكن بينى وبين الله تعالى علامة ، أن لا يُسَوِّغنى طعاما فيـه شُبْهة ، فمن اين كان ذلك الطعام؟ فأخبرتُه، ثم قلت له : تدخل اليوم ؟ قال : نعم، فقدّمت إليه كِسَرًا كانت لنا فأكل وقال : إذا قدّمت لفقير شيئا، فقدّم مثل هذا .

رُوِى أن عمرو بن العاص قال لأصحابه يوم الحكمين : أكثِرُوا لهم الطعام ، فوالله ما بَطِنَ قوم إلا فقدوا بعض عقولهم،وما مضت عَزْمَةُ رجل بات بطينا، فلما وجد معاوية ما قال صحيحا، قال : البِطْنَة تُذْهِب الفِطْنة .

وروِى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : «لا تُميتوا القلوب بكثرة الطعام والشراب، فإن القلوب تموت كالزّرع إذا كثر عليه المـاء» .

ودخل عمر رضى الله عنه على ٱبنه عاصم وهو يأكل لحما فقال : ما هذا؟ قال : قَرِمنا اليه،قال : ويحك! قَرِمتَ إلى شىء فأكلتَه،كفى بالمرء شَرَهًا أن يأكل كلّ ما يشتهى .

قال ٱبن دريد : العرب تُعيِّر بكثرة الأكل، وأنشد

لستُ بأكّال كأكل العبد * ولا بنَوّام كنَوْمِ الفَهْـد

وقال عمر رضى الله عنه : ما ٱجتمع عند النبىّ صلى الله عليه وسلم إدامان إلا أكل أحدَهُما وتصدّق بالآخر .

وقال أبو سليمان الدارانىّ : خيرُ ما أكون إذا لَصِقَ بطنى بظهرى ، أُجوعُ الجَوْعَة فأخرج تَرْحَمُنِي المرأةُ فما ألتفت إليها ، وأَشْبَع الشَّبْعَة فأخرج فأرى عينىّ تطمحان .

ذكر أخبار الأَكَلَة

٥

قد نُسِب ذلك إلى جماعة من الأكابر وذوى الهِمَم ، فمن ذلك ما حكاه الحمدُونىّ فى تذكرته : أن معاوية بن أبى سفيان أُتى بِعِجْل مَشْوِىّ ، فأكل معه دستا من الخبز السميد ، وأربع فَرَانىّ[1] ، وجَدْياً حارا ، وجديا بارِدا ، سوى الألوان ، ووُضِع بين يديه مِائةُ رطل من الباقِلّاء الرطب ، فأتى عليه ، وقيل : إنه كان يأكل كل يوم أربع أَكَلَات آخرهنّ أشدّهنّ ، ثم يقول : ياغلام ، ٱرفع ، فوالله ما شبِعت ، ولكنى مَلِلتُ .

١٠

ومنهم عُبَيد الله بن زياد ، كان يأكل فى اليوم خمسَ أكلات آخرها جنبة بغل ، ويُوضع بين يديه بعد ما يفرغ من الطعام عَنَاق[2] أو جَدْى فيأتى عليه وحدَه .

ومنهم الحجّاج بن يوسف ، قال سالم بن قُتَيبة : كنت فى دار الحجاج مع ولده ، وأنا غلام ، فقالوا جاء الأمير ، فدخل الحجاج وأمر بتَنُّور ، فنُصِب ، وأمر رجلا يَخْبِزُ خبز الماء ودعا بسمك ، فأكل حتّى أتى على ثمانين جاما من السمك بثمانين رغيفا من خبز الماء .

١٥

ومنهم سليمان بن عبد الملك ، رُوِى أنه شُوِىَ له أربعة وثمانون خَروفا ، فمدّ يده إلى كلّ واحد منها فأكل شحم أَلْيته ونصف بطنه ، مع أربعة وثمانين رغيفا ، ثم أَذِن للناس ، وقُدّم الطعام ، فأكل معهم أَكْلَ من لم يَذُق شيئا .

(١) الفرانىّ : خبزٌ يُشوَى ويُروَّى سمنا ولبنا وسكّرا .

(٢) العناق : الأنثى من أولاد المعز .

٢٠

وقال الشَّمَرْدَل وكيل عمرو بن العاص : قَدِم سليمان بن عبد الملك الطائف، فدخل هو وعمر بن عبد العزيز، فجاء حتى ألقى صدره إلى غصن، ثم قال : يا شَمَرْدَل ، ما عندك شيء تُطعِمُني؟ قلت عندى جَذَعٌ تغدو عليه حافل و تروح أخرى، قال : عجِّل به، فأتيته به كأنه عُكَّة سمن، فجعل يأكل، وهو لا يدعو عمر، حتى بقى منه فخذ، قال : ياأبا حفص، هَلُمَّ، قال : إنى صائم، فأتى عليـه، ثم قال : ياشمردل ويلك ! ما عندك شيء؟ قلت : دجاجات ست، كأنهن رِئْلان النعام، فأتيته بهنّ فأتى عليهن، ثم قال : ويلك ياشمردل ! ما عندك ؟ قلت : سَوِيق كأنه قُراضة الذهب، فأتيته بعُسٍّ[1] يغيب فيـه الرأس، فشربه، فلمـا فرغ تجشأ كأنه صارخ فى جُبّ، ثم قال : يا غلام! أفرغْتَ من غدائنا؟ قال : نعم، قال : ما هو؟ قال : نَيِّف وثمانون قِدرا، قال : فأت بقدر قدر، وبقناع عليه رُقاق، فأكل من كل قِدْر ثلاث لقم، ثم مسح يده وآستلقى على فراشه، فوضع الخِوان، وقعد يأكل مع الناس .

ومن المشهورين بالأكل، هلال بن الأسْعر المـازنىّ، قال المعتمر بن سليمان : سألتـه عن أكله فقال : جعتُ مرة ومعى بعيرٌ لى فنحرتُه وأكلتُه إلا ما حملتُ منه على ظهرى، فلما كان الليل راودْتُ أمة لى فلم أصل إليها، فقالت كيف تصل إلىّ وبينى وبينك جمل ؟ فقلت له : كم بلّغتك هـذه الأكلة ؟ فقال : أربعة أيام . وحكى أبو سـعيد منصور بن الحسن الأبِىّ فى كتابه المترجم بنـثر الدّر : أن هلالا هذا أكل بعيرا، وأكلت آمرأته فصيلا وجامعها، فلم يتمكن منها، فقالت له : كيف تصل إلىّ وبينى وبينك بعيران؟ وله حكايات ذكرها الحمدونىّ فى التذكرة، والأَبىّ فى نثر الدر تركناها آختصارا .

(١) العُسّ : القَدَحُ العظيم .

ومنهم محمد بن علىّ بن عبد الله بن عباس ، ذكر الجاحظ : أنه أكل يوما جنبي بكر شِواء بعد طعام كثير .

ومن المشهورين بالنهم ، أحمد بن أبى خالد الأحول وزير المأمون، وكان المأمون إذا وجهه فى حاجة، أمره أن يتغدى ويمضى فَرُفِع إلى المأمون فى المظالم: إن رأى أمير المؤمنين أن يجرى على ابن أبى خالد نُزُلا ، فإن فيه كلبية، إلا أن الكلب يحرس المنزل بكِسْرة، وابن أبى خالد يقتل المظلوم، ويُعين الظالم بأكْلة، فأجرى عليه المأمون فى كلّ يوم ألف درهم لمائدته، وكان مع ذلك يشرَه الى طعام الناس. ولما انصرف دينار بن عبد الله من الجبل، قال المأمون لأحمد بن أبى خالد: امض إلى هذا الرجل وحاسبه وتقدّم إليه يَحمِل ما يحصل لنا عليه وأنفذ معه خادما يُنْهى إليه ما يكون منه، وقال : إن أكل أحمد عند دينار عاد إلينا بما نكره، ولما اتصل خبر أحمد بدينار، قال للطباخ: إن أحمد أشره من نُفِخ فيه الروح، فإذا رأيته فقل له : ما الذى تأمر أن يتخذ لك ؟ ففعل الطباخ ، فقال أحمد : فراريج كسكرية بماء الرمان تقدّم مع خبز الماء بالسميد، ثم هَاتِ بعدها ما شئت، فابتدأ الطباخ بما أمر،وأخذ أحمد يُكَلِّم دينارا، فقال له : يقول لك أمير المؤمنين : إن لنا قبلك مالا قد حبسته علينا، فقال : الذى لكم ثمانية آلاف ألف، قال فاحملها، قال : نعم، وجاء الطباخ فاستأذن فى نصب المائدة، فقال أحمد : عَجِّل بها فإنى أجوع من كلب، فَقُدِّمت وعليها ما اقترح، وقدّم الدجاج وعشرين فروجا كسكرية فأكل أكل جائع نَهِم،ما ترك شيئا مما قدّم، فلما فرغ وقدّر الطباخ أنه قد شبِع، لوح بطيفورية فيها خمس سمكات شبابيط كأنها سبائك الفضة ، فأنكر أحمد عليه إلا قدمها ؟ وقال : هاتها ، وأعاد أحمد الخطاب ، فقال دينار : أليس قد عرفتك

أن الباق لكم عندى سبعة آلاف ألف؟ قال أحسبك آعترفتَ بأكثر منها، فقال: ما آعترفت إلا بها، فقال : هاتِ خطك بما آعترفت به، فكتب بستة آلاف ألف فقال أحمد : سبحان الله ! أليس قد آعترفت بأكثر من هذا ؟ قال : ما لكم قِبلى إلا هذا المقدار، فأخذ خطه بها وتقدّم الخادم، فأخبر المأمون بمـا جرى، فلما ورد أحمد ناوله الخط، فقال: قد عرفنا ما كان من الألف ألف بتناول الغداء، فـما بال الألف ألف الأخرى، فكان المـأمون بعد ذلك يقول : ما أعلم غداء قام على أحد بألفى ألف إلا غداء دينار، وآقتصر على الخط ولم يتعقبه كَرَما ونُبْلا .

ومنهم أبو العالية، حُكِى أن آمرأة حملت فحلفت إن ولدت غلاما لَأُشبِعَنّ أبا العالية خَبِيصا، فولدت غلاما، فأطعمته، فأكل سبع جِفان، فقيـل له : إنها حلفت أن تشبعك خَبِيصا، فقال : والله لو علمت لمـا شبِعت إلى الليل .

ومنهم أبو الحسن بن أبى بكر العلّاف الشاعر دخل يوما على الوزير المُهَلَّبى ببغـداد، فأنفذ الوزير من أخذ حِماره الذى كان يركبه من غلامه، وأُدخل المطبخ وذُبِح وطُبِخ لحمـه بماء وملح، وقُدِّم بين يديه، فأكله كلّه وهو يظن أنه لحم بقر، فلما خرج طلب الحمار، قيل له : قد أكلتَه، وعوّضه الوزير عنه ووصله، فهذا كافٍ فى أخبار الأَكَلة .

ذكر ما قيل فى الجُبْن والفِرار

ومن أقبح ما هُجِى به الرجل أن يكون جبَانا فرّارا ، وقد نهانا الله عزّ وجل عن الفرار، فقال : (يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِذَا لَقِيتُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ زَحْفًا فَلَا تُوَلُّوهُمُ ٱلْأَدْبَارَ وَمَن يُوَلِّهِمْ يَوْمَئِذٍ دُبُرَهُۥٓ إِلَّا مُتَحَرِّفًا لِّقِتَالٍ أَوْ مُتَحَيِّزًا إِلَىٰ فِئَةٍ فَقَدْ بَآءَ بِغَضَبٍ مِّنَ ٱللَّهِ



وَمَأْوَاهُ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ) . وقال تعالى: (إِنَّ الَّذِينَ تَوَلَّوْا مِنكُمْ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ إِنَّمَا اسْتَزَلَّهُمُ الشَّيْطَانُ بِبَعْضِ مَا كَسَبُوا وَلَقَدْ عَفَا اللَّهُ عَنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ).

وقالت عائشة رضى الله عنها : إن لله خَلْقا، قلوبهم كقلوب الطير، كلما خَفَقَتِ الريح خفقت معها، فَأُفٍّ للجبناء، أُفٍّ للجبناء .

٥ وقال خالد بن الوليد عند موته : لقيت كذا وكذا زحفا، وما فى جسدى موضع إلا فيه طَعْنة برُمْح أو ضَرْبة بسيف أو رَمْية بسَهْم، وهأنذا أموت على فراشى حتف أنفى، كما يموت العَيْر، فلا نامت أعين الجبناء .

وقيل كتب زياد إلى ابن عباس : أن صف لى الشجاعة والجُبْن والجود والبخل فكتب إليه : كتبتَ تسألنى عن طبائع رُكِّبت فى الإنسان تركيب الجوارح، اعلم أن

١٠ الشجاع يقاتل عمن لا يعرفه ، والجبانَ يَفِرُّ عن عِرْسه ، وأن الجواد يُعطى من لا يلزمه، وأن البخيل يُمسِك عن نفسه، وقال شاعر

يَفِرُّ جبانُ القومِ عن عِرسِ نفسِهِ * ويَحْمِى شُجاعُ القومِ من لا يناسِبُهْ

وقالوا : الجبن غريزة كالشجاعة يضعها الله فيمن شاء من خلقه .

قال المتنبى

١٥ يرى الجبناءُ أن الجبنَ حزمٌ * وتلك خديعةُ الطبْعِ اللئيمِ

وقالوا : حدّ الجبن الضنّ بالحياة، والحرص على النجاة .

وقالت الحكماء فى الفراسة : من كانت فزعته فى رأسه، فذاك الذى يَفِرُّ من أُمِّه وأبيه، وصاحبته وأخيه، وفصيلته التى تُؤْوِيه .

ويقال : أسرع الناس إلى الفتنة أقلّهم حياء من الفِرار . وقال هانئ الشيبانىّ

٢٠ لقومه يومَ ذِى قار يحرِّضهم على القتال : يابنِى بكر ! هالك مَعذُور، خيرٌ من ناجٍ

فَرُور، المنيَّة، ولا الدَّنية، آستقبال الموت خير من آستدباره، الثغر فى ثغور النحور، خير منه فى الأعجاز والظهور، يا بَنِى بكر ! قاتلوا، فما من المنايا بُدٌّ، الجبان مُبغَّض حتَّى لأُمّه، والشجاع مُحَبَّبٌ حتَّى لعدوّه .

ويقال : الجُبْنُ خيرُ أخلاق النساء، وشرُّ أخلاق الرجال .

وقال يَعْلَى بن مُنَبِّه لقومه حين فروا من علىّ يوم صِفِّين : إلى أين ؟ قالوا : ذهب الناس، قال : أُفٍّ لكم ! فِرارا وآعتذارا ! قال : ولما قوتل أبو الطيّب المتنى ورأى الغلبة عليه فرّ، فقال له غلامه : أترضى أن يُحدَّث بهذا الفِرار عنك ؟ وأنت القائل

الخيـلُ والليـلُ والبيْـدَاءُ تعرفُنى * والطَّعنُ والضَّربُ والقِرْطَاسُ والقَلَمُ

فكرّ راجعا، وقاتل حتى قُتِلَ، وآستقبح أن يُعَيَّرَ بالفِرار .

وقال المنصور لبعض الخوارج عليه وقد ظفر به : أخبرنى عن أصحابى، أيهم كان أشدّ إقداما فى المبارزة، قال : لا أعرف وجوههم مقبلين وإنما أعرف أقفيتهم مُدْبِرِين، فقل لهم : يُدْبِروا لأعرّفك أيهم كان أشدّ فِرارا .

وقال آبن الرُّومىّ فى سليمان بن عبد الله بن طاهر

قِـرْنُ سليمانَ قـد أَضَرَّ به * شوقٌ إلى وجهـه سَيُدْنِفُهُ

لا يعرف القِرنُ وجْهَه ويرى * قفـاه من فَرْسَخٍ فيعرِفُهُ

وقال حسّان بن ثابت يُعَيِّر الحارث آبن هشام بفراره يوم بدر

إن كنتِ كاذبة الذى حدثتنى * فنجوتِ مَنْجَى الحارثِ بنِ هِشَامِ

ترَكَ الأَحِبَّـةَ لم يُقاتل دونهـم * ونجـا برأس طِـمِرَّةٍ ولِجَـامِ

ملأَت به الفَرْجَيْن فآرمدّت به * وثَوَى أَحِبّتـه بِشَرِّ مُقَـامِ

وقال أبو الفرج الأصفهانىّ : وكان أبو حيّة النميرىّ وهو الهَيْثَم بن الربيع آبن زُرَارة جبانا بخيلا كذّابا، قال آبن قُتَيبة : وكان له سيف يسمّيه : لُعَاب المنية، ليس بينه وبين الخشبة فرق ، قال : وكان أجبن الناس ؛ قال : فحدثنى جار له ، قال : دخل ليلة إلى بيته كلب فظنه لصًّا ، فأشرفتُ عليه ، وقد آنتضى سيفه ، ٥ وهو واقف فى وسط الدار يقول : أيها المُغترُّ بنا ، المجترئ علينا ، بئس والله ما آخترتَ لنفسك ، خيرٌ قليل ، وسيفٌ صقيل، لعاب المنية الذى سمعت به ، مشهورة ضربته ، لا تُخاف نَبْوتُه ، آخرج بالعفو عنك قبل أن أدخل بالعقوبة عليك، إنى والله إن أدعُ قيسا إليك لا تقم لها، وماقيس ؟ تملأ والله الفضاء خيلا ورَجْلا، سبحان الله ! ما أكثرها وأطيبها ! فبينا هو كذلك، إذا الكلب قد خرج، ١٠ فقال : الحمد لله الذى مسخك كلبا، وكفانا حَرْبا .

ومن أبلغ ما قيل فى الجبن من الشعر القديم، قول الشاعر

ولو أنها عُصْفُورة لحسبتها * مسوّمةً تدعو عُبيدا وأَزْنَما (١)

ومثله قول عروة بن الورد

وأشجعُ قد أدركتُهم فوجدتُهم * يخافون خَطْفَ الطير من كلّ جانبِ

١٥ وقال آخر

مازلت تَحْسَبُ كلّ شىء بعدهم * خيلا تَكُرُّ عليهمُ ورِجالا

وقول أبى تمام

مُوَكَّلٌ بيفاع الأرض يشرفه * من خفة الخوف لامن خفّة الطّرَبِ

---

(١) قبيلتان .

وقال ابن الرومى

وفارسٍ أجبن من صِـفرِدٍ (١) * يحول أو يغور من صَفرَهْ
لو صاح فى الليل به صَائحٌ * لكانتِ الأرضُ لَه طَفرهْ
يرحمه الرحمنُ من جُبنه * فيرزقُ الجنـد به النصرهْ

(١٠٩) ## ومن أخبار الفرَّارين الذين حسّنوا الفِرار على قبْحه

٥

قال صاحب كليلة ودمنة : إن الحازم يكره القتال ما وجد بُدًّا منه ، لأن النفقة فيه من النفس، والنفقة فى غيره من المـال .

وقالوا : من تَوقّى سَلِم، ومن تهوَّر نَدِم .

وقال عبـد الله بن المقفَّع : الشجاعة مَتْلَفة ، وذلك أن المقتول مُقْبلا أكثر من المقتول مُدْبرا، فمن أراد السلامة فَلْيُؤْثِر الجُبن على الشجاعة .

١٠

ولِيمَ بعضُ الجبناء على جبنه، فقال : أول الحرب شَكْوى، وأوسطها نَجْوَى ، وآخرها بَلْوى .

وقال آخر : الحرب مقتَلة للعباد، مذهبة للطارف والتِّلاد .

وقيل لجبان : لِمَ لا تقاتل ؟ فقال : عند النطاح يُغْلَب الكبش الأجمّ (٢) .

وقالوا : الحياة أفضل من الموت، والفِرار فى وقته ظَفَر .

١٥

وقالوا : الشجاع ملقًّى، والجبان موقًّى . قال البديع الهمذانى

ماذاق همًّا كالشجاع ولاخلا * بمَسَرّةٍ كالعاجز المُتَـــوانِى

وقالوا : الفرار فى وقته، خير من الثبات فى غير وقته .

(١) الصعرد : طائر يقال له : أبو المليح وهو طائر جبان .
(٢) الأجمّ : الذى لا قرن له ، وهو مثل يضرب لمن غلبه صاحبه بما أعدّ له .

٢٠

وقالوا : السّلم أزكى للمال، وأبقى لأنفُس الرّجال .

وقالوا : الحمام فى الإقدام، والسلامة فى الإحجام .

وقال المتوكّل لأبى العيناء : إنى لأفرَق من لسانك، فقال: يا أمير المؤمنين، الكريم ذو فَرَق وإحجام، واللئيم ذو وقَاحة وإقدام .

٥ وقيل لأعرابىّ : ألا تعرف القتال؟ فإن الله قد أمرك به، فقال: والله إنى لأبغض الموت على فراشى فى عافية، فكيف أمضى إليه ركْضا؛ قال شاعر

تمشى المنـايا الى قومٍ فأبغضها * فكيف أعدو إليها عارىَ الكَفَنِ؟

وقيل ليزيد : إن النبىّ صلى الله عليه وسلم قال : « إذا رأيتَ شخصا بالليل، فكن للإقدام عليه أولى منه عليك » فقال : أخاف أن يكون قد سمع الحديث قبلى، فأقع

١٠ معه فيما أكرَه، وإنمـا الهرَبُ خير .

وسَمِـع سليمانُ بن عبد الملك قارئا يقرأ (قُلْ لَنْ يَنْفَعَكُمُ ٱلْفِرَارُ إِنْ فَرَرْتُمْ مِنَ ٱلْمَوْتِ أَوِ ٱلْقَتْلِ وَإِذًا لَا تُمَتَّعُونَ إِلَّا قَلِيلًا) فقال : ذلك القليلَ نريد .

ولمـا فرّ أُميّـةُ بن عبد الله بنِ خالد بن أسـد يوم مَرْدَاء هَجَر بالبحرين من أبى فُدَيْك الخارجىّ إلى البصرة ، ودخل عليـه أهلُها ، فلم يدروا كيف يكلّمونه

١٥ ولا ما يلقونَه به من القول، أيهنئونه بالسّلامة أم يعزّونه بالفِرار، حتى دخل عبدالله ٱبنُ الأَهتم، فاستَشْرف الناس له، ثم قالوا : ما عسى أن يقول لمنهزم؟ فسلّم ثم قال: مرحبا بالصابر المخذول ، الحمـد لله الذى نظر لنا عليك، ولم ينظر لك علينا، فقد تعرضت للشهادة جهدك، ولكن الله علم حاجة أهل الإسلام إليك فأبقاك لهم بخِذْلان من معك لك ، فقال أميّـة : ما وجدتُ أحدا أخبرنى عن نفسى غيرَك .

٢٠ وقال الحارث بن هشام وأحْسَن فى ٱعتذاره عن الفرار

الله يَعْـــلمُ ما تركْتُ قتـالهـم * حتى عَلَوْا مُهرى بأشــقرَ مُزبِدِ
وعلمتُ أنّى إنْ أقاتلْ واحداً * أُقتَلْ ولا يضرر عدوّى مَشْهَدى
فصَدفْتُ عنهم والأَحِبَّـةُ فيهمُ * طمعاً لهم بعِقَاب يوم سَرْمـدِ

وقال زُفَرُ بن الحارث وقد فرّ يوم مَرْج رَاهِط عن رفيقَيه

أَيذهبُ يوم واحد إن أَسأتُه * بصـالح أيامى وحسنِ بلائيـا؟ ٥
فلم تُرَ منّى زَلَّةٌ قَبْـل هـــذه * فِرَارى وتَرْكى صاحبيَّ ورائيـا

وهى أبيات نَذْكُرها إن شاء الله فى التاريخ، ونظير ذلك قول عمرو بن معد يكرب من أبيات يخاطب بها أخته رَيحْانة، وقد فرّ من بنى عَبْس

أجاعِـلةٌ أمُّ الثُّـــوَيْرِ خزايةً * علىَّ فِرَارى إذ لَقِيتُ بنى عَبْسِ
وليس يُعاب المرءُ من جبنِ يومِه * إذا عُرِفت منه الحِمَاية بالأَمْسِ ١٠

وعكَس هذا البيت عبدُ الله بنُ مطيع بن الأسود العَدوىّ، وكان قد فرّ يوم الْحَرَّة من جيش مُسلِم بنِ عُقبةَ، فلما حاصر الحجاج عبدَ الله بنَ الزبير بمكةَ جعـل يقاتل أهل الشّام ويرتجز

أَنا الذى فَرَرتُ يوم الْحَـرَّهْ * والشيـــخ لا يَفِـــرّ إلا مَرَّهْ
فاليـــومَ أَجزِى كَرَّةً بِفَــرَّهْ * لا بأس بالكَرَّة بعـــد الفَـرَّهْ ١٥

ولم يَزَلْ يُقاتِل حتى قُتِل؛ قال الفرّار السّلمىّ

وفوارسٍ لَبَّسْتُهـا بفـــوارس * حتى إذا الْتَبَسَت أَملْتُ بها يدى
وتركْتُهم نقصَ الرِّماح ظهورهم * من بين مقتـــولٍ وآخرَ مُسْنَدِ
هل ينفعنّى أن تقول نسـاؤهم * وقُتلتُ دون رجالِهم: لا تبْعُـدِ؟

وقال آخر

قامت تُشَجِّعنى هِنــدٌ فقلت لها : * إن الشجاعة مَقْــرُون بها العطبُ
لا والذى منــع الأبصــارَ رؤيتَه * مايشْتَهى الموتَ عندى منْ له أَرَبُ
للحرب قــوم أضـــل الله سعيهمُ * إذا دَعَتْهُـــم إلى نيرانهَـا وَثَبُــوا

٥ وقيل لجبان فى بعض الوقائع : تَقَدَّم، فقال

وقالوا: تقدّم قلتُ: لستُ بفاعل * أخاف على فَخَّارتى أن تحطَّمـا
فلو كان لى رأسان أتلفتُ واحدا * ولكنه رأس إذا زال أَعْقما
وَأُوتِمِ أولادا وأرمــلُ نســـوةً * فكيف على هــذا تَرَوْن التقدّما؟

ذكر ما قيل فى الحمق والجهل

١٠ قالوا : الحُمق قِلَّةُ الإصَابة، وَوَضْع الكلام فى غير موضعه، وقيل : هو فقدان ما يُحمد من العاقل؛وقيل لعمرَ بنِ هُبَيْرة :ما حدّ الحمق ؟ قال : لاحدّ له كالعقل .

وروى عن النبيّ صلى الله عليه وسلم أنه قال: «الأَحمق أبغضُ الخلقِ إلى الله، لأَنّه حرمه أعزَّ الأشياء عليه وهو العقلُ» . (١١٠)

وقيل : أوحى الله تعالى إلى موسى، أَتَدرِى لمَ رزقتُ الأحمقَ؟قال:لا يارِبّ ،
١٥ قال : ليعلم العاقلُ أن طَلَبَ الرزقِ ليس بالاجتهاد .

وقال الشعبيّ : إذا أراد اللهُ أن يُزِيلَ عن عبد نِعمةً، كان أول ما يُعدمه عقله .

وقالوا : الحمق داءٌ دواؤه الموتُ . وقد بيّن الله تعالى لحبيبه مَن لم يعقل بقوله(لِيُنْذِرَ مَنْ كَانَ حَيًّا) قيل : عاقلا، و بقوله (لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ السَّعِيرِ) .

وعَنْ أنس بنِ مالكٍ رضى اللهُ عنه قال : أثنى قومٌ على رجل عند النبيّ صلى الله عليه وسلم حتى بالَغُوا، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «كيف عقلُ الرجل؟» فقالوا : نُخبرُك عن آجتهاده فى العِبادَة وأصنافِ الخير وتسألنا عن عقله! فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «إنَّ الأحمقَ يصيبُ بحُمُقه أعظمَ من فُجُورِ الفاجرِ، وتَرتفِع العبادُ غدا فى الدرجات على قدر عقولهم» . ٥

ومِن كلامِ لقمانَ لابنه : أنْ تكون أخرَس عاقلا خيرٌ من أن تكونَ نطوقا جاهلا، ولكل شيء دليل، ودليلُ العقلِ النقلُ، ودليلُ النقلِ الصمتُ، وكَفَى بك جهلا أن تَنهى الناس عن شيء وتركبه .

وقال عيسى عليه السلام : عَالجتُ الأكمَهَ والأبرَص فأبرأتُهما، وعالجت الأحمقَ فأعْيانى؛ قال شاعر ١٠

لِكل داءٍ دواءٌ يُستطبُّ به * إلا الحماقةَ أعيت من يُداويها

وقال آخر

وعلاجُ الأبْدان أيسرُ خطبٍ * حينَ تعتلّ من علاجِ العقولِ

وقال آخر

الحمق داءٌ ما له حيلةٌ * تُرجى كبعدالنجم من مسّهِ ١٥

وقيل : إذا قيل لك إن فقيرا آستغنى، وغنيّا آفتقَر، وحيّا مات، أو ميتا عاش، فصدّق، وإذا بلغَك أن أحمقَ آستفادَ عقلا فلا تصدّقْ .

وقالوا : الأحمقُ تتمنى أمّه أنّها به مُثكلة ، وتتمنى زوجُه أنّها منه أرملة، ويتمنى جارُه منه العزلةَ ، ورَفيقه منه الوحشةَ، وأخوه منه الفُرْقةَ .

وقال سهل بنُ هارونَ: وجدْتُ مودّة الجاهل، وعداوةَ العاقلِ، أسوةً فى الخَطَر، ووجدْت الأُنسَ بالجاهل، والوحشَةَ من العاقل، سِيّيْن فى العيْب، ووجدتُ غِشّ العاقل أقلّ ضررًا من نصيحةِ الجاهلِ، ووجدتُ ظنّ العاقل أوقعَ بالصواب من يَقينِ الجاهل، ووجدتُ العاقلَ أحفظَ لما لم يُستَكتَم من الجاهل لما ٱسْتُكتِمَ .

٥ وقال لقمان لابنــه : لا تُعاشرْ الأحمقَ و إنْ كان ذا جَمــال ، وٱنظر إلى السيف ما أَحسنَ مَنظَرَه وأقبحَ أثَرَه! .

وقال علىٌّ رضى الله عنه : قَطيعةُ الجاهل تَعدِلُ صِلَةَ العــاقل ؛ وقال : صديقُ الجاهلِ فى تعب .

وقال آخر : لَأَنَا لِلعاقلِ المُدْبِرِ،أرجَى شىء من الأَحْمقِ المُقْبِلِ، وقال شاعر

١٠ عَدُوّكَ ذُو العقل خيرٌ من الـــ * ـصّدِيقِ لكَ الوَامقِ الأَحْمَقِ

والبيت المشهور السائر

وَلَأن يُعَادِىَ عَاقِلا خَيْرٌ له * مِنْ أنْ يكُونَ له صدِيقٌ أحمقُ

وقيــل : الحمق يَسلبُ السلامةَ، و يورث الندامة ؛ وقد ذمّوا مَن له أدب بلا عقْل .

١٥ ووصف أعرابىّ رجلا فقال : هو ذو أدبٍ وافر، وعقل نافِر؛ قال شاعر

فَهَبْكَ أخا الآدابِ،أىّ فَضيلةٍ * تكونُ لذى علمٍ وليس له عقلُ؟

* * *

ومن صفات الأحمقِ وعلاماتِه، قيل : ما أَعْدمكَ من الأحمقِ فلا يعدمُك منه كثرة الآلتفاتِ وسرعة الجوابِ، ومن علاماته الثقةُ بكلّ أحد .

وَيُقال: إنَّ الجاهلَ مُولَعٌ بحلاوةِ العاجل، غيرمبالٍ بالعواقِب، ولا مُعْتَبِر بالمواعظِ، ليس يُعجبُه إلا ما ضَرَّه، إن أصابَ فَعلَى غيرِ قَصدٍ، وإنْ أخطأ فهو الذى لا يحسن به غيرُه، لا يَستوحِشُ من الإساءة، ولا يفرحُ بالإحسانِ.

وقالوا: ستُّ خِصال تُعرفُ فى الجاهل، الغضبُ منْ غيرِ شيء، والكلام فى غير نفع، والفِطْنة فى غير موضع، ولا يَعرِفُ صديقَه مِن عدوه، وإفشاءُ السرِّ، والثِّقةُ بكلِّ أحد.

وقالوا: غضَب الجاهِل فى قوله، وغضبُ العاقلِ فى فعـلِهِ، والعاقلُ إذا تَكلَّم بكلمةٍ أتْبعهامثلا، والأحمق إذا تكلم بكلمة أتبعها حُلْفا، الأحمقُ إذا حدَّث ذَهَل، وإذا تكلم عجِل، وإذا حُمِلَ على القبيحِ فَعَل.

وقال أبو يوسف: إثباتُ الحجةِ على الجاهِلِ سهلٌ، ولكن إقراره بها صعبٌ.

وقال وهب بنُ منبِّه: كان يقالُ للأحمَق إذا تكلَّم: فضَحَه حمقُهُ، وإذا سكَت فضحه عِيُّه، وإذا عمِل أفسدَ، وإذا تَرَكَ أضَاعَ، لا علمُه يُعِينُه، ولا علمُ غيرِه ينْفعُه، تَوَدّ أمُّه أنها ثكلتْه، وتتمنى امرأتُه أنهـا عَدِمتْه، ويتمنى جارُه منه الوحدةَ، وتأخذ جليسَه منه الوحشة.

ويُستدلُّ على الأحمق بأشياء، قالوا: من طالتْ قامتُه، وصَغُرت هامتُه، وانسدلت لحيتُه، كان حَقيقا على من يراه أنْ يُقرِئَه عن عقلِه السلامَ.

ويُقال فى التوراة: اللحيةُ مَخرَجُها من الدِّماغ، فمن أفرطَ عليه طولُها قلَّ دِماغُه، ومن قلّ دِماغُه قلَّ عقلُه، ومن قلَّ عقلُه فهو أحمقُ.

وقالت أعرابيّة لقاضٍ قضى عليهـا: صَغُر رأسُك، فَبعُدَ فهمُك، وانسـدلت لحيتُك، فتكَوسَجَ عقلُك، وما رأيت مَيّتا يقضى بين حَيّيْنِ غيرك.

(١١١) وقال مَسْلَمة بنُ عبدِ الملكِ لجلسائه : يُعرفُ حمقُ الرجلِ فى أربع، طول لحيتِه، وبشاعة كنيتِه، وإفراط شَهوتِه، ونقش خاتَمِه، فدخلَ عليه رجلٌ طويلُ اللحية، فقال : أمّا هذا فقد أتاكم بواحدةٍ، فانظروا أينَ هوَ من الثَّلاثِ؟ فقيل له : ما كُنيتُك؟ فقال : أبو الياقوتِ، فقيل له : ما نقْشُ خاتَمِك؟ فقال : (وَتَفَقَّدَ ٱلطَّيْرَ فَقَالَ مَالِىَ لَا أَرَى ٱلْهُدْهُدَ) قيل : فأىُّ الطعامِ أحبُّ إليكَ؟ قال : الجَلَنْجَبِين[١]، فقال مَسْلَمة: فيه ما بعدَ كنيتِه، معَ طول لحيتِه، مع نقش خاتمِه، شكٌّ لِمُعْتبِرٍ.

قال الشَّعبيّ : خطَب الحجاجُ يومَ جمعةٍ فأطال، فقام إليه أعرابىٌّ، فقال له : إن الوقت لاينتظرُك وإنَّ الربَّ لايعذُرك، فأمر به فحُبِسَ، فأتاه أهلُه يشفعون فيه وقالوا : إنه مجنونٌ، فقال الحجاجُ : إن أقَرَّ بالجنونِ خَليتُ سبيلَه، فأتوه وسألوه ذلك، فقال : لا واللهِ، لا أقول إن الله ٱبتلانى وقد عافانى. فبلَغ كلامُه الحجاجَ، فعظُم فى نفسه وأطلَقه .

وقال الأصمعىُّ : قلت لغلامٍ من أبناء العربِ : أيسرُّك أن يكون لك مائةُ ألفٍ وأنت أحمقُ؟ قال : لا واللهِ، قلتُ: ولِمَ؟ قال : أخافُ أن يَجْنِىَ علىّ حُمقى جِنايةً، فتَذهب منّى، ويبقى حُمقى .

والعربُ تَضرِبُ المَثَلَ فى الحُمقِ بعِجْل بن لُجَيْم، ويزعمون أنّه قيل له : إنّ لكل فرسٍ جوادٍ ٱسمًا، وإنّ فرَسَك هذا سابقٌ فسمِّه، فَفَقأ عينَه وقال : سميتُه الأعورَ، وفيه يقول الشاعر

---

(١) قال صاحب أقرب الموارد : الجَلَنْجَبِينُ : معجون يعمل من الورد والعسل، فارسىّ معرّب عن كلمة "كُلّ" ومعناها ورد، وعن كلمة "أنكبين" ومعناها عسل .

رَمَتْنِي بَنُـو عِجْـلٍ بِداءِ أبيهِـمُ * وهل أحدٌ في الناس أحمقُ من عِجلِ؟
أليس أبوهم عَارَ(١) عينَ جـوادِه ؟ * فسارتْ به الأمثالُ في الناس بالجهلِ!

ويضربون المَثَل في الحمق بِهَبَنَّقَةَ القَيْسيّ، وهو يزيدُ بنُ ثَرْوَان، ويكنى أبا نافع، حُكى أنه شَرد له بعيرٌ، فقال : من جاء به فله بَعيران، فقيلَ له : أتجعلُ في بعير بَعيرَيْن؟ فقال : إنكم لا تعرفون فرحة الوجدان .

وقد رضِي قومٌ بالجهل فقالوا : ضعفُ العقلِ أمانٌ من الغمّ ؛ وقالوا : ما سُرّ عاقل قَطّ ؛ قال أبو الطيّب المتنبي

ذو العقلِ يَشقَى في النعيم بعقلِه * وأخو الجَهَالَةِ في الشقاوةِ يَنعمُ

وقال حكيمٌ : ثمرةُ الدنيا السرورُ، ولا سرورَ لِلعقلاءِ ؛ وقال المغيرةُ بنُ شعبةَ : ما العيشُ إلّا في إلقاء الحِشمةِ . وقالَ بكر بن المعتَمر : إذا كان العقلُ سبعةَ أجزاءٍ آحتاجَ الى جزء من جَهلٍ ليقدم على الأُمورِ، فإنَّ العاقلَ أَبدا مُتوانٍ مترقبٌ متوقِّف متخوِّف؛ قال النابغةُ الجعديّ

ولا خَيرَ في حِلْم إذا لَمْ تكن له * بوادرُ تَحمى صفوَه أن يُكدَّرا

وقال آخر

من راقبَ الناسَ لم يَظفرْ بحاجَتِه * وفَاز بالطيّباتِ الفـاتِكُ اللَّهِجُ

أخذه آخر فقال

من راقب الناس ماتَ غَمًّا * وفاز باللـذّة الجَســورُ

وقالوا : الجاهلُ يَنالُ أَغراضَه، ويَظفَر بآرائه، ويطيعُ قلبَه، ويَجرى في عِنان هواه، وهو بريءٌ من اللومِ، سليمٌ من العيبِ، مغفورُ الزّلّات .

(١) عَارَهُ : صيّره أعور .

وقالوا : الجاهلُ رَخِىُّ الذرع، خالى البالِ، عازبُ الهمّ، حسنُ الظن، لا يَخطُرُ خوفُ الموت بفكرِه، ولا يَجرى ألمُ الإشفاق على ذكره .

وقالوا : الجهلُ مَطيّةُ المِزَاح والمسرة، ومسرحُ المِزَاح والفُكاهةِ، وحليفُ الهوى والتصابى، وصاحبُه فى ذِمَامٍ من عهدة اللوم والعتْب، وأمانٍ من قوارِص الذمّ والسبّ؛

٥ قال بعضُ الشعراء

ورأيتُ الهمومَ فى صحّــة العقْلِ فَداويتُها بإمراضِ عَقْلى

وقالوا : لو لم يكنْ من فَضـيلةِ الجهلِ، غيرُ الإقدام، وورود الحِمام، إذ هما من الشجاعةِ والبسالة، وسبب تحصيل المهابة والجلالةِ، لكَفاه؛ قال أبو هلالٍ العسكرىّ: سألنى بعضُ الأُدباءِ أىّ الشعراء أشَدُّ حمقا، قلت الذى يقول

١٠ أتيــهُ على إِنسِ البــلاد وجِنِّها * ولَو لم أجد خلقا لَتِهْتُ على نفسى

أتيــه فلا أدرى من التِّيــهِ مَنْ أنا * سوى ما يقول الناسُ فىّ وفى جنسى

فإنْ صدقوا أنى من الإنس مثلُهم * فما فىّ عيبٌ غيرَ أنّى من الإِنسِ

ذكر ما قيــل فى الكذب

قال الله عزّ وجلّ : (وَيْلٌ لِكُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ) . وقال : (إِنَّمَا يَفْتَرِى ٱلْكَذِبَ

١٥ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِ ٱللَّهِ وَأُولَئِكَ هُمُ ٱلْكَاذِبُونَ) وقال فى الكاذبين : (لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ) .

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إياكم والكَذِبَ فإنَّ الكَذِبَ يَهدى إلى الفُجُورِ، والفجور يهدى إلى النّارِ» . وقال صلى الله عليه وسلم : « الكَذِبُ مُجانِبٌ

الإيمَانِ » . وقال صلى الله عليه وسلم : « ثلاثٌ من كُنَّ فيه فهو منافقٌ، وإنْ صلَّى وصامَ وزعَم أنه مسلمٌ، منْ إذا حدَّثَ كَذَبَ، وإذا وعَد أخلَف، وإذا أؤتُمِنَ خان » . وقال صلى الله عليه وسلم : « لايجوز الكذبُ فى جدّ ولا هَزْل » وقال : « لا يكونُ المؤمنُ كذَّابا » .

وقالت الحكماء : ليس لكاذبٍ مُروءةٌ . ٥

وقالوا : من عُرِفَ بالكذِبِ لم يَحسن صِدقُه .

وقال عبدُ الله بنُ عمَر رضى الله عنهما : خُلْفُ الوعد ثُلُثُ النفاق .

وقال بعض الحكماء : الصدقُ مُنجيك وإنْ خِفتَه، والكذبُ مُرديك وإن أَمِنتَه .
قال عمرو بنُ العلاءِ القارئ : سادَ عُتبةُ بن ربيعة وكان مملِقا، وساد أبو جهل وكان حَدَثا، وساد أبو سفيان وكان بخَّالا ، وساد عامر بن الطُّفَيل وكان عاهرا، وساد ١٠ كليب بن وائل وكان ظلوما، وساد عُيَينة وكان مُحَمَّقًا، ولم يَسُد قطُّ كذاب، فصلح السؤْدُد مع الفقر والحداثة والبخل والعهر والظلم والحمــق، ولم يصلح مع الكَذِب، لأن الكذبَ يعمّ الأخلاقَ كلَّها بالفسادِ .

وقال يحيى بنُ خالد : رأيت شِرِّيبَ خمــر نَزَع، ولصًّا أقلعَ، وصاحبَ فواحشَ رجع، ولم أَرَ كذَّابا رجع . ١٥

ويقال : الكذبُ مِفتاح كُلّ كبيرة، والخمرُ جِمَاعُ كل شَرٍّ .

وقيل : لاتَأمننَّ مَنْ يكذِبُ لك أنْ يَكذبَ عليك .

وقيل : الكَذِبُ والنفاقُ والحسد أثافِيّ الذّلّ .

وقال ابنُ عباس : حقيقٌ على الله أن لا يرفع للكاذب درجةً، ولا يُثَبِّتَ له حجةً .

وقال سليمانُ بن سَعيد : لو صحِبنى رجلٌ وقال : لا تشترط على إلا شرطا واحدا لقلت : لا تكذِبنى .

وقال أبو حيان التَّوحيدىّ : الكذب شِعارٌ خَلَق، وَموْردٌ رَنْق، وأدبٌ سيِّءٌ، ٥ وعادةٌ فاحشةٌ ، وقلّ مَن استرسلَ فيه إلا ألِفَه ، وقلَّ من ألفه إلا أتلفَه .

وقال غيرُه : الكَذِب أوضع الرذائلِ خطة، وأجمعها للذمّة والمحطَّة، وأكبرُها ذُلًّا فى الدنيا، وأكثرُها خزيا فى الآخرة، وهو من أَعظمِ علاماتِ النفاقِ، وأقوى الدلائلِ على دناءة الأخلاق والأعرَاقِ ، لا يُؤْتَمن حاملُه على حال، ولا يُصدَّق إذا قال .

وقيل : لكل شىء آفةٌ، والكذب آفة النطق .

١٠ وقال بعضُ الكرماء : لو لم أَدَعِ الكَذِبَ تَأثُّما، لتركته تَكرُّما .

وقال أرسطاطاليس: فُضِّلَ الناطقُ على الأخرسِ بالنطق، وزَين النطق الصدقُ، فإذا كانَ الناطقُ كاذبا، فالأخرس خيرٌ منه .

وقال بعض الحكماء لولده : يابُنَىّ إياك والكذبَ ، فأنه يُزرِى بقائلِه ، و إنْ كان شريفا فى أصله، ويُذِلُّه و إن كان عزيزا فى أهله .

١٥ وقال الأَحنفُ بن قيس : آثنانِ لا يجتمعان : الكذبُ والمروءَةُ .

وقال بزُرُجُمِهر : الكاذبُ والميتُ سواء، لأن فضيلة النطق الصدقُ، فإذا لم يُوثق بكلامِه بطُلَت حياته .

وقال معاويةُ يوما للأحنف : أتكذِبُ؟ فقال : والله ما كَذِبتُ مُذ علمتُ أن الكذبَ شَيْنٌ .

وقيل : لا يجوز للرجل أن يكذِب لصلاح نفسه، فما عجز الصدقُ عن إصلاحه كان الكذب أولى بفساده . قال بعض الشعراء

ماأحسن الصدقَ والمغبوطُ قائلُه * وأقبحَ الكِذْبَ عند الله والناسِ

وقالوا : آحذر مصاحبةَ الكذّاب، فان آضطُرِرتَ إليهـا فلا تصدّقه ولا تعلمه أنك كذبتَه، فينتقل عن مودّته، ولا ينتقل عن كذِبه . ٥

وقال هُرمس : آجتنب مصاحبة الكذاب، فإنك لستَ منه على شيء يُتَحصَّل، وإنما أنت معه على مثل السَّراب يلمعُ ولا ينفَع .

وقيل : الكذّاب شرٌّ من النَّمـام، فإن الكذّاب يختلق عليـك، والنَّمامَ ينقل عنك . قال شاعر

إن النَّمُــومَ أُغَطِّى دونه خَبَرِى * وليس لى حيلةٌ فى مفتَرِى الكَذِبِ ١٠

وقال آخر

لى حيــلةٌ فيمن يَنُمّْ وليس فى الكذّاب حِيـلَهْ

من كان يخلُق ما يقو * لُ فحيلتى فيـــه قليــلَهْ

ووصف أعرابىّ كذابا فقال : كَذِبهُ مثل عُطاسه، لا يُمكِنه ردّه .

وقال بعض الأعراب : عجِبت من الكذّاب المُشيدِ بكَذِبه، وإنما هو يدلّ الناس ١٥ على عيبــه، ويتعرّض للعِقاب من ربّه، فالآثام له عادة ، والأخبـار عنه متضادّة، إن قال حقـا لم يُصَدَّق، وإن أراد خيرا لم يُوفَّق، فهو الجانى على نفسه بفعاله، والدّالّ على فضيحتها بمقاله، فمـا صحّ من صدقه نُسِب إلى غيره، وما صحّ من كذب غيره نُسِب إليه .

ويقال : الكذب جِمَاع النفاق ، وعِمَــاد مساوئ الاخلاق ، عارٌ لازم، وذلّ دائم، يخيف صاحبَه نفسَــه وهو آمن، ويكشف سِتْر الحَسَب عن لُؤْمه الكامن،
وقال بعض الشعراء

لا يكذب المرءُ إلا من مَهَانتِه * أو عادةِ السوءِ أو من قِلّة الوَرَعِ

٥ وقال الأصمعيّ : قيــل لرجل معروف بالكذب، هل صدقتَ ؟ قال : أخاف أن أقول : "لا" فأصدق . وآفة الكذب النسيان . قال شاعر

ومن آفةِ الكذّابِ نسيانُ كِذْبِهِ * وتلقاه ذَا دَهْيٍ إذا كان كاذبا

وقال عليّ بن الجَهْم شاعر اليتيمة

تكذِب الكِذْبة يوما * ثم تنســاها قــريبا
١٠ كن ذَكُورًا يا أبا يحــيى إذا كنت كَذُوبا

وقال أبو تمّــام

يا أكثر الناس وعدا حَشْوُه خلف * وأكثر الناسِ قولًا حَشْوُه كَذِبُ

وقال أحمدُ بنُ محمّد بن عبد ربّه

صحيفةٌ أُثْبِتتْ "لَيْتٌ" بها و"عَسَى" * عُنوانُهــا راحــة الراجى إذا يَئِسَا
١٥ وَعْدٌ له هاجِسٌ فى القلب قد بَرِمتْ * أحشاءُ صدرِى به من طول ما هَجَسا
يراعةٌ غَرَّنِى منها وَمِيضُ ســنًا * حتى مددت إليها الكفَّ مُقْتَبِسا
فصادفَتْ حَجَرًا لو كنتَ تضرِبُه * من لُؤْمه بِعَصَا موسى لَـمَا انْبَجَسا

وقال آخر

وتقــول لى قولا أظنّك صادقا * فأجِىءُ من طمع اليك وأذهبُ
٢٠ فإذا اجتمعتُ أنا وأنتَ بمجلس * قالوا مُسَــيْلِمةٌ وهــذا أشْعَبُ

ذكر ما قيل فى الغدر والخيانة

قال الله عزّ وجلّ : (وَمَا وَجَدْنَا لِأَكْثَرِهِمْ مِنْ عَهْدٍ وَإِنْ وَجَدْنَا أَكْثَرَهُمْ لَفَاسِقِينَ)

وقال تعالى : (وَالَّذِينَ يَنْقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مِيثَاقِهِ وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ أُولَٰئِكَ لَهُمُ اللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوءُ الدَّارِ) . (١١٣)

ورُوى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : « من أَمَّنَ رجلا ثم قتله وجبت له النار وإن كان المقتول كافرا » وعنه صلى الله عليه وسلم أنه قال : « إذا جمع الله الأولين والآخرين رُفع لكل غَادِرٍ لِواءٌ وقيل : هذه غَدْرة فلان» . ٥

وقالوا : من نقض عهده، ومنع رِفْده، فلا خيرَ عنده .

وقالوا : الغالب بالغدر مغلول، والناكث للعهد ممقوت مخذول .

وقالوا : من علامات النفاق، نقضُ العهد والميثاق . ١٠

وقالوا : لا عذر فى الغدر . والعــذر يصلح فى كل المواطن ، ولا عذر لغــادر ولا خائن .

وفى بعض الكتب المنزّلة : إن مما تُعَجَّل عقوبته من الذنوب ولا يؤخر: الإحسان يُكْفَر، والذّمة تُخْفَر . قال شاعر

أَخْلِقْ بمن رَضِيَ الخيانةَ شِيمةً * أن لا يُرَى إلا صريعَ حوادث ١٥

ما زالتِ الأرزاءُ تُلحِقُ بؤسَها * أبدا بغادرِ ذمّةٍ أو ناكث

وقالوا : الغَدْر ضامن العَثْرة، قاطع ليد النُصرة .

ويقال : من تعدّى على جاره، دَلّ على لُؤْمِ نِجَارِهِ .

وذكر أن عيسى صلوات الله عليه مرّ برجل وهو يُطارِد حيّة وهى تقول له : والله لئن لم تذهب عنّى، لأنفخَنَّ عليك نفخة أُقَطِّعك بها قِطَعا ، فمضى عيسى عليه السلام فى شأنه، ثم عاد فرأى الحية فى جُونة الرجل محبوسة، فقال لها : ويحك ! أين ما كنت تقولين ؟ قالت : يا روحَ الله، إنه حلف لى وغَدَر، وإنّ سُمّ ٥ غدره أقتل له من سُمّى .

ذكر أخبار أهل الغَدْر وغَدرَاتهم المشهورة

أعرف الناس فى الغدر آل الأشعث بن قيس بن معد يكرب، وقد عدّت لهم غَدَرَات ، فمنها : غدر قيس بن معد يكرب بمراد، وكان بينهم عهد أن لا يغزوهم إلى ٱنقضاء شهر رجب، فوافاهم قبل الأَمَد بِكَنْدَة، وجعل يحمل عليهم ويقول

١٠ أقسمت لا أَنْزِل حتّى يُهْزَمُوا * أنا ٱبن معد يكرِب فاستسلِمُوا
* فارسُ هَيْجا ورئيسٌ مِصْدَمُ *

فَقُتِل قيس بن معد يكرب وٱرتد الأشعث عن الإسلام . وغدر الأشعث ببنى الحارث بن كعب ، وكان قد غزاهم فأَسَرُوه، ففدى نفسه بمائتى بعير ، فأعطاهم مائة وبقى عليه مائة، فلم يُؤَدّها، وجاء الإسلام فهدم ما كان فى الجاهليّة .

١٥ وغدر محمد بن الأشعث بن قيس بمسلم بن عَقِيل بن أبى طالب، وغدر أيضا بأهل طَبَرِسْتان وكان عُبَيد الله بن زياد ولّاه إياها ،فصالح أهلها على أن لايدخلهاو رحل عنهم، ثم عاد إليهم غادرا، فأخذوا عليه الشِّعاب، وقتلوا ٱبنه أبا بكر .

وغدر عبد الرحمن بن محمد بن الأشعث بالحجّاج لما ولّاه خُرَاسَان ، وخرج عليه وٱدعى الخلافة ، وكان بينهم من الوقائع ما نذكره فى التاريخ فى أخبار الحجاج

إن شاء الله تعـالى ، وكانت الدائرة على عبد الرحمن ، وكلّهم ورِثُوا الغـدر عن معديكرب، فإنه غدر مَهْرَة، وكان بينه و بينهم عهد إلى أجل، فغزاهم ناقضا لعهدهم، فقتلوه وبَقَرُوا بطنه وملأوه بالحصا .

وغدرت ٱبنـة الضَّيْزَن بن معاوية بأبيهـا صاحب الحصن ودلّت سابور على طريق فتحه، ففتحه وقتل أباها وتزوّجها، ثم قتلها . وقد ذكرنا ذلك فى الجزء الأوّل من هذا الكتاب فى المبانى . ومن ذلك ما فعـله النعمان بِسِنمّار، وقد ذكرناه أيضا فى خبر بناء الخَوَرْنَق .

وممن ٱشتُهر بالغـدر عمرو بن جُرموز : غدر بالزّبير بن العوّام ، وقتـله بوادى السباع، ونذكر ذلك إن شاء الله تعالى فى حرب الجمل .

ومن الغدر الشنيع ما فعله عَضَـل والقَارَة ، رُوى أنه قدم على رسـول الله صلى الله عليه وسـلم بعـد أُحُد رهط من عَضَل والقارة ، فقالوا : يارسول الله إن فينا إسلاما وخيرا فابعث معنا نفرا من أصحابك يفقّهوننا فى الدِّين ، ويُقرئوننا القرءان، ويعلّموننا شرائع الإسلام،فبعث معهم رسول الله صلى الله عليه وسلم سبعة نفر من أصحـابه ، وهم مَرْثَد بن أبى مرثد الغَنَوِىّ ، وخالد بن البُكَيْر حليف بنى عدِىّ ٱبن كعب، وعاصم بن ثابت بن أبى الأَقْلَح أخو بنى عمرو بن عوف،وخُبَيب بن عدِىّ أخو بنى جَحْجَبى بن كُلْفة بن عمرو بن عَوْف، وزيد بن الدَّثِنَـة أخو بنى بَيَاضَـة بن عامر، وعبد الله بن طارق، ومُعَتِّب بن عُبَيد أخو عبد الله لأُمّه، وأَمَّر عليهم مَرْثَد ٱبن أبى مرثد، وقيل أمَّر عليهم عاصما، فخرجوا مع القوم،حتى إذا كانوا على الرجيع : — ماء لهذيل — غدروا بهم وٱستصرخوا عليهم هذيلا، فلم يرع القوم وهم فى رحالهم إلّا

الرجال فى أيديهم السيوف، فأخذوا أسيافَهم ليقاتلوا القوم، فقالوا : إنا والله ما نُريد قتلَكم، ولكنا نريد أن نُصيبَ بكم شيئا من أهـل مكةَ، فأما مرثد وخالد وعاصم ومُعتِّب فقالوا : والله ما نقبل من مشرك عهدا ولا عَقْدا، فقاتَلوا حتى قُتلوا، وأما زيد وخُبَيْب وعبد الله فلانوا ورغبوا فى الحياة، وأعطوا بأيديهم، فأسروهم وخرجوا بهم إلى مكة ليَبيعوهم بها، حتى إذا كانوا بَمّر الظَّهْران، آنتزع عبد الله بن طارق يده من القِرَان، ثم أخَذ سيفه وآستأخَر عن القوم، فَرَمَوْهُ بالحجارة حتى قتلوه، وقدِمُوا بخبيب وزيد الى مكة فباعوهُما فابتاع خبيبا حُجَيرُ بنُ أبى إهاب التميمىّ حليف بنى نوفل لعُقْبة بن الحارث بن عامر بن نوفل ليَقْتله بالحارث، وأما زيد بن الدَّثِنَـة فابتـاعه صَفْوانُ بنُ أميّة ليقتله بأمية بن خَلَف، ورُوى أن خُبيبا لمـا حصـل عند بنات الحارث آستعارَ من إحداهن موسى يستحدّ بها فمـا راع المرأةَ إلا صبىّ لها يَدرُج، وخُبيب قد أجلس الصبىّ على فخـذه، والموسى فى يده، فصاحت المرأة، فقـال خُبيب : أتحسَبين أنى أقتله ؟ إن الغدْر ليس من شأننا، فقالت المرأة : ما رأيت بعدُ أسـيرا قطّ خيرا من خُبيب، لقد رأيتُـه وما بمكّة من ثمرة، وأن فى يده قِطْفا من عنب يأكله، إن كان إلا رزقا رزقه اللهُ خبيبا، ولمـا خُرج بخُبيب من الحرم ليقتلوه، قال : ذَرونى أصلِّ ركعَتين، ثم قال: لولا أن يقال : جزع لزِدْت، وما أبالى على أى شِقّ كان مصرعى، وهذه القصّةُ نذكرها إن شاء الله تعالى بمـا هو أبسطُ من هذا فى السّيرة النبويّة فى سيرة مَرْثَد إلى الرجيع .

قيل : أغار خَيْثَمَة بن مالك الجُعْفِىّ على حىّ من بنى القَيْن فاستاقَ منهم إبلا فلحقوه ليَستَنقذوها منه، فلم يطمَعوا فيه، ثم ذَكَر يدا كانت لبعضهم عنده، فخلّى عمـا كان فى يده، وولّى منصرفا، فنادوه وقالوا : إن المفازة أمامَك، ولا ماءَ معك، وقد فعلت

جميلا، فآنزلْ ولك الذِّمام والحِبَاء فنَزل فلما آطمأنّ وسكَنَ، وآستمكنوا منه غدَروا به فقتلوه، ففى ذلك تقول عَمْرة آبنتُه

غدَرتم بمَنْ لو كان ساعةَ غدركم * بكفّيه مفتوقُ الغرارين قاضبُ

أذادَكمُ عنــه بضربٍ كأنّه * سهام المنايا كلّهن صوائبُ

وتلاحَى بنو مَقْرون بن عمرو بن محارب، وبنو جَهْم بن مُرّة بن محارب، على ماءٍ لهم فغلبتهم بنو مقرون فظَهرت عليهم، وكان فى بنى جَهْم شيخٌ له تجرِبة وسِنّ، فلمــا رأى ظهورهم، قال : يابنى مقرون، نحن بنو أب واحد، فلِمَ نتَفانى؟ هلمّوا إلى الصلح، ولكم عهدُ الله تعالى وميثاقُه وذمّة آبائنا، أن لا نهيجكم أبدا ولا نزاحمكم فى هذا المــاء، فأجابتهم بنو مقرون إلى ذلك، فلما آطمأنوا ووضعوا الســلاح عدَا عليهم بنو جهم فنالوا منهم منالا عظيما، وقتلوا جماعة من أشرافهم، ففى ذلك يقول أبو ظَفَر الحارثىّ

هــلّا غدَرتم بمقرونٍ وأسرته * والبيضُ مُصْلَتةٌ والحرب تَستعرُ

لمــا آطمأنوا وشاموا فى سيوفهمُ * ثُرْتم إليهم وعُرُّ الغــدر مشتهرُ

غدرتموهُم بأَيمــانٍ مؤكدةٍ * والوِرْدُ من بعده للغادر الصَّدَرُ

هذا ما قيل فى الغدر .

وأما الخيانة، فقد نهى الله تعالى عنها فقال : (يٰأَيُّهَــا ٱلَّذِينَ آمَنُوا لَا تَخُونُوا ٱللّهَ وَٱلرَّسُولَ وَتَخُونُوا أَمَانَاتِكُمْ وَأَنْتُمْ تَعلَمُونَ) .

وروى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أَنه قال : « لا إيمان لمن لا أمانةَ له ولا دينَ لمن لا عهدَ له » .

وقيل : من ضيّع الأمانة، ورَضِى بالخيانة، فقد برِئ من الدِّيانة .

وقال حكيم : لو علم مُضيِّع الأمانَه، ما فى النكث والخيانَه، لقصَّر عنهما عِنانَه.

وقالوا : من خان مان، ومن مان هان، وتبرّأ من الإحسان .

قيل دخل شَهْرُ بنُ حَوْشَب وهو من جِلّة القرّاء وأصحاب الحديث على معاوية، وبين يديه خرائطُ فيها مال، قد جمعت لتوضع فى بيت المال، فقعد على خريطة منها، وأخذها، ومعاوية ينظرُ إليه، فلما رُفعت الخرائط، فُقِدَ من عددها خريطة، فأعلم الخازنُ بذلك معاويةَ، فقال: هى محسوبة لك فلا تسأل عن آخذها، ففيه يقول بعض الشعراء

لقد باع شَهْرٌ دِينَه بخَرِيطةٍ * فمَن يأمَن القرّاءَ بعدك ياشهرُ؟

وقال المنصور لعامل بلغه عنه خيانتُه : ياعدوّ الله، وعدوّ أمير المؤمنين، وعدوّ المسلمين، أكلتَ مالَ الله، وخُنتَ خليفةَ الله، فقال : يا أمير المؤمنين، نحن عيالُ الله، وأنت خليفةُ الله، والمال مالُ الله، فمن أين نأكل إذا، فضحك وأطلقه، وأمر أن لا يُوَلَّى عملا بعدها .

وسرق رجل فى مجلس أَنُو شَرْوان جاماً من ذهب وهو يراه، فتفقّده الشرابىّ، فقال : والله لا يخرج أحد حتى يُفَتَّش، فقال له أنو شَرْوان : لا تتعرّض لأحد، فقد أخذه من لا يردّه، ورآه من لا يَنُمُّ عليه .

وحُكى أنّ بعض التجّار أودع عند قاضٍ بمَعَرّة النعمان وديعةً، وغاب مدّةً، فلما رجع، طالب بها، فأنكرها القاضى، فتشفع إليه برؤساء بلده فى ردّها، فما زالوا به حتى أقرّبها، وادّعى أنها سُرقت من حِرْزه، فاستحلفه المُودع فحلف، فقال ابن الدُّوَيدة فى ذلك

لا يَصدقُ القاضى الخئونُ إذا ادّعى * عدمَ الوديعة من حصين المودِع

(١١٥) إن قال قد ضاعت فيصدق أَنهـا * ضاعت ولكن منك يعنى لو تَعِى!
أو قال قد وقعت فَيَصْـــدُق أنها * وقعت ولكن منـه أحسنَ مَوْقع

وقال ٱبن الحجاج

وأَدعوهم إلى القـاضى عساهُمْ * إذا وقَع اليمينُ يُحَلِّفُـونِى
وأَضْيع ما يكون الحقّ عندى * إذا عَزَم الغريمُ على اليميـن ٥

ذكر ما قيل فى الكِبْر والعُجْب

قال الله عزّ وجلّ : (إِنَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلْمُسْتَكْبِرِينَ) . وقال تعالى : (فَٱدْخُلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا فَبِئْسَ مَثْوَى ٱلْمُتَكَبِّرِينَ) . وقال : (أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِلْمُتَكَبِّرِينَ) . وقال : (كَذَٰلِكَ نَطْبَعُ عَلَى كُلِّ قَلْبِ مُتَكَبِّرٍ جَبَّارٍ) . وقال : (سَأَصْرِفُ عَنْ آيَاتِيَ ٱلَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ) . ١٠

وناهيك بهذا زجراً .

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «لا يدخُل الجنّةَ، من فى قلبه حَبَّةٌ من خَرْدَلٍ من كِبْر» . وقال صلى الله عليه وسلم : «من تَعظَّم فى نفسه، وٱختال فى مِشْيتِه لقِىَ اللهَ عزّ وجلّ وهو عليه غضبان» . وقال صلى الله عليه وسلم : «من جَرَّ ثَوبه خُيَلاء لم ينْظُرِ اللهُ إليه» . ١٥

وروى : أن عبد الله بنَ سَـلّام، مرّ بالسوق يحمل حُزْمة حطب، فقيل له : أليس قد أغناك اللهُ عن هـذا ؟ قال : بلى! ولكنى أردت أنْ أقمع به الكِبْر، سمعتُ رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « لا يدخل الجنة من كان فى قلبه مثقال حبّة من كِبر » .

وقال عمر بنُ الخطاب رضى اللهُ عنه : ما وجد أحدٌ فى نفسه كبْرا إلا من مَهانة يجِدُها فى نفسه .

وقالوا : مَنْ قَلّ لُبُّه، كثر عُجْبُه .

وقالوا : عُجب المرء بنفسه ، أحد حسّاد عقله .

٥ وقال أزدَشِير بن بابَك : ما الكِبْر إلا فضل حُمْقٍ لم يدر صاحبُه أين يَضَعُه فصرفه إلى الكِبْر .

ومن كلامٍ لأبن المعتزّ : لمـا عرَف أهـلُ التقصير حالَهم ، عنـد أهل الكمال آستعانوا بالكِبر ليُعظِّم صغيرا، ويَرفعَ حقيرا، وليس بفاعل .

وقال أكثَمُ بنُ صَيْفِىّ : من أصاب حظا من دنياه،فأصاره ذلك الى كِبْرٍ وتَرَفُّعٍ،

١٠ فقد علم أنه نال فوق ما يستحقّ، ومن أقام على حاله فقـد علم أنه نال ما يستحقّ، ومن تواضع وغادر الكِبْر، فقد علم أنه نال دون ما يستحقّ .

وقال على رضى الله عنه : عَجِبت للتكبر الذى كان بالأمس نطفة، وهو غداً جِيفة .

وقيل : مرّ بعضُ أولاد المُهَلّب بمـالك بن دينار وهو يَخْطِر، فقال له : يا بُنَىّ، لو خَفَّضت بعض هذه الخُيَلاء ! ألم يكن أحسنَ بك من هذه الشّهرة التى قد شَهَرْتَ

١٥ بها نفسَكَ؟ فقال له الفتى : أو ما تعرِفُ من أنا؟ قال : بلى ! والله أعرِفك معرفة جيّدة، أوّلك نطفـة مَذِره ، وآخرك جيفـة قَذِره، وأنت بين ذلك حامل عَذِره ، فأرخى الفتى رُدَيْنه وكفّ ممـا كان يفعله ، وطأطأ رأسه، ومضى مسترسِلا .

وقال الواقِدىّ : دخل الفضْل بنُ يحيى ذاتَ يوم على أبيه وهو يَتَبَختر فى مِشْيَته، فقال له يحيى : يا أبا عبد الله ، إن البخل والجهـلَ مع التواضع ، أزيَنُ بالرجل من

٢٠ الكبْر مع السـخاء والعلم؛ فيالهـا من حسـنة غطّتْ على عيبَيْن عظيمين، ويالهـا

مِن سيّئة غطّت على حسنَتَيْن كبيرتين، ثم أومأ اليه بالجلوس وقال: آحفظْه ياعبد الله، فإنه أدب كبير أخذناه عن العلماء .

ومن الكِبْر المستهجَن ما رُوى : أن وائل بنَ حُجْر أتى النبي صلى الله عليه وسلم، فأقطعه أرضا، وقال لمعاوية : آعرض هذه الأرض عليه وآكْتبها له ، فخرج مع وائل فى هاجرة شاوية، ومشى خلف ناقتــه، وقال له : أَردِفْنِى على عَجُز راحلتك، فقال : لست من أرداف الملوك ، قال : فأعطنى نَعْلَيْك، فقال : ما بخـلٌ يمنعنى يآبن أبى سُــفيان، ولكن أكرهُ أن يبلُغ أقْيالَ اليمن أنك لبست نَعْلى، ولكن آمش فى ظل ناقتى، فحسبُك بها شرفا . وقيل : إن وائلا أدركَ زمن معاوية ودخل عليه فأقعده معه على السرير وحدّثه .

والعرب تجعل جَذِيمة الأبرش الغاية فى الكِبْر، ورُوى : أنه كان لا ينادم أحدا ترفُّعا وكبرا، ويقول : إنمـا ينادمنى الفَرْقَدان . ومنه قول متمّم :

* وكنّا كنَدْمانَىْ جَذِيمة حِقْبَةً *

قيل : إنمـا أراد الفَرْقدين ، لا كما ذكره الرواة أنهما مالك وعَقيل .

وقيل : كان أبو تَوابة أقبحَ الناس كِبْرا ، روى : أنّه قال لغلامه آسـقنى ماء، فقال : نعم، قال : إنمـا يقول : "نعم" من يقدر على أن يقول : "لا" وأمر بضربه، ودعا أَكّارًا فكلمه ، فلما فرَغَ دعا بمـاء، وتمضمض آستقذارا لمخاطبته .

قال عبيد الله بن عبد الله بن عُتْبَةَ بن مسعود

ولا تعجبا أن تُؤْتَيَا فتُكَلَّما * فما حُشِىَ الأقوامُ شراً من الكبر

قال الجاحظ : المذكورون بالكبر من قريش، بنو مَخْزوم ، و بنو أميَّـةَ ، ومن العرب، بنو جَعْفَر بن كلاب ، وبنو زُرارة بن عُدَس ، وأما الأكاسرة فكانوا لا يَعدّون الناس إلا عبيدا، وأنفسَهم إلا أربابا، والكِبرُ فى الأجناس الذليلة أرسخُ، ولكن القـلّة والذّلة مانعتان من ظهور كبرهم، ومن قَدَر من الوضـعاء أدنى قُدرة، ٥ ظهر من كبره ما لا خَفاء به، ولم أر ذا كبر قطّ علا مَنْ دونه، إلا وهو يَذلّ لمن فوقه بمقدار ذلك ووزنه .

(١١٦) قال : أما بنو مخزوم ، وبنو أمية، وبنو جعفر بن كلاب، وآختصاصهم بالتِّيه، فإنهم أَبطَرَهم ما وجدوا لأنفسهم من الفضيلة، ولو كان فى قُوَى عقولهم فضلٌ عن قُوَى دواعى الحَمِيَّـة فيهم، لكانوا كبنى هاشم فى تواضعهم و إنصافهم مَنْ دونهم .

١٠ وقال أبو الوليد الأعرابى :

ولستُ بتيَّاهٍ إذا كنتُ مُثْرِيا * ولكنه خُلُقِى إذا كنت مُعْدِما

وأن الذى يُعطَى من المـال ثَروةً * إذا كان نذلَ الوالدين تعظّما

ومن المتكبرين، عُمَارةُ بن حمزة، حُكِي عنه : أنه دخل على المهدىّ، فلما آستقر به الجلوس ، قام رجل كان المهـدىّ قد أعدّه له ليَتهكّم به ، فقـال : مظلوم ١٥ يا أمير المؤمنين، قال : مَنْ ظلمك؟ قال : عُمَارة غصبنى ضَيْعتى، وذكر ضَيْعة من أحسن ضياع عُمَارة وأكثرها خَرَاجا، فقال المهدىّ لعُمَارة : قم فآجلس مع خَصْمِك، فقال : ياأميرَ المؤمنين، ماهو لى بخَصْم، إن كانت الضّيعة له ، فلستُ أنازعه فيها، و إن كانت لى فقـد وهبتُها له ، ولا أقومُ من مجلس شرّفنى به أميرُ المؤمنين ، فلما آنصرف المجلس، سأل عُمارة عن صـفة الرجل، وما كان لباسُه، وأين كان موضع

جلوســه ، وكان من تِيهه أنه إذا أخطأ يمرّ على خَطئه تكبرا عن الرجوع و يقول : نقض و إبرام فى ساعة واحدة، الخطأ أهون منه .

ومنهم من أهلكه الكبر وأذلّه . كان خالد بن عبد الله بن يَزِيدَ بن أسد القَسْرِىّ أميرا على العراق ، و بلغ من هشام بن عبد الملك محلا رفيعا ، فأفسد أمره العُجبُ والكِبْرُ، وأدناه إلى الهَلَكَة ، وعُذّب حتّى مات ، وذلك أنه كان إذا ذُكِر هشام ٥ عنده، قال : آبن الحمقاء ! فسمِعها رجل من أهل الشام ، فقال لهشام : إنّ هذا البَطِرَ الأَشِر الكافرَ لنعمتك ونعمة أبيك و إخوتك ، يذكرك بأسوأ الذّكر، قال : لعله يقول : الأحولُ، قال : لا ، ولكنّه يقول : مالا تلتقِ به الشّفتانِ، قال : لعله يقول : آبن الحمقاء ، فأمسك الشامىّ، فقال هشام قد بلغنى كلّ ذلك عنه ؛ وكان خالد يقول : والله ما إمارةُ العراق ممـا تشرّفنى، فبلغ ذلك هشاما ، فكتب إليه : ١٠ بلغنى أنك يآبن النصرانية تقول : إن إمارة العراق لاتُشرِّفك وأنت دَعِىّ بجيلةَ القليلة الذليلة ، والله إنى لأظن أن أول من يأتيك صيفىّ بن قيس فيشدّ يدَك إلى عُنقِك، قال خالد بن صفوان بن الأهتم : لم تزل أفعال خالد حتى عزله هشام وعذّبه، وقتل آبنه يزيدَ بن خالد، فرأيت فى رجله شَرِيطا قد شدّه به الصّبيان يجرّونه ، فدخلت إلى هشام يوما، فحدّثته فأطلت، فتنفّس، وقال: ياخالد! كان أحبّ إلىّ قُرْبا وألذّ ١٥ عندى حديثا منك، يعنى خالدَ القَسْرىّ، قال : فانتهزتُها ورجوت أن أشفع فتكون لى عند خالد يدا، فقلت : يا أمير المؤمنين، ما يمنعك من آستئناف الصّنيعة ، فقد أدبتَه بمـا فَرط منه، فقال: هيهاتَ! إن خالدا أوجَفَ فأعجَفَ، وأدلّ فأملّ، وأفرط فى الإساءة، فأفرطنا فى المكافاة، فَحَلِمَ الأديمُ، ونغِل الجُرْح، و بلَغَ السَّيْلُ الزُّبَى، والحزام الطُّبْيَيْنِ، ولم يبق فيه مستصلَحٍ، ولا للصّنيعة عنده موضع، عُدْ إلى حديثك. ٢٠

ومنهم : من أفرط به الكبر إلى الكفر، حُكِى : ان سعيد بن زُرارة مرّت به آمرأة فقالت له : ياعبد الله، كيف الطريقُ إلى مكان كذا؟ فقال لها : أمِثلى يكون مِنْ عَبِيد الله .

ومنهم : عُبَيْـد الله بن زياد بن ظَبْيان، قال له رجل من قومه وقد رأى منـه ما أعجبه : كثّر اللهُ فينا مثلَك، فقال : لقد كلّفتم اللهَ شططا .

ومن أشعار المتكبّرين التّياهين قول بعضهم

* أتيه على جِنّ البلاد وإِنْسِها *

الأبيات، وقد تقدّمت فى الحُمْقِ .

وقال آخر

أَلقِـنى فى لَظًى فإن أحرقَتْنى * فتيقّن أن لستُ باليـاقوت
صنَعَ النسجَ كلُّ مَنْ حاك لكنْ * ليس داودُ فيـه كالعنكبوتِ

قال آبن حُبَارة الحرّانىّ المنجنيقىّ يردّ عليه

أيّها المدّعى الفخارَ دع الفَخْـ * ـرَ لِذى الكِبْرياء والجبرُوتِ
نسجُ داود لم يُفِـد ليـلة الغا * رِ وكان الفخار للعنكبوتِ
وبقاءُ السَّمَنْدِ[(1)] فى لَهَبِ النـا * رِ مُزِيلٌ فضـيلةَ الياقوتِ
وكذاك النّعام يلتقم الجمـ * ـرَ وما الجَمـرُ للنّعام بقُـوتِ!

* * *

وممـا هُجى به أهل التّكبّر ، قول جُعيفران يهجو سعيد بنَ مُسلم بن قُتَيبة

أمّ سـعيدٍ لِم ولدتيـهِ * ملوَّثا بالكِبْر والتّيـهِ؟
ليتكِ إذ جئتِ به هكذا * حين خَرَيتيـه أكلتيهِ

(1) السَّمَنْدُ : طائر يستلذّ بالنار ولا يحترق بها .

ذكر ما قيل فى الحرص والطمع

قال الله عزّ وجل لنبيّه صلى الله عليه وسلم : (وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَى مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنْهُمْ زَهْرَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ وَرِزْقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَى) .

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «أربعٌ من الشقاء الخ ... عَدَّ منها الحرص والأمل» وقال : «ماذئبان جائعان أُرسلا فى غنم فأفسداها أشدّ من حرص المرء على المـال»[(1)] . وقال : «يَشيب ٱبنُ آدم وتشبّ منـه ٱثنتان : «الحرص على المـال، والحرص على العمر» وقال : «إيّاكم والطمعَ فإنه الفقر الحاضر» . ٥

ومن كلام علىّ بن أبى طالب رضى الله عنه : الطمعُ مُورِد غير مُصْدِر، وضامن غيروفىّ، وكلما عَظُم قدر الشىء المتنافَس فيه، عظمت الرّزية لفقده، والأمانىّ تُعمِى البصائرَ . أزرى بنفسه من ٱستشعر الطمع، وٱستولت عليه الأمانىّ . ١٠

وقال بعضهم : الحرص ينقص من قدر الإنسان، ولا يزيد فى رزقه .

وقال قُتَيبة : إن الحريص ٱستعجل الذّلة، قبل إدراك البغية .

وقيل : لا راحةَ لحَرِيص، ولا غِنًى لِذِى طَمَع .

وقيل : إن كَعْبا لَقِىَ عبد الله بن سلام، فقال : يابن سـلام، مَنْ أرباب العلم ؟ قال : الذين يعملون به، قال : فما أذهب العلم من قلوب العلمـاء بعد إذْ عَلِموه ووعوه؟ قال : الطمَعُ، وشَرَهُ النفس، وطلب الحوائج الى الناس . قال الأَصْمَعِىّ : سمعتُ أعرابيّا يقول : عجبتُ للحريص المستكثِر، المستقِلّ لكثير ما فى يده، المستكثِر ١٥

(١) هكذا فى الأصل : والذى فى الجامع الصغير : (ما ذئبان جائعان أرسلا فى غنم بأفسد لها من حرص المرء على المال والشرف لدينه) .

لقليل ما فى يد غيره، حتّى طلب الفضـل، بذهاب الأصل، فركِبَ مفاوز البرارى، وبُجَجَ البِحار، معرِّضا نفسَه للمات ، ومالَه للآفات، ناظرا إلى من سَلِم ، غيرَ معتبر بمن عدِم .

قال يزيد بن الحَكَم الثقفيّ

٥ رأيتُ السّخِيَّ النفس، يأتيه رِزْقُه * هنيئا، ولا يُعطَى على الحِرْص جامِعُ

وكلّ حريص لن يُجَاوزَ رزقه * وكم من مُوفًى رزقه وهو وَادِعُ

وقالوا : مصارِعُ الألباب تحت ظلال الطمع . ويقال

الحرّ عبد ما طَمِع * والعبد حرٌّ ما قَنِـع

وقالوا : أخرِج الطمعَ من قلبك، تحلّ القيد من رجلك . وقال عمرو بن مالك الحارثىّ

١٠ الحِرْصُ للنفسِ فقرٌ والقُنُوعُ غِنًى * والقوتُ إن قَنِعتْ بالقوت يُجْزِيها

والنفسُ لو أن ما فى الأرض حِيزَلها * ما كان إن هى لم تَقْنَعْ بكافيها

وقال ابن هَرْمة

وفى اليأس عن بعض المطامِع رَاحةٌ * ويارُبَّ خُسْرٍ أدركتْه المطامِعُ

وقال هَرْمة بن خَشْرم

١٥ وبعضُ رَجَاء المرء ماليس نَائِلًا * عَنَاءٌ وبعضُ اليأس أعفى وأرْوَحُ

وقال مُكْنِف بن معاوية التيمىّ

ترى المرءَ يأْمُلُ ما لا يرى * ومن دون ذلك ريبُ الأَجَلْ

وكم آيسٍ قـد أتاه الرَّجَاءُ * وذِى طَمَعٍ قد لواه الأَمَلْ

وقال آخر

٢٠ طَمِعتَ فيما وعدتْك المنى * وليس فيما وَعَدَتْ مَطْمَعُ

وثقتَ بالباطل من قولها * وليس حقًّا كلُّ ما تسمعُ
وإنما مَوْعِدُها بارِقٌ * فى كل حين خُلَّبٌ يلمعُ

ويضرب المثل فى الطمع "بأشعب" . قيل له : ما بلغ من طمعك ؟ فقال للقائل له : لم تقل هذا إلا وفى نفسك خيرٌ تصنعه بى؛ وقيل : إنه لم يمت شريف قطّ من أهل المدينة إلا ٱستعدَى أشعبُ على وصِيه أو وارثه وقال له : ٱحلف أنه لم يُوصِ لى بشىء قبل موته ؛ ووقف على رجل يعمل طبقا من الخَيزُران ، فقال له : وسِّعْه قليلا ، قال الخيزرانىّ : كأنك تريد أن تشتريَه؟ قال : لا ، ولكن ربما يشتريه بعض الأشراف فيَهْدِى إلىّ فيه شيئا ؛ وسأله سالم بن عبد الله بن عُمَر رضى الله عنه عن طمعه ، قال : قلت لصبيان مرةً : ٱذهبوا ، هذا سالم قد فَتَح بيت صدَقَة عمر حتى يُطعِمكم تمرا ، فلما أحضروا ظننت أنه كما قلت لهم ، فعدوْتُ فى إثرهم ؛ وقيل له : ماذا بلغ من طمعك؟ قال : أرى دخان جارى فأثْرُدُ[1] عليه ؛ وقيل له أيضا : ما بلغ من طمعك ؟ قال : ما رأيت عَرُوسا بالمدينة تُزَفّ إلا كنست بيتى ورششته طمعا أن تُزَفّ إلىّ ؛ وقيل له : هل رأيتَ أطمع منك؟ قال : نعم ، كلب أمّ حَوْمَل ، تبعنى فرسخين ، وأنا أمضغ كُنْدُرًا[2] ، ولقد حسدته على ذلك .

ذكر ما قيل فى الوَعْدِ والمَطْل

رُوِى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : « العِدَة دَيْن » .

وقال بعض القُرشيِّين : من خاف الكذب ، أقلّ من المواعيد .

وقيل : أمران لا يسلمان من الكذب : كثرة المواعيد ، وشدّة الاعتذار .

(١) ثرد الخبزَ : فتّه .

(٢) الكُنْدُر : ضربٌ من العلك وهو اللبان الذكر .

وقالوا : خُلْف الوعد، خُلُقُ الوَغْد .

وقال المهلّب لبنيه : يا بَنِيّ، إذا غدا عليكم الرجل أو راح مُسَلِّمًا ، فكفى بذلك تقاضيا .

قال الشاعر

٥ اروح لتسليم عليك وأغتدى * فحسبك بالتسليم منى تقاضيا
كفى بطلاب المرء ما لا يناله * عناءً وباليأس المصرّح ناهيا

(١١٨) وقيل : الوعد إذا لم يشفعه إنجاز يحققه، كان كلفظ لا معنى له ، وجسم لا روح فيه . وقالوا : الخلف ألأم من البخل، لأنه من لم يفعل المعروف، لزمه ذمّ اللؤم، وذمّ الخلف، وذمّ العجز[1] . قال بعض الشعراء

وعدتَ فأكذبت المواعيدَ جاهدا * وأقلعتَ إقلاع الجَهَام بلا وَبْلِ
وأجرَرْتَ لى حَبْلا طويلا تَبِعتُه * ولم أدرِ أن اليأس فى طَرَف الحبل

وقال أبو تمّام

وما نفعُ من قد مات بالأمس صاديًا * إذا ما سماءُ اليوم طال آنهمارُهَا
وما العُرْفُ بالتّسويف الا كخَلّة * تسلّيتَ عنها حين شَطَّ مَزارُهَا

١٥ والعرب تضرب المثل بمواعيد عُرقوب ، وكان رجلا من العماليق وله فى ذلك حكايات، فمنها : أنه أتاه أخ له ، يسأله شيئا، فقال له عرقوب : إذا أطلعتْ هذه النخلة فلك طَلْعها، فلما أطلعت، أتاه الرجل للعدة، فقال : دعها حتى تصير بلحا، فلما أبلحت، أتاه، فقال : دعها حتى تصير زَهْوًا، فلما أزهت، قال : دعها حتى

(١) فى العقد الفريد : ذم اللؤم وحده ، ومن وعد فأخلف لزمه ثلاث مذمات : ذم اللؤم وذم الخلف وذم الكذب .

تصير رُطَبا ، فلما أرطبت ، قال : دعها حتى تصير تمرا ، فلما أتمرت ، عمد إليها عرقوب ، بجذّها ولم يعط أخاه منها شيئا .

وفيه يقول الأشجعىّ

وعدْتَ وكان الخلف منك سجيّةً * مواعيدَ عُرْقوب أخاه بيـثربِ [1]

وقال كعب بن زُهَير بن أبى سُلْمى

كانت مواعيدُ عُرْقوب لها مثلا * وما مواعيدُها إلا الأباطيلُ

وقال السِّكّيت للمهدىّ : يا أمير المؤمنين ، لو كان الوعد يُستنزَل بالإهمال والسكون ، لشكرتك القلوب بالضمير ، ولنظرت إلى فضلك العيون بالأوهام ، فقال المهدىّ : هذا جزاء التفريط فيما يكسب الأجر ، ويدخر الشكر ، وأمر بقضاء حاجته .

وقال أعرابىّ : العُـذْرُ الجميل ، أحسن من المَطْل الطويل ، فإن أردت الإنعام فأنْجِح ، وإن تعذّرتِ الحاجةُ فأفْصِح .

وقال بعض كُرَماء العرب : لأن أموتَ عَطَشا ، أحبُّ إلىّ من أن أُخلِف مَوْعدا .

وقالوا : من وَعَد فأخلف ، لزِمتْهُ ثلاثُ مذمّات : ذمُّ اللُّؤم ، وذمُّ الخُلْف ، وذمّ الكذب ، وقال بعض الشعراء

ولا خيرَ فى وَعْدٍ إذا كان كاذبا * ولا خيرَ فى قول إذا لم يكن فِعْلُ

فإن تُجْمَع الآفاتُ فالبخلُ شرُّها * وشرٌّ من البخل المواعيدُ والمَطْلُ

قال بعض الأعراب : فلان له مواعيدُ عواقبُها المَطْلُ ، وثِمارُها الخُلْف ، ومحصولُها اليأْس .

---

(١) كذا بالأصل بالثاء المثلثة وقال فى اللسان وفى القاموس : إنها بالتاء المثناة وفتح الراء وهى قرية باليمامة .

وقال آخر : فلان له وعد مُطْمِع ، ومَطْلٌ مُؤْيِس ، وأنت منه أبدا بين يأس وطمع ، فلا بَذْلٌ مُرِيح ، ولا مَنْعٌ صَرِيح .

وقال الثعالبيّ : أول من أخلف المواعيدَ ولم يَفِ بشيء منها : إسماعيلُ بن صُبَيح كاتبُ الرشيد ، وما كان الرؤساء يعرفون قبله المواعيد الكاذبة .

ذكر ما قيل فى العِيّ والحَصَر

قال الله عزّ وجلّ : (أَوَ مَنْ يُنَشَّأُ فِي ٱلْحِلْيَةِ وَهُوَ فِي ٱلْخِصَامِ غَيْرُ مُبِينٍ) وقال تعالى إخبارا عن فرعون عند آفتخاره على موسى بالبيان : (أَمْ أَنَا خَيْرٌ مِنْ هٰذَا ٱلَّذِي هُوَ مَهِينٌ وَلَا يَكَادُ يُبِينُ) قال أهل التفسير : إن موسى عليه السلام لما سمع هذا القول قال : (رَبِّ ٱشْرَحْ لِي صَدْرِي وَيَسِّرْ لِي أَمْرِي وَٱحْلُلْ عُقْدَةً مِنْ لِسَانِي يَفْقَهُوا قَوْلِي) الآية ، فقال الله تعالى : (قَدْ أُوتِيتَ سُؤْلَكَ يَا مُوسَى) .

وقيل : حدّ العِيّ معنًى قصير ، يَحْويه لفظٌ طويل . وقال أَكْثَمُ بن صَيْفِيّ : هو أن تتكلّمَ فوق ما تقتضيه حاجتُك . وقالوا : الفقير الناطق ، أغنى من الغنيّ الساكت .

وقال كسرى : الصَّمْتُ خيرٌ من عِيِّ الكلام .

وقالوا : فُضِّلَ الإنسانُ على ما عداه من الحيوان بالبيان ، فإذا نطق ولم يُفْصِح عاد بَهِيما .

وقالوا : العِيُّ داءٌ دواؤُه الخَرَس . ومن علامات العِيّ الآستعانة ، وهى أن ترى المخاطب إذا كلَّ لسانه عند مَقاطِع كلامه ، يقول للخاطب : اسمع منّى ، أو سمعت لى ، وآفهم عنى ، وأشباه ذلك .

ومنهم من يقول : قولى كذا، أعنى به كذا، ولا يريد التفسير، ولكنه يعيد كلامه بصيغة أخرى تكون غير مراده الأوّل ليفهمَ عنه .

ومن عيوب اللسان، التَّمْتَمَةُ، والفَأْفَأَةُ، والعُقْلة، والحُبْسَةُ، واللَّفَفُ، والرُّتَّةُ، والغَمْغَمة، والطَّمْطَمة، واللُّكْنَةُ، والغُنَّة، واللُّثْغَة . فالتمتمة ، قال الأَصْمَعِىّ : إذا تَعْتَع فى التاء فهو تَمْتَام، وإذا ردّد فى الفاء فهو فَأْفَاء، قال الراجز ٥

ليس بفَأْفَاءٍ ولا تمتـامِ * ولا كثيرِ الهُجْرِ فىالكلامِ

والعُقْلة : ٱلتواء اللسان عنـد الكلام ؛ والحُبْسَةُ : تعذّر النطق ، ولم تبلغ حدّ الفأفاء ولا التمتام، ويقال : إنها تعرض أوّل الكلام، فإذا مرّ فيه ٱنقطعت. واللَّفَفُ : إدخال بعض الكلام فى بعض؛ قال الراجز

كأنّ فيـه لَفَفًا إذا نَطَقْ * من طول تَحْبِيسٍ وهَمٍّ وأَرَقْ ١٠

والرُّتَّةُ : ٱتصال بعض الكلام ببعض دون إفادة؛ والغمغمة : أن تسمع الصوت ولا يتبيّن لك تقطيعُ الحروف، ولا تفهم معناه؛ والطمطمة : أن يكون الكلام شبيها بكلام العجم، وهى حِمْيَريّة، وقالوا : هى إبدال الطاء بالتاء لأنهما من مخرج واحد، فيقول : السَّاتان والشَّيْتَان، وأشباه ذلك، قيـل : وكانت فى لسان زياد بن سَلْمى، وكان خطيبا شاعرا كاتبا؛ واللُّكْنَةُ : إدخال بعض حروف العرب فى حروف ١٥ العجم، وتشترك فيها اللغة التركية والنبطيّة، وهى إبدال الهاء حاءً، وٱنقلاب العين همزة، وكانت فى لسان عُبَيد الله بن زياد، وصُهَيب الرومىّ صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم . وقيل : إن مولًى لزياد، قال له : أيها الأمير، أَهْدوا لنا هِمَارَ وَهْش: يريد : أهدوا لنا حمارَ وحش، فلم يفهم زياد عنه، وقال : ويلك! ماذا تقول ؟ قال : أحدوا لنا أَيْراً : يريد عَيْراً، فقال زياد : أرجعنا إلى الأول فهو خير ؛ والغُنَّة : ٢٠

أن يشرب الصوتَ الخَيْشُومُ، والخُنَّــةُ : ضرب منها ؛ والترخيم : حذف بعض الكلمة لتعذّر النطق بهـا؛ واللُّثْغَة : إبدال ستة حروف بغيرها، وهى الهمزة والراء والسين والقاف والكاف واللام ، فالتى تعرض للهمزة، فهى إبدالها عينا، فإذا أراد أن يقول : أنت ، قال : عَنْتَ وهى مستعملة فى لسان التُّكْرور ، وأما التى تعرض فى الراء، فهى ستة أحرف ، فمنهم من يجعلها غينا معجمة فيقول (عُمَغ) : يريد ٥ عُمَر، وهى غالبة على لسان أهل دمشق، و إذا آجتمعت الراء والغين فى كلمة كقولهم: رغيف، قال : (غريف) ، وفَغَرْت بمكانٍ فرغت : فيبدلون كلّ حرف بالآخر، قيل : وكانت فى لسان محمد بن شَبِيب الخارجىّ، وواصل بن عَطَاء المعتزلىّ، وكان لآقتداره على الكلام ، وغزارة مادته ، يتجنب النطق بهـا ، وفيــه يقول الشاعر من أبيات ١٠

ويجعـــل البُرَّ قَمْحا فى تصــرُّفه * وجانبَ الرَّاء حتى آحتال للشَّعَرِ
ولم يُطِقْ مَطَرًا والفــولُ يعجله * فعــاد بالغَيْث إشفاقا من المَطَرِ

ومنهم من يجعلها عينا مهملة، فيقول فى أزرق : أزعق، وهى فى لسان عوامّ أهل دِمَشق، ومنهم من يجعلها ياءً، فيقول فى عُمَر : عُمَى، ومنهم من يبدلها بالظاء أخت الطاء ، ومنهم من يبدلها همزة ، فإذا أراد أن يقول : رأيت ، قال : أأيْتُ، وأما ١٥ التى تعرض للسين ، فإنهم يبدلونها ثاء ، فيقولون : بثم الله ، ويُثْرة الله : إذا أرادوا بسم الله ، ويُسرة الله، أو أشباه ذلك، وهى مستحسنة فى الجوارى والغلمان . قال الشاعر

وأهيف كالهلال شكوتُ وَجْدى * إليــه لِحُسْــنِه وأطلتُ بَثِّى
وقلت له فدتْك النفسُ صِــلْنِى * تحــزْ فىَّ الثــوابَ فقال بَثِّى ٢٠

وأما التى تعرض للقاف ، فإن صاحبها يجعل القاف طاءً ، فإذا أراد أن يقول : قال، وقلت، نطق : بِطَالَ، وطُلْتُ، وهى نبطيّة، وكانت فى لسان أبى مُسْلم صاحب الدعوة، وعُبَيد الله بن زياد؛ ومنهم من يجعلها كافا فيقول : كَال وكُلْت؛ وأمّا التى تعرض للكاف ، فمنهم من يجعلها همزة ، فيقول : أَأَف ، ومنهم من يبدلها تاء ، فيقول : تَانَ، إذا أراد : كان ، وأما التى تعرض فى اللام ، فمنهم من يبدلها ياءً، فيقول : آعتَيَيْتُ، بمعنى : آعتللت، ويقول فى جَمَل : جمى، وإذا أقسم بالله، يقول : ويَّاه ، ومنهم من يبدل الخاء المعجمة حاءً مهملة، فيقول فى خوخ : حُوح ، وتُستحسن فى الغِلْمان والجوارى ، ومنهم من يبدل الجيم ضادًا ، فإذا آجتمع لأحد فى كلمة جيم وضاد، مثل ضجر ، ونضج، قال : جضر، ونجض . والحمد لله وحده!

كمل الجزء الثالث

من كتاب نهاية الأرب فى فنون الأدب، يتلوه إن شاء الله تعالى فى أول الجزء الرابع منه :
"الباب الثالث من القسم الثالث من الفن الثانى فى المجون والنوادر والفكاهات والملح"

والحمد لله وحده وصلى الله على سيدنا محمد نبيه وآله وصحبه وسلم تسليما كثيرا

وحسبنا الله ونعم الوكيل

(مطبعة دار الكتب المصرية ١٩٢٤/٨٢/٢٠٠٠)